القرآن والعقل

تفسير بديع في أسلوبه

للعلامة الحجة الفهامة آية الله

العظمى السيد السند الآغا

نور الدين الحسيني العراقي

طاب ثراه ١٣٤١ ق

الناشر

بنياد فرهنگ اسلامی

حاج محمد حسين كوشانپور

القرآن والعقل

تفسير بديع في أسلوبه

للعلامة الحجة الفقهامة آية الله
العظمى السيد السند الآغا
نور الدين الحسيني العراقي

طابع شراه ١٣٦١ ق

الناشر
بنياد فرهنك اسلامي
حاج محمد حسين كوشانپور

تقریظ حضرت آیة الله العظمی جناب آقای حاج شیخ محمدعلی عراقی دام ظله العالی

بسم الله الرحمن الرحیم

در زمینه تفسیر قرآن کریم و استنباط معارف اسلامی از منبع وحی سالهای متمادی است که دانشمندان بزرگ با سبکهای مختلف سعی وافر مبذول داشته، چه بسیار کتابها که نگاشته‌اند. در یک یا چند جلد در کلام خداوند به ازاله ابهامات گوناگون آن رسیده‌اند. در میان آنها تفسیر عالم عارف و مجاهد بزرگوار مرحوم آیت الله سید نورالدین حسینی همدانی با سبکی نوین متولد شد. این تفسیر گرچه با مقایسه با تفاسیر متداول از لحاظ اختصار دارای مقداری ... ولی حاوی نکات دقیق علمی و اشارات و تنبیهاتی است که برای اهل خبره و فن و کسانی که به اشاره‌ای بسنده میکنند و در علوم عقلیه و نقلیه احاطه دارند بسیار مفید است.

تالیف چنین تفسیری با در نظر گرفتن شرائط خاص زمانی آن مرحوم که در سفر جهادی برای دفاع از اسلام با اوضاع بسیار نامساعد در مدت ۵ سال نگاشته‌اند حقاً از کرامات ایشان باید شمرده شود. و از احاطه کامل او به مبانی تفسیر و مقام شامخ او در علم دینی و علم روح و تقدس نفس آن یگانه حکایت میکند. و طبیعی است که با عدم دسترسی به کتاب در سفر هنگام تالیف و اعتماد به حافظه نمیتواند جامع جمیع جهات مطلوبه در تفسیر باشد. و بگفته خودش تنها با تدبر در ظواهر آیات بسیر تعقلی در قرآن پرداخته.

اینک جای بسی خوشوقتی است که جلد دوم این اثر بزرگ هم از طرف موسسه محترم بنیاد فرهنگ اسلامی کوشانپور بطبع رسیده ... مؤسس و بنیانگذار و متصدی این موسسه و همچنین مرحوم حاج عباس آقا کوشانپور رحمة الله علیه را که در چاپ جلد اول این کتاب سعی وافر مبذول داشته‌اند غریق رحمت فرموده با سایر اجرای خیر مأجور فرماید. و بازماندگان و فرزندان برومند ایشان که در طبع این جلد (جلد دوم) سعی نموده‌اند توفیق ادامه راه آنان را در خدمت نشر معارف اسلامی کرامت فرماید. بتاریخ ۲۴ محرم ۱۴۰۳ قمری والسلام علی [illegible]

الاحقر محمدعلی العراقی

بسمه تعالى شأنه

حديث في فضل القرآن

علي بن ابراهيم ، عن ابيه ، وعدة من اصحابنا، عن احمد بن محمدوسهل بن زياد ، جميعا ، عن ابن محبوب ، عن مالك بن عطية ، عن يونس بن عمارقال: قال ابوعبدالله عليه السلام : ان الدواوين يوم القيامة ثلاثة ، ديوان فيه النعم ، وديوان فيه الحسنات ، و ديوان فيه السيئآت ، فيقابل بين ديوان النعم و ديوان الحسنات ، فتستغرق النعم عامة الحسنات ، ويبقى ديوان السيئآت .

فيدعى : يابن آدم المؤمن للحساب ، فيتقدم القرآن أمامه فى
أحسن صورة فيقول : يـا رب أنا القرآن وهـذا عبدك
المؤمن قـد كـان يتعب نفسه بتلاوتي ويطيل ليله
بترتيلي وتفيض عيناه اذا تهجد ، فـأرضه ،
كما ارضاني ، قـال : فيقول العزيـز
الجبار : عبدى ابسط يمينك
فيملأها مـن رضوان الله
العزيز الجباروعلا
شماله مـن
رحمة الله ، ثم يقال : هذهالجنة مباحة
فاقره واصعد،فاذاقرءآيةصعددرجة(١)

---

(١) اصول الكافي كتاب فضل القرآن جزء ١٢

حديث في فضل حامل القرآن

عدة من اصحابنا ، عـن احمد بـن محمد وسهل بن زياد جميعاً ، عَن ابن محبوب ، عن مالك بن عطية ، عن منهال القصاب ، عن ابى عبدالله عليه السلام قال : من قرء القرآن وهـو شاب مؤمن اختلط القرآن بلحمه ودمه وجعله الله عزوجل مع السفرة الكرام البررة وكان القرآن حجيزاً عنه يـوم القيامة يقول : يا رب ان كـل عامل قـد اصاب اجر عمله غير عاملى ، فبلـغ بـه اكرم عطاياك قال : فيكسوه الله العزيز الجبار حلتين من حلل الجنة ويوضع على رأسه تاج الكرامة ، ثم يقال له: هل ارضيناك فيه ؟ فيقول القرآن : يارب قدكنت إرغب له فيما هو افضل من هـذا فيعطى الامن بيمينه والخلد بيساره ، ثم يدخل الجنة فيقال له : اقرء واصعد درجة، ثمّ يقال له : هل بلغنا بـه وارضيناك ؟ فيقول : نعم ، قال : ومن قرءكثيراً وتعاهده بمشقة من شدة حفظه أعطاه الله عزوجل أجر هذا مرتين .

حديث في العقل

علي بن محمد ، عن سهل بن زياد ، عن عمرو بن عثمان ، عن مفضل بن صالح، عن سعد بن ظريف ، عن الاصبغ بن نباتة ، عن علي عليه السلام قال هبط جبرئيل عليه السلام على آدم عليه السلام .

فقال : يا آدم اني أمرت أن أخيرك واحدة من ثلاث فاخترها
ودع اثنتين ، فقال له آدم : يا جبرئيل وما الثلاث ؟
فقال : العقل والحياء و الدين فقال آدم عليه السلام : اني
قد اخترت العقل ، فقال جبرئيل للحياء
و الدين : انصرفا ودعاه ، فقال :
يا جبرئيل : انا أمرنا أن نكون
مع العقل حيث كان
قال : فشأنكما و عرج (١) (اصول
الكافي في كتاب العقل والجهل خبر٢

---

(١) الظاهران آدم عليه السلام حين هبوط جبرئيل كان ذا حياء وعقل ودين، والامر باختيار واحدة لاينافي حصولها، ولعل الغرض من ذلك أن يتنبه آدم عليه السلام على عظمة نعمة العقل (مرآت العقول)

نقول : والشاهد على صحة هذا البيان أن آدم عليه السلام اختار العقل الذي كان ملازماً للحياء والدين فيكون نفس هذا الاختيار كاشفاً عن وجود الثلاثة فيه والله العالم (المصحح)

كلمة وجيزة للمحشين



الحمد لله الهادى عباده بالقرآن المجيد الى سواء الطريق، والصلاة والسلام على خير خلقه وافضل بريته محمد بن عبدالله الذى انزل اليه الكتاب العزيز ليتلوه على الناس على مكث فيهتدوا به ، وعلى آله الذين جعلهم الله مفسرين لكتابه الكريم وحافظين لـه عن طرو الاعوجـاج والتحريف من اعداء الدين ، ومبينين للناس حقائقه ودقائقه ، كى لايكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، ويهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حى عن بينة .

وبعد الحمد والصلاة نقول: ان من الله تعالى علينا ان وفقنا للاشراف على طبع هذا السفر القيم الذى قد نشر بحمد الله المجلد الاول من اول سورة البقرة الى آخر سورة الانعام .

وهذا السفر القيم الثمين قليل النظير او عادمه كما نقلناه (فى مقدمة المجلد الاول) عن العلامة الطباطبائى قدس سره صاحب تفسير (الميزان) فانه قده بعد رؤية جزوات من مخطوطه قال : (انى لم اعثر على مثله فى تفاسير العامة والخاصة ، وانه لمفيد لدفع الايرادات المتوهمة فى عصرنا هذا انتهى .

هذا مع انه قده(كماذكرناه تفصيلا في مقدمة المجلد الاول) حين كتابته هذا التفسير كان في حال الحرب مع الكفار الغربيين الذين يكون دأبهم وديدنهم ايقاد نائرة الحرب في كل قرن وان كان الله تعالى كلما اوقدوا ناراً للحرب يطفأها بمنه وكرمه .

ولاغروفي ان ننقل بعض كلمات المفسر قده في تضاعيف هذا المجلد الدال على شدة ابتلائه وهمه وغمه حين كتابة هذا السفر القيم .

ففي ذيل تفسير قوله تعالى: (وكتبنا في الالواح) آية ١٤٥ من سورة الاعراف ص٨٣ من هذا المجلد قال : ماهذا لفظه .

وتحقيق الحق في ذلك يفتقر الى مراجعة كتب الاخبار الصادرة عن اهل بيت العصمة عليهم السلام ، وقد ذكرت مرارا ان كتابتي في زمن اغتشاش الحواس واضطرار اقامتنا في غير بلادنا وفقدي للكتب خصوصاً ماكان على طريقة الامامية انتهى .

وفي تفسير قوله تعالى : (فلماآتاهما صالحا جعلا له شركاء فيماآتاهماالخ) آيه ١٩٠ من تلك السورة ص١١٣ منه : ما هذا لفظه ..

واعتذر يااخواني كمااعتذرت مكررا ان حين كتابتي لم يوجد لي كتاب الاخبار اوالفقه من آل محمد ﷺ وكذلك التفسير ولم يكن في وقت هذه الكتابة الامايسمى بالتفسير وهو شبه الترجمة في الحقيقة وهو ما يسمى تفسير الجلالين ، والغرض اني اعلم انه وقع في تفسير اصحابنا خبر من آل العصمة عليهم السلام في بيان هذا الشرك ، ولكنه ليس ببالي ، اذ وقت الكتابة قد مضى من وقت خروجي من بلدي خائفاً يترقب من الكفار المهاجمين مايزداد على السبعة والعشرين شهراً ، ولايبقى في الخاطر مع هذه المخاطرات شيء واخاف ان انسى الفقه والدين كله من طريق الامامية ولاحول ولاقوة الا بالله عليه توكلي انتهى .

وفي مقدمة تفسير سورة يوسف ٣٦٠ منه : ماهذا لفظه .

لمّا ان تفسير القرآن ـ مع ملاحظة ما كتب في هذا العلم جمع من اعاظم الامامية رضوان الله عليهم وكثير من فضلاء اهل السنة مع كثرة بضاعتهم في العلم وتيسر الاسباب لاينبغي ان يصدر من مثلي (خصوصا) في حالة فقد الاسباب ، والابتلاء ببلاد الغربة ، والحيلولة بيني وبين الاهل والعيال ـ لاجل المحاربة العمومية التي مصدرها أعداء البشر ، لعنهم الله ـ (وخصوصا) في حالة الابتلاء بمجيىء الطيارات و لقائهم بعض الناريات المضرة للفقراء والمساكين ، والاطفال ، والنسوان ، المحققة لعدم الترحم في قلوبهم وحال من يجلس فيها .

ويفعل ذلك الامر المشار اليه ، اسوء بمراتب من ساير الجنود ، لانهم يقاتلون مع المقاتلين ، وهؤلاء يقتلون من لايقاتلهم ، فعليهم لعنة الله أبد الابدين .

وقال في ص ٢٠٣ ط : واعداء البشر في زماننا (وهو وقوع المحاربة العمومية من الامپراطورات ورؤساء الجمهوريات ووزراء هذه الممالك ومن بيده الامور قد اتلفوا بتسبيبهم من الجوع نفوساً من الضعفاء والمساكين في الممالك بحيث يبلغون الى الملائين ولم تحصل الرقة في قلوبهم اللهم العنهم جميعا وعذبهم عذابا اليما واهلكهم اجمعين ولاتبق على الارض منهم ديارا .

الى غير ذلك من عباراته التي ننقل بعضها الاخر ايضا انشاء الله في المجلد الثالث الدالة على انه قدس سره كتب هذا التفسير حال شدة ابتلائه بالكفار وناريّاتهم مع فقد اسنان .

ومع هذا قداتى في تفسيره هذا بما هو غير مسبوق بنظره ، ذلك من فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده والله ذو الفضل العظيم ، فشكر الله سعيه وحشره مع اجداده الطاهرين . والحمد لله رب العالمين

الحاج السيد حسين الموسوى الكرمانى الحاج الشيخ على پناه اشتهاردى

عفى عن جرائمها

بحق محمد وآله الطيبين والطاهرين

قم ـ حرم اهل البيت وعش آل محمد (ص)

الناشر

ولنقدم الثناء والتقدير للمؤسسة المباركة (**بنياد فرهنگ اسلامی حاج محمد حسين كوشانپور**) حيث أهدت من زمن تأسيسها الى الآن مع المزاحمات والشواغل الى العالم الاسلامي كتباً ومؤلفات كثيرة فقهية واصولية وتفسيراً وغيرها.

و قد اقدمت لطبع هذا المجلد من التفسير القيم الثمين مع فوت جناب المؤسس **الحاج عباس آقا كوشانپور** ولد المرحوم الحاج محمد حسين غفر الله لهما ولنا انشاء الله فأهدت ذريته الصالحة هذا المجلد بعد موته الى الجامعة الروحانية اللهم اجعل هذا العمل الصالح سبباً للوصول الى القربات للمؤسس والباني والهيئة المديرة لهذا البنياد ولمن سعى في نشر الاثار الاسلامية ووفقهم فيما يأتي في الزمان كما وفقتهم فيما مضى ، واغفر لمن قال : آمين

والحمد لله اولا واخراً

١٨ محرم ١٤٠٣ من الهجرة النبوية القمرية
على هاجرها آلاف الثناء والتحية

الحاج سيدحسين الموسوى الكرمانى الحاج الشيخ على‌پناه الاشتهاردى

بسم الله الرحمن الرحيم

تذکار

حضرت آیة الله مؤلف قدس سره حال احتضار سؤالیان خود را می بینند.

جلد اول این تفسیر شریف (القرآن والعقل) که از چاپ خارج و در دسترس عموم قرار گرفت از کسانیکه برای ایشان تفسیر مذکور برده شد:
حضرت آیة الله العظمی جناب آقای حاج سید احمد خونساری مدظله بودند
(ناگفته نماند معظم له از ملازمین مورد اعتماد آیة الله العظمی: حاج شیخ عبدالکریم حائری یزدی قدس سره - مؤسس حوزهٔ علمیهٔ قم - در سلطان آباد عراق بودندها و مؤلف و مفسر (القرآن والعقل) را کاملاً میشناختند)
چند روز بعد از آنکه تفسیر را بر معظم له برده بودند خدمتشان رسیدم، سؤال کردم تفسیر بنظر مبارک چگونه است فرمودند: بسیار تفسیر خوبی است، واگر قبلاً شمارا ملاقات نموده بودم، قضیه ایکه دربارهٔ مؤلف قدس سره دارم و واقعاً فضیلت بزرگی است آنرا میگفتم که در مقدمهٔ جلد اول مرقوم دارید، عرض کردم انشاء الله در جلد دوم خواهیم نو

آن قضیه و فضیلت

معظم له فرمودند: شبی که سحر آنشب (آقا نورالدین صاحب تفسیر) برحمت پروردگار واصل شدند، در خدمت استاد، حاج شیخ عبدالکریم حائری یزدی اعلی الله مقامه، رفتیم بعیادت

بعیادت آقا نورالدین ایشان درحال شدّت مرض خوابیده چشمها روی هم، قدری نشستیم سپس برخاستیم و رفتیم صبح مطلع شدیم ایشان وقت سحر دعوت حق را لبیک گفته اند، درخدمت مرحوم استاد رفتیم به تشییع — تمام شهر تعطیل مردم و دسته‌جات سر و سینه زنان برای تشییع حاضر و عزاداری می نمودند — در این بین به دکتر آن مرحوم که شب‌ها تا سحر نزد ایشان مانده بود برخورد کردیم دکتر گفت: پس از رفتن شماها تقریباً دو بعد از نیمه شب بود که آن مرحوم در اثر شدّت مرض روی بستر چشمهایش روی هم بود ناگاه دیدیم چشمها باز شد رنگ صورت کمی بحال طبیعی برگشت و نشست مثل اینکه دور اطاق کسانی نشسته اند — دست روی سینه گذارد، و از طرف راست شروع کرد به سلام کردن، سلام علیکم خوش آمدید، سلام علیکم خوش آمدید بهمین نحو به دور اطاق اشاره مینمود و سلام میکرد و خوش آمدید میگفت، بعد که تمام شد خوابید و شهادتین گفت و به لقاء حق پیوست (رضوان الله علیه و علی جمیع علمائنا الماضین)

بلی مؤمنین و متّقین درحال احتضار، موالیان خود را دیده، و بدیدار آنان مسرور شده و از دنیا و ما فیها چشم میپوشند — و اینک بمناسب دیدم برای زیادتی بصیرت خوانندگان محترم به نقل یک حدیث از احادیث مربوطه در این باب را تیمّناً و تبرّکاً ذکر نمایم، بقیهٔ احادیث را هرکس خواهد به کتاب شریف (کافی) جلد سیم باب (ما یعاین المؤمن و الکافر) از کتاب الجنائز، و سایر کتب معتبره مراجعه فرماید، امید است هنگام قرائت و مطالعه از طلب آمرزش حقیر را و صدیق محترم حجة الاسلام والمسلمین آقای حاج شیخ علی پناه دامت توفیقاته را فراموش نفرمائید

الاحقر الحاج السید حسین الموسوی الکرمانی عفی عنه و عن والدیه بحق محمد و آله الطاهرین

آن حدیث شریف

محمّد بن یحیی، عن احمد بن محمّد، عن محمّد بن سنان، عن عمّار بن مروان قال: حدّثنی من سمع أبا عبد الله علیه السلام یقول: منکم والله یقبل، ولکم والله یغفر، انه لیس بین أحدکم (۱) وبین ان یغتبط ویری السّرور وقرّة العین الّا ان تبلغ نفسه ههنا - وأومأ بیده الی حلقه - ثمّ قال: انّه اذا کان ذلک واحتضر، حضره رسول الله صلی الله علیه وآله وسلّم، وعلیّ علیه السلام، وجبرئیل وملک الموت علیهما السلام فیدنو منه علیّ علیه السلام فیقول: یا رسول الله انّ هذا کان یحبّنا اهل البیت فاحبّه، ویقول رسول الله صلّی الله علیه وآله: یا جبرئیل انّ هذا کان یحبّ الله ورسوله واهل بیت رسوله فأحبّه، ویقول جبرئیل لملک الموت: انّ هذا کان یحبّ الله ورسوله واهل بیت رسوله فأحبه وارفق به، فیدنو منه ملک الموت فیقول: یا عبد الله أخذت (۲) فکاک رقبتک، اخذت أمان برائتک، تمسّکت بالعصمة الکبری فی الحیاة الدنیا؟ قال: فیوفّقه الله عزّ وجلّ فیقول: نعم فیقول: وما ذلک؟ فیقول: ولایة علیّ بن ابیطالب علیه السلام فیقول: صدقت أمّا الّذی کنت تحذره فقد آمنک الله منه، وأمّا الّذی کنت ترجوه فقد أدرکته، أبشر بالسّلف الصالح مرافقة رسول الله صلی الله علیه وآله وعلیّ وفاطمة علیهما السلام، ثمّ یسلّ نفسه سلّاً رفیقا، ثمّ ینزل بکفنه من الجنّة وحنوطه من الجنّة بمسک أذفر، فیکفّن بذلک الکفن، ویحنّط بذلک الحنوط، ثمّ یکسی حلّة صفراء من حلل الجنّة فاذا وضع فی قبره فتح له باب من ابواب الجنّة یدخل علیه من روحها وریحانها، ثمّ یفسح له عن أمامه مسیرة شهر، وعن یمینه وعن یساره: ثمّ یقال له: نم نومة العروس علی

(۱) ضمائر الخطاب کلها للشیعة (۲) (اخذت) استفهام، وفکاک الرقبة اشاره الی قوله تعالی: (فک رقبة) وفسّر فی اخبار کثیرة بالولایة، اذ بها تفک الرقاب من النار (مرآت العقول)

على فراشها، ابشر بروح وريحان وجنة نعيم ورب غير غضبان، ثم يزور آل محمد في جنان رضوى فيأكل معهم من طعامهم، ويشرب من شرابهم، ويتحدث معهم في مجالسهم حتى يقوم قائمنا اهل البيت، فاذا قام قائمنا بعثهم الله فاقبلوا معه يلبّون زمراً زمراً فعند ذلك يرتاب المبطلون، ويضمحل المحلّون[1] وقليل ما يكونون، هلكت المحاضير ونجى المقربون، من اجل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام:

انت أخي وميعاد ما بيني وبينك وادي السلام، قال: واذا احتضر الكافر حضره رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام، وجبرئيل وملك الموت عليهما السلام فيدنو منه علي عليه السلام، فيقول: يا رسول الله ان هذا كان يبغضنا اهل البيت فابغضه، ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جبرئيل ان هذا كان يبغض الله ورسوله واهل بيت رسوله فابغضه[2] واعنف عليه، فيدنو منه ملك الموت فيقول: يا عبد الله أخذت فكاك رهانك، أخذت أمان برائتك، تمسكت بالعصمة الكبرى في الحياة الدنيا؟ فيقول: لا، فيقول: أبشر يا عدو الله بسخط الله عز وجل وعذابه والنار، اما الذي كنت تحذره فقد نزل بك، ثم يسل نفسه سلاً عنيفاً، ثم يوكل بروحه ثلاثمائة شيطان كلهم يبزق في وجهه ويتأذى بروحه، فاذا وضع في قبره فتح له باب من ابواب النار، فيدخل عليه من قيحها ولهبها — (فروع الكافي المجلد الثالث، باب ما يعاين المؤمن والكافر من كتاب الجنائز طبع الشيخ محمد الآخوندي - طهران) الاحقر السيد حسين الموسوي الكرماني

[2] فيقول جبرئيل: يا ملك الموت، ان هذا كان يبغض الله ورسوله واهل بيت رسوله فابغضه...

(1) رجل محل اي منتهك لا يرى للحرام حرمة، هلكت المحاضير: اي هلك المستعجلون للفرج نجى المقربون — اي الذين يرونه قريبا ولا يستعجلونه، القيح: سطوة الحر وفورانه، اللهب اشتعال النار

بسم الله تعالى شانه شرع في سورة الاعراف [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم المص كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون وكم من قرية اهلكناها فجاءها بأسنا بياتا او هم قائلون فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين فلنسألن الذين ارسل اليهم ولنسألن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون

الالف اشارة الى الله واللام الى جبريل والميم الى محمد صلى الله عليه وسلم والصاد الى النبي صلى الله عليه وسلم فيه في الجنة فيكون كناية عن المعاد فهذه السورة ليس فيها الا المعاد ايضا كما يكون فيها الاشارة الى المبدء والواسطة هذا القرآن كتاب انزل اليك فالمنزل بالكسر هو الله المبدء لكل شيء لا شيء وتمام الكلام ان المرسل [illegible] والواسطة في التبليغ هو الروح الامين المطاع في الملائكة مطاع ثم امين وهو جبرائيل الذي نزل على قلب النبي صلى الله عليه وسلم وعلى سمعه كصلصلة الجرس ونزول الوحي وجبريل على القلب [illegible] الى النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]

درجات



آیة الله فقید مرحوم آقا نورالدین طاب الله رمسه

متولد روز جمعه هفتم شهر رجب المرجب ۱۳۴۱

ان هذا القرآن

يهدى للتى هى أقوم

سورة الاعراف (٧)

مكية

وهى ماتا وست آيات (٢٠٦)

شرع قدس سره فى اسلامبول

مع اغتشاش البال

بسم الله الرحمن الرحيم

المص (١) كتاب انزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين (٢) اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولاتتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون (٣) وكم من قرية اهلكناها فجائها باسنا بياتا اوهم قائلون (٤) فماكان دعويهم اذجائهم بأسنا الا ان قالوا اناكنا ظالمين (٥) فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين (٦) فلنقصن عليهم بعلم وماكنا غائبين (٧) والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون (٨) ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون (٩) .

يحتمل كون الالف اشارة الى الله ، واللام الى جبرئيل ، والميم الى محمد ﷺ ، والصاد الى العين الصافية فى الجنة فيكون كناية عن المعاد.

فهذه السورة يشارفيها الى المعاد ايضاً ، كما يكون فيها الاشارة الى المبدء والواسطة .

هذا القرآن (كتاب انزل اليك) فالمنزل بالكسر هو الله المبدء لكل شيء

لانتهاء تمام الكمالات اليه كما مرّ مراراً ، والواسطة فى التبليغ ، هو الروح الامين المطاع في الملائكة (مطاع ثم أمين) (١) وهو جبرائيل عليه السلام الذى ينزل على قلب النبى صلى الله عليه وآله ، وعلى سمعه كصلصلة (٢) الدراى ، ونزول الروح وجبرئيل عليه السلام على القلب والسمع لاعلى روح النبى صلى الله عليه وآله ، اذ فى بعض درجاته صلى الله عليه وآله ، هما فى درجة واحدة فلا تزول ، وفى المراتب العديدة لابد لجبريل عليه السلام من الصعود والعروج الى النبى صلى الله عليه وآله ، وفى اعلى المدارج لايمكن له الوصول بالصعود والعروج ايضا.

والمنزل (٣) بالفتح وهو القرآن والكتاب ، ثبوته من الوسائط العالية الفانية، ويعرب عن الله بل عن غيب الغيوب .

(فلايكن في صدرك حرج) وضيق منه ، (يحتمل) انيكون هذا النهى كالامر المتولد منه بالشرح للمرتبة الصدرية ، اى اول المراتب المتوسطة المتوجهة الى المتوسط الاعلى وهو القلب.

نهى تسخير ، وامر تسخير اى بهذا النهى والامر مـن الله يحصل الشرح ، ويرتفع الحدّ وهو الحرج والضيق، (لان) حصول القرآن وهو مرتبة الجمع بكماله مـن حيث اشتماله على المبدء والمعاد ، والواسطة اشتمالا حضوريـا ، وصيرورة العالم به عالما حضوريا ، (لايمكن) الابعد الوصول الى درجة الاحاطة التامة ، وباصطلاح بعض الى درجة القيامتية ، وكون الاشياء جميعا قائمة به كما انه قائم بالله ، وتحقق ذلك لدرجة الصدرفى نهاية الغموض ، وتتحير العقول فيه ، فمالم يكن مدد قوى الهى وتسخيروتوفيق منه لايتحقق ذلك ، فارتفع الضيق ، وحصل الشرح بامر الله النورى ونهيه النوري .

ولابد من تحقق هذا الشرح للخاتم صلى الله عليه وآله الذى يكون مبعوثاً على كافة الخلائق

---

(١) التكوير - ٢١

(٢) وفي حديث صفة الوحى ، كانه صلصلة على صفوان ، الصلصلة صوت الحديد (مجمع البحرين) .

(٣) عطف على قوله فالمنزل بالكسر فلاتغفل .

أجمعين ، من الاعالى والادانى ، اذلابد لاتصال كل حبل اليه ، والمراتب المتأخرة محجوبة عن العوام ، وكيف يمكن اتصال حبلهم اليها ، ومع بقائها على الحد كيف يأخذون بعض اقسام الملائكة منه ، فلابد من الشرح والانبساط حتى يصل الكل ويرد عليه ، ويتجلى لكل بمقدار سعته .

و(يحتمل) ايضا ان يكون النهي للتسلية وان تكذيب المكذّب لايصير سببا لتغيّر حالك ، فان عليك اتمام الحجة .

(لتنذر به وذكرى للمؤمنين) فهو انذار للمكذّبين ، واتمام الحجة عليهم يحصل بالانذار ، وبشارة ، وتذكار ، وموجب للتوجه والالتفات الى الله للمؤمنين.

اذماكان جامعالجميع المراتب يصيرالتوجه اليه توجها الى جميع العوالم، ويحصل لهم بالتفكروالتعمق والمسافرة من ظواهر الالفاظ الى باطنها من المعانى اذ الالفاظ مرآت للمعانى ، و الوضع قد اثّرفىالالفاظ للعالم بالوضع اثر جعلها مرآتا ، واخراجها منالاستقلال وايصالها الىالفناء فىالمعانى ، فبالالتفات تحصل المعانى مشهودة ، بالتامل فيها ، وهىالمسافرة الثانية تنتقل من الدانيات الجسمانية الى العاليات الرّوحانية .

(اتّبعوا ماانزل اليكم من ربكم) ورتبوا الآثار عليه من الاتيان بأوامره وترك نواهيه ولاتتّبعوا من دونالله اولياء اذا لولاية والمختارية لمبدء الكل ، والكلمنته اليه لانتهاء كل ناقص الى الكمال المحض ، وكل قوة الى الفعل المحض ، ولا تعدد فى المبدء كما مر مرارا ، فلامعنى لولاية غيرالله ، فالاخذ بها آخذ بالسراب لاالماء فلايجدى له بل يهلكه ، فالله نهى عنه ارشاداً .

(قليلا مّاتذكرون) مازائدة للتاكيد ، اى القليل المؤكد قلتهم ، يلتفتونبنفى ولاية الغيروعدم المتابعة ، فان غالب الاشخاص الا الاوحدى يتابع الشيطان ولوفى بعض الاعمال .

(وكم من قرية اهلكناها) اى اهلها ، والمراد الاشراف علىالهلاكة بارادتنا للهلاكة (فجائها بأسنا) وعذابنا اى نزل العذاب على اهل القرية فى حال نيامهم

فى الليل ، اووقت القيلولة والاستراحة فى وسط النهار .

(فما كان دعويهم) اى ماكان قولهم وقت نزول العذاب الاعترافهم بظلمهم ولكن هذا الاعتراف لايثمروقت المشاهدة لما عرفت من صيرورة الاطاعة والايمان حينئذ خارجة من الطوع و الرغبة الى الله والى الكمال ، بل يكون مع النفرة ، وهواى الانقياد مع النفور لايكون مكمّلا ولاصلاح فيه ، ثم بعد العذاب او مطلقا السؤال منهم ، ومن الانبياء عليهم السلام يكون واقعا ، و اخبارهم باعمالهم يكون حاصلا لعدم غياب امرعن الله ، وكون تمام حقائق الاشياء من الجواهر ، و الاعراض ، و الملك ، والملكوت حاضرا عندالله .

وطريق الاخبار قد ذكر بثبت التمام فى نفوسهم وارائتهم حتى يقرؤن ، او مضافا الى ذلك يسمعون الصوت بدون الحجاب اومعه ، كل واحد بحسب استعداده ولياقته .

(والوزن يومئذ الحق) اى توازن الاعمال فى ذلك اليوم ثابت ، اوالتوازن، فيه الفائدة ولايكون باطلا ، اويكون التوازن مطابقا (بالفتح) لما اخبربه، اوالجميع لرجوعها الى كلى واحد .

والميزان هى الآلة للوزن من التعادل والتفاوت ، وآلة كلشىء بحسبه (فآلة) الافعال نحو ولو لم يصل مباديها الى الملكات ، (وآلة) الاخلاق نحو ولابدّ من وصول مباديها الى الملكات، (وآلة) العقايد نحو، (وآلة) النوروالظلمة فوق الجميع نحو آخر.

(فمن ثقلت موازينه) اى رجحت الموازين الكمالية له على مايقابلها ، ونسبة الثقل والخفة الى الانسان .

واضافة الميزان الخيراليه (اما) لان الخيرات وجودات وقابلة للاعتناء بها دون غيرها ، و (اما) لاجل ان كل مولود يولد على الفطرة ، فالتوحيد و الكمال بالذات ، والشرك والنقائص بالعرض و(اما) لاجل بشارة اهل النظر بزوال مابالعرض والتخلص من العذاب الافى صورة تبدل الذات .

و على اى حال فهم المفلحون ، اذلافوز ولا فلاح اعلى من ذلك ، لعدم الدثور ، وعدم الزوال ، بل على الحق ـ كما اخترته من ان بقاء الحركة دائماً ، يشتد الكمال بعد الكمال ، والتجلى بعد التجلى ولانهاية له ابدا ـ

(ومن خفت) موازينه الخيرية ورجحت الشرور عليها ، فاولئك هم الواردون للخسارة على ضرر انفسهم بسبب التعدى والظلم فى حق الآيات الواردة من قبلنا، بتكذيبها قولا اوعدم الاخذ بها والله الهادى .

قوله تعالى : **ولقد مكنا كم فى الارض و جعلنا لكم فيها معايش قليلا ماتشكرون (١٠) ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الاابليس لم يكن من الساجدين (١١) قال مامنعك ان لاتسجد اذ امرتك قال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين (١٢) قال فاهبط منها فمايكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين (١٣) قال انظرنى الى يوم يبعثون (١٤) قال انك من المنظرين (١٥) قال فبما اغويتنى لاقعدن لهم صراطك المستقيم (١٦) ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولاتجد اكثرهم شاكرين (١٧) قال اخرج منها مذؤما مدحوراً لمن تبعك منهم لاملاءن جهنم منكم اجمعين (١٨) .**

يرشد الناس بتذكر نعماء الله عليهم حتى يلتفتوا و يحصل فيهم الحب لله ، ويشكرونه استحقاقا ومحبة .

(ولقدمكناكم فى الارض) اى جعلنالكم يابنى آدم السلطنة على وجه الارض وجميع وجه الارض فى سلطتكم ، تتصرفون بما تشاؤن ، وجعلنا لكم فى الارض مايعاش به باقسام مختلفة ، وكل آخذون بقسم منها من الماكولات ، والمشروبات، والملبوسات ، والمشمومات ، وغيرها بأقسامها المعلومة ، وكون الكل من قبل

الله حدوثا وبقاءاً لما مر مراراً ، (من بطلان) كون الشيء حاصلا من دون علة ، و(من بطلان) كون الفاقد معطيا ، فحدوث الكل ينتهي الى الفعل المحض وصرف الوجود ، وهو الله ،

ولما كان الافتقار للامكان فحال البقاء حال الحدوث كما بين في محله ،

ومع هذه النعماء الغير المنحصرة ، اذفي كل آن لابدمن وصول الفيض الى كل جزء جزء من الانسان من العروق والاوردة (١) واللحوم ، والجلود ، والعظام والعين، والاذن، وهكذا .

وفي كل آن نعمتان من دخول الهواء في الجوف وخروجها حتى يحصل التنفس ، وكذا يلزم في كل آن افاضة الفيض على كل ماله دخل في وجود الانسان من السموات والكواكب من الشمس والقمر وغيرهما والارض ومايعيش به الانسان بل كل علله من المشية ، والعقل الاول الى آخر مايصل الى الانسان (وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها) (٢) .

(قليلاما) (٣) مازائدة للتأكيد اى القليل في منتهى القلة (تشكرون) اى مطلق الشكر ، واما بقدر النعماء فلايقدر احد ان يشكر الله لان كل شكر ،مدده منه وتوفيقه منه فيحتاج الى شكر آخر وهكذا الى غير النهاية فيستحيل .

(ولقد خلقناكم ثم صورناكم) يحتمل ان يكون المراد من التصوير التشكيل وهو واقع بعد النطفة ، والعلقة ، والمضغة ،

ويحتمل ان يكون المراد الفعلية التى بها يمتاز الفصول ويخرج الانسان عن شركة ساير اقسام الحيوان ، وهو المراد بقوله تعالى (ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله

---

(١) جمع الوريد وهو عرق العنق (اقرب الموارد)

(٢) النحل - ١٨

(٣) قوله قده : قليلا ما - مرتبط بقوله : ومع هذه النعماء الغير المنحصرة الخ اى انتم مع هذه النعم التى انعمناها عليكم لتشكروا ، قد قل شكركم

احسن الخالقين) (١) ولعل الثاني اظهر، بملاحظة امر الملائكة بالسجود واباء ابليس وان كان الاول في حد ذاته اظهر عند العرف العام .

(ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم) ، الظاهر من الاية لولا الحذف ، انّ حال بني آدم ايضا كحال آدم عليه السلام في ان الله امر الملائكة بالسجود لهم ، والخضوع ، والاحاطة، فسجدوا وخضعوا سوى ابليس ، ومن حيث العقل لااستبعاد فيه ، بل بنظره هذا الارث يكون ثابتا في بني آدم (فان) من بلغ الى درجة كونه ابن آدم لامن حيث الشكل الصوري فقط بل من حيث المعنى من حصول الصدر بمرتبته له ، والقلب والروح بمراتبه ، من السر ، و سرّ السر ، و سر المستسرّ في السر ، ولو القى في اكثر الاوقات على وجه اكثرها القناع بسبب غلبة الشهوات ، الان بالحقيقة العلمية المطلقة او المقيدة بالحضورية ولو في بعض الاوقات قد ادرك المراتب (يكون) لجميع الملائكة نحو خضوع له ، لفقدهم بعض الاجماليّات المودعة ، كما وقعت الاشارة منا في قصة آدم عليه السلام سوى الشيطان .

وللحقيقة العالية في بني آدم ايضا الابدان يأمر الله الملائكة بالسجود والخضوع امر تشريع وتسخير ، وبلحاظ الشركة في مرتبة من المراتب كان الشيطان ايضاً داخلا ، كدخول الجماد في مطلق الجسم الصادق على الانسان، واقسام الحيوانات والنباتات ، مع ان حقيقة الانسان والجماد بينهما بون بعيد .

ولعل لفظ الملك موضوع لامر عام كذائي ، او اعم منه بحيث كان امراً عارضا ككون، المراد الغائب عن عالم الشهادة فلايلزم اتحاد حقيقته مع الملائكة ولايلزم كون الاستثناء منقطعا كما هو واضح .

والحاصل ان امر الله باطاعة الشيطان لبني آدم في كل حال امر تشريع وتهديد لايكون امرا مستنكرا .

وكون التهديد، والتعجيز ،والتسخير من الاغراض، يصحح عدم جواز استعمال

---

(١) المؤمنون - ١٤

اللفظ في المعنيين لو كان هنالفظ ايضا ،

وان كان الامر هو النورى السعى ، فالامر اوضح .

كما انه لو كان المراد بابليس هنا، النوعى حتى يشمل جميع ذرارى ابليس الكبير ، يكون ماذكرنا من شمول الحكم لبنى آدم في غاية الوضوح .

وان ابيت عن ذلك كله ، فنقول : بقرينة المقام ، قد حذف لفظة (بسبب ابيكم) بعد (صور ناكم) او بدون الحذف بسبب المجاز في النسبة وكون المراد من(خلقناكم) خلقنا اباكم وصورنا اباكم ، فان آدم عليه السلام لا يكون ابا جسمانيا فقط حتى لايكون علة ، بل محض المعّد القابلى ، بل يكون والدأ روحانيا وعلة فاعلية ، والعلة واجدة لتمام المعلول ، فنسب الخلق والتصوير الى بنى آدم من حيث خلق علتهم ، بل من حيث بعض الانظار يمكن القول بعدم المجاز في النسبة ايضا ،

(قال ما منعك ان لاتسجد) لفظ (لا) يكون زائدأ، اى مامنعك ان تسجد اذ امرتك ، قال أناخير منه خلقتنى من النار وحقيقته التكبر ، والا نانية والاستعلاء ، (وخلقته من طين) وهو الممزوج من الماء والتراب ولازمهما الخضوع والوقوع

(قال فاهبط منها) لو كان المراد ماذكرته من الا حتمال يكون الضمير راجعا الى حقيقة بنى آدم ومرتبته ، اى اهبط وانزل من تلك المرتبة ، و مايكون لك ان تتكبر فى هذه المرتبة ، واخرج من تلك المرتبة، انك صغير ذليل فى تلك المرتبة ،

فالامر بالهبوط ، والامر بترك التكبر الحاصل من (فما يكون لك ان تتكبر) والامر بالخروج للصغارة ، تكون أوامر تسخيرية او تشريعية ، فالكبر الواقعى يرتفع و النزول عن المرتبة العالية و الخروج مع الصغارة عن تلك المرتبة تحصل ، ولو كان المراد من التكبر صرف الاظهار فالامر بالنسبة اليه امر تهديد .

وسر الطرد ان الطين ممزوج من الماء ، وهو العلم ، وسبب حيوة الكل والتراب وهو يقيل الانعكاس ، والا شراق ، والمرآتية للنور الخفى، مع خضوعه وفنائه .

واظهاره بلسان الاستعداد ان ذاتي كدرة ، ونوري من اشراق ماله النور من قبله مع ان فيهما (اي الماء والتراب) زائداً على قبول الا شراق تربية الحيوانات والنباتات والمعادن بخلاف النار لانها سبب التفرق والانفصال ولانسبة بينهما.

(قال انظرني الى يوم يبعثون) لما طرد من مرتبة الآدمية والحقيقة العالية (قال) : امهلني للتصرف في المراتب النازلة له حتى يحصل يوم البعث ، ويوم ظهور تلك الحقيقة وسلطنته على ساير القوى، فكأنه تفطّن ان هذه الدرجة خفية في الاغلب ومسلوبة الحكم ، فتمنى السلطنة مالم يقهر تلك الدرجة على ساير الدرجات ، فامهله تعالى .

ولم يبين أمد تلك المهلة في تلك الاية ، وفي الاية الاخرى قد بيّن الله تعالى (انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم)(١) وفي بعض الاخبار يبيّن انه في رجعة دولة آل محمد ﷺ .

ولعل الوجه ان سلطنة المرتبة العالية ببركة انفاسهم ﷺ تحصل لكل أحد على ساير مراتبهم ، فلاتبقى سلطنة الشيطان ، اللهم ارزقنا درك الفرج ، اوالرجعة للكمال بعد الموت .

ولقد بينا في بعض رسائلنا لزوم الرجعة في عالم الشهادة لتكميل الاشقياء الذين حصل القاسر لبلوغهم الى منتهى شقاوتهم وكذلك السعداء ، حتى لاتحصل الطفرة في حصول القيامة الكبرى للعالم الكبير ، بل الملكوت لابد ان يغلب على ملكية العالم الكبير حتى يتحرك العالم الكبير كالعالم الصغير الى درجة القيامة .

(قال فبما اغويتني) يحتمل كون الباء للقسم أي بحق ماأغويتني به ، وهو اسمك المضل ، ويحتمل ان يكون للسبب اي بسبب ماأغويتني به وهو ذلك الاسم ، حيث لابد له من الظهور في عالم الشهادة .

(لاقعدنّ لهم) اللام الاول جواب القسم ، وعلى الفرض الاخر للتأكيد أي

---

(١) الحجر - ٣٦

أجلس واقعد البتة وقطعاً، واللام الثانى للانتفاع أى لانتفاعاتهم بسايرمراتبهم الدانية من الشهوة والغضب والنكرى ، أى ازيّن تلك الامور .

(صراطك المستقيم) أى على صراطك المستقيم اقعد حتى احول بينهم والوصول اليك ، فكل خيال فى أمرمحسوس ينتقل منه الى المعقول اقعد فيه واموّه فى ذلك الخيال حتى لايوصل الى المعقول ، وكل ملكة حسنة توصل الانسان الى الدرجة العقلانية الموصلة الى الله أقعد واوسوس حتى تزول ، وكل فعل من الحسنات او ترك من السيئات اقعد لعدم تحققها وتحقق عكسها .

(ثم لآتينهم من بين ايديهم ، ومن خلفهم ، وعن ايمانهم ، وعن شمائلهم)

ثم بعد تزيين الباطل على النحو الكلى أقرب اليهم بحيث يصير التصور فى الامور الباطلة بالغاً الى حد الحضور والعين من شدة شوقهم اليها ، واوصل اليهم من بين ايديهم ، وازيّن الالذاذات الحاضرة والغائبة، بمنزلةالخلف فى عدم كونها مرئية من قبيل تعريفات اهل الشهوات وتوصيفاتهم من المولع فى الشهوات ، فهذا الامر الغائب ايضاً يوجب تحريكا .

(وعن ايمانهم) المتوسطة بين الحضور والغياب،مع قوة فيهاكالامور الدنيوية التى تكون حصولها مرجوة .

(وعن شمائلهم) وهى المتوسطة غير القوية كالامور الدنيوية التى حصولها مشكوك ، اذ المراد استيعاب الجهات كناية عن التصرف التام ، واما من جهة الفوق فلايمكن دخولها لخروجها عنها صاغرة وهى الوجهة الى الله ، (ولاتجد اكثرهم شاكرين) لك لاغوائى .

(قال اخرج منها مذؤما مدحوراً) اى معيبا اوممقوتا ومبغوضاً ، والمدحور هو المبعد عن الرحمة ، اجابه الله بأن اخرج من تلك المرتبة اوالجنة لوكان المراد قصة ابى البشر مع ابليس، على نحو صرت معيوبا وتنقّصت من شوكتك الاصلية ، اومبغوضاً لله ، اى هذا الجزاء يكفيك ، فانت مبغوض مبعد عن رحمة الله لضعف نور الوجود فيك .

(لمن تبعك منهم) اللام للابتداء او توطئة للقسم ، اى من تبعك من بنى آدم (لاملاءن جهنم منكم) اى منك وذراريك التى مثلك وبنى آدم (اجمعين)، ايصالا الكل مابالقوة الى مابالفعل، وبذر الاعمال للملكات، والملكات الردية للعذاب، والله الهادى.

قوله تعالى : **ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين(١٩) فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ماووری عنهما من سوآتهما وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الاان تكونا ملكيـن او تكونا من الخالدين (٢٠) وقاسمهما انى لكما لمـن الناصحين (٢١) فدليهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناديهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدومبين(٢٢) قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين(٢٣) .**

لاريب (انه) اذا كان فى الكلام جهات عديدة وخصوصيات متعددة ، واشار المتكلم فى مقامات عديدة الى هذا الكلام ، وفصّل وبيّن الجهة المقصودة فى كل مقام على حسبه ، واشار الى سايرالجهات اجمالا لتحفظ القضية ، وان هذه الجهة في تلك القضية الخاصة ، وكذلك ساير المقامات (لايكون) هذا المطلب تكراراً، فان الجهة المفصلة المقصودة بالاصالة فى كل مقام غير الاخر .

وحينئذ نقول: ان المقصود بالاصالة فى قصة آدم عليه السلام فى سورة البقرة جهة خلافته عن الله ، لكونه كوناً جامعاً لتمام العالم من الاجمال الاخفى والاجمال الخفى، والتفصيل من الجبروت والملكوت الايمن والايسر والناسوت ، ولذا فصل الله من هذه الجهة اعتراض الملائكة واراثة الله فضل آدم عليه السلام باشتماله على تمام الاسماء .

ولما كان لاشتماله على الجهة الاخيرة لزم نزوله على الارض ، فأشار الله

اليه اجمالا .

وفي المقام الجهة المقصودة بيان كيفية حقيقة الشيطان في وسوسته ، وانه من أي جهة يدخل ، وكيف يموّه المطلب ويقسم بالله كذباً ، ففصل الله من تلك الجهة ، واشارالى باقي القضية على نحوالاجمال ، وكذلك يكون الامرفي الموارد التي يظن الغافل في القرآن كونه تكراراً، وليس بتكرار اذا تأمل فيه ويرى انه من قبيل ماذكرنا .

وعلى أي حال فنقول : (ان كان) المراد من الايات السابقة قصة آدم عليه السلام على طريق الحذف كمابيّن ، فهذه الايات ارتباطها بالايات السابقة واضحة،(وان) كان المقصود فيها بني آدم كما هو ظاهر اللفظ ، فالارتباط من باب ان كيفية وسوسة الشيطان، اوذراريه لبني آدم ايضاً، كوسوسته لآدم عليه السلام فلينتقلوا الى ذلك ولايطيعوا الشيطان في وساوسه .

(ويا آدم) اي قال الله تعالى: (يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة) اظهار الضمير لتأكيد المستتر ، وعطف وزوجك عليه (فكلا من حيث شئتما) امر ترخيص واباحة أويكون وجوبياً لاجل قوام بدنهما (ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا) بسبب التقرب وهو كناية عن التصرف في الشجرة بالاكل أو نحوه ، لاالقرب المكاني مع عدم التصرف .

وقد ذكرنا سابقاً في سورة البقرة(١) ان النهي نهي تنزيه لكونه عقيب الامر لاجل قوام البدن ، وقلنا : ان آدم عليه السلام لم يكن في الجنة العالية وهي جنة عدن ، بل كان عليه السلام في الجنة المتوسطة ، ودخولها لمن غلبت عليه الملكوت ، لامانع له ، فيدخلونها، ويأكلون من اثمارها ، ويرون الاثمار في ايديهم من السعداء كزكريا عليه السلام حيث يشهد الرزق الذي لمريم عليها السلام من ذلك العالم ، بل لبعض اقسام الصلاح قد يرى ذلك بعض غير السعداء ايضا ، فهما (اي آدم عليه السلام وحواء) لغلبة الملكوت عليهما

(١) راجع ص٢٧ من المجلد الاول

كان‌مقامهما في‌تلك‌الجنة ، ويأ كلون، ويشربون من‌أقسام‌الاطعمة والفواكه والمياه .

ولما ان تلك الجنة مثلها مثل الصدر، تكون بعض درجاتها وامورها متوجهة الى القلب وفوقـه ، اى الجنة العالية التى لها المقدار وهى جنـة عدن ، وجنة الرضوان التى‌لامقدارلها ، وبعض درجاتها وامورها متوجهة الى‌الملك ، فكانت فى بعض الاقسام من ثمرات الاشجار .

والشجرة المخصوصة جهة ارتباط الى الملك ، بحيث يميـل الآ كل منها والمتصرف ، الى عالـم الملك ، ويغلب الملك على الملكوت بسببه ، والحكم والاثر للجهة الغالبة ، فينقطع ماكان مترتباً على‌الملكوت ، والمفارقة من‌الملكوت، والدخول فى الملك ظلم وتعد على نفسهما (من الظالمين) على نفسكماكما سبق .

(فوسوس لهما الشيطان) اى لانتفاعهما بمراتبهما الدانية لعدم انقطاع‌الملكية عنهما ، وعدم انمحاء‌آثار‌الملكية بالمرة (ليبدى لهما ماوورى عنهما من سوآتهما) اى ليظهرلهما ماخفى عنهما من سوآتهما ونقصهما ممابقى فيهما من الملك ، فان بغلبة الملكوت وسقوط آثار الملك ،كانت الملكية مخفية عنهما فى تلك الحالة ، فاراد الشيطان تقوية جانب الملك ، وظهور آثاره وهو سوأة وعيب لمـن غلبت عليه الملكوت .

ولاينافى ذلك ان يكون المراد العورة للتخلى ايضاً ، لكون هذه الثمرة فيها نحومن انحاء الفضول‌الذى لابد ان يدفع لكثافة مافيها، لماذكرنا من كون‌المرادات القرآنية اموراًكلية ذات افراد .

(وقال مانهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين) (بالفتح) أو ملكين(بالكسر) (وتكونا من الخالدين) .

فبيـّن لهما علة النهى، وقال : ان علته عدم بلوغكما الى درجة العالين من الملائكة ، أوعدم صيرورتكما سلطانين على الكل .

ولعله استرق السمع والتفت الى بعض التكلمات ، من ان المسافر الى الله والسالك اليه بعدما وصل الى السفر الثالث ، وسافر بالحق فى الحق وهو درجـة

السكوت والمحو، اذا حصل له الصحو، وأفاق من المحو يكون له السفر الرابع ، وهوالسفر بالحق فيالخلق ، وهذا السفر اذا حصل يبلغ السالك الى درجة السلطنة على كل الموجودات ، أو الى درجة الملائكة العالين .

ولما ان في السفر الثالث يكون مستغرقا في الحق ، فالحق بحسب الذات يحب بقائه على تلك الحالة ، لان الجذب منه وعلى مقدار تعلقالمحب اليه يتعلق هو أيضاً بالمحب ويحب الخلوة ، والالماكان التوجه اليغيره ذنبا عنده ، وحينئذ فالنهي لاجلعدم الانتقال من تلك الحالة ، فانه أحب وانكان الاعلى منه، اعزمنه .

وبلحاظ هذه المقدمات أيضا حصل الاثر فيهما ، والكل قد غفلوا ان السفر الثالث لوحصل وارتفعت الانانية ، وكان المسافر هو الحق لايبعد عنه بعد الافاقة أيضا ، فان الرابع سفربالحق فيالخلق، ولذا لوحصلت الانانية لاحتيج اليمسافرة جديدة وسلوك جديد .

والحاصل ان تمامية تلك الاسفار بحيث زالت الانانية بالمرة ولاتعود ، ولو أكل ماأكل ، واشتغل بما اشتغل ، والبلوغ الى درجة الاطلاق وعدم اشتغال شأن عن شأن ، انما نقطع حصولها لمحمد ﷺ وعلى (ع) وفاطمة (ع) والحسن (ع) والحسين(ع) وعلى(ع) ومحمد(ع) وجعفر(ع) وموسى(ع) وعلى(ع) ومحمد(ع) وعلى(ع) والحسن(ع) والخلف المنتظر صلوات الله عليهماجمعين واماغيرهم فلا.

ولعل لهذه الجهة اشير في بعض الاخبار(١) اليكون الشجرة المنهية هي الشجرةالمخصوصة بهم عليهم السلام، اى عدم زوالحالة الفناءلهم عليهم السلام فيجميع الاحوال ولم يكن لآدم عليه السلام قياس نفسه بهم .

(وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين) وحلف لهما بالله اني لناصح لكما ، وان علة النهي ماسبق ، ولكن اذا حصل لكما السفرالرابع يعود حب الحق ويشتد

---

(١) راجع تفسيرالبرهان ج١ ذيلآية ٣٦ منسورة البقرة فيحديث(طويل) عن المفضل بن عمر عن ابى عبدالله عليه السلام ص٨٢ .

في حقكما (فدليهما بغرور) أى جعل لهما التدلى والتنزل عن مقامهما ، على نحو المتدلى الغير المنقطع عن مقامه بالمرة بوسوسته المذكورة .

(فلما ذاقا الشجرة) وأكلا وحصل لهما التوجه الى الملك والافاقة عما كانا عليه (بدت لهما سوآتهما) ظهرت الدانية لهما ، والتفتا الى حصول العيب وعدم تمامية سلوكهما ، وعدم انمحاء حكم الملكية عنهما بالمرة (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) أى شرعا بالتستر بالوسائل من اوراق الجنــة ، من التوجهات الجزئية والدعوات ، الآنها غيرمفيدة بل لابد من التوبة التامة والشروع فى السفر.

(وناديهما ربهما ألم أنهكما) فأوحى الله الىنفسهما اللوامة فىمقام الاستفهام الانكارى بماذكر فى الاية الشريفة ، بناءاً على ان المستفهم عنه عدم النهى والحال انه نهى ، أوالاستفهام التقريرى كما قالوا (واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين) اى كيف يمكن أن يكون الكامل أحب عند الله من الاكمل حتى ينهى لماذكر ، والله محيط والاشياء متدليات به .

(قالا ربنا ظلمنا أنفسنا) بالاشتباه السابق وارتكابنا (وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن) قطعا (من الخاسرين) وهذا أول الشروع فىالتوبة ، والله الهادى.

قوله تعالى : قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين(٢٤) قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون(٢٥) يابنىآدم قد انزلنا عليكم لباساً يوارى سوآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون(٢٦) يابنى آدم لايفتننكم الشيطان كمااخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه يريكم هووقبيله منحيث لاترونهم انا جعلنا الشيطان اولياءللذين لايؤمنون(٢٧)

قال الله تعالى (اهبطوا) وتنزلوا ، امايكون الخطاب الى آدم وحواء عليهما السلام والشيطان، أولبنى آدم أيضاً لاشتمال آدم عليهم، أوبضميمةالحية (بعضكم لبعضعدو)

أى الشيطان مع آدم واولاده ، أو ذرارى آدم عليه السلام بعضهم مع بعض ، أومع الحية أيضاً(١) (ولكم) أى لانتفاعكم بلذائذكم الدانية (فى الارض مستقر) ومكان(ومتاع) وتلذذ (الى حين) انقضاء الآجال أى زمان الموت .

ثم ان طردآدم وحواء عليهما السلام مع توجههما وقولهما (ربنا ظلمنا أنفسنا) الخ ، والامر بهبوطهما أمر تسخير ، بلحاظ ان الطبيب الحاذق لابد أن يداوى بدواء يقلع المرض من الاصل ، بحيث لايبرز بعد أيضاً ، ولايكتفى بمجرد الصلاح فى الظاهر مع كون الاصل والباطن مستعداً لتوليد المرض ، ولذا ترى ان مشايخ أهل السلوك بلحاظ الاستنباط من القرآن يستعملون الادوية المختلفة من حيث السلوك (فقد) يستعملون مايبرّد السالك ويفتره (وقد) يستعملون مايوجب الحرارة والاحراق كالسلوك الكافورى فى الاول ، والزنجبيلى فى الثانى (وقد) يستعملون المعتدل .

(ولما) ان الله تعالى رأى سعة ظرف آدم عليه السلام وقصعة وجوده وكذلك حواء عليها السلام وان الكمال الذى يستعدهما للوصول اليه يتوقف على حصول التوجع الشديد لهما فى المدة الطويلة ، وحصول الحزن الذى لايتحمله أغلب الناس من مفارقة المحبوب الحقيقى ، والاثار القريبة منه ، وهى عالم الملكوت ، والبكاء الذى يعدم نظيره وازدياد شوق لقاء المعبود ، وهذه الامور لاتحصل بقبول التوبة فوراً ، وحصول الفوز سريعا ، (فلذلك) أبعدهما لاجل الامور السابقة ، وبعد حصول الامور السابقة قبل الله توبتهما ، وبلغ آدم عليه السلام الى درجة الاصطفاء .

(قال فيها تحيون) أى فى الارض لابد من أن تعيشون وفى الارض تموتون ومن الارض تخرجون .

(اما الاول) فلان تمام كما لاتكم مودعة فيكم بالاستعداد لابالفعل ، فلابد من دار تخرج القوى فيها ولو من قوة بعيدة الى الفعل ، بالتحركات ، و الانقلابات ،

---

(١) كما ورد به الخبر عن الامام العسكرى عليه السلام على مانقله فى تفسير البرهان فى ذيل آية ٣٦ من البقرة فراجع ج١ من تفسير البرهان ص٨٠ .

والتشكل بالصور و الفعليات المتعددة ، خصوصاً ، وما تكون مودعة تكون اموراً متضادة ، ولاتجتمع فعلية كل منها مع الاخر ، لامعا ، ولافى الطريق الاخر ، كالمترتبات بل كالمعاندات من التقابل ، والدار المناسبة ليست الا الدار الدنيوية ، والاستقرار على ارض الدنيا ، والكون الجامع يحصل فيها بحيث يصل فى الدنائة الى ارذل الوجودات وفى الاستعلاء الى اعلى الموجودات .

(واما الثانى) فلان بعض الظهورات من الكمالات فى الغيب من العالم الدنيوى والوصول اليها وكشف القناع عنها يفتقر الى ارتفاعات و هتك استار من الحجابات الدنيوية ، فلابد من الانتقال اليها ، والرحيل للسكون والتمكن فى البرزخ وهوعالم الملكوت الايمن .

(واما الثالث) فلكون المعاد فى الانسان بالجسم العنصرى والبدن العنصرى وهو فى الارض فلابد من خروجه من الارض ، ومجيئه بعد اتحاد الروح معه نحوا من الاتحاد فى عالم القيامة .

وما يرد من الاشكال على هـذا النحو مـن المعاد قد ذكرناه ، واجبنا عن الجميع فى بعض رسائلنا العربية ، وبعض رسائلنا الفارسية ، ونشير اليها هيهنا ايضاً على نحو الاختصار ونقول :

ما اوردوا من الاشكال او يمكن ان يورد وجوه :

(الاول) ان المعاد الجسمانى تنقيص الكامل ، وهو خلاف الفيض ، لان عالم الملك عالم المادة و المقدار ، وفوقه الملكوت و هو عالم المقدار فقط دون المادة ، وهوعالم البرزخ والمثال والخيال المنفصل ، وفوق الملكوت عالم القيامة فلابد ان لايكون ماديا ولا مقداريا ، فرجوع النفس من الملكوت الى الملك من تنقيص الكامل ، وهو ماذكر من الاشكال .

(الثانى) ان عالم الملك بالنسبة الى الملكوت عالم القوة ، والملكوت عالم الفعل ، ورجوع الفعل الى القوة نقص آخر ، وخلاف لطف آخر سوى السابق .

(الثالث) ان ذلك مستلزم للتناسخ ، وهومحال باطل عقلا وشرعا ، (اما

الاول) فلان البدن اذا صار مستعدا لافاضة الروح عليه ، يفاض الروح الجديد من المبدء الفياض ، فلو تعلق به الروح السابق ايضاً يلزم كون النفس الواحدة نفسين وهومحال ، (واما الثاني) فللا خبارالدالة على بطلان التناسخ .

(الرابع)ان كرة الارض متناهية ، والارواح غيرمتناهية، لبطلان تناهي الفيض لكونه نقصا في سلطنة الله ، وتقسيم المتناهي على غيرالمتناهي يكون محالا .

(الخامس) انه بسبب صيرورة البدن ترابا ، والتراب نباتا ، والنبات حيوانا بألاكل ، واكل الانسانمن النباتات واقسام الحبوبات ، بل اقسام الحيوانالمأكول لحمها ، يصيرالبدن الواحد فيالقرون المتمادية بدنا لاشخاص متعددة ، وصيرورة الواحد بدن الجميع تكون من المحال، وهذا هوشبهة الآكل والمأكول،وكذلك الفرض لواكلانسان انسانا .

(السادس) ان اجتماع تمام الاولين والاخرين من الانس و الجن و اقسام الحيوانات ، علىكرة الارض التى من الكرات الصغيرة كيف يمكن اجتماعها ،

وقبل الشروع في الجواب لابد منتمهيد مقدمة ، وهي ان الذى نعتقده في القيامة انها عالم فوق البرزخ وتكون مرتبته النازلة مقداريا ، ولكن بحيث تكون نسبة البرزخ اليها من حيث السعة ، والمقدار ، واللطافة ، والحيوة ، كنسبة الملك الىالبرزخ بلاعلى ، وتكون مرتبته العالية ، رضوانالله ، ومن الجبروت بلفوقها

ونقول : ان حشرجميع الارواح باجسادها الدنيوية التى تحركت بالحركة الجوهرية ووصلت الى هذا العالم ، بحيث يكون الجميع ادراكامحضا و حيوة محضة ، وان الدار الآخرة لهي الحيوان ، بل ارض العالم الدنيوى و السماوات والكواكب مجتمعة فيذلكالعالم، وتبدل الارض غيرالارض(١) وبعدتلك المقدمة (فنقول) : اما الجواب (عن الاول) ان هذا التقسيم مجرد اصطلاح ، لادليل

---

(١) اشارة الى قولهتعالى: يوم تبدل الارض غيرالارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار ـ ابراهيم ـ ٤٨ .

على واقعيته، اذلو كان المراد مافيهجهة الفصل والوصل فلانسلم ان عالمالملكوت لايكون فيه الوصل والفصل ، وكيف والتنعمبالاكل والشرب فى الجنة ، وكذلك التعذيب فى الجحيم يكون حاصلا ، ولايكون الا بالفصل والوصل .

ولو كان المراد من المادة جهة الكثافة فنقول : اتحاد البدن العنصرى وحركته ومجيئه الى عالم القيامة ، واتحاد الروح معه لاتلازم الكثافة ، بل نقول : ان الكثافة المنتفية لبعض ذلك العالم ، وهوماللسعداء وفوق الكثافات للاشقياء .

(واما الجواب عن الثانى) فنقول : قد ذكرنا مرارا ان الفعل المحض هو الله وجهة القوة ثابتة فى جميع العوالم حتى العقول كما اختاره بهمنيار، ولااشكال فى كون شيء فعلا بالنسبة الى قوة ببعض اوصافها ، وقوة لها ببعض اوصافهاالاخر كالبذرللزرع ، والزرع للبذر.

وحينئذ فنقول : ان الملكوت فعل بالنسبة الى الملك قبل الوصول ، وقوة بالنسبة الى الملك بعد الرجوع ، فيصح الاعجازباحياء الموتى فى الدنيا .

واما امر الآخرة فقد قلنا بحركة البدن العنصرى ، ومجيئه فى عالم القيامة ، واتحاده مع الروح ، فلميكن الفعل هوعالمالملك بالنسبة الى الملكوت ، بلفوق الملكوت صارفعلا بالنسبة الى الملكوت .

(واما الثالث) فنقول : ماكان بعد المضغة فى الرحم يكون مستعداً لافاضة النفس الجديدة عليه ، لاالتراب الخارج عن الرحم المعجون بالماء النازل من السماء الخارجى، فهومستعد لافاضة الروحالسابق عليه، فلايلزم كون النفسالواحدة نفسين فلااستحالة عقلا فيماذكر.

واما التناسخ فبطلانه عقلا وشرعا ، بلحاظ انحصارالعالم فىالعالم الدنيوى، وكون الارواح المعينة داخلة فيها وخارجة ، وهوالباطل شرعاً ايضاً لاماذكرنا .

(واما الرابع) فنمنع عدم تناهى الارواح الى القيامة ، بل هى متناهيةونمنع انقطاع الفيض بل الاراضى المجتمعة فى ارض القيامة ، وارض القيامة تستعدلخلق ارواح جديدة ونفوس عالية ، كما هو مفاد الاخبار من خلق نفوس مناسبة لارض

القيامة ، وقد سبق منا عدم انقطاع القوة وانحصارالفعل المحض فى الله تعالى .

(واما الخامس) فجوابه ان غير الانسان من ساير اقسام الحيوانات باسرها محشورة بابدانها الخلقية (بالضم)والمناسبة للبرزخ والدانية من القيامة ، ولاتحشر باجسادها العنصرية ، وهذا المطلب ينحصر فى حق الانسان ، بان يسرى الكمال الى تمام مراتبه من العالية والمتوسطة والدانية ، والبدن بتمام اعضائه واجزائه ، اذ البدن مادام بدنا يكون مرتبة من مراتب الانسان ، وشرافة الانسان تسرى الى مراتبه النازلة ، فتفاض المياه السماوية الى الابدان ، فتتصل وتتحد مع النفوس الانسانية وابدانها الخلقية ، فالبدن العنصرى المتحرك السايرنحوالكمال الاعلى من البرزخ مع البدن الخلقى والنفس ، متحدات حقيقة ومختلفات مرتبة .

وحينئذ (فنقول :) ان بدن الانسان لايصير بدنا باقيا لانسان آخر ، وتدفع على فرض الاكل اى اكل الانسان لانسان ، اواكله لحيوان اكل انسانا وصار الانسان جزءاً منه والحاصل ان بعد اختصاص ذلك المطلب ببدن الانسان لايبقى الاشكال .

(واماالسادس) فجوابهان الاجتماع فى ارض القيامةلاالدنيا كماسبق ، والارض الدنيوية غيرمتسعة للكواكب الساقطة فضلا عن غيرها .

والحاصل انا نقول تبعا لارباب الشرايع والكشف ان الموت يشمل العالم الكبير ، وبعد النفخة الثانية تتحرك الجميع وتحضرفى عالم القيامة .

(وتوهم) أنغير المتحد مع الشيء كالبدن حال مفارقة النفس منه كيف يتحد مع الشيء اى النفس وهوالشبهة السابعة (مدفوع) بأن اتحاد الخارج من الشيء مع الشيء محسوس دائماً، فان الاطعمة والمأكولات الموجودة فى البيتوالسوق تصير بعد اكلك متحدة معك ، اذ تصير جزءاً لبدنك ، وبدنك من مراتبك والله العالم بالحقائق .

(يا بنىآدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوآتكم) خلق اللباس هوانزال اللباس ، اذ عالم الخلق مسبوق بعوالم متعددة أعلى منه ، فلابد من المرور على

الجميع والنزول ، وفائدة اللباس ستر العورة (وريشاً) وهو القسم الاخر من اللباس، وهو ما للتجمل والزينة .

فاللباس على قسمين ، (قسم) فائدته الستر وما يكون لازماً من دفع الحر والبرد. و(قسم) فائدته التزين والتجمل (ولباس التقوى) بالنصب (١) عطفاً على السابقين اى القسم الثالث وهو الحافظ من فضايح الاخرة ويدفع الحر والبرد الاخرويين لكونه مأخوذاً من وقاية الله وجنته بالضم (ذلك خير) اى الاخير (وبالرفع) على المبتدائية، وكون جملة (ذلك) خير خبراً منه (ذلك من آيات الله) اى انزال اللباس بقسميه من الملك والملكوت (لعلهم) اى الناس يلتفتون ويدركون .

ثم يرشد الناس بأنه بلحاظ العقلانية وتذكر قصة أبيكم ، احذروا من كيد الشيطان الذى صار سبباً لنزع القسمين من اللباس الملكي والملكوتي من ابويكم، واراثة سوآتهما الملكية برفعهما للتخلي، وسوآتهما الملكوتية بالتوجه الى الانانية وغلبة الملك وذهاب الملكوت .

(انه يريكم هو وقبيله من حيث لاترونهم) لاتصالهم بالمرتبة المناسبة معهم منكم بحيث تفنى تلك المرتبة وتتوهم انك انت ، والحال انه لاتكون انت بل تكون شيطاناً أو من قبيله .

(انا جعلنا الشياطين أولياء) اى الاولى بالتصرف لغير اهل الايمان لمغلوبية عقولهم وتسخيرهم لغير العقل وجنوده ، والله الهادى .

قوله تعالى : **واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آبائنا والله أمرنا بها قل ان الله لايأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لاتعلمون (٢٨) قل امر ربى بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين**

---

(١) قرء اهل المدينة، وابن عامر، والكسائى (ولباس) بالنصب والباقون بالرفع (مجمع البيان) .

كمابدأكم تعودون (٢٩) فريقاًهدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون (٣٠) يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا و اشربوا و لاتسرفوا انه لايحب المسرفين (٣١) قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحيوة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون (٣٢)

واذا صدرت من المشركين الفواحش والمنكرات العقلية ، كاتخاذ الاصنام شركاء لله في العبادة ، وكقتل البنات اومطلق الاولاد خشية الاملاق ، وكالطواف مكشوف العورة مع الصفق بالايدى شبيه الرقص (١) ، قالوا هذا نحو افعال آبائنا ولنا بهم التأسى ، (والله أمرنا بها) (أما) لاجل التأسي واحترام الاباء ، قالوا أنا مأمورون من قبل الله، (واما) من باب خصوصيات تلك الافعال من كون عبادة الاصنام لشفاعتهن عندالكواكب، والكواكب مؤثرات، وكون قتل الاولاد دفعاً للذل والم الجوع ، وكشف العورة لكون الثياب قد عصى فيها الله ، وماوقعت فيه المعصية لايصلح لان يقع فيه الطاعة .

(قل ان الله لايأمر بالفحشاء) والمستقبح والمنكر عند العقل ، لان الله قداوجد العقل من عالم أمره ، وليس فيه سوى كشف الواقع والعبودية لله ومايوجب كمال النفس ، وكيف يأمر الله بمايوجب دناءة النفس ورذالته ونقصه .

وهذه الامور من المستنكرات ، اما شركة الاصنام ولو بالشفاعة فى أمر العباد فقد عرفت مافيها من السخافة ، وأما التأسى فتأسى الجاهل ـ ولو كان والداً ـ فى الجهل يكون منكرا ، وأما القتل من باب الكبر فالكبر سخيف ودفعه لازم فضلا

(١) اشارة الى قوله تعالى : وما كانت صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية ـ الانفال ـ ٣٥ .

عن ايجابه لقتل النفس المحترمة ، ومن باب دفع الجوع فالله هو الرازق ، واما الكشف فمستقبح واللباس لاتقصيرفيه حتى يجتنب عنه وقت العبادة لكون المعصية واقعة فيه ، ولو كان كذلك ففاعل المعصية أولى من الاجتناب ، فلابد من أن العاصي لايعبد الله أبداً وهو باطل .

فجميع أقوالهم يكون باطلا :

(أتقولون على الله مالاتعلمون) اى تنسبون الى الله مالاتعلمون أنه من الله ، لعدم مساعدة البرهان والكشف معه ، وكونه صرف خيال قد نشأ من عدم التفكر واتباع الشهوة .

(قل أمر ربى بالقسط) اى العدل عند العقل بقرينة المقام ، فمايكون مستقيما لااعوجاج فيه عند العقل اذا التفت بمبانيه ، وان لم ينتقل اليه فعلا لكن بحيث اذا انتقل يرى فيه الاستقامة والصلاح .

(واقيموا وجوهكم عند كل مسجد) اى بان أقيموا وجوهكم، فبسبب صيرورته بسبب لفظ (ان) المصدرية المحذوفة فى حكم و(باقامة وجوهكم) ، فيكون معطوفاً على لفظ (بالقسط)، ودليل الحذف قرينة المقام، اويكون معطوفاً على مايكون معنى الامر بالقسط ، اى قل اقسطوا واقيموا ، وعلى اى حال فمعنى اقامة الوجه عند كل مسجد ـ وهو المصدر الميمى ـ اى كل سجود وضع الوجه على الارض، اذ الاقامة هو ايقاع كل شيء وايراثه نحو مايلزم ، فاقامة كل شيء تكون مناسبة له ، ولابد للخضوع التام من وضع احب الاعضاء على الارض وارغام الانف (وادعوه مخلصين له الدين) كالسابق فى التركيب ومعناه ، دعوة الله خالصة من امتزاج الشرك ، اذ كما لاشريك له فى الملك والالهية ، كذلك لابد أن لايكون لدعوته المشاركة مع الغير.

(كما بدأكم تعودون) اى كما اوجدكم بقدرته كذلك المعاد يكون بقدرته، او كما اوجدكم ذليلا لاانانية معكم كذلك تحشرون اليه اذلاء مرتفعة عنكم الانانيات،اى كما كان البدو بلحاظ الملكية والربط ، وهو معنى(انالله) وهى الشهادة

بالملك والربط ، فالعود ايضا لكشف الغطاء يكون كذلك ، فترى عدم انانيتك وصرف ربطيتك ، وامر المعادقد مضى .

(فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) اى تعودون على قسمين ، (قسم) من اهل الهداية لوصول كمالاتهم الى الفعليات ، (وقسم) ثبت عليهم الضلالة اى ضلالتهم ثابتة لبلوغ الشقاء غايته ، ولعل فى الاية اشارة الى ان غير المخلدين ، من اهل الهداية جميعاً ، ولايعذبون بعد الحشر انشاءالله ، وقد حصلت لهم الطهارة بعد الموت فى البرزخ .

(انهم اتخذوا الشياطين اولياء) اى باختيارهم قدسلطوا الشياطين عليهم باتباع الشهوات (من دون الله) اى جعلوهم بالاستقلال لابامر الله (ويحسبون) بخيالاتهم الفاسدة (انهم مهتدون) ووصلوا الى المقصد .

(يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) اى استروا عورا تكم بالالبسة عند العبادة ، وكذلك ستر السوءات الملكوتية بالتوبة والتوجه ، وتنظيف اللباس من الخباثات يكون شرطاً . ومن الكثافات الاخر يكون ممدوحا ، وكذلك لبس ثياب التجمل ، والتختم من المندوبات (وكلوا واشربوا) فى مقدار سد الرمق وجوبا ، وفى الزايد ترخيصاً ، والاستعمال فى القدر المشترك اومطلق الطلب (ولاتسرفوا) فى الاكل مثل ماعلى التخمة ، اوما لايكون عن رغبة (انه لايحب المسرفين)

(قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده و الطيبات من الرزق) يحتمل ان يكون دفعا عن ايرادمتوهم ، وان يكون جوابا عن ايراد اورد ، بان المشتغل بالاخرة لابد ان يترك تمام الزينة الدنيوية ، ويقتصر على قدر الاضطرار لضد يتهما على نحو اللزوم ، فيجيبه الله ويأمر نبيه بأن يسئل سؤالا انكاريا ، بانه من حرم زينة الله ، والحال ان الله اوجدها وجعلها لعباده .

فكل ملبوس بل يمكن ان يقال كل مايعد زينة من المركوب واثاث البيت ونحوهما يكون داخلا فى الاية ، وكأن المراد ان حرمتها نقض للغرض ، لان وجودها تبعاً لوجود الانسان ولاجل انتفاعه ، وعلى فرض التحريم تكون وجوداتها ضررية

على الانسان ، وموجبة للعقاب لهوهو خلاف الفرض .

و كذلك الطيبات من الرزق ، اى ماتميل اليها النفوس والطباع ولا تتنفر عنهما ، وتوهم الضدية (مدفوع) بان اخذ كل واحد من القوى حظه بمقداره يكون مستحسنا ، اذ الشهوية اعتدالها يكون حسنا ، والخمود كالشره غير محمودين ، كما ان الممدوح من الغضبية ، الشجاعة ، و الجبانة ، والتهور غير مستحسنين ، ومن المتخيلة (١) ، الحكمة العلمية العملية ممدوحة ، و البلادة و الجربزة غير ممدوحتين .

والحاصل ان اخذ كل ذى حق حقه يكون حسنا عندالعقل ، وممداً لتحصيل الاخرة ، والزائد الباعث على الاشتغال عن الله يكون غير مستحسن ، لانه حرام ، الامارأى الله فيهالفساد فحرّمه كلبس الحرير الخالص والذهب للرجال

(قل هى للذين آمنوا فى الحيوة الدنيا) اى لهم الانتفاع بالتزينات والمأكولات فى الدنيا على نحو الاشتراك مع غير هم ، فكما ان غيرهم ينتفعون بها كذلك لهم الانتفاع ، وتكون خالصة لهم دون غيرهم فى يوم القيامة فبمرتبتهم الاشتراكية وهى مطلق الانسانية يكونون مشتركين مع الغير ، وبمرتبتهم الخصوصية وهى الايمانية تختص بهم فى القيامة .

(كذلك نفصل الايات) فى المبدء والمعاد و الواسطة والذوات والصفات والافعال، وحال الآفاق ، وتبعيتها لمطلق الانسان فى مرتبة ، وللكامل فى مرتبة اخرى لاهل العلم (لقوم يعلمون) اما بها واما فى القبل كانوا عالمين ، والله الهادى .

قوله تعالى : **قل انما حرم ربى الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغيرالحق وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً وان تقولوا على الله ما لا تعلمون (٣٣) ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولايستقدمون (٣٤) يابنى آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى**

---

(١) اى الممدوح من القوة المتخيلة ، الحكمة الخ

فمن اتقى واصلح فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون (٣٥) والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النارهم فيهاخالدون (٣٦) فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اوكذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جائتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين (٣٧)

قل ان الله تعالى حرم الفواحش و المنكرات العقلية ، ولم يقتصر فيها على عدم الامربها وانبائه بقوله تعالى (ولايأمر بالفحشاء) (١) بل نهى عنها وحرمها مطلقا على جميع الناس من دون اختصاص باهل الكتاب والمشركين لتوهم كون الخطاب مخصوصاً بهم لقوله تعالى (اتل ماحرم ربكم عليكم) فهي حرام على جميع الناس الظاهر للناس والمخفى ، لماذكر سابقا من عدم انفكاك العقل ، و كشفه عن الكمال والنقص وان الله يفيض ماينجي عن الهلكة بالبيان (والاثم) اى المعصية التي استكشفت ببيان الشرع ، ولاحكم للعقل فيه بعنوانه الاولي ، ولكنه يحكم بالعنوان الثانوى ، بان ما صارت معصية بسبب كونها ترك الواجب اوفعل المنهي يكون محرماً لقبح عصيان المولى المنعم (والبغي بغير الحق) اى الطغيان على الغير من دون حق شرعى ،كامتناع الواجد عن اداء الدين ، فان البغى عليه وهتك عرضه يصير حلالا، فالواجد ليه وامتناعه يحل عرضه ، وكذلك القصاص بالاعضاء اوالنفس .

(وان تشركوا بالله) اى وحرم جعل الشريك له (مالم ينزل به سلطانا) اى شيئا شريكا لم ينزل الله به اى معه ، اوبسببه سلطانا وحجة ، يحتمل كون النفى صفة توضيحية لااحترازية ، اى جميع الاشياء لامدخل له في سلطنة الله ، ولاحجة على اشتراكه ولو على نحو التساعد و التعاون لانه لم يتخذوزيرا ، و يمكن ان يكون احترازيا ، وكان المراد بالشركة المترائية ظاهرا ، و ان كان في الواقع محض

(١) كما تقدم آنفا فى الاية (٢٨)

الربط، وفعله فعل الحق كالجبروتيين والملكوتيين، وما فوقهما من النبيين والاولياء عليهم السلام فالشركة الصورية لهم، ولكن الواقعية ليست لاحد فيها حظ وجميع اولئك في حد ذاتهم عدم، وليس محض، فالشركة الصورية ايضا منتفية من الاصنام، ومالها انانية. (و ان تقولوا على الله مالاتعلمون) انه من الله فهو حرام ايضا، و ان كان مطابقا للواقع، من باب انك بغير العلم قد اخبرت، فالظاهر ان الاسناد الى الله قولا اوفعلا حيث يتحقق بدون العلم يكون حراما.

(ولكل امة اجل) وأمد قدثبت في اللوح المحفوظ (فاذا جاء اجلهم) وامدهم يموتون (لايستأخرون ساعة) من باب المثل والا لايتاخر آنا (ولايستقدمون) فلايطلبون التقديم ولاالتاخير من هذا الكتاب لامتناعه.

(يابني آدم اماياتينكم) مركبة من ان الشرطية ومالزائدة اي ان مايأتي عندكم من الرسل (رسل منكم) اي من جنس البشر لاالخارج كمامرمرارا من لزومه (يقصون عليكم آياتي) وينبئون لكم الايات الالهية (فمن اتقى واصلح) يكون جزاء اي من قبل واخذ الوقاية اوالتقوى واصلح نفسه (فلاخوف عليهم) لوجود التقوى والوقاية من الشرور والصلاح الدافع للسمومات (ولاهم يحزنون) لوصولهم الى محبوبهم الدائمي وهوالله، وماكان من قبله من الرحمة

(والذين كذبوا باياتنا) بعدثبوت الايتيّة والحجية (واستكبروا عنها) بترجيحهم جهة انانيتهم وكبرهم على عاقلتهم (اولئك اصحاب النار) وجليس النار (هم فيها خالدون) يبقون في النار ابداً لتبدل ذواتهم باختيارهم وصيرورتهم نفوساً نارية.

(فمن اظلم) اي اذاكان الامر كذلك فمن اظلم اي لااظلم منه (ممن افترى على الله كذباً) حيث نسب اليه مالم يعلم وهومن المذكورات اومع علمه بالكذب يفري، اذبالأولوية من السابق يكون محرما ولااظلم منه حينئذ (اوكذب بآياته) بعد الثبوت اي اذاكانوا مخلدين فلا اظلم منهم (اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) اي هذه الاشخاص يبلغ اليهم نصيبهم من الرزق والعمر على ما ثبت في الكتاب اي اللوح المحفوظ (حتى اذا جائتهم رسلنا) حين موتهم ليقبضوا ارواحهم مستوفاة

وبالتمام لامثل مايؤخذ فيالنوم (قالوا) اى الملائكة من باب التقريع والتبكيت (اين ماكنتم تدعون من دون الله) اىالاشخاص التى تدعونهم فى اى مقام ذهبوا ، ولم لايجيئون عندكم حتىتستغيثون بهم؟

(قالوا) اىهذه الكفار فيالجواب (قدضلوا عنا) اى فقدناهم فيوقت الحاجة والحال انعبادتنا لهاكانت لأجل تلك الحالة(وشهدوا علىانفسهم انهم كانوا كافرين) اى شهدوا فى ذلك على ضرر انفسهم بكونهم كافرين و ساترين للحق بالاختيار والله الهادى .

قوله تعالى: **قال ادخلوا فى امم قدخلت من قبلكم من الجن والانس فى النار كلما دخلت امة لعنت اختها حتى اذا اداركوا فيها جميعاً قالت اخريهم لا وليهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف ولكن لاتعلمون (٣٨) وقالت اوليهم لاخريهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون (٣٩) ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لاتفتح لهم ابواب السماء ولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط وكذلك نجزى المجرمين (٤٠) لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين (٤١) والذين آمنوا وعملوا الصالحات لانكلف نفساً الاوسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون (٤٢)**

قال الله تعالى للمفترين عليه من الانبياء ، الكذبة وغيرهم من اقسام المفترين والمكذبين ، و بعبارة اخرى الكفار باقسامهم لعدم خلوهم عنهما (ادخلوا) فى الامم الماضية السابقة عليكم فيالموت، وهم مثلكم من الكفار وقد دخلوا الجحيم (من الجن) اى كفرتهم (والانس) كذلك (فى النار) اى ادخلوا فيهم فيمحلهم ومكانهم وهو النار .

(كلما دخلت) امة اى فرقة فيالنار(لعنت اختها) تلعن مثلها من الكفار ، لان الكثرة فيدار الدنيا والغلبة صارت سببا لازديادها ، فكأن لكل دخل فى مقدار من

عذاب الاخر ، فلذلك يلعن كل واحد تمام شركائه فی الكفر (حتی اذا اداركوا) و تلاحقوا واجتمعوا (فيها جميعاً) ای فی النار (قالت اخريهم) ای الطائفة الاخيرة اعم من الحقيقية والمضافيه (لاوليهم) ای لاجل الطائفة الاولی كذلك ای الحقيقية اوالاضافة (ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار) فنصف الضعف لافعالهم ونصفه لتسبيبهم لنا (قال لكل ضعف ولكن لاتعلمون) ولعل المرادان السببية للازدياد تكون من الطرفين، لان المتبوع اذارای ان له التبع، تزداد انانيته وكبره ، فيزداد له اثم فوق اثم ، ولكنه لدقته لايلتفت اليه .

(وقالت أوليهم لآخريهم) بعد سماع ذلك المطلب من الوسائط (فما كان لكم علينا من فضل) أی كنا سابقاً نعتقد كاعتقادكم ان تسببنا لكم ازدياد معصية لنا فلكم علينا الفضل لخفة أثقالكم بالنسبة الينا ، ولكن التفتنا حينئذ علی التسوية (فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) يحتمل أن يكون مقول المتبوعين للتابعين ، ويحتمل أن يكون من الله بالوسائط علی كل قسم من المتبوع والتابع .

(ان الذين كذبوا بآياتنا) بعد ثبوتها وعدلوا عن متابعة الانبياء (واستكبروا عنها) واظهروا كبرهم فی قبولها من الانبياء فاعرضوا عنها (لاتفتح لهم أبواب السماء) أی لتكبرهم واظهار انانيتهم يرون ان العاليات لايقبلونها وفی مجالس الكبراء لايأذنون دخولها ، واذا صعدوا بالارواح الی السماء يسد باب السماء عليهم ، ويرجعون الی أسفل السافلين رغماً لانوفهم ، ولكون محل الشياطين موردهم ، فلابد من ورودها عليهم .

(ولايدخلون الجنة) لعدم المناسبة وتأذی الجنة بتمام أعضائها منها ، لكون الآخرة دار الحيوان والجنة دار النور والنور لايناسب الظلمة (حتی يلج الجمل فی سم الخياط) أی حتی يدخل المذكر من الابل الاقوی بحسب الجثة من الناقة التی مؤنث الابل تحت الابرة ، وهو بحسب الظاهر من التعليق علی المحال ، أی كما ان هذا الدخول محال ، فكذلك فتح السماء والدخول فی الجنة للكفار من المحال .

(واما مايتوهم) من ان عالم الملكوت والجبروت لاتزاحم فيهما ولاتضاد ،

أى الاشياء الواردة فيها ليست بينها التضاد والتزاحم، لارتفاع المادة التى منشأ التضاد، فالجمل النورى يدخل تحت الابرة النورية فلايكون تعليقا على المحال .

(ففيه) ان فى الاية الشريفة لااحتمال فيه لماذكر، اذ قبل الموت لايدخل غير الكاملين أوالمتوسطين أيضاً من المؤمنين فى السماء والجنة ، وانما يكون دخولهم بالموت، وبالموت أيضاً ينقلب الملك الى الملكوت ، وبعده تحصل الغاية ، فيدخل الكافر أيضاً ، فاين الفرق بينهما مع كون الاية صريحة فى الفرق ، على انه لامعنى حينئذ لدخول النار ، اذ الغاية قد حصلت فيصير ذلك الكلام كلاما شعريا ، والله برىء منه ، هذا مع ماقد أثبتنا ان حامل الفصل والوصل والخروج من القوة الى الفعل لايزول أبداً لانحصار الفعل المحض بالله .

(والقول) بأن الابرة لاتلزم كونها صغيرة وضيّقة أيضاً (يدفع) بأن كلام الله لايكون مزاحاً ولاشعرياً (وكذلك نجزى المجرمين) المذكورين أى بالخلود.

(لهم من جهنم مهاد) أى مهدهم ومحل قرارهم واستراحتهم هو الجحيم (ومن فوقهم غواش) أى الأستار الموجبة للغشوة والدهشة من قبيل الدخان والشعلة المحيطة (وكذلك نجزى الظالمين) فالخلود لاجل جرمهم ، والكيفية الخاصة لاجل ظلمهم ، وأهل الايمان والعمل الصالح بمقدار الوسع مخلدون فى الجنة ، والله الهادى .

قوله تعالى **ونزعنا مافى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وماكنا لنهتدى لولا ان هدانا الله لقد جآئت رسل ربنا بالحق ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون(٤٣) ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ماوعد ربكم حقاً قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين(٤٤) الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالاخرة كافرون(٤٥) وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون(٤٦) واذا**

واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين(٤٧) .

(ونزعنا) وذهبنا (مافيصدورهم) أي أهلالجنة (من غل) أي الحقد والحسد اذ بعد حركة مرتبة بدنيتهم ووصولها الى الكمال ، فالمراتب التى فوقها تكون واصلة الى الكمال بالطريق الاولى ، فالمرتبة الصدرية تصير متوجهة الى القلبيــة والروحية وتذهب نقائصها وتبقى كمالاتها، وترى ان كلأحد قد وصل الىمايستحقه ولو بالتفضل ، ولم يصدر من الله ترجيح من غير مرجح فيبتهج حينئذ ، اذ حال الصدر حينئذ يصير كحال العقل وبلائمه الحكمة ويفرح بها ، بل تمام ذرات الجنة واهلها مجذوبة وعاشقة لله ، والعاشقالمجذوب لايرى الا حسنماصدر منمحبوبه ، ولصيرورة البصر حديداً يرون الكل من الله لامن أنفسهم حتى يحسدوا .

(تجرى من تحتهم الانهار) لكونهم في القصور العالية والانهار تجرىتحت القصور وهى مطابقة لصورة نفسهم ، فان العلوم تجرى من مرتبتهم النازلة كالانهار واما المتوسطة والعالية فجارية منها البحار الصغار والكبار ، فمن المرتبة الصدرية تجرى الانهار الى دونها ، فكيف يمكن أن يبقى فيها الحسد .

(وقالوا الحمد لله) أي كل مدح وثناء جار على أيّ لسان فى مقابل أيّ نعمة فهو له ، لكون تمامالنعماء له كماسبق فى أولالانعام ، وهذا الحمد لاهل الجنة حمد صادر من العلم الحضورى العينى لاالمفهومى الصورى .

(الذى هدانا لهذا) أي ماوصلنا الا به فهو أوصلنا لاغيره ، لكون تمامالخير منه (وماكنا لنهتدى لولا ان هدانا الله) أي ام يمكن لنا الحركة منالعدم المحض والظلمة الصرفة ، الى الهداية النورية التى بها وصلنا الى الكمال الا بالله تعالى ، لكونه الفعل المحض والمؤثر فى الوجود ، والمنتهى لتمام الحركات والفاعل لها فيتوغلون فى التوحيد توغلا عيانياً .

(لقد جائت رسل ربنا بالحق) يحتمل كون الحق فى معنى المفعول أي أتوا

أمراً حقا وثابتا لمقام الخلود ، أوأمراً غير باطل أيفائدته عظيمة لاحقيرة ، ويحتمل كونه في معنى الصفة للمجيءالمصدرى أيمجيئهم كان مجيء حق ، لتكميل نفوسهم وتكميلنا بهم (ونودوا) من قبل الله أوالوسائط .

(ان تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) أى بسبب أعمالكم وأفعالكم حصلت الملكات الحسنة لكم ، وبسببها صرتم من أولاد الملائكة العالين، والجنة لها وتصل منها الى اولادها بالوراثة ، فالارث من الوالد العقلانى قد حصل بسبب الاعمال .

(ونادى اصحاب الجنة أصحاب النار ان قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقاً) أي صار علمنا مبدلا بالعين ، وبلغنا الى درجة الشهود والحضور فى النعماء وماوعدنا الله به وجداناً حقاً ثابتاً لاجهة بطلان فيه ولا نقص (فهل وجدتم) وهو على سبيل التقريع والتبكيت (ماوعد ربكم حقاً) أى حصل لكم العلم الشهودى والحضورى بما أوعدكم بها وسايط الله من العقـل والانبياء (قالوا نعم) فاعترفوا بالعلـم الحضورى .

(فاذّن مؤذن بينهم) أى مناد بين الفريقين (ان لعنة الله على الظالمين) ولفظ ان للتأكيد أى ان البعد من الله يكون على ضرر من تعدى وكان ظالماً ، وهويلتفت الجميع ، ويعلمهم بان الفائت لاهل النار ليس هوالجنة فقط ، بل نعمة القرب الذى هو أعلى من كل نعمة . والواصل اليهم ليس العذاب فقط ، بل البعد الذى لاعذاب فوقه ، بخلاف أهل الجنة فهم على العكس من الجهتين .

(الذين يصدون) أى يمنعون (عن سبيل الله) وطريقه (ويبغونها عوجاً) أى يطلبون كون الطريق معوجـاً عن الله وغير واصل اليه (وهم بالاخرة كافرون) أى ساترون ، والجميع صفة الظالمين .

(وعلى الاعراف) أيمقام يكون فيه العارف بأحوال الجنة والجحيم واهلها، وهو لابد أن يكون محلا عالياً مشرفاً على الطرفين (رجال) أى ليسوا بنساء وهذا

مدح عظيم (يعرفون كلا بسيماهم) أى يعرفون كل واحد من أهل الجنه وكل واحد من أهل النار بسيماهم ، أى بسبب مشاهدة وجوههم يعرفون حقائقهم وباطنهم ، وهذا أيضاً دليل على جلالة قدرهم (ونادوا أصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون) لوكان (لم يدخلوها) حالا عن المفعول أى أهل الجنة ، يصير المعنى ان سلام أهل الاعراف على أهل الجنة يكون قبل دخولهم الجنة ، لعرفانهم اياهم بوجوههم (وهم يطمعون) أى أهل الجنة لم يدخلوا والحال انهم يطمعون فى الدخول ، بل يحتمل أن يكون سلام أهل الاعراف لهم سبباً لطمعهم ، ويحتمل كون السلام من غير مقولة الكلام ، وكونه الفيض النورى من قبلهم على أهل الجنة .

(واذا صرفت أبصارهم) أى أبصار أهل الاعراف (تلقاء أصحاب النار) بحيث يشهدونهم (قالوا ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين) أى مع مقامهم الشامخ لايكونون مغرورين ويقولون ذلك ، بل يحتمل أن يكون توجههم اليهم بتوجه الرحمة سببا لخروج أهل الجحيم من النار ، ولكن لم يحصل بعدلهم اذن الشفاعة ، والشفاعة لابد من اذن الله ، يقولون ربنالاتجعلنا بقلوبنا معهم ليخلصوا فانا راضون برضائك، والحاصل ان التعبير بالاعراف بمادة العرفان وبالرجال وبأنهم يعرفون الكل بسيماهم والاشراف على الكل ومشاهدة الكل كما اعترفوا به ، يأبى عن جعل الحال للفاعل، وهو أهل الاعراف ، وانهم لم يدخلوا الجنة ولكنهم يطمعون الدخول ويسلمون على أهل الجنة تذللا ، ويخافون من دخول النار ومقامهم واسطة بين الجنة والنار وأدنى من الجنة تمسك مقابلينا ببعض الاخبار .

والحق ماذكرناخصوصاً بضميمة الاخبار الواردة عن أهل العصمة عليهم السلام بقولهم: نحن أصحاب الاعراف(١) والله الهادى .

---

(١) أورد فى تفسير البرهان فى ذيل هذه الاية أحاديث كثيرة فى هذا المعنى (فراجع ج٢ ص١٧) وقال فى آخرها مانصه ـ ومن طريق المخالفين تفسير الثعلبى فى قوله *

قوله تعالى : **ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ماأغنى منكم جمعكـم وماكنتم تستكبرون (٤٨) اهؤلاء الذيـن اقسمتم لاينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لاخوف عليكم ولاانتم تحزنون (٤٩) ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء اومما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين (٥٠) الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباوغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننسيهم كمانسوالقاء يومهم هذا وماكانوا بآياتنا يجحدون (٥١)**

(ونادى أصحاب الاعراف) اى بالصوت العالى (رجالا يعرفونهم بسيماهم) اى رجالا من أهل النار اى عظمائهم ، والدليل على معرفتهم هوسيماهم ووجههم .

فان المؤمن له نوريعرفه أهل الاعراف ، وللنورمراتب فبمشاهدة اىّ مرتبة يعلمون أن الايمان فى أىّ درجة، وغير المؤمن لانورله أصلا بمرتبة من المراتب فيعرفونه ، والنوروفقده من الامورالملكوتية التى تعرف بنورالله فى العارف ، فهذا النداء والمشاهدة قبل دخولهم النار،واما بعد دخول النارفالمعرفة حاصلة لكل أحد يشاهدهم لاحاطة النارلالدلالة الوجوه ، وعلى أىّ حال .

(قالوا) لهم أى اصحاب الاعراف لاهل الجحيم (ماأغنى عنكم جمعكم) اى جمعكم المال والبنون ، وسايرالامورالدنيوية لم يوجب غناكم فى الكمالات ، وبقيتم فقراء فى الكمالات والسعادات حتى وردتم ذلك المورد وكذا (وماكنتم تستكبرون) اى تقوية الغضبية ، وبعبارة اخرى متابعة الشهوية كما فى الاولى ،

---

*(وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم .

عن ابن عباس انه قال: الاعراف موضع عال من الصراط عليه العباس وحمزة وعلى بن أبيطالب وجعفر ذو الجناحين يعرفون شيعتهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسواد الوجوه .

وان شئت الاقوال فيها فراجع (مجمع البيان) ج٤ ص٤٢٣ .

والغضبية كما فى الثانية ماأغناكم ، ولم يفد الفائدة الحسنة فى حقكم .

(أهؤلاء الذين اقسمتم لاينالهم الله برحمة) اى اهؤلاء الفقراء الذين تعطوهم القسمة والحظ، لايوصلهم الله رحمته اليهم؟ اى لكونكم اغنياء ومتصرفين فى الاموال والنفوس ، تعاملون مع الفقراء معاملة العبيد ، وتزعمون أن الرحمة عليهم لابد أن تكون بواسطتكم ، وبدون وساطتكم لاتشملهم الرحمة ، وكان ذالك الاستفهام انكارياً ، اى لا عتناء بكم ويشملهم رحمة الله بدون وساطتكم(ادخلوا الجنة)وسوق الكلمات يقتضى ان يكون الخطاب من اصحاب الاعراف لاهل الجنة ، حتى يظهر لاهل النارغلطهم لكون الواسطة للدخول فى جنة الكاملين وهم أصحاب الاعراف

واذا تأمل الانسان وانصف يرى ان مع كون الرحمة سابقة على الغضب ومع كون نورية لعقايد الحقة سببا للفوزوالوصول،ومع كون الحسنة بالعشروالسيئة بالمثل ،ان اهل الاعراف لوكان المراد بهم كماقالوا من كونهم فى الوسط بين الجنة والنار ، ولذا قال شاعرهم بالفارسية :

ازدوزخيان پرس كه اعراف بهشت است

اى اسئل من أهل الجحيم من الاعراف حتى يجيبوا بأن الاعراف تكون من الجنة،لكانوا من العاصين بالاعضاء والجوارح بالكثير ، الاأن العقائد وبعض الحسنات بضميمة الرحمة صارت متساوية مع السيئات،فلم يدخلوا الجنة والجحيم، ونحوهم لابد ان يطأطأون رؤسهم استحياءاً لماصدر منهم ، فكيف لايستحيون ويتكلمون مع أهل النار تقريعاً ، بأنكم جريتم على طبق الشهوة والغضب ، اذ لاهل النار حينئذ أن يقولوا أنكم ايضاً فى أكثر الحالات كنتم مثلنا ، وفى الحقيقة النداء والصوت العالى وهذه التكلمات ، لوصدرت من نحو هؤلاء الاشخاص لكان من قلة الحياء بل فقدها .

والحاصل ان الايات المذكورة كالشمس فى رابعة النهار، دلالتها على كون رجال الاعراف ، المهيمن على الكل ومن كان فى علو الدرجة فى أرفع المقامات، وتمام تلك التوهمات بلحاظ توهم ان (لم يدخلوها) حال عن الفاعل ، وقد قلنا أنه

حال من المفعول بالقرائن المذكورة ، مع كون المفعول أقرب هنا ، والحديث الذى نقلوه لم يكن ثابتاً ، مع أن خبر الواحد فى الواقعيات و الاعتقاديات لايكون حجة كمابرهن في محله ، فان الحجية في العمليات (لاخوف عليكم ولا انتم تحزنون) وهذا القول قول هذه الطائفة بعد اذنهم لاهل الجنة أن يدخلوها ، وظهر سرّعدم الخوف وعدم الحزن .

(ونادى أصحاب النار) فى مقام المسئلة والالتماس بالصوت العالى أهل الجنة، بافاضة الماء عليهم من الجنة ، (أومما رزقكم الله) اى أسقاط الثمرات والماء أعلى، لكونها صورة العلم، كماأن الثمرات صورةالاعمال والافعال (قالوا ان الله حرمهما على الكافرين) اذ ماء الجنة يشرب منها الموحد بواسطة عقائده وحقيقة الكافر منافية معها، والاثمار يأكل منها من رجحت حسناته ، ولوبضميمة العقائد والتفضل ، وغيرهم لايأكلون للتنافي ولعدم الزرع لهم فلاحصاد .

(الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً) اى يجعلون امر الدين هيّنا بحيث يلهى ويلعب به (وغرتهم الحيوة الدنيا) لكونها منشئاً للغرورمن حيث الشهوات ، (فاليوم ننسيهم) اى فى القيامة يعامل معهم معاملة من نسيه الله فلايفيض عليه، اذنسوا فى الدنيا لقائنا في ذلك اليوم (كمانسوا القاء يومهم هذا وما كانوا) لفظة ماعطف على (ما) فى (كمانسوا) فالكاف كأنه دخل عليه اى كما كانوا (بآيتنا يجحدون) اى مثل جحدهم ونسيانهم بنا يكون نسياننا لهم ، وهو صورة عملهم بل صورة ذاتهم ، فبالجحد كانوا مبغضين فصاروا مبغوضين ، وبالنسيان كانوا ناسين فصاروا منسيين ، والله الهادى .

قوله تعالى : **ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون (٥٢) هل ينظرون الاتأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جائت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اونرد فنعمل غير الذى كنانعمل قدخسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون (٥٣) ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على**

العرش يغشي الليل النهاريطلبه حثيثاً والشمس والقمروالنجوم مسخرات بأمرهالاله الخلق والامرتبارك‌الله رب العالمين (٥٤)

ولقد جئنا و آتينالاهل مكة وحولهابكتاب وامرثابت فصلناه ، ولايكون‌مافيه من المرموزات والاجماليات ، حتى لايظهرمنه الشيء لاحد بالذات ، ويخترع كل أحد له معنى من قبل نفسه (على علم) يكون حالا على الظاهر للفاعل في (فصلناه) اوالمفعول اى فصلنا وبيّنا لعلمنا، اوفصلناه على نحو كونه علميّا ، اى‌بيّنا الامور العلمية فيه من المبدء والواسطة والمعاد على‌الترتيب العلمي من الادلة ، ففي المبدء قد اشيربطريقة الصديقين بقوله تعالى (أولم‌يكف بربك انه على كل شيء شهيد) ومعنى الشهيد هوالظاهر المظهر، وصرف‌الوجودمظهر للمنهيات، والاعدام‌والحدود روابط قائمة به ، فلايمكن ان يكون غيره اظهر ، وبطريقة الخليل عليه السلام للقوم ، وهوماسبق من أن الحركة هي الخروج من القوة الى الفعل ، ولابد من انتهاءكل متحرك الى محرك غيرمتحرك .

وفي‌الواسطة قد اشيرالى‌اللزوم بقوله تعالى (أيحسب‌الانسان ان يترك سدى) وقد عدّمن تكميلات الانسان، وباليدين وكونه خليفة الله وان الملائكة تحتاج‌اليهم في‌بعض مراتبهم . وان له مراتب من احسن التقويم الى اسفل السافلين، فلايتركه مهملا بل لابد من تكميله ، وارسال الرسل للتكميل والتفكر في الافاق والانفس ، للتكميل وجعل‌تمام مافي‌الارض لهم للتكميل، بل‌السموات والكواكب لتكميلهم وقد بيّن الله .

وفي بيان‌لزوم كون‌الواسطة بشراًبقوله تعالى(ولوجعلناه ملكا لجعلناه رجلا) وان من يصدر منه الاية المعلومة انه من‌الله، يكون نبياً ، لاكل من‌يدّعي(ومن‌أظلم ممن افترى على‌الله كذباً أوقال اوحي اليّ ولم‌يوح اليه شيء) .

وفي‌المعاد اشيربقوله تعالى (انّ الى‌الله المصيرواليه يرجع الامور)وغيرهما من الايات ، وقد ذكرنا اكثر ذلك في الايات السابقة ، وهكذا الامر في الوعد

والوعيد والتمثيلات والقصص المذكّرة ، فالجميع على نحو العلمية .

واحتمل بعض كون (على علم) حالا للمفعول في (جئناهم) ، أي أهل مكة يكونون عالمين بالتفاصيل لكونه على لسانهم (هدى ورحمة لقوم يؤمنون) أي حال كون الكتاب هاديا ورحمة لاهل الايمان .

(هل ينظرون الا تأويله) أي هل ينتظرون الامايؤل الامر اليه ، فلاانتظارلهم للقبول الا الوصول الى المرجع والعاقبة (يوم يأتي تأويله) أي يوم القيامة لكونها مرجع كل أمر (يقول الذين نسوه من قبل) أي عاملوا مع يوم القيامة والامور الواقعة فيه معاملة الناسي لذلك اليوم من اتباع الضلالات والغوايات والاهوية .

(قد جائت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) أي يقولون ان رحمة الله كانت شاملة لنا في الدنيا ، ولاجلها أرسل الينا رسلا مقارناً بالحق الذى كان معهم من الايات والشرايع المكملة ، فهل يكون في الاخرة أيضاً رحمته شاملة لنا ، ويبعث أحداً علينا في تلك الدار حتى نأخذ بذيله ، فيكون هؤلاء المبعوثون علينا في هذا المقام شفعاء لنا لتوسلّنا اليهم فيشفعوا لنا عند الله (أو نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل) أي لولم تكن هذه الدار دارالتكميل ولم تنفع الاعمال فيها، فهل يرجعنا الله تعالى برحمته الى الدار الدنيوية التى تكون دارالعمل فنعمل الصالحات على خلاف أعمالنا السابقة .

(قد خسروا أنفسهم) أي أوردوا الضرر على أنفسهم لعدم قبول الشفاعة ، وعدم البعث في الأخرة من دون البذر الدنيوى، وعدم رجوعهم الى الدنيا لوكان هذا الاستدعاء في البرزخ ، لعلمه تعالى بانهم (لوردوا لعادوا لمانهوا عنه) كماقد ذكر الله وعدم بقاء الدنيا وذهابها الى الاخرة بتمام أجزائها، لو كان هذا الاستدعاء في القيامة . (وضل عنهم ماكانوا يفترون) أي وغاب عنهم الذى يجعلونه شريكا لله ، ولايجيء عندهم حتى يستخلصهم ، فهذا الانتظار أي انتظار التأويل والمرجع لايكون فيه الفائدة ، بل الفائدة في رجوعهم الى عقولهم ، والاخذ بمقتضى البرهان بالنور العقلي الذى جعل الله فيهم ، وقد مضت الادلة الكثيرة الى هنا بما لامزيد عليها

في عقولنا .

(ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام) الخلق هو التقدير والتحديد أى جعل الشيء معينا محدوداً ، والله تعالى حدد الوجود المنبسط، وهى المشية والاضافة الاشراقية، وكلمة(كن)النورية فى ستة مراتب وحدود، من السموات أى العاليات ، والارض أى السافل .

ويحتمل أن تكون المرتبة الاولى هى العقول القاهرة ، أى الطوليات من العقول الواقعة في سلسلة العلية وبينها علية ومعلولية .

والثانية : العقول العرضية وأرباب الانواع التى لاعليّة بينها، وتسمى بالمثل الافلاطونية عند المتأخرين من الحكماء ، ولها عليّة بالنسبة الى أفراد النوع التى تحتها .

والثالثة : عالم المثال المنفصل ، وهى عالم الملكوت الايمن .

والرابعة عالم النفوس الكلية أى الوسيعة ، لاالكلى فى مقابل الجزئى، وهى النفوس السماوية ، والكواكب منها المتحركات بالحركات الشوقية الارادية نحو بارئها ، وتصدر منها بحركاتها الفيوضات على عالم الملك .

والخامسة : عالم الملك ، بسائطه .

والسادسة : عالم الملك، مركباته ، اوبدّل وقل الخامسة عالم الملك بتمامه ، والسادسة الخلق الاخر المتصاعد المتجاوز عن الكل ، وهى النفوس الانسانية .

ويحتمل كون المراد بالايام يوم كل شريعة من قبل الله ، لكون الشرايع ستة (الاولى) شريعة آدم عليه السلام (الثانية) شريعة نوح عليه السلام (الثالثة) شريعة الخليل عليه السلام (الرابعة) شريعة موسى عليه السلام (الخامسة) شريعة عيسى عليه السلام (السادسة)شريعة محمد صلى الله عليه وآله وهو الخاتم ، اذ قد ثبت عندنا وأظهرنا وأقمنا البرهان عليه ، ان كل نبى صاحب شريعة، يكون ولياً، والتكوينيات راجعة اليه ، ثم بعده الى أوصيائه لقيام السموات والارض بالحجة ، والممكن حدوثه وبقائه مفتقر ، فالسموات والارض بما فيها ، أو كون كل عال وسافل دائماً في الخلق والتحديد والتقدير ، فاذا كان المرجع

الى هؤلاء المذكورين وأوصيائهم ، يكون خلق السموات والارض فى ستة أيام من الايام الربوبية .

ويحتمل غيرهما أيضاً من المراتب التى ذكروها ، ولامنافات بينها ، وكون مقدار الخلق بمقدار ستة أيام من الايام الدنيوية ، لكلية المعانى القرآنية كماسبق كراراً (ثم استوى على العرش) يحتمل أن يكون الاستواء على العرش بعد النفخة الثانية لان تمام العوالم فى يوم القيامـة منزلة عرش السلطان فى الكمال والاتصال الى السلطان ، والتمام فى ذلك اليوم منقادون بالطوع لرؤيتهم انها مرايا والتدليات ، وليست لها انانية ، فالاستيلاء والاستقرار الحقيقى فى ذلك اليوم على عرش المملكة لالنقص كان فى السلطان الى هنا ، بل لنقص فى المملكة وكونها خراباً غير لايق لاستقرار السلطان .

ويشهد لهذا الاحتمال قوله تعالى (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) فان الملك والسلطنة لله ، ازلاوابداً واقعا ، الاان فى عالم الوهم والشيطان يلقى الى الخيال والوهم ، ان للغير انانية ، وفى ذلك اليوم يرتفع التمويهات والتخيلات والتوهمات من البين ، واستقرار خليفة الله على عرش المملكة ، بعد الوصول الى المرتبة السابعة من مراتب العشق والوصول الى البلد السابع من بلاده .

وبناء على ذلك الاحتمال يوم الجمعة يوم الجمع ، وامارة القائم والقيامة ، لان العوالم متطابقة فظهور القائم عليه السلام فى الجمعة وقيام القيامة فيها ايضا ، ولاتنافى لذلك الاحتمال كون العرش هو العرش الجسمانى ، وهو الفلك التاسع بقول بعض ، اوما يكون الفلك التاسع صغيرا غاية الصغر عنده ، و الايتان بلفظ ثم قدذكرنا فى بعض المواضع مطابقا لبعض الايات ، ان خلق الارض لابد ان يكون اولا ، والفلك الاول بعده وهكذا ، حتى لايلزم الخلاء فى الاجسام ولا التداخل ، وغير هذا النحو مستلزم لاحدهما بالضرورة ، اذلو كان الفلك الاخير صادرا اولا فاما يكون مجوّفا واما يكون مصمدا ، فان كان الاول يلزم الخلاء ، و ان كان الثانى يلزم التداخل بخلق الفلك الثانى فى جوفه ، واذا كان امر الخلقة كذلك عقلا ، وانبأ الله بصحته

بقوله تعالى(خلق الارض في يومين ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات)فلا داعي لنا ان نتكلف الخلاف بلحاظ الاشرفية مع منعها ايضا ، وعلى اى حال فالتصرف في الشيء بعد تحققه ، فاذا كان تحقق العرش في البعد والتصرف فيه بعد وجوده ، يصح الاتيان بلفظ (ثم) الاستواء عليه، وكل مادل على تقدم العرش نحمله على الجبروتى والملكوتى والقلم العالى ، ومادل على الخلاف على العرش الجسمانى .

(يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا) اى يغشى الليل ويغطيه ويغشى النهار كذلك وحرف العطف محذوف ، وغشاء كل وتغطية كل وخفائه بالاخر ، اذ بمجيء الشمس في افقنا يصير الارض حاجبا لغير افقنا ويصير لهم الليل ، وكذلك العكس ، فالليل في كل افق سبب خفاء نهاره وبالعكس (يطلبه حثيثا) اى يطلب كل واحد منهما الاخر سريعا ، والوجه ان الليل والنهار يحصلان من حركة الشمس كما مر والشمس تتحرك حركة شوقية ارادية ، ففي اى موضع كانت تطلب الموضع ، ففي دائرة افقنا تطلب غير افقنا ، وفي دائرة الغير تطلب افقنا ، وكذلك الامر لو قلنا بان الحركة للارض وتحصل بالجذب والدفع للشمس .

(والشمس والقمر والنجوم) لو قرئت بالنصب تكون معطوفة على السموات اى خلق الشمس والقمر و النجوم ، ولو قرئت بالرفع تكون مبتداء والخبر (مسخرات بامره) والتسخير يجتمع مع ارادة المتحرك ايضا كما بين في مقامه ، وعلى الاول لابدان تقرء المسخّرات بالكسر من باب الحالية ، وعلى الثاني بالرفع على الخبرية.

(الاله الخلق والامر) اى التحديد والاطلاق ، وعالم الخلق اى الجسمانيات وعالم الامر اى المجردات ، اوعالم التكوين والتشريع (تبارك الله رب العالمين) اى تعالى الله وهو المربى لتمام العوالم، والله الهادى .

قوله تعالى : **ادعوا ربكم تضرعاً وخفية انه لايحب المعتدين (٥٥) ولاتفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً ان رحمة الله قريب من المحسنين(٥٦)وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى اذا أقلت**

سحاباً ثقالاسقناه لبلدميت فانزلنابه الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون (۵۷) والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الانكدا كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون (۵۸) لقدارسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدواالله مالكم من اله غيره انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم (۵۹) قال الملاء من قومه انالنريك فى ضلال مبين(٦٠) .

(ادعوا ربكم تضرعا) حال كونكم متضرعين فى الدعوة وخاشعين (وخفية) اى حال كونكم في الخفية من الناس، فانه لعدم حصول الرياء وشرك غير الله له اقرب (انه لايحب المعتدين) اى المتجاوزين، يحتمل كون المراد التجاوز بحسب الصوت والتجاهر على خلاف المتعارف من الاصوات العالية والصيحة .

ويحتمل كون المراد التجاوز من هذه الطريقة ، اى اصل دعوة الله بان يترك دعوة الله (ولاتفسدوا في الارض بعداصلاحها) يكون دفعا لتوهم ان التخريب للاصلاح ايضا افساد، بان غير المحبوب هو الافساد بعدتحقق الصلاح ، واما مايوجب الصلاح فلا يكون غير محبوب ، بل لايكون افسادا ويكون تعميرا (وادعوه خوفا وطمعا) فانه لابدان يكون كل انسان بل كل ممكن مدرك خائفا من فوت مطلوبه وطامعا فى درك محبوبه، فبحسب المراتب يخاف من درك نقص كمال، او الوقوع في العذاب او عدم الوصول الى الجنة ، اوعدم لقاء الله ، اوالبعد والهجران من الوسائط ، او من التجليات ، ويطمع فى حصول الكمال ، اوالنجاة من العذاب ، اوالوصول الى الجنة ، اولقاء الله ، اوالوصل لمحبوبه من الوسائط ، اوالوصل الى التجليات ، فان الممكن من قبل ذاته لاشيء له ، فلا بدله من الخوف اذ هو فاقد ذاتا للكمالات ، ومن جهة الله لابدله من الطمع (ان رحمة الله قريب من المحسنين) اى من يفعل فعلا حسنا والدعاء من الافعال الحسنه فرحمة الله قريب الى الداعين .

(وهو الذى يرسل الرياح بشرا) بضم النون والشين جمع النشور كرسل

يكون جمع الرسول ، او (نشرا) بفتح النون وسكون الشين او (بشرا) بضم الباء وسكون الشين ، والمعنى على الاول ، ان الله يرسل الرياح متفرقات ، اى متدرجا مع الفصل بينها قبل نزول المطر لبعث السحاب ، وعلى الثانى يكون المعنى لنشر السحاب وبسطه ، وعلى الثالث للبشارة (بين يدى رحمته) اى قبل الغيث فانّه رحمة الله (حتى اذا اقلت) وحملت تلك الرياح (سحابا ثقالا) لكونها حاملة للامطار (سقناه) اى السحاب بسبب الرياح ، فيه التفات من الغيبة الى الحضور (لبلد ميت) لعدم مجيىء المطر فيه ويبس ماينبغى ان ينبت فيه .

(فانزلنا به الماء) اى بسبب ذلك السحاب ارسلنا المطر (فاخرجنا به من كل الثمرات) على حسب استعدادها (كذلك نخرج الموتى) لما مر من ان احياء الموتى ايضا بسبب الحركة الجوهرية ، بمدد الامطار السموية ، فكما ان اخراج الثمرات هو التحريك من القوة الى الفعل ، كذلك المعاد هو اخراج ما بالقوة من كل شىء الى ما بالفعل كما سبق (لعلكم تذكرون) اى تشاهدون ذلك ونفعل ذلك بمرئى منكم حتى تلتفتون الى معادكم ، فحال الزرع فى البذروالثمرات فى الاشجار كحال البدن الاخروى فى الارض ، والملكات البرزخية فى الصدروالقلب والجبروت فى العقل ، حيث لايكون التفاوت الابالنقص والكمال والقوة والفعل.

(والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربّه) اى ماطاب ترابه يخرج منه النبات بسهولة باذن الله تعالى لقرب قوتها الى الفعل وعدم المانع فيه (والذى خبث) لضعف الاستعداد ، اومايقرب الى المانع فيه (لايخرج الانكدا) اى عسرا وعلى سبيل المشقة ، وحال قلب المؤمن فى تأثير المواعظ من قبل الله من قبيل الاول ، وحال قلب غيره كالثانى من قبيل المستضعفين والمبتلين بالشهوات ، واما المنافق والكافر فحالهما اسوء كما لايخفى (كذلك نصرّف الايات) ونغيرها او نبيّنها (لقوم يشكرون) .

(لقد ارسلنا نوحاً الى قومه) اى من بعث عليهم (فقال ياقوم) اى يافريقى (اعبدوا الله) اى الجامع لجميع الكمالات (مالكم من آله غيره) اى من الاصنام

والكواكب (اني اخاف عليكم) اى ان تؤمنوا بالله الواحد ولاتعبدوه (عذاب يوم عظيم) اى عذابه يكون عظيما وهو عذاب يوم القيامة اوعذاب يوم الطوفان .

(قال الملاء من قومه انا لنريك فى ضلال مبين) اذجعلت الالهة الها واحداً وتوعـّدنا بما لايكون واقعا ، من الطوفان والقيامة والله الهادى .

قوله تعالى: **قال ياقوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين (٦١) ابلغكم رسالات ربى وانصح لكم واعلم من الله ما لاتعلمون (٦٢) اوعجبتم ان جائكم ذكرمن ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون (٦٣) فكذبوه فانجيناه والذين معه فى الفلك واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوماً عمين (٦٤) والى عاد اخاهم هوداً قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره افلا تتقون (٦٥) قال الملاء الذين كفروا من قومه انا لنريك فى سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين (٦٦) قال ياقوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين (٦٧) ابلغكم رسالات ربى وانا لكم ناصح امين (٦٨) .**

قال نوح عليه السلام يافريقى ورهطى (ليس بى ضلالة) اى جهة وحيثية يغيب بسببها عنى الطريق المستقيم والوصول الى الحق ، اذ لم تكن تكلماته عليه السلام الاعلى طبق البرهان العقلى ، وكذلك افعاله عليه السلام واخلاقه وعقائده ، فاذاكان تمام الفعل والقول والصفة والذات منورة بـالنور العقلى ، فلاجهة ضلالة له ابـداً ، وكون الواجب وتوحيده والواسطة والمعاد على طبق العقل قد سبق منا مراراً فلا نعيده (ولكنى رسول من رب العالمين) اى ما انا الا عبد مطيع لمربى اهالى العوالم بتمامهـا ونفس العوالم ، وامرنى ان اكون واسطة ودليلا عندكم لتكميلكم ، فـالداعى لمكالماتى معكم اطـاعة امر ذلك الفرد الواحد الموجد للكل والمبقى له ، فهو

بالنسبة الى نفسى شكر لمنعمى وبالنسبة اليكم افاضة واعطاء منى لكم ، فهل يكون شكر المنعم ضلالة اوالافاضة والاعطاء (ابلغكم رسالات ربى) اى ابين لكم تلك الرسالات المكملة لكم ان اخذتم بها (وانصح لكم) نصح الوالد الرؤف (واعلم من الله مالاتعلمون) اى من قبل الله يكون علمى ، لامن قبل نفسى ، فانى فقير محض ولا ادعى الانانية ، حتى تتوهمون ان ذلك التبليغ لاظهار كبرى و جلالى ، بل اعترف انى من قبل نفسى مثلكم ، فاعلم من قبله مالاتعلمون من حسن عاقبتكم فى الدنيا والاخرة ، على فرض الاطاعة وسوء عاقبتكم فيهما على فرض العصيان .

(اوعجبتم ان جائكم ذكر من ربكم ، على رجل منكم) اى لكون البرهان العقلى الواضح على ثبوت الواجب و توحيده ولزوم الواسطة و المعاد ، لاوقع لقولكم من نسبة الضلال الى ، ثم يستفهم استفهاما انكاريا ، ان تعجبكم هل يكون لاجل ماذكر ، اى ماربما يخيل فى صدور بعض ضعفاء العقول هو هذا ، اى التعجب من كون الواسطة هو البشر ، وانه ينبغى ان تكون الواسطة من قبل الله اعظم من البشر ، من الملائكة اوالكواكب ، و هو باطل ، لكون الانسان خليفة الله واعظم من الكل كماذكر ، وبالتعقل يظهر وانتم بسوء اختياركم لاتتعقلون ، ولان الواسطة لابدان تبلغ الانذارات والبشارات والاحكام ، وتدخلها فى الآذان ، فلولم يكن من البشر لما حصلت ، لعدم اتصال الناس بروحانية الكواكب والملائكة (لينذركم (ولتتقوا) وتاخذون الوقاية (ولعلكم ترحمون) فكون الواسطة منذرا وسببا للتقوى والمرحومية ، هل يمكن ان يكون مورد التعجب من الحكيم ان تكون واسطته غير ماذكر ، اذ يصير ارسالها لغوا (فكذبوه) مع البيانات الشافية له عليه السلام ، و كون دعاويه على طبق العقل (فانجيناه) اى النوح (و الذين معه) اى آمنوا به (فى الفلك) اى السفينة (واغرقنا الذين كذبوا باياتنا) اى حججنا الصادرة عن النوح من الامور الخارقة للعادة و البيانات الشافية على طبق البرهان العقلى (انهم كانوا قوماً عمين) اى الاعمى من عين القلب اذ لا يدركون ما كان على طبق الحق والواقع (والى عادٍ اخاهم) اى ارسلنا الى طائفة عاد اخاهم اى من قبيلتهم (هودا)

بيان للمرسل اليهم وهو اسمه عليه السلام (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) قدمر برهانه (افلا تتقون) اى الا تاخذون بالوقاية والجنة ، عن كل الشرور الاخروية وهو التوحيد، فان من يدخل في العالم الاخر موحداً يهرب النار منه ولايقربه، او الاتخافون

(قال الملاء الذين كفروا من قومه) اى لم يصدّقوا له فى رسالته وستروا الحق ، اذ شاهدوا خلاف العادات الصادرة منه عليه السلام من باب المعجزة ، مضافا الى كون دعويه عليه السلام على طبق البرهان كماسبق (انالنراك فى سفاهة) اى من يصدر منه فعلا كاشفا عن ضعف عقله (وانا لنظنك من الكاذبين) عمدا اى لست بمجنون اومسحور حتى نحتمل الاشتباه عليك ، بل بالعمد تفعل ما تفعل ، مع كون انبائك وافعالك على خلاف الواقع باعتقادك ايضا .

(قال ياقوم ليس بى سفاهة) وضعف العقل اذالعقل الضعيف، اى ادراك الضعفاء العقول لايكون على طبق البرهان العقلى ، والتوحيد مطابق للبرهان ، لبرهان الافتقار وكون صرف الشيء لايتكرر الابالمحل وهو التركيب، اوبالمرتبة ولازمه التوحيد وهو الخلف ، وسايرما ذكرناه فكيف يكون الكاشف عن كمال العقل كاشفا عن ضعفه وهو محال (ولكنى رسول من رب العالمين) وقد مضى الكلام فيه .

(ابلغكم رسالات ربى) اى ماامرنى ربى بان ابلّغها اليكم (وانالكم ناصح) فى حد ذاتى ومحب لكم و(امين) من قبل الله فى احكامه ، ولم اغيّر ولم ابدّل حتى اكون كاذبا ، و الكاشف عن ذلك معجزاتى و كمالاتى ، وعدم ذكر المعجزات لدلالة العقل فهى محذوفة بقرينة المقام والله الهادى .

قوله تعالى: **اوعجبتم ان جائكم ذكرمن ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذجعلكم خلفاء من بعدقوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة فاذكروا الاءالله لعلكم تفلحون (٦٩) قالوااجئتنا لنعبدالله وحده ونذر ماكان يعبد آباؤنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين (٧٠) قال قدوقع عليكم من ربكم**

رجس وغضب اتجاد لونني في اسمآء سميتموها انتم وآباؤكم مانزل الله بها من سلطان فانتظروا اني معكم من المنتظرين (٧١) فانجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وماكانوا مؤمنين (٧٢) .

(وأعجبتم ان جائكم ذكر من ربكم) وهو استفهام انكارى ، فان التعجب ينشأ من درك الامور الغريبة ، فكأن قومه ﷺ استغربوا ان يكون الله متذكراً لبنى آدم ، بان يرسل اليهم احدا ، وذلك الاستغراب في غير محله ، اذفى تمام الاوقات على حسب حكم العقل والشرع ، لايخلوالارض من حجة ظاهرة اومستورة ، ولم يكن فضل الله منقطعا ، و خلق ذلك الاستعداد الذى يرى غير متناه فى هذه اللطيفة السيارة الانسانية لغوا ، فالتعجب فى غبر المحل (على رجل منكم لينذركم) اى هل يكون عجبكم من هذه الجهة، وهو كون الذكرنا زلا(على رجل منكم)، وتعجبكم من هذه الجهة، وهوايضا مثل سابقه فى عدم الغرابة ، اذكل الوسائط فى تمام الازمنة كانوا من البشر ، بل قدعرفت انه بحسب العقل يكون ذلك لازما .

(و اذكروا اذجعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) هذا تذكار لهم من الجهتين (الاولى) انبنى آدم قابلة لان يذكّرهم الله ويرسل اليهم احدا ، بل الاعتناء اليهم فى الدرجة العالية ، اذ يعذبهم ان لم يأخذوا بذكر من قبله ، ومع العذاب العام ، وهو الطوفان يحفظ بعضا منهم ، حتى لاينقطعون بسبب السفينة (الثانية) ان الرسول هو من بنى آدم ، واظهار لنعمة الله عليهم بالخصوص ، فلاينبغى كفرانهم ، وهو جعلهم خلفاء من بعد هلاك قوم نوح ، فهؤلاء بسبب آبائهم صاروا مورد التفضل (وزاد كم فى الخلق بسطة) اى عظيم الجثة حيث تلازمه القوة والقدرة (فاذكروا آلاء الله) اى نعمائه وتفضلاته (لعلكم تفلحون) اى تبلغون الى الفلاح والنجاح والكمال .

(قالوا اجئتنا لنعبدالله وحده) حيث نقول بانا نعبد الله ولا اله لنا غيره (ونذر ماكان يعبد آباؤنا) اى قد جئت لنأخذ بقولك ، ونترك معبود آبائنا وهم عقلاء ،

وفى متابعتهم لنا شرافة (فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين) اى لانرفع اليدعن طريقة آبائنا ولا نعتنى باقوالك ، فأتنا و هو للسخرية فـانهم كانوا مستهزئين ، وقاطعين بعدم القدرة على اتيان العذاب (ان كنت من الصادقين) كأنه تعليق على ما قطعوا بعدمه ، فصدقه عليه السلام عندهم معلق على الاتيان بالعذاب ، وهو لا يحصل قطعا فالصدق يكون منتفيا :

(قال قدوقع عليكم من ربكم رجس وغضب) اى وجب وثبت على ضرر كم من قبل الله عذاب دنيوى، وهو الرجس المنفور عنه ، وغضب اخروى ونار بعد الموت، فاخبر عليه السلام بتمامية سبب البلاء ، وانه لاراد لهذاالبلاء ، ولعله عليه السلام شاهد مبدء النزول ، من اللوح المحفوظ الذى لا محو فيه ولا اثبات جديد (اتجادلوننى فى اسمآء سميتموها انتم وآباؤكم) اىاتتكلمون معى بعنوان اللجاج والغلبة فىالكلام لاالوصول الى المعنى فىعلامات تكون تلكالعلامات منقبلكم ومنقبلاسلافكم، فان مادة الخشب والحديد والرصاص وذهب ليست فيها علامة التاثير ، ولكنكم قد شكّلتم لهـا بـاشكال مختلفة ، فجعلتم بعضهااله الحرب على شكل خـاص ، وبعضها اله الطرب ، وبعضها اله الزراعة وهكذا ، فهذه الاشكال منكم ، او الالفاظ التى تستعملونها فيها منكم (ما نزلالله بها) اىالاصنام (من سلطان) اى حجةوقاهرية (فانتظروا) اى لمجيىء عذاب الله وهو امر تهديد (انى معكم مـن المنتظرين) اى انتظر ورود البلاء ، اذ لاراد له حتى اشتغل بالتضرع لكم عندالله وشفاعتكم .

(فانجيناه والذين آمنوا معهبرحمتنا) اىبسببشمول الرحمة، اذلولاهلايختص العذاب الدنيوى بالظالمين فقط ، لكون الدنيا دارالطبيعة ، فاذا جائت الريح العقيم فالطبيعة تقتضى هلاك الكل(وقطعنا دابرالذين كذبوا) اىهلكوا باولادهم وذراريهم وانقطعت ادبارهم (وماكانوا مؤمنين) اى لميكونوا يؤمنوا فى البعدايضا، ويحتمل كون النفى راجعا الى العموم ، اى الادبار والاعقاب ايضا ، اى ما كان المؤمن فى نسلهم والله الهادى :

قولهتعالى: والى ثمود اخاهم صالحاً قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قدجائتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في ارض الله ولا تمسوهـا بسوء فيأخذكم عذاب اليم (٧٣) واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتاً فاذكروا الاءالله ولاتعثوا في الأرض مفسدين (٧٤) قال الملاء الذين أستكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون ان صالحاً مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مؤمنون (٧٥) قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون (٧٦) فعقروا الناقة وعتوا عن امر ربهم وقالوا ياصالح ائتنا بماتعدنا ان كنت من المرسلين (٧٧) فأخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين (٧٨) فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لاتحبون الناصحين (٧٩) .

(والى ثمود أخاهم صالحا) اى ارسلنا الى طائفة ثمود من كان من قبيلتهم وهو صالح عليه السلام (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) وان الله واحد لا شريك له ، لاقتضاء الشركة حد كل واحد من الشريكين ونقصهما ، لعدم وجدان كل منهما وجود الآخر ، وجدان الشيء لذاته ووجدان العلة لمعلولها ، لبطلان اعطاء الفاقد ، فهي واجدة لوجود المعلول على نحو اشرف (وامـا الواجبان) فحيث ان كل واحد منهما غير الآخر ، ولاعلية بينهما ، ولهذا يقال ان النسبة بينهما هو الامكان بالقياس، يكون كلا منهما فـاقداً للاخر لامحالة (فلا يكون) كل منهما وجوداً محضا ، والواجب من لوازم صرف الوجود ، والحد من لوازم المجعولية ، لان مالاعلة له من مفيض ذاته ، اوما لبقائه كان مفتقراً اليه كالمحل ، لايخرج عن صرف الشيء

وصرف الوجود ، لان التخصص لابد له من مخصص ، وحيث لامخصص لايكون الامحض الوجود، فالواجبان لايكون احدهما واجبا ، لعدم كونهما صرف الوجود وهو خلف .

(قدجائتكم بينة من ربكم) اى قد جائت اليكم مـا هو الحجة مـن قبل الله تعالى على صحة دعواى ووساطتي ، وبعد ثبوت الوساطة والادعاء انه من قبل الله الذى لاشريك له ، ينبغى حصول القطع بذلك لمن لايفهم ساير البراهين، والبينة هى التى استدعوا قومه عليه السلام من اخراج الناقة الحاملة من الجبل، وصيرورة الحجر كذلك ، و لعدم سبق معجزة اخرى لهم قبل ذلك ، واتمام الحجة عليهم قد اجيبت دعوتهم .

وجعل صالح عليه السلام ببعض مراتبه الدانية، الحجر مستعدة لافاضة الصورة اللحمية والدموية وساير الاعضاء والجوارح ، كما ان اشراق الشمس يصير معدا لافـاضة صورة الياقوتية والفيروزجية وغيرهما ، ثم بمراتبه العالية استدعى مـن الله افاضة الروح الحيوانية على الناقة وما فى بطنها .

(هذه ناقة الله لكم آية) يحتمل كون الجملة حالا ، اى قد جائتكم البينة حال كون ناقة الله لكم آية ، والعامل للحال معنى الاشارة المستفادة من لفظ هذه ، اى اشير ، ويحتمل كونها جملة مؤكدة معنى للجملة السابقة ، اى جائتكم البينة وهذه ناقة الله لكم آية (فذروها تأكل فى ارض الله) اى لكونها ناقة الله ، حيث ان الله على خلاف الطبع افاض الروح عليها ، وجعلها متم الحجة ، حيث ان بسببها يهلك من لم يؤمن ، ويحيى من آمن ، فهى آية وامارة على الجمال والكبريـاء كليهما ، اى الرحمة والغضب ، والله جامع لهما فهى آية الله ، وهى ناقة الله ، ومن بـاب الشرافة يضاف اليه ، (ذروهـا) ولاتتعرضوا لها حتى تأكل فى الارض ، فلزوم عدم التعرض مترتب على كونها ناقة الله ، لان دفع الضرر لازم ، والتعرض من باب امارة الجلالية موجب لنزول العذاب (ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم) من باب القهر و الكبرياء .

(واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد) اى مضافاً الى لزوم دفع الضرر ، يلزم مـن باب شكر المنعم عدم التعرض بسوء ، وكيف وقد انعم عليكم بجعلكم خلفاء لقوم عاد (وبـّوأكم فى الارض) اىجعل الارض محلا ومكانا لكم (تتخذون من سهولها) اى الارض الرخوة ، وهى التراب اوالطين (قصوراً) اى بيوتا وقبابا عالية بالبناء (وتنحتون من الجبال بيوتا) فبالعلم والقدرة اللذين يكون العلم اقوى تبنون القصور ، وبمنافع اقوائية القدرة تنحتون فى الجبال ، و تمام ذلك مـن قبل الله تعالى ونعمائه ، فيلزم عليكم الشكر ، ومن اقسام شكركم الاحترام لهذهالناقة، وعدم مسها بالسوء .

(فاذكروا آلاء الله) اى نعمائه لازديـاد الشكر (ولاتعثوا فى الارض) اى لاتتجاوزوا عن حدكم فيها (مفسدين) اى حال كون تعدّيكم للافساد لاللصلاح .

(قال الملا الذين استكبروا منقومه) اى قال مننسب الكبر الى نفسهمنغير استحقاق ، فان الممكن فقيرصرف ولا استحقاقله للانانية، والعظمة له بقدرتوجهه الى مبدئه ، و من لاتوجه له الى المبدء يكون اخس و ادنى من كل شيء (للذين استضعفوا) اى الضعفاء من جهة القوة والقدرة اوالمال(لمن آمن منهم) اى تكلموا مع المؤمنين من الضعفاء لاكلهم، فانه كان فى الفقراء ايضاً غير المؤمن(اتعلمون انصالحاً مرسلمن ربه) اى تبعيتكم للصالح عليه السلام هل يكون من باب علمكمبرسالته او يكون من باب الظن والحدس (قالوا انا بما ارسل به مؤمنون) اى قالوا نقطع ونؤمنبكل ما يدعىانه من قبلالله، اونقطع بصحة ما ارسلبسببه اليكم،اىالمعجزة المتمة للحجة وهى الناقة.

(قـال الذين استكبروا انـا بالذى آمنتم به كافرون) اى لا نعتقد بصحة ما جاء به من العلوم والاحكام ، اوما جاء به من الاية وهى الناقة ، اولانشترك معكم فى شيء لحقارتكم ، فحيث انكم مؤمنون نأخذ بضدكم فنحن كافرون (فعقروا الناقة) وقطعوا كعبها (وعتوا عن امر ربهم) اى خالفوا واعرضوا عن اطاعة الله

و امره من باب الكبر، و جعل نفسهم مستغنيا عن الله ، وامروا القدار وهو العاقر ان يعقر فعقر ، ولكون المباشر هو القدار والسبب هم المتكبرون نسب العقر الى جميعهم .

(وقالوا)مستهزءً بالصالح عليه السلام (يا صالح ائتنا بماتعدنا ان كنت من المرسلين) اى قد اوعدتنا بنزول العذاب على فرض التعرض للناقة وايصال السوء اليها ، وهانحن قد عقرناها، فأتنا بالعذاب الموعود ان كنت من الانبياء (فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين)

اى اخذتهم الزلزلة الشديدة والصيحة السماوية فاصبحوا فى بيوتهم ميتين باركين على الركب مثل البعير، او كالطائر المتلبد بالارض.

(فتولى عنهم) اى ادبر الصالح عنهم والظاهر انه قبل نزول العذاب (وقال يا قوم قد ابلغتكم رسالة ربى) اى اطعت الله وبينت لكم ما امرنى الله ان ابين لكم (ونصحت لكم) اى لاجل انتفاعكم وعظتكم حتى تكملوا وتخلصوا من السوء (ولكن لاتحبون الناصحين) اى لاطاعتكم الشهوات لاتحبون ما كان على طبق العقل، فلا تلوموا الا انفسكم والله الهادى.

قوله تعالى: **ولوطاً اذقال لقومه اتأتون الفاحشة ماسبقكم بها من احد من العالمين(٨٠) انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون(٨١) وماكان جواب قومه الاان قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون (٨٢) فانجيناه واهله الا امرأته كانت من الغابرين (٨٣) وامطرنا عليهم مطراً فانظر كيف كان عاقبة المجرمين(٨٤)والى مدين اخاهم شعيباً قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قدجائتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولاتبخسوا الناس اشيائهم ولا تفسدوا فى الارض بعداصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين (٨٥) ولاتقعدوا بكل صراط توعدون**

و تصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجاو اذكروا اذكنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين (٨٦)

واذكر (لوطا) حين قوله (لقومه: اتأتون الفاحشة) اى الامر الشنيع وهو الذى يبين فى البعد (ما سبقكم بها) اى لم يسبقكم بهذه الفاحشة (من احد من العالمين) اى احد مـن الطوائف اى انكم المبتدؤن ، وليس لكم العذر الباطل ايضا ، بانا وجدنا بعض الاشخاص يفعلون كذلك فاقتفيناهم .

(انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) وهذا المذكور بيان للفاحشة وهو اتيان الرجال شهوة ، اى اعطاء ماء الشهوة للرجال والانزال فى دبرهم، فكأن انزال الماء فى الدبر شىء اعطى الفاعل للمفعول (من دون النساء) اى لاتعطون هـذه المياه للنساء ولاتنزلون فى فروجهن ، والظاهر من هذا القيد ان ذلك القوم كانوا يكتفون بالرجال ، ويقتصرون عليها ولا يأتون النساء ، وعلى هـذا لا اشكال فى الاستفهام التبكيتى والتقريعى .

(اولا) حيث سئل عليه السلام أتأتون ، واطلاق الفاحشة اى ما يتنفر عنه العقل (ثانياً) ولولم يثبت من الشرع فيه حكم ، اذ ذلك موجب للظلم على النساء ، حيث ان دفع شهوتها بـالرجال وتبعيتها للرجال ومنع التذاذاتها ظلم وتعد ، ولانقطاع النسل ، والحال ان بحكم العقل يكون حفظ النوع لازما، فمن اجلهما يكون من الفواحش، واطلاق ما سبقكم بها من احد (ثالثا) اذ ليس معنى ذلك ان التقليد يكون لازمـا للسابقين ، فحيث لم يفعلوا لم خالفتموهم ؟ بل المراد ان مـن شدة وضوح قبحه ومنكريته لم يرتكبه احد من العالمين ، فان مـا يكون فيه الظلم على الاحبة وهى النساء ، وسببا للضرر على النفس والغير ، وهـو انقطاع النسل مـن شدة وضوح تنكره لم يرتكبه احد ، وعلى غيره يكون اطلاق الفاحشة اما بلحاظ العرف اذ نوع الناس يقبحون ذلك العمل ، فانه من قبيل وضع الشىء فى غير محله، بل موجب لهوان المفعول وذلّه ، واما بلحاظ النهى الشرعى قبل ذلك الانكار .

(بل انتم قوم مسرفون) الظاهر كون المراد ان عملكم فوق الاتيان بالفاحشة الكذائية وانكم مسرفون ، وهو لاجل قطعهم الطريق لاخذ من يعملون معه ذلك العمل قهراً ، والاتيان بذلك جهارا ، كما دلت عليها الآيات الاخر من قوله تعالى (اتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر) (١) وهذا المطلب حينئذ متجاوز عن الحد واسراف ، اذ ظلم على المفعول ايضا ، وموروث لذاته وانفعاله عند الكل ، ولايكون المراد من الاسراف هنا الصرف في غير المحل ، لكون الماء قد جعل فيك لاجل الولد ، فادخاله في بطون الرجال صرف في غيرمحله ، لان ذلك هو اللازم الاول ولايحتاج الى لفظ (بل) الذى يكون للترقي .

(وما كان جواب قومه الاان قالوا اخرجوهم من قريتكم) اى لكونهم مبتدئين واتيانهم على خلاف تمام العقول ، وتنفر النوع من عملهم ، لكونه ظلماعلى الخارج والداخل والانفس ، لم يكن لهم جواب مثل ساير اقسام الكفار ايضا ، حيث كانوا يستدلون باشباه بيوت العنكبوت ،ولكنهم لم يكن لهم مثل نسج العنكبوت ايضا فقالوا بلزوم اخراج لوط ، ومن آمن معه لكونهم يخالفوننا ويجتنبون، ويطهرون انفسهم من تلك الرذائل، اويكلفون الطهارة على انفسهم ويراؤن كون تلك الاعمال من الرذائل.

(فانجيناه واهله الا امرأته كانت من الغابرين) اى خلصنا لوطا واهل لوط من العذاب النازل على قومه ، الا امرأة لوط فانها كانت من اللاحقين للقوم في العذاب (وامطرنا عليهم مطرا) اى انزلنا عليهم نحوا من المطر وهى الحجارة من السجيل (فانظر) الخطاب الى رسول الله ﷺ اى انظر بالنظر النورانى من العقلى الحضورى (كيف كان عاقبة المجرمين) اى في زمان السلف وقبل مجيئك كنا نعذب في الدنيا ، ولكن بسبب وجودك نؤخر العذاب الى الاخرة لملاحظة الاعقاب ، ولان يصل الى الظالم خاصة ولايصل الى غيره .

(والى مدين اخاهم شعيبا) اى ارسلنا الى قوم مدين من كان منهم وهو

(١) العنكبوت ـ ٢٩

شعيب عليه السلام (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) اى اجعلوا عبادتكم لله ولا تشركوا مع الله شيئا فيعبادتكم ، اذلا الهغيره وعبادة غيرالله غيرجائز بحكمالعقل لكون العبادة فيالحقيقة اظهار العبودية ، وان العابد عبدللمعبود وملك حقيقيغير قابل للانفكاك ، و هو لايكون الافى صورة كون العابد وجوده من المعبود حدوثا و بقاء ، و المتدلى اليه و هولا يكون غيرالله الواحد ، للادلة السابقة على التوحيد ولانعيدها.

(قد جائتكم بينة مــن ربكم) وهى المعجزة الصادرة منه عليه السلام لهم لتعيين وساطته (فاوفوا الكيل والميزان) اى بعد اتيانى بــالمعجزة وثبوت نبوتى تكون اطاعتى لازمة بحكم العقل ، فانا آمركم بوفاء الكيل والميزان ، وردّ مـا تبيعون بالغيربتمامه اليهم (ولاتبخسوا الناس اشيائهم) اى لاتسرفوا سرقة قليلة دانية منمال الناس بسبب بعض الحيل .

(ولاتفسدوا فى الارض بعد اصلاحها) اى انهيكم عن الفساد بعد الصلاح (ذلكم خيرلكم انكنتم مؤمنين) اى اطاعة او امرى وما انهى عنه تكون خيراً وحسنا لكم ، انكنتم من اهل الايمان ، واما غيرالمؤمن المعتقد فلا خير له ، نعم ضرره اقل وعذابه اخف ، وهو غير الخيرالوجودى .

(ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به) اى لا تجلسوا فى الطريق للأضلال بــالتخويف ، والمنع عن الطريق الموصل الى الله لمن آمن بالله، فلاتمنعوا المؤمنينولاتخوّفوهم (وتبغونها عوجاً)اىتطلبونالطريق معوجاً ومنحرفاً عن الله غيره .

(واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم) اى تفكروا فى نعمة الله حيث اعطــاكم النسل وكثّركم بعد القلة ، وهلالانسان يعادى مع المحسن اليه؟ (وانظروا كيف كـان عاقبة المفسدين) اى تذكروا هلاك من كان قبلكم فلعلها تشملكم ، والعاقل لا بدان يحترز من الضرر المظنون ، ومع المقتضى يكون المظنون التـأثير والله الهادى .

قوله تعالى : وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا و هو خير الحاكمين (٨٧) قال الملاء الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يـا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن فى ملتنا قال او لو كنا كارهين (٨٨) قد افترينا على الله كذباً ان عدنا فى ملتكم بعد اذنجينا الله منها ومـا يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شىء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بـالحق وانت خير الفاتحين (٨٩) و قـال الملاء الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيباً انكم اذاً لخاسرون (٩٠) فاخذتهم الرجفة فاصبحوا فى دارهم جاثمين (٩١) الذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين (٩٢) فتولى عنهم وقال يـا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربى و نصحت لكم فكيف آسى على قـوم كافرين (٩٣) .

(وان كـان طائفة منكم) اى بعضكم (آمنوا بمـا ارسلت به) اى اعتقدوا برسالتى واخذوا باحكامى (وطائفة لم يؤمنوا) اى لم يعتقدوا ولم يأخذوا باحكامى (فاصبروا حتى يحكم الله بيننا) اى لما انى قد اتممت عليكم الحجة والبراهين ببيان المطالب الحقة واقامة المعجزة ، فعدم ايمانكم لايكون الامن باب التقصير والعناد ، وعدم تـأثير الانباء ـ نبأ الاخرة ـ فى حصول الخوف لكم ، فاصبروا وانتظروا للعذاب الدنيوى والامر للتحذير الى ان يحكم الله بين الطائفتين ، ويظهر ان المحق اى طائفة والمبطل اى طائفة (وهو خير الحاكمين) اى الله احسن حكومة من كل حاكم ، لاحاطة علمه بالظاهر والباطن ، واحاطة قدرته وعدم الفرق من حيث الذات بين الاشخاص عنده ، لكون كل من مخلوقاته ، فحكم يتعلق بلحاظ الصلاح والفساد الواقعيين (قال الملاء الذين استكبروا من قومه) اى الكفار منهم لان المانع من قبولهم

كان تكبرهم وغرورهم كالشيطان (لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا) اى انتم الضعفاء والفقراء ، والقرية لنا فبقدرتنا نخرجكم من ملكنا (اولتعودن فى ملتنا) اى الاان تعودن فى ملتنا والعود فى ملتهم وعقائدهم معناه ، الدخول بعد الخروج من الدخول . وشعيب ﷺ لكونه نبيا يكون اجل من كونه فى زمان من الازمنة مشركا ، ولكن لما كان المؤمنون كذلك ، اطلقوا العود بالنسبة الى الجميع من باب التغليب.

(قال اولو كنا كارهين) اى هل تكتفون بالعود ولو بالكره حيث ان الاكراه فى العقائد لامعنى له ، لانها لاتتبدل بسبب الخوف ، ولكن بحسب الظاهر والاظهار يمكن ان يصيّر الانسان نفسه فى الاعمال والا قوال خلاف الواقع من عقائده ، فالمقصود ان العود الصورى لايكون نافعا ، وعودنا لو صار متحققا لايكون الاصوريا

(قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجينا الله منها) اى لو كان غرضكم العود الحقيقى ، فنحن نعلم بانه افتراء وكذب على الله ، اذ قد ظهر علينا بالبرهان العقلى وبالكشف ، والا تصال بالنسبة الى الرئيس والاعجاز والاتيان بخلاف العادة للمرؤس ، ان الله واحد لا شريك له ، وان الالهة المدعوة باطلات ، وان الصلاح فى المشى على طبق ماحكم به الله على الشريعة الثابتة ، فالعود والقول بشركة الله مع الغير ، و ان احكامه على نحو غير الشريعة ، كذب عمدى وافتراء عليه ، فلايحصل مقصودكم الابصدور ما يقبحه كل احد ، ويكون قبيحا عندكم ايضا من صدور الاكاذيب والافتراءات منا ، وهى ممالا يرضى به شاعر فضلا عن عاقل

مضافا الى كون ذلك المعبود باعتقادنا على فرض امكانه ، دخولا فى الهلكة بعد النجاة منها ، فانا كنا مستعدين للعذاب الدائم بسبب العقائد السابقة ، والله خلصنا ببركات الطافه من العقل والكشف والنقل ، فالرجوع رجوع الى الضرر المقطوع والعاقل لايقتحم ، وليس لاحد ان يلزم العاقل بالدخول فى الهلكة الدائمية .

(وما يكون لنا ان نعود فيها الاان يشاء الله ربنا) اى ليس لنا ولا يمكن لنا

ان نعود و نزيل عقائدنا اذ ليست عقائدنا ناشئة من الامور الناقصة ، حتى تزول بمشاهدة الاعلى من البراهين القطعية، بل تكون عقائدنا ناشئة من البراهين العالية من العقل والكشف فكيف يمكن لنا العود .

نعم لوشاء الله ان يخذلنا، يأخذ علومنا ومبادى البراهين ، ونقع في الشيطنة فتزول عقائدنا لانه ربنا ، ومدد علمنا منه ، فاذا لم يصل المدد يزول العلم والتوفيق (وسع ربنا كل شيء علما) اى احاط احاطة حضورية علم ربنا بكل شيء ، اذ الكل حاضر عنده ، ومرتبط به صدوراً وبقاءً (على الله توكلنا) اى لتوفيقه وعلمه الذى اعطانا ، وكّلنا امورنا اليه وفوضنا اليه لاجلاله ، ولورأى الصلاح فى حفظنا منكم ، يحفظنا (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين) اى انزل واوصل مـا ينبغى ان يوصل على القوم ولنا من الامر الثابت ، و ارفع الحاجب والمانع حتى نشاهـد حضوراً ، وهو لايكون الا بـالانزال ، وانت خير الفاتحين والموصلين الى كل احد ما ينبغى ان يوصل اليه .

(وقال الملاء الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذاً لخاسرون) اى قالت الكفار منهم لغيرهم من المؤمنين، اولانفسهم ايضا ان من اتبع شعيبا يكون من الخاسرين ، لانا نعاقبهم ونورد عليهم الضرر و الخسران (فاخذتهم الرجفة) اى الزلزلة (فاصبحوا فى دارهم جـاثمين) اى مكبا على وجوههم فوق اركابهم ميتين كالطيور الملبدة على الارض (الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها) اى كأنهم لم يقيموا بها قط لان المهلك كأن لم يكن (الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين) اى صار الامر على خلاف ما ارادوا ، اذ قد ارادوا وصول الخسران على المؤمنين وقد وصل عليهم .

(فتولى عنهم) يحتمل كونه قبل نزول العذاب اى أعرض عنهم لمـا رأى اقبال العذاب عليهم اعراض الآيس منهم (وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربى) اى مـا قصّرت فى التبليغ ، ولعدم سماعكم ادبر عليكم وافارقكم (ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين) اى لاجل انتفاعكم نصحتكم ولم تسمعوا وبقيتم على

الكفر، والاسف على هلاك الكافر لايمكن وقوعه من المؤمن ، فكيف اتأسف على هلاككم ، ويحتمل كونه بعد نزول العذاب من قبيل حديث النفس ، اوالتكلم مع الموتى لاجل حصول العبرة للسامعين في البعد والله الهادى .

قوله تعالى : **وما ارسلنا فى قرية من نبى الااخذنا اهلها بالبأسآ والضراء لعلهم يضرعون (٩٤) ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قدمس آبائنا الضراء والسراء فاخذناهم بغتة وهم لايشعرون (٩٥) ولوان اهل القرى آمنو واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون (٩٦) افامن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتآ وهم نائمون (٩٧) اوامن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون (٩٨) افامنوا مكرالله فلا يأمن مكرالله الاالقوم الخاسرون (٩٩) اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم و نطبع على قلوبهم فهم لايسمعون (١٠٠) .**

(ومارسلنا) في مكان من نبي وذكر القرية للمثال والغلبة (الااخذنا اهلها) اى اوردناهم مورد المؤاخذة بعدتكذيبهم وعدم الايمان ، والحذف للقرينة فى المقام ، والتعليل بالبأسآ اى الامراض والضراء ، اى تلف الاموال وفقرهم (لعلّهم يضرّعون) اى يتضرعون عندالله ويتوجهون اليه للرجوع عن عقائدهم وافعالهم السيئة .

(ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) اى بدلنا سوءحالهم بحسن الحال حتى يحصل لهم الشوق الى الله، ويطمعون في الايمان وكان ابتلائهم ورفعها على نحوغير معتاد، حتى يحصل لهم التنبيه ، ويخافون من عذاب الله ويرجون رحمته (حتى عفوا) اى كثروا، والعفو بمعنى الكثرة وعفو المال مايفضل عن النفقة، ومنه قوله تعالى (يسئلونك ماذا ينفقون قل العفو) اى الزايد من النفقة الواجبة ، ومنه ايضا امرالله ان نحفى الشوارب ونعفى اللحى .

(وقالوا قد مس آبائنا الضراء والسراء) اى وصول الضرروالنقمة ، ثم الرخاء

والتبديل بالحسن انما يكون من فعل الطبيعة ، ووصلت الى آبائنا فى السابق ايضا كمـا وصلت الينا ، فلا كاشفية لها عن سؤ عقـائدنا واعمالنـا (فاخذناهم بغتته) بالهلاكة وهم لايشعرون بمقدماتها ، اى بعد اتمام الحجة من المعجزات ، كمادلت عليه الاية الاتية بعد ذالك بقليل ، وبعد هذه الامور الغير العادية اهلكناهم .

(ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا) اى خافوا الله فيأعمالهم وحركاتهم ، او اخذوا الله وقايةلهم (لفتحنا بركات من السماء) اى من الامطاروالنوريات والكماليات والعلوم التيتكون فتوحات حقيقية(والارض)من انبات النباتات والحبوب والاشجار والاثمار ، وازدياد الاستعداد للنفوس لاشراق حقائق الشموس (ولكن كذبوا) اى بالايات والانبياء ﷺ (فاخذناهم بماكانوا يكسبون) اى العذاب النازل عليهم فى ذلك العالم كالعذاب النازل عليهم فى الاخرة بسبب افعالهم ، فان الافعـال السيئة اسباب لحصول الملكات الرذيلة ، التى صورتها، العذاب باقسامه ، او هو ايضا من الموجبات ، او هما معاً وهو الحق .

(افامن اهل القرى) يكون استفهاما توبيخياً ، اذ المكر هوالايقاع فيالخطر الذى لايلتفته اغلب الناس، والله اعلم بالاسباب الخفية ، وايقاع الناس فيالاخطار بالاسباب الخفية ، فالعاقل لابد ان لايكون مأمونا من مكر الله ، والمأمون منمكره غير عاقل ، اذ يجهل احاطة علم الله (ان يأتيهم بأسنا) أى عذابنا (ضحى) أى فى وسط النهار (وهم يلعبون) أى يشتغلون بالامور الدنبوية اللعبية ، ففى وسط النهار ينزل عليهــم البلاء ، ولا يرون اسبابه حتى يفرّوا ولو الى الله ، ولا مكر أعلى من ذلك .

(أفأمنوا مكر الله) وقد ذكر (فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) أى الخاسرون من تمام الجهات فى الدنيـا والاخرة ، فان دنياهـم تصير غير معمورة ، وآخرتهم من العذاب مالايشبه بالعذاب الدنيوى فى الشدة .

(أولم يهد للذين) كالسابقين فى التوبيخ ، أى ألم يحصل لم الهداية والعلم (يرثون الارض من بعد اهلها) أي يرون موت السابقين وان الارض قد انتقلت منهم

اليهم (ان لو نشاء أصبناهم بذنوبهم) اى كل تلك الامور من قبل الله ، لما مر سابقا من ان الانتقالات والحركات أى الخروجات من القوة الى الفعل ، لابد ان تنتهى الى محرك غير متحرك ، وفعل محض لاجهة قوة واستعداد فيه ، وهو ليس سوى الله ، فتمام الموت يرجع اليه كساير الاشياء ، فمن يكون قادراً وفاعلا يقدر على اهلاكهم بذنوبهم ، وان يوصل اليهم الهلاك بسبب معاصيهم؟ (ونطبع على قلوبهم فهم لايسمعون) اى نختم على قلوبهم فلايدخل فيها نور العلم بسوء اختيارهم، فلايسمعون الحق سماع صحيح يكون نافعا لهم ومؤثرا فى حقهم ، والله الهادى .

قوله تعالى : **تلك القرى نقص عليك من انبائها ولقد جائتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين (١٠١) وماوجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين (١٠٢) ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين (١٠٣) وقال موسى يافرعون انى رسول من رب العالمين (١٠٤) حقيق على ان لااقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معى بنى اسرائيل (١٠٥) قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين (١٠٦) فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين (١٠٧) ونزع يده فاذا هى بيضآء للناظرين (١٠٨) قال الملاء من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم (١٠٩) يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تأمرون (١١٠) .**

اى القرى المذكورة ، وهى ماكانت فى بعضها قوم عاد ، وفى بعضها قوم ثمود ، وفى بعضها قوم شعيب ، و فى بعضها قوم لوط ، نحكى لك و نوضح من الامور الواقعة فيها لارشاد قومك والرسل المذكورة ، قدجاؤا لهم بمعجزات بينات

اى الواضحات كونها من الله ، لان اتمام الحجة يكون لازما سواء كان للايصال اولبروز مـا بالقوة من الشقاء الى ما بالفعل ، ليصلوا الى مـا ذرؤا له ، فالتعذيب والمؤاخذة قبل اتمام الحجة لايصح من الله لكونه ظلما ، والظلم قبيح ولا يصدر الاممن كانت فيه جهة النقص .

(فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) اى لم يؤمنوا بعد الاتيان بالمعجزات بسبب تكذيبهم قبل المعجزات ، حيث ان طريقة العقلاء ان لا يبادروا بتكذيب المدعى بعد احتمال صدقه ، بل يسئلون عـن برهان مـا يدعيه ، فان اقـام الدليل يصدقونه ، وان لم يقم لايأخذون به ، وهذه الطوائف بمجرد دعوة الانبياء خصوصا بعد كون دعوتهم الى التوحيد اولا ، الذى هو على طبق العقل ردوها ولم يقبلوها ، فتكذيبهم صار حاجبا للنورية و تـأثير النور فى قلوبهم فلم يؤثر فيهم المعجزات ايضـا ، اذ التكذيب على غير طريقة العقلاء ، ويكون ناشئا مـن الكبر والانانية ، والمتكبر العنود اذا تكلم بقول يبعثه كبره ، ان لايرجع عن قوله ويصر على صحة قوله ولو بعد انكشاف خلافه ووضوح بطلانه ، فكأن القبول كاسر انانيته و كماله

(كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) اى بمثل هذا المطلب مـن منع القوة المتكبرة ، واى قوة صارت سببا للتكذيب بلامهل وروية ، يختم الله على قلوب الكفار حتى لايدخل فيها النور ، اى ليس ذلك الختم شيئاً آخر ، سوى ان خلق القوة المانعة من الله لاجل دفعهم الواردات المضرة عليهم ، وهـم بسوء اختيارهم يستعملونها فى دفع المنافع الاخروية وتقوية الرذائل .

(وما وجدنا لاكثرهم من عهد) اى الوفاء بالعهد الذى يحكم به العقل مـن لزوم اداء شكر المنعم وان المنعم اذا احسن يلزم الخروج مـن عهدة تكـاليفه ، والمنعم قد احسن اليهم احسانا غير محدود ، وانعم عليهم نعمـاء كثيرة داخلية و خـارجية ولم يفوا بالعهود العقلية ، او بالعهد يوم الميثاق فى عالم الذر ، (وان وجدنا اكثرهم لفاسقين) لفظ ان مخففة ان ، اى قد وجدنا اكثرهم خارجين عـن طاعة الله .

(ثم بعثنا من بعدهم موسى) اى بعد هذه الطوائف من اهل القرى وهلاكتهم (بآياتنا) اى المعجزات الواضحة (الى فرعون وملائه) اى سلطان مصر واتباعه (فظلموا بها) اى بالآيات اذ لم يرتبوا الاثر عليها كما ينبغى ، من التصديق والتمسك بذيل من جاء بها (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) اى المفسدين فى الارض حيث يظلمون لبنى اسرائيل ، اومفسدين فى العقايد ايضا من جعل السلطان نفسه الهالهم، واخذهم بذيله بعنوان الالوهية ، والامر بالنظر متوجه الى النبى ﷺ .

(اما) من باب ارائة الله مقام فرعون والملاء فى الجحيم له ﷺ اى انظر واشهد مقامهم فى البرزخ من الجحيم البرزخى، وكما انهم فى القيامة يدخلون فى اشد العذاب، كذلك فى البرزخ ايضا فى اشد العذاب البرزخى و(اما) المراد النظر العقلانى الحاصل من ترتيب المقدمات العقلية من عذاب المشرك والمدعى للالوهية

(وقال موسى يافرعون انى رسول) اى واسطة ومبلغ للاوامر والنواهى ، فانك لست قابلا كقومك ان يرشدك الله الى الصلاح بدون الواسطة ، فمع ان الله حاضر لاتبصره ، ومع انه متكلم لاتسمعه اى الكلام (من رب العالمين) اى من يربى تمام العوالم الامكانية من الجبروت والملكوت والملك من السموات والكواكب والارضين ، وملك مصر احد اجزاء ارض واحدة (حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق) اى ينبغى على عدم قولى على الله سوى الحق والواقع ، اذا علم بعلم الله وقدرته التامة، وقبح الكذب مطلقا خصوصاً الكذب عليه ، وقرء على ايضاً بالتشديد، اى ينبغى على ان لا اتكلم فيما انسب الى الله سوى الحق .

(قد جئتكم ببينة من ربكم) والمراد جنس البينة ، اى المعجز الواضح الظاهر ، انه ليس من الخالق بما هو خلق بل فى الحقيقة صادر من الله (فارسل معى بنى اسرائيل) اى ارسلهم معى حتى ابلغهم الى ارض الشام فانها الموعودة لنا من قبل الله (قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين) اى ان اعطاك الله المعجزة والاقدار على اتيانها ، فأت بمعجزتك حتى نشاهدها ان كنت صادقا فى قولك .

(فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين) اى صار العصاء التى من الخشب حية عظيمة ظاهرة، اى لاشبهة لاحد فى كونها صاحب الحياة وانها الثعبان والحية الكبيرة (ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين) اى اخرج كفه من تحت ابطه ، فاذن كفه فى منتهى البيضاء والتلألؤ كالشمس (قال الملاء من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم) اى قالت الاتباع ان هذا الشخص ماهر فى علم السحر والتمويه على خلاف الواقع فى منتهى المهارة ، ولامانع لان كان هذا القول صادرا من فرعون والاتباع كليهما سواء كان القول منهم بعد التشاور فى امر موسى عليه السلام اوقبل التشاور ، فلاتنافى بين هذه الاية وبعض ما دل على صدور ذلك القول من فرعون .

(يريد ان يخرجكم من ارضكم فما ذا تأمرون) اى ليس طلبه لاستخلاص بنى اسرائيل لان يخرجهم من ارضكم ، بل غرضه ان يجمعهم ويجهزهم ويجعلهم جنداً لنفسه حتى يغلب عليكم معهم باعانة سحره ، ثم يخرجكم من ارضكم ويبعدكم عن ملك مصر، ويتصرف هو واتباعه فى الملك ، فما تحكمون اى خاطب بعضهم مع بعض بان امركم فى حقه اى شىء ، او عرضوا على السلطان والوزراء ذلك القول ، اى باى نحو تقضون لدفع هذا الضرر المتوجه اليكم والله الهادى .

قوله تعالى : قالوا ارجه واخاه وارسل فى المدائن حاشرين (١١١) يأتوك بكل ساحر عليم (١١٢) وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لاجراً ان كنا نحن الغالبين (١١٣) قال نعم وانكم لمن المقربين (١١٤) قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين (١١٥) قال القوا فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم (١١٦) واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هى تلقف ما يأفكون (١١٧) فوقع الحق وبطل ماكانوا يعملون (١١٨) فغلبوا هنا لك وانقلبوا صاغرين (١١٩) والقى السحرة ساجدين (١٢٠) قالوا آمنا برب العالمين (١٢١) رب موسى وهرون (١٢٢) قال فرعون آمنتم به قبل ان آذن لكم ان هذا

لمكرمكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها اهلهـا فسوف تعلمون (١٢٣)
لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ثم لاصلبنكم اجمعين (١٢٤)

اى قالت الاتباع لفرعون اخـّر امر موسى واخيه، ولاتجادل معهما وامهلهما، وارسل الى البلدان والمدائن ، لجمع الساحرين حتى يجمعوا عندك ، ويأتوك كل ساحر ماهر عالم ، فاذا حشروا واجتمعوا عندك فجادل بهم موسى واخـاه ، (وجاء السحرة فرعون) اى بعد الارسال وجمعهم من البلدان المختلفة المتفرقة جاؤا عند فرعون .

(قالوا ان لنا لاجراً ان كنا نحن الغالبين) اى يجعل السلطان لنا شيئاً ان غلبنا على موسى وأخيه ويعطينا الاجر ، اومن باب سلطنته لابد أن نفعل ولولم يكن فى البين شيء فرأى فرعون أن الجد والجهد لهم فى هذا الامر يكون لازماً ، لخوفه من موسى عليه السلام غاية الخوف ، وهولايكون الا بالتطميع فى أمر عظيم عندهم (قال نعم وانكم لمن المقربين) اى مضافاً الى الاجرة الفعلية نعطيكم المناصب ، وتكونون من الرجال العظيمة المقربة عند السلطان ، فان المنصب موجب للوجاهة والاخذ الدائمى من الرعايا .

(قالوا ياموسى أما أن تلقى واما أن نكون نحن الملقين) اى لغرورهم لاجل مهارتهم قالوا لموسى : انك لمخير، فان اردت الاتيان بماأردت أن تأتى به سابقاً، على اتياننا فاسبق ، وان اردت التأخير فأخـّر، اى لافرق لنا فى التقديم والتأخير ، وعلى فرض التأخير ايضاً نغلب .

(قال القوا) وهو اذن لتقديمهم ، وكان فيه الصلاح ايضاً ، لانه على فرض تقديم موسى ورؤية السحرة ماأتى به موسى عليه السلام ، لم يكونوا يأتون لعلمهم بعدم القدرة لهم على الاتيان بمثل ماأتى به موسى عليه السلام ، ولكن الناس يتوهمون أنهم لجبنهم لم يأتوا، ولواتوا لكانوا مثله أوأعلى فرخص عليه السلام فى التقديم حتى يشاهدون الجميع الفرق بين فعل السحرة وفعل موسى عليه السلام (فلما القوا سحروا اعين الناس

واسترهبوهم وجاؤوا بسحر عظيم) اى لمّا القت السحرة حبالهم وعصيهم سحروا اعين الناس ، اى قد رأت عيونهم الامور التى على خلاف الواقع ، اذ السحر من أقسامه بسبب لطافة مأخذه ، ودقته أن يرى الشيء على خلاف واقعه .

فالحبال المتحركة بواسطة اشراق الشمس على الزيبق، وكذلك ما في الاخشاب المجوفة من الزيبق ، تكون فى الانظار كالحيات المتحركة ، ولمهارتهم موّهوا على العيون برؤية الحيات التى لاواقع لها،وصار الخوف حاصلا من الحيات المموّهة للناس ، لتوهم كونها حيات حقيقية موذية متوجهة اليهم وتلدغ لهم وقد اتوا بسحر عظيم فان عظمة كل شيء بحسبه .

(واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف مايأفكون) اى شمله الوحى بعد مشاهدته ذلك ، ولعله لاجل أن موسى عليه السلام خاف من اشتباه الامر على الناس ، اذ لا كاشف لهم عن الواقع ، فانهم بالحس البصرى يرون ان عصاء موسى عليه السلام صارت حية ، وبالحس البصرى ايضا شاهدوا أن الحبال ، والعصى للسحرة صارت حيّات ، فنزل الوحى عليه عليه السلام بأنا نقدر على كشف الواقع ، حتى يحصل التميز.

(فالقى موسى عصاه) متابعة للوحى (فاذا هى) اى العصا (تلقف مايأفكون) اى تبتلع ماجعلوه آلة الافك اى مايأفكون به ، فان الافك هو الكذب ، ولافرق بين القولي والفعلي ، فالسحر افك فعليّ، اذ ينبيء عن كون هذا الشيء حية وهو غير حية، فماالقاه موسى عليه السلام شرع فى الاكل ، وابتلاع ماافكوا به عن الواقع ، فاكلتها وابتلعتها باجمعها .

(فوقع الحق) اى ثبت وبقي على موقعه اى تمام آثار الحية ومن جملتهما الابتلاع، قد تحقق وظهر وهى بعد على الحالة الثانية اى كونها حية تكون باقية (وبطل ماكانوا يعملون) اى ذهب من البين ، وانتفى ماكانوا يعملون به السحر لصيرورة الكل فى جوف الحية المنقلبة من عصاه .

(فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين) اى السلطان وهوفرعون مع اتباعه صاروا مغلوبين لموسى ﷺ وتبدّلت أحوالهم حال كونهم صاغرين عاجزين عند الناس وذهب كبرهم ، وحصل الذل لهم ، ولاذلّ اهجى من ذلك ان يدّعى احد الربوبية وكونه الرب الاعلى .

ثم يستمسك بمن يتخيل أنه ينجيه ، وبواسطته يغلب على خصمه ، ويرى أن التفاوت بين مايصدرمن هذه الاشخاص ، مع مايصدرمن خصمهتفاوت بين الارض والسماء ، وراى ان تمام رعيته التفتوا الى ذلك .

(وألقى السحرة ساجدين) اى خاضعين لموسى ﷺ اوواضعين وجوههم على التراب عندهم، فانهم لمهارتهم وعلمهم باقسام السحرادركوا أن ماجاء به موسى ﷺ لايكون من باب اعمال مالطف مأخذه ودق ، حتى يكون من الامورالطبيعية ، بل لايكون الا بالقوة النفسانية المتصلة الى الله، وان هذا الفعل لايكون الا من عندالله، فمن سطوة الله وعظمة عبدالله موسى (ع) فى انظارهم كانهم من غير تروّ واختيار وقعوا فى السجود ، وبعد حصول اطمينان لهم من رحمة الله ، وان ماصدرسابقا غيرمانع من شمول الرحمة .

(قالوا آمنابرب العالمين رب موسى وهرون) اى اعتقدنا بالمربّى لتمام العالم، لكون الاتى بهذا المطلب صادق وقد أخبربوحدةالله وان ربّ تمام العوالم يكون واحداً ، فنعلم بعدم الشريك له ، وهورب هذين العظيمين لاعترافهما .

(قال فرعون آمنتم به قبل ان آذن لكم) اى ءآمنتم قبل اذنى والرجوع الىّ (ان هذا لمكرمكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها أهلها) اى من باب السياسة وحفظ المملكة ، قد رأى فرعون الصلاح فى الاتهام ، فقال : ان موسى (ع) معلّمكم واستادكم فى السحر، ومن الاول كانت بينكم التوطئة لاخراج اهل المدينة منها وتصرفكم فيها والمقابلة فى الاول مع موسى (ع) كانت منكم بحسب الصورة، وفى الباطن انتم من اتباعه من الاول، وليس ماصدرمن موسى (ع) من غيرسنخ ماصدر منكم الا أنه أعلى ، وليس من قبل الله وخارجاًمن سنخ ماآتيتم به .

(فسوف تعلمون) اى هددهم بانعاقبة تلك التوطئة منكم تكون مضرةعليكم (لاقطعن ايديكم وأرجلكم من خلاف) اى على خلاف الاخر في اليمنة واليسرة (ولاصلبنكم اجمعين) اى بعد القطع اهلككم بجعلكم مصلوبين .

ثم انه لو توهممتوهـّمأنمايصدربالاعجاز يكون علىخلاف الطبع، ولايكون على خلاف العقل ، فان الممتنعات العقلية مرتبتها دون الجعل ، فلاتتعلق بها القدرة والامرفى المقام كذلك ، اذ جعل الكثيرفى القليل ، والكبيرفى الصغير يكونممتنعاً عقلا ، لان الازيد لايمكن شمول الاقل له ، بل التسوية بين الزائد والناقص خلف ، وكيف يكون الناقص ازيد ، ومابتلعه العصا من الحبال الكثيرة والعصى المتعددة الكثيرة ، تكون حجمها ومقدارها ازيد منعصاء موسى عليه السلام بمراتب، فكيف يعقل ان يكون التمام مندرجا فى العصاء ، وداخلا في جوفه .

نقول : لسنا محتاجين في الجواب أن نقول : بنزول عالم المثال والملكوت الى الملك اوبالعكس ، وان كان كل واحد منهما كافياً في الجواب ، وصحيحاً كما برهن في محله، بل نجيب على التصحيح فى عالم الملك .

ونقول : ان العصاء فى حال كونه عصاء لمبيتلع الجميع ، فانه خلافالفرض بل الابتلاع وقع فى حال حيوانيته وصارت جثتها عظيمة علىنسبة مقدارعظمة الماء الدافق حالصيرورتهانسانا تاما أوحيواناً عظيم الجثة بالنسبة اليه،وحصول الاستعداد بتوجه النفس النبوية ،كالاشراق الحاصل من الشمس .

وبعد صيرورتها حيـّة عظيمة كانت الحرارة الغريزية المحللة بالفور في نهاية الشدة فكانها نارموقدة ، فبمجرد الاكل تتفرق اعضاء المأكولات وتهضم ، وتصير الحية نحوالقوة المجزّية للعناصر،فتخرج هوائها من حلقومها ، ومائها منعرقها ، ونارها مع نفسها ، وترابها مع الحرارة الخارجة شبه الدخان من فمها ،كماذكروا في وصفها ، وتنتقل عناصرالمأكولات الى محالـّها، وتبقى عناصرالعصا حتى يعيده الله سيرته الاولى .

فلامانع عقلى فى ذلك ، والله الهادى .

قوله تعالى :«**قالوا انا الى ربنا منقلبون(١٢٥) وماتنقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا لماجائتنا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين (١٢٦) وقال الملاء من قوم فرعون اتذرموسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك وآلهتك قال سنقتل ابنائهم ونستحيي نسائهم وانا فوقهم قاهرون (١٢٧) قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين (١٢٨) قالواأوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ماجئتنا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون (١٢٩) ولقداخذناآل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون (١٣٠) فاذا جائتهم الحسنة قالوالنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الا ان طائرهم عندالله ولكن اكثرهم لايعلمون (١٣١)**

(قالوا) اى السحرة (انا الى ربنا منقلبون) اى لاخوف لنا من قتلك فانا الى الله نرجع بعد الموت ، واذاء القتل لايكون الاساعة اوساعات ، واما الرجوع الى الله والبقاء في دار الاخرة فنعمة دائمية، والوصول الى النعمة الدائمية بسبب تحمّل اذى القتل يكون العاقل مقدما على هذا التحمل ، وصدور هذه الكلمة يدل على ان شرافة العلم شرافة تامة حتى علم السحر، فان السحرة لشرافة العلم علموا ان ما جاء به موسى ليس من قبيل ما جاؤابه، اذكان المأخذ للسحربايديهم ورأوا ان مأخذهم لايكون فيما جاء به بنحو من الانحاء .

واماالجاهل فلجهله يقول ان المأخذواحد وموسى عليه السلام اعلى ومهارته اكثر، ولذا تكون الصادرة مـن الانبياء من سنخ ما يكون اهل زمانهم من المهرة حتى يتم الحجة على المهرة والاساتيد .

(وما تنقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جائتنا) اى نفتخر في قتلك ، اذ لم

يكن قتلنا لسوء صادرمنا كالفساد والسرقة ، تذهب لقتلك شرافتنا، بل قتلك لناانتقام منك لامر صحيح صادر منا ، وهوالايمان بآيات الله بعد اتمام الحجة علينا، والعقل حاكم بلزوم شكر المنعم، فالشرافة تبقى لنا باتّا في مقام شكرالمنعم رفعنا اليدعن نفوسنا، والعاريبقى عليك ابدأ حيث تكبرت على منعمك وموجدك، وبنائك صرف الاخرين ايضا عن شكر منعمهم ، ثم توجهوا الى الله حتى يستقيموا في ذلك .

(قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين) اى اعطنا الصبر الجميل البالغ الى حده حين انجاز مواعيد فرعون ، وامتنا واقبض روحنا من الجسد بتمامه حال كوننا مسلمين ومنقادين لك ، ومن يكون من قبلك .

(و قال الملاء من قوم فرعون) اى اتباعه (اتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض) اى اتترك موسى واتباعه بحالهم من اطلاق لسانهم واختيارهم فى افعالهم ليفسدوا في الارض بارجاع الناس عنك ومن نصبته للالوهية، فانه موجب لفسادالارض من حيث وقوع الاختلاف بين الناس فى عقائدهم ، وغرض القوم قتل موسى عليه السلام او منعهم اشد المنع من دعوته .

(ويذرك وآلهتك) اى يتركك ويترك الالهة المنصوبة من قبلك ، اذ هو كان يدعىّ انه ربهم الاعلى، ولو كان الغرض الهة فرعون وما يعبدها فرعون ، فلابد ان نقول : ان الا له عندهم غيرالرب ، وان فرعون يدّعى الربوبية لا الالوهية، ولعل الاول اظهر .

(قال سنقتل ابنائهم) اى لاعذاب فوق ذلك مـن قتل ابنائهم كالسابق وابقاء نسوانهم للاستخدام ، فمعنى نستحيى نطلب الحيوة لهن لاطلب الحياء (وانا فوقهم قاهرون) اى نحن اكثر واعظم منهم وهم مسخّـرون لنا ، وبسبب ما نفعل من قتل اولاد الذكور لانخاف من سطوتهم وكثرتهم بعد ذلك ، فان رجالهم يموتون ولا قائم مقامهم من الذكور فتبقى النسوان، ولا خوف منهن وهنّ اهل للاستخدام .

(قال موسى لقومه استعينوا بالله) أى تضرعوا عندالله واطلبوا معاونته ، ولم يكلوا الامر الـى غيركم مـن دون توجهكم ، فان استعدادكم لنزول الخير ودفع

السوء يكون لازما على انفسكم .

(واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) اى اصبروا فيما تلقون من بلايا من عند فرعون و لا تظنوا ظن السوء فى حق الله ، ولا توردوا عليه لم اعطى السلطنة لفرعون، اذ الارض له يعطيه من يشاء من العباد ، اى وصف ملكيته انها من الاملاك الدنية، ولذا يؤتيه المشرك وساير اقسام الكفار ايضا كما يؤتيه المؤمن ايضا على حسب الصلاح .

واما العاقبة ومايعقب ملك الارض وهو الملكوت وما فوقه فهى املاك عالية ، ولذا تكون من اهل التقوى، فكأن موسى عليه السلام يبيّن لهم هوان الدنيا (قالوا اوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعدما جئتنا) اى بسببك وقعت الاذية علينا حيث ان القتل وساير الايذاء كان لاجل اخبار كهنتهم بظهورك وكذلك بعد ظهورك، اى كنا منتظرين لرفع العذاب عنا بعد ظهورك ، وصار الامر على عكس ما تمنّينا ، او نقل قصتهم ذلك لموسى عليه السلام من غير ان يكون اعتراضا عليه .

(قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم) اى نرجو ذلك وقرب سببه (ويستخلفكم فى الارض) اى يجعلكم مسلّطين على الارض وداخلين فى السلاطين فيرى اعمالكم، وكان الامر السابق لم يكن فيه ما يحبون من السلطنة الدنيوية وهلاكة العدو، فقالوا ما قالوا فوعدهم موسى عليه السلام على نحو الرجاء القريب حصوله ، ولكن خوّفهم بان الله يراقب أعمالكم .

(ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين) اى قحط الاطعمة من الحبوبات (ونقص من الثمرات) اى ثمرات الاشجار والفواكه او ثمرات قلوبهم وهو موت اولادهم (لعلهم يذكرون) اى العلة، اللطف ، واتمام الحجة ، ومايوجب التذكر غالبا ، ولذا جاء بلفظة (لعل) مع كون ظاهر ما يراد منها محالا فى حق الله (فاذا جائتهم الحسنة) اى الحسن الملائم مع طباعهم .

(قالوا لنا هذه) اى كان لاجل حسننا عندالله (وان تصبهم سيئة) اى مايسوئهم (يطيروا بموسى ومن معه) اى تشأموا وقالوا هذا من شؤم موسى وقومه ، ولمّا ان

التشأم في العرب كان بالطائر كني بالتطير .

(الا ان طائرهم عندالله) اى ما ينسبون الى موسى عليه السلام من الشؤم فهو ينزل من عندالله فهوعنده (ولكن اكثرهم لايعلمون) اى كون الطائرعنده ومطلق الشرور، وقد ذكرنا بان عدم الكمال والتوفيق ، وعـدم المدد الى صحة العضو حتى يحلل ، ويحفظ من باب سوء الاعمال ، فلما لم يفض يقال انه منه ، او لم يدفع ، او يكون كمالا ، لكونه مخرجا من القوة الى الفعل بحسبه ، والله الهادى .

قوله تعالى : وقـالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنـا بها فما نحن لك بمؤمنين (١٣٢) فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيـات مفصلات فاستكبروا وكـانوا قوماً مجرمين (١٣٣) ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل (١٣٤) فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون (١٣٥) فانتقمنا منهم فاغرقناهم فـي اليم بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين (١٣٦) واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون (١٣٧)

(وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها) اى اقطع رجائك من ايماننا بك فى زمان مـن الازمنة ، فان فى اىّ زمان أتيت فيه بآية من آياتك لتموّه الامر علينا ، وتشتبه امرك علينا (فمـا نحن لك بمؤمنين) اى لسنا معتقدين لك وآخذين بذيلك، لعلمنا بان ما يصدر عنك من قبل السحر .

(فارسلنا عليهم الطوفان) اى طغيان الماء والورود ، فى بيوتهم بحيث بلـغ الى حلقومهم فى سبعة ايام ، مع عدم الدخول فى بيوت المؤمنين بموسى عليه السلام من

بنى اسرائيل ، ولو كان سحراً و لـم يكن من قبل الله باعطاء القوة النفسية الخلاق بالهمة لموسى عليه السلام .

لم يمكن على نحو العموم على النحو المذكور ، اذ لو كان الماء زايداً من اصله لما كان الفرق حاصلا ، ولو كان من قبيل التمويه فالافعال الجسمانية لابدلها من وضع ومحاذات بالخصوص، ولم يكن موسى عليه السلام له الوضع والمحاذات مع كل بيوت مصر و كـل اشخاصهم (والجراد) فاكل زرعهم عموما فهوا على لكون انبساطه اشمل ، مع ان عدم بقاء الزرع دليل على عدم التمويه .

(والقمّل) وهودويبة فيالانسان اصغرمن القراد في الابل عند الهزال، حيث يلصق بالابل ولابد من نزعه حتى يحصل له السمن، اودويبة اصغر من الجرادتأكل البقية الزائدة مناكل الجراد من الزرع، وعلى اىّحال فالجهة العمومية مانعة من كونهاسحراً وعلى خلاف الواقع ، او مـن دواء خاص بخـّرت مثلا ، فان الفرق حينئذ لامعنى له .

(والضفادع) تدخل على نحو العموم فـى مأكولاتهم و مشروباتهم دون بنى اسرائيل ، والظاهر انها متكونة من الماء وغالب عيشها فى الماء ولها اصوات يتنفر عنها الطباع .

(والدم) الداخلة فى مياههماى اتباع فرعون دون بنى اسرائيل .

(آيات مفصلات) اى لا ابهام ولاجهة شك فيها لارباب العقول ، لانّها عامة غير قابلة لحصولها من الامور التى لطف مأخذها ودق، مع كونها طبيعية وغير قابلة للتمويه (فاستكبروا) اى طلب الكبر حملهم على عدم القبول ، اذ يعاملون مع بنىاسرائيل معاملة العبودية، وكبرعليهم خروجهم من ذل تبعيتهموتسويتهم معهم، بل تفوقهم عليم ، اذ موسى عليه السلام من بنى اسرائيل ايضا (وكانوا قوماً مجرمين) اى فرعون واتباعه كـانوا عباداً مقصرين ، فلو نظروا الى حالهم لعلموا شركتهم فى العبودية مع بنى اسرائيل ، و كونهم عصاة دونهم ، والعبد العاصى دنىّ فى غايـة الدنائة بخلاف المطيع ، فانه عال ممدوح فحقيقة العلو فى بنى اسرائيل دونهم .

(ولما وقع عليهم الرجز) أى اذا نزل عليهم البلاء والكاشف عن رجزهم ونجاستهم الباطنية ، حيث ان استحقاقهم للغضب يصير معلوماً (قالوا ياموسى ادع لنا ربك) أى بمجرد نزول البلاء ينكسر تكبرهم ، وكانوا يلتمسون لموسى عليه السلام ان يدعو الله برفع البلاء ، وهذا أخذ من الله بضد مقصدهم ، اذ بقوا على الكفر، حتى ينحفظ علوهم ، وبعد النزول يظهرون الاحتياج ، وهو العبودية ، ويعترفون بالتقصير والعبد المقصر ادنى كما مر (بما عهد عندك) أى من اجابة دعائك ، وهذا اعتراف بالنبوة فانها الاتصال الى الله .

(لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك) أى اذا رفعت عنا هذا البلاء لنأخذ بذيل نبوتك ونؤمن بك (ولنرسلن معك بنى اسرائيل) أى ندفع اليهم مايحتاجون فى مسافرتهم معك الى الشام .

(فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه اذا هم ينكثون) أى اذا رفعنا بلائهم الى انقضاء زمان يصلون اليه ، ينقضون عهدهم ، ففى مدة بعد البلاء الاول نمهلهم لاتمام الحجة ، ثم ابتليناهم بالثانى وهكذا ، فاذا بلغوا فى العصيان والنقض غايته ولم يبق للبلاء اللطفى مورد .

(فانتقمنا منهم فاغرقناهم فى اليم) أى حل سخطى وصدر قهر الاله فاغرقهم فى البحر (بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) اى الغرق كان بسبب تكذيبهم بآيات الله والغفلة عن آيات الله ، بانها كماتكون رحمة للمطيعين، تكون نقمة على المتجاوزين .

(واورثنا القوم الذين يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها) أى أعطينا لبنى اسرائيل ماكانت من الاراضى المقدسة تحت سلطنة بعض الكفار ، وهم المستضعفون فى أيدى فرعون واتباعه ، بذبح أولادهم الذكور وابقاء الاناث مشارق الارض المقدسة ومغاربها ، أى تمام أراضى الشام بمشارقها ومغاربها ، وهى الارض التى باركنا فيها وأرسلنا فيها البركة .

(وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا) أى تمت الكلمات

الحسنى، المظهرات للاوصاف الجمالية ، والشفقة لبنى اسرائيل بسبب صبرهم فى مدة الضعف (ودمرنـا ماكان يصنع فرعون وقومه وماكانوا يعرشون) أىأهلكنا ونفينا مايحصل من افعال فرعون ، وقومه ، من الظلم ، والتكبرات ، وأخذ الاقرار بالاوهية ، ومايبنون من الابنية العالية الظلمية ، والله الهادى .

قوله تعالى : « **وجاوزنـا ببنى اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهـم قالوا ياموسى اجعل لنا الهاً كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون(١٣٨) ان هؤلاء متبر ماهم فيه وباطلماكانوا يعملون(١٣٩)قال أغير الله ابغيكم الهاً وهو فضلكم على العالمين(١٤٠) واذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوءالعذاب يقتلون ابنائكم ويستحيون نسائكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم(١٤١) وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناهـا بعشر فتم ميقات ربه اربعينليلة وقالموسى لاخيه هرون اخلفنى فىقومى واصلح ولاتتبع سبيل المفسدين(١٤٢) ولما جآء موسى لميقاتنـا وكلمه ربه قال رب ارنى انظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبـل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربـه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين(١٤٣)** .

(وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر) أى عبرناهم من البحر ، وتجاوزوا باعانتنا لكون انشقاق البحر ، وتجافى مياهه ، وصيرورة ارضه قابلة للعبـور ، من الامور المخالفةللطبيعة ، بحيث يعلم كلمنشاهد انه من فعلالله ، فالله تعالى أعانهم وبلغهم الىمقصودهم ، ورفعالمانع منالعبور والتجاوز(فاتوا علىقوم يعكفون علىاصنام لهم) أى مرّوا ووردوا على طائفة من عبدة الاصنام كانوا عاكفين وواقفين على عبادة أصنام لهم .

(قالوا ياموسى اجعل لنا الهاً كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون) أى قالوا لموسى اصنع لنا الهاً واحداً كما ان لهم آلهة متعددة ، فكأنهم ظنوا انالعيب فيالاصنام المتعددة ، وجدهم ابراهيم عليه السلام قدكسرها لاجل ذلك ، وكذلك انكار موسى عليه السلام لفرعون .

واما لوجعل الصنم الواحد امارة على الله وشفيعاعنده فلامانع منه ، ولم يلتفتوا الى ان المصنوع لايكون أعلى من صانعه ، وهيئة الصنم ناشئة عن مرتبة تخيّلك ومعلولة عنها ، فكيف يمكن شفاعتها لك بهذه الدرجة ، والدرجة الاعلى منه ، فقال لهم موسى (ع) ان هذا الاستدعاء من جهالتكم ، ولافرق فى البطلان بين الصنم الواحد والمتعدد .

(ان هؤلاء متبرّ ماهم فيه) أى هؤلاء الاشخاص هالك عملهم الذى يعملون، ويخوضون فيه ولاخير فيه واعمالهم كالهباء المنثور ، وهلاكة اعمالهم سارية الى هلاكة ذاتهم ، لتأثير الافعال فى الملكات، والملكات فى الذات كماسبق (وباطل ماكانوا يعملون) أى صنعة هذه الاصنام وذواتها من الامور الباطلة ، أى لايترتب عليها الاثر العقلانى وتكون لغواً وباطلا .

(قال أغير الله أبغيكم الهـاً) أى أغير الله أبغى وأطلب لكم الهاً فى مقـام الاستفهام الانكارى .

(وهو فضلكم على العالين) أى ان طلبكم لهذا الامر انما يكون لاداء شكر المنعم عليكم، وهولايكون الاالله الواحد ، وجعل الشريك له فىالالوهية والعبودية كفران له ، والجماد ادنى بمراتب من الانسان ، فلا يقبل لان يشفع له ، وهذا أيضاً كفران لنعمة الرب ، فانالانسان المكرّم عند الله يجعل نفسه ادنى من الجماد ويخضع عنده وهو تحديث بخلاف نعمة الله .

(واذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم) أى يذيقونكـم (سوء العذاب يقتلون ابنائكم ويستحيون نسائكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) أى قدخلّصناكم من عذابهم ، وسوق العبارة يقتضى كونها من كلام موسى، والنسبة الى نفسه لكونه

عبداً فانياً ، وفعله فعل الله واستدعائه من الله النجاة هو انجائه ، ولكن أشار الى كون ذلك الابتلاء امتحاناً من الله وتخليصاً للنقص فيكم ، فالنجاة ايضاً كذلك .

(وواعدناموسى ثلثين ليلة) اى جعلنا الموعد لتكميل موسى عليه السلام والتكلّم معه فى ثلاثين ليلة ، اذ التكميل والاستعداد يحصل فى كل ليلة على قدر حصتها ، ولا يحتاج الى تقدير انقضاء ، او يكون من سوق الكلام معلوماً ، وحصول الاستعداد كان بالصوم فى النهار مضافاً الى الابتهال فى اليوم والليلة (واتممناها بعشر) اى الثلثين ليلة باربعين ليلة .

وتصحيح ذلك (اما) بالبداء ، ومحصل الكلام فيه كما أثبتنا فى محله ، ان العوالم بعد الملك كثيرة وامهاتها، الملكوت والجبروت، والملكوت لااحاطة لها بتمام مايقع فى آن واحد، بل قد يحصل لما فى الملكوت، العلم بالصلاح ويريد الايقاع ، ثم يظهر عليه ان الاصلح فى خلافه ، لانه لم يكن الصلاح ثابتاً حتى يظهر انه كان جاهلا، وبعد العلم بالاصلح تتجدد ارادته على طبق الاصلح ، ولكون مافى الملكوت عباداً فانياً فى الله ، تكون افعال مافيه افعال الله .

فاذا وعدت الملائكة الملكوتية بذلك يصح اطلاق ميعاد الله ، ثم يفاض من الله بتوسط الجبروت ، ان الاصلح فى اضافة العشر على ثلاثين مثلا ، فيحصل العلم الجديد والارادة الجديدة للملائكة القدرية .

بل قد ظهر مما استبقنا انا نعتقد فى الجبروتية ايضا ذلك لانحصار الفعل المحض فى الله تعالى .

(او) بان الوعد لاصل الكمال البالغ كان فى الثلاثين والاتمام بالعشر من قبيل الفضل ، (او) بان الوعد كان مشروطا ببعض الشرائط كزوال خلوف (خلوق -خ) الفم ، ولعدم حصوله اضيف العشر لازالته بالاستياك ، والحاصل انه ليس فى ذاته تعالى علم جديد وارادة جديدة ، ومافى الاية لايستلزم كون الذات كذلك .

(وقال موسى لاخيه هرون اخلفنى فى قومى واصلح ولاتتبع سبيل المفسدين) اى قال له كن خليفتى ومجريا فيهم ماجريت فيهم، واصلح امورهم بالنصيحة والارشاد

والحكم على حسب ما تراه ، وان حصل فى البين بعض الاشخاص المفسدة ، فلا تتبعهم فى فسادهم ولاتشاركهم .

وكون هذا القول قبل الشروع فى الميقات ، بان كان عمل موسى عليه السلام على طبق الميعاد بعد الخروج من عند القوم وفى الجبل ، او بعد تمام الميقات ، بان كان الامر بالخروج اليه تعالى لاستماع الكلام بعد تمامية الميقات فى محل كان فيه القوم ، لادلالة فى الاية من حيث الذات على احدهما ، وان كان الظاهر من الخارج الاول ، وان الاربعين كان فى الجبل ، وافتتان القوم صار لاجل ازدياد العشر .

(ولما جاء موسى لميقاتنا وكلّمه ربه) اى جاء فى محل الوعد وتكلم الحق معه وفاءاًلعهده (قال رب ارنى انظر اليك) اى استدعى رؤية الله وقد استوفينا الكلام فى الرؤية سابقاً فارجع اليه (قال لن ترانى) اى انك لن ترانى، قيل ان العدول من كلمة انى لا ارى بصيغة المجهول الى كلمة لـن ترانى ، دليل على كون الله قابلا للرؤية ، ولكن موسى عليه السلام لايراه .

(ولكن انظر الى الجبل) اى الجبل الذى صعدته وهو جبل طور .

(فان استقر مكانه) اى لم يتزلزل وبقى ثابتاً (فسوف ترانى)اى بعد ذلك فى العالم الاخر ترانى ، وبالمفهوم ، يدل على انه ان لم يستقر وتزلزل فلا ترانى ابداً حتى فى الاخرة ، (وقد يقال) ان كلمة الشرط تدل على سببية الشرط للجزاء ، واى سببية بين بقاء جبل و رؤية موسى عليه السلام ؟ مع كون الجبل من الجمادات وموسى عليه السلام انسانا كاملا عالمه عالم العقليات .

ولكنه يندفع بـانه كذلك لو كان المراد بالرؤية غير الرؤية الجسمية ، مـن الرؤيـة العقلية ، او الكشفية لكنا نحمل الاية علـى التأويل ، بان المراد من الجبل جبل الانانية ، واستدعاء موسى عليه السلام للرؤيه (لما كان) ظاهراً فى حال كون الرائى مستقلا وغير المرئى ، (اجابه الله) بأنه مع بقاء انانيتّك لايمكن لك الشهود ، لان الحجاب هو بعد مرتبتك ، والا فهو معكم اينما كنتم ، وكونك بعيداً لايرتفع، ولا تصير مرتبتك قريباً الا فى صورة زوال أنانيتك ، واندكاك جبل انيتك ، فانظر الى

جبلك ، فانه يتلاشي بمجرد الاستغراق فيه .

واما بعد كون المراد الرؤية البصرية الجسمانية ، فالربط بين الشرط والجزاء يكون حاصلا ، فان الجسم الصلب العظيم الغير الشاعر للتجلى ، اذا لم يبق وصار مندكّا ، فالعين الباصرة التى مركبة من العناصر و فى منتهى اللطافة ، تتلاشى بمشاهدة التجلى ، مع كونها ذى حس بالاولوية القطعية .

ولكن عين موسى عليه السلام لكمال تسويته كانت بحيث لوبقى الجبل بعدالتجلى، تحصل لها المشاهدة فى عالم الملكوت .

ثم ان التجلى للجبل ما معناه؟ فهل الجبل بالتجلى صار صاحب الحيوة فمن حرارة العشق صار متدكدكا ، او ان التجلى لما يكون نزولا ولازم المراتب يلتحق به، وكون التجلى حاصلا للعشاق يكشف عن سنخيته مع الحرارة المفرّقة الماحية، والتجلى فى الحقيقة كان لموسى عليه السلام ، والمتجلى فيه هو الجبل ، فبمقدار رأس الابرة حصل ذلك وتلاشي الجبل ، يكون الله اعلم به .

(فلما تجلى ربه للجبل) اى رب موسى عليه السلام للطور او الانانية (جعله دكّا) اى مدكوكا مستويا بالارض ، لتفرق اجزائه (وخرّ موسى صعقا) اى وقع مغشيا عليه لم يتمالك نفسه وشعوره (فلما افاق) اى حصلت له الافاقة وصارشاعراً.

(قال سبحانك) اى انت منزه عن الحد لانك صرف الوجود ، و هو غير محدود ، فلا معنى لرؤيته بالحس البصرى لافتقاره الى المحل كما بيّنّا سابقاً ، فالبصر لايدركه مطلقا ، واما غير البصر الملكى فلا يحيط به وان كان مطلق الرؤية له حاصلا (تبت اليك) اى رجعت اليك من الطلب المذكور (وانا اول المؤمنين) اى بان البصر تندك وتتلاشي و لا طاقة لها ، فلا تدرك بالبصر الجسمانى الملكىّ، فاول من علم علماً حضوريا بذلك هو موسى عليه السلام ، فلامانع من ان يقول انا اول المؤمنين بذلك ، والله الهادى .

قوله تعالى: **قال يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى**

فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين (١٤٤) وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا باحسنها سأريكم دار الفاسقين (١٤٥) سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لايؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين (١٤٦) والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الاخرة حبطت اعمالهم هل يجزون الا ماكانوا يعملون (١٤٧) واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسداً له خوارالم يروا انه لايكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين (١٤٨) ولما سقط في ايديهم ورأواانهم قدضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين (١٤٩) .

(قال يا موسى انياصطفيتكعلىالناس) اى هذاالنوع فى قبال سايرالانواع، من اقسام الملائكة والجن والنفوس السماوية ، فلا دلالة له على العموم ، ولو كان للعموم ايضاً ، فانما يكون الاصطفاء ، والاختيار فى الموجودين فى زمانه .

(اما) المنتقلون الى الملكوتوالجبروت، فقد خرجوا من الناسيّة ، (واما) من لم يجيء من الكمّلين الى الوجود الملكى فى زمانه بعد ، فعدم صدق الناس عليه يكون واضحاً ، خصوصا وقدبين الله مافيه الاصطفاء من امرين، احدهماالرسالة فى دار الملك لكون الاحكام متعلقة باهل الملك ، والرسالة على اهل الملك ، انما تكون لمن تقبل مشاهدته و امكنت رؤيته ، فالماضون و المستقبلون تكون خارجة لا محالة .

(برسالاتيوبكلامى) اى الاحكام الاعتقادية والفرعية المتعلقة بالمكلّفين من الناس (و كلامى) فان الرسالة تمكن بواسطة وحى الملك اليك ، ولكنك تسمع كلامى بدون الواسطة ، فـان الصوت الذى خلقته واوجدته في غير الحيوان ، اى الجماد او النبات اوالهواء ، لعدم كونه صادراً عنها بارادتها كاقسام الحيوان، اوعدم

كونه بالطبع لها ، يكشف عن كونه منى بدون الواسطة .

(فخذ ماآتيتك) اىاقبل عطائى (وكن من الشاكرين) اى لكونهما نعمتين عظيمتين ، اشكر لى شكراً دائمياً بحيث تعد من الشاكرين ، ويذكر اسمك فيهم ، فانه ما لم تحصل الملكة الناشئة عن الممارسة ، لايقال بنحو الاطلاق انه شاكر .

(و الكلام) هو المعرب عما فى الضمير ، فاطلاقه على الصفات و الاسماء والافعال و آثار الافعال يكون على نحو الحقيقة ، لكونها معربات عن الذات ، الا ان الظاهر ان المراد منه هوالقسم الخاص، وهو الكلام العرفى اى الصوت المنتظم الموجود في الفضاء .

و موسى عليه السلام لكمال مرتبة ظاهره صار متشرفا بهذه الشرافة العظمى ، بعد الكمالات الحاصلة له من الاربعين الميقاتية، كماان تشرفه بهذه الشرافة اول رسالته الىفرعونايضا، كان للرياضات الشاقة المتحملة فىذلك الوقت، وافتقارهذاالتشرف الثاني الى مجاهدة جديدة ، يمكن ان يستكشف منه ان السفر الرابع وهوحصول الصحو بعد المحو، يفتقر بقائه الى المجاهدات، والا قد يضعف ولايبقى على كماله

(وكتبنا له في الالواح) اى الاخشاب النازلة من سدرالجنة ، اوزمردالجنة ، اوزبرجد الجنة ، وهى سبع اوعشرة وتحقيق الحق فى ذلك يفتقرالى مراجعة كتب الاخبار الصادرة عـن اهل بيت العصمة وقد ذكرت مرارا ان كتابتي فـي زمن اغتشاش الحواس ، واضطراراقامتنا في غيربلادنا وفقدى للكتب ، خصوصا ماكان على طريقة الامامية .

واقول:احتمالا لاظنا ولاجزما انهمع قطع النظر عمّاورد من الخارج، يصح ان تكون الالواح من الاخشاب الملكية المصنوعة بيد موسى عليه السلام ، ويده فى تلك الحالة يدالله، وان يكون الكتب ايضابيده، وكتبه كتب الله لزوال انانيته، والمكتوب يمكن ان يكون هى المسموعات .

ويمكن ان يكون ماالقى فىروعه وقلبه من الله ، ويصح ايضا كما ذكرنامن نزولمافى الملكوت الىالملك، فالخشب المعطر صاحب الرائحة الالهية الماخوذ

من سدرالجنة المتوسطة ، كتب فيها بيدالله تمام الاحكام ونزل الى دارالملك ، او كان اللوح من الزمرد اوالزبرجد ، لان لونهما اخضر وهو يناسب الملكوت المتوسط بين الملك والجبروت ، وبتوجه موسى عليه السلام يبقى على حالته التوسطية بعدالنزول الى الملك .

(من كل شيء) اى كل شيء كان له دخل فى تكميلهم ويحتاجون اليه (موعظة) اى بعنوان الوعظ والنصيحة والاقتران بالمثوبة على فرض، الاطاعة والعقوبة على فرض العصيان ولو كانتا (اى المثوبة والعقوبة) دنياويتين (وتفصيلا لكل شيء) اى بينّا لما يحتاجون اليه (فخذها بقوة) اى خذ الالواح لكونها من الملكوت، اولكونها حاملة ومتضمنة للاحكام الالهية، بقوة النفس، فان ضعيف النفس لايمكنه ان ينال بهذه المرتبة والموهبة (وأمر قومك يأخذوا باحسنها) اى فى موارد التزاحم بين الواجبات والمندوبات (سأريكم دارالفاسقين) اى الخارجين عن طاعة الله كفرعون واتباعه وغيرهم فترون ماويهم فى جهنم ، اوبيوتهم فى الدنيا خالية عنهم والارائة فى الاولى بعد الموت ، اوبعد المكاشفة اى الموت الاختيارى وفى الثانية بحصول العلم ، اوبأن رؤية الذرارى رؤيتهم

(ساصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق) ولعله انباء عن فعل السامرى واتباعه ، اى ساصرف وجوههم ويعرضون عن آياتى ، ومرّ وجه الانتساب الى الحق مراراً متعددة ، لتكبرهم فى الارض من غير استحقاق ، فان انانيتّهم تظهر بعد الخلاص من ايدى الاعادى، فيظهرون نفاقهم لكون كبرهم مانعا عن خضوعهم لله ورسوله واوليائه ، ولا استحقاق لهم لهذه الانانية، لفقد الكمالات فيهم.

(وان يروا كل آية لايؤمنوا بها) لان رؤية الاية تكون موجبة للتكميل لمن اراد تكميل نفسه ، ولم يكن له مانع داخليّ من الكبر والشيطنة ، وأما المتكبر الشيطان العنيد ، فهويزداد بغضه بازدياد رؤية الايات ، كمايرى أن الحسود يزداد بغضه وحسده بازدياد كمال من يحسد عليه ، وكذلك كل عدو يزداد بغضه بازدياد شأن عدوه (وان يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا) اى لايطرقون من ذلك الطريق

لماذكر(وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا) اى يطرقون من ذلك الطريق لكونه على طبق ذاتهم وشهواتهم .

(ذلك بانهم كذّبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) اى سبب ذلك تأثير افعالهم في صفاتهم وملكاتهم ، فاذا كذبوا بالايات وقالوا انها غير مطابقة للواقع ، وغفلوا عن تأثيرها لمكذّبيها كتأثيرها لمصدقيها على نحو التعاكس ، يؤثر ذلك التكذيب في الصفات السيئة ، فتصير كالاحول ويرى الحسن قبيحا والقبيح حسنا .

(الذين كذبوا بآياتنا ولقاء الاخرة) اى لقاء الله في الاخرة (حبطت اعمالهم) اى تبطل لاشتراط الثواب بالموافاة على الايمان (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) اى ذلك جزاء عملهم وهو التكذيب ولايكون ظلما ، اذ هو منهم وبسوء اختيارهم فلايجزون الا باعمالهم .

(واتخذ قوم موسى من بعده)اى بعد ذهابه الى الميقات او بعد مضيّ الثلاثين منه ، حيث كان بنظرهم قد اخلف موعده (عجلا جسداً له خوار) اى صنع لهم السامرى عجلا من حليّ فرعون واتباعه ، وكان صائغاً وكان له الخوار ، اى صوت العجل ، وقيل بدل الذهب حيوانا له الدم واللحم والمفعول الثاني محذوف (اى الها) فالمعنى اتخذ قوم موسى العجل الموصوف الها ، وقالوا أنه اله موسى بمجرد كونه على خلاف الطبيعة من الخوار.

(الم يروا أنه لايكلمهم ولايهديهم سبيلا) اى سر ّانّا اجرينا ذلك الخلاف للعادة على يد السامرى ، مع كون اجراء العادة على يد الكاذب قبيحاً ، اعطاء الشعور والادراك والعقل للانسان ، وكل عاقل يدرك ان هذا الجسد ، ان كان الهاً فلابد ان يكون مدركا وهاديا ، اذ بعد مشاهدته بالعين البصرى لايبقى مانع من استماع كلامه ، وانما كان في الهداية مرسلا للرسول ، لان الناس لايصلون اليه فاذا وصلوا اليه لايبقى لوجود الرسول موقع ، فلابد ان يكلمهم ويبين احكامهم ، ويرشدهم الى الهداية ، ولايقتصر في صوت حيواني لادلالة فيه على الكمال اصلا، فبسبب هذا ليس الصرف لازما ، بل لازدياد الكمال والبروز من القوة الى الفعل

يكون حسناً (اتخذوه وكانوا ظالمين) اى اتخذوه الهاً وكانوا متعدين ومتجاوزين عن الحق لماذكر.

(ولماسقط فى ايديهم ورأوا أنهم قد ضلوا) اى بعد رجوع موسى اوارشاد عقولهم ، وسقوط العجل من نظرهم ، ووقوعه فى سلطنتهم وايديهم ، فانهم فى الاول يرون انفسهم عبيده ، لانه ممايسلط عليه ويقع فى اليد ، ورأو ضلالتهم عن الحق (قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين) اى فى الدنيا والاخرة ، لذهاب شرافتهم الدنيوية بعد الشرافة البينة ، وعذابهم فى الاخرةعذاب المشركين ، والهادى .

قوله‌تعالى: **ولمارجع‌موسى الى قومه‌غضبان‌اسفاً‌قال‌بئسماخلفتمونى‌من بعدى‌اعجلتم‌امرربكم والقى الالواح واخذ برأس اخيه‌يجره‌اليه قال‌ابن ام ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى فلاتشمت بى الاعداء ولاتجعلنى مع القوم الظالمين (١٥٠) قال رب اغفرلى ولاخى وادخلنا فى رحمتك وانت ارحم الراحمين (١٥١) ان الذين اتخذوا العجل سينا لهم غضب من ربهم وذلة فى الحيوة الدنيا وكذلك نجزى المفترين (١٥٢) والذين عملوا السيئـات ثم تابوا من بعدهـا وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم (١٥٣) ولماسكت عن موسى الغضب اخذ الالواح وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون (١٥٤) واختارموسى قومه سبعين رجلا اميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال رب‌لوشئت‌اهلكتهم‌من قبل واياى اتهلكنا بمافعل السفهاء منا ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء انت ولينا فاغفرلناوارحمنا وانت خيرالغافرين . (١٥٥)**

(ولما رجع موسى الى‌قومه غضبان اسفاً) اى لمـّارجع‌من الميقات الى‌القوم رجوعا غضبانياً عليهم ، ومتأسفاً فى نفسه لرحمته على القوم ، ومن وقوعهم فى‌هذا

الامر كان محزونا لهم ، كالوالد الرؤف اذا رأى صدورقبيح فى النهاية من ولده، فمن حيث صدورالفعل يكون مبغوضه، ومن حيث البنوة يرقّ عليه اشفاقاً ولاتنافى بينهما .

(قال بئسما خلفتمونى من بعدى) اى خلافتكم عنى كانت خلافة سيئة ، ولعل الخطاب الى الرؤساء وكان لكل قبيلة رئيس من قبله عليه السلام وكان هرون رئيسا على الكل ، ويحتمل كون الخطاب الى الكل ، اذ بعد مشاهدتهم الايات الكثيرة وتقوية عقلانيتهم ، عقولهم خليفة من النبى لان النبى عليه السلام عقل خارجى ، والعقل رسول داخلى ، خصوصا بالنسبة الى امرالالوهية واصول العقايد .

(اعجلتم امرربكم) يحتمل ان يكون المراد أن بمجرد التخلف بحسب نظركم حصلت لكم العجلة فى مايتعلق بامر ربكم ، اى توهمتم أن بمجرد مضى ثلاثين يأتيكم ربكم ، فلابد ان يكون فى مظهر العجل لانه على خلاف الطبع ، والحال ان العقل يدل على الخلاف كماذكر وان يكون المراد ان أمرالله وكلمته كان فى نظرالقوم متشكلا بشكل العجل ، وهومظهر الامر ، فيستفهم موسى عليه السلام تبكيتاً وتقريعاً انكم جعلتم كلمة الله وامرالله هوالعجل الفاقد للعقل والبيان ، والحال ان امر الله لوتشكل وتجسد يكون فى صورة بنى آدم ، حيث انها واجدة لتمام الكمالات .

(والقى الالواح) اى من شدة غضبه واشفاقه القى الاخشاب أوالجواهر،مع كونها محترمة غاية الاحترام، ليرىأن الشرك اوجعل الاله فى صورة العجل اوامر الله فى صورته ، مبغوضيتها فوق احترام الالواح بمراتب .

(وأخذ برأس اخيه يجرّه اليه)اى أخذ برأس هارون اوشعررأسه ، مضموما الى لحيته باليد الواحدة ، اوباليدين ، ويجررأسه اليه من شدة الغضب ، ولماكان نفسه نفس هرون ، ونفس هرون نفسه ، فكأنه عليه السلام يضرب على رأسه من الاسف والغضب .

(قال ابن ام) بالكسر بحذف الياء ، اوبالفتح بحذف الالف ، والاختصاص

بهذه اللفظة اما لتحريك الاشفاق فان شفقة الام فوق شفقة الاب ، واما لكونه اخاه عليه السلام من قبل الام فقط كماقيل .

(ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى) اى لو كان غرضك من هذا الفعل تأديبى لصدور الذنب فلا تقصيرلى ، وارشدتهم فلم يعتنوا وجعلونى ضعيفاً وكان قريبا ان يقتلونى ، اى حاججت معهم غاية المحاجة ، بحيث لولا رجوعك كان قتلى قريبا .

(فلا تشمت بى الاعداء) اى لو كان غرضك ارائة عظمة المطلب مع برائتى من التقصير ، فيكون مزاحما بشماتة الاعداء علىّ (ولاتجعلنى مع القوم الظالمين) اى لا تعامل معى معاملة الخارجين عن طاعة الله والمتعدين فانى لم اكن منهم

(قال رب اغفرلى ولاخى وادخلنافى رحمتك وانت ارحم الراحمين) اى رب انزل مغفرتك علىّ ، وعلى اخى . فكأنه عليه السلام بين بهذا الاشتراك ان ساحة هرون عليه السلام بريئة من الظلم فارتفعت الشماتة الحاصلة من فعله عليه السلام لهرون عليه السلام بذلك الاشتراك وبيّن عليه السلام ان العبد فى تمام الحالات محتاج الى الافاضة من قبل الله ، من المغفرة والادخال فى الرحمة .

(ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحيوة الدنيا وكذلك نجزى المفترين) أى الاشخاص التى جعلوا العجل الههم ، يصل اليهم قريباً غضب الله في الاخرة ، أى بمجرد الورود في البرزخ على نحو الدوام ، أوفي الدنيا بسبب الامر بقتل بعضهم بعضاً ، والذل والمهانة فى الحيوة الدنيوية ، فالغضب لتنقيص الله ، والذل لترفيع العجل عليهم ، وجعل انفسهم أذلاء عند العجل .

(وكذلك نجزى المفترين) أى المفترين على الله أوعلى اوليائه ، فان العموم من حيث من يفترى عليه ، من باب حذف المتعلق ، وهويدل على العموم مع عدم القدر المتيقن ، مع انه لاتكون مسئلة عملية ، حتى نتمسك بالقاعدة أم لا ، فانها من الاخبارات المتعلقة بأفعاله تعالى .

(والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور

رحيم) أي التوبة عامة وتشمل المغفرة بها للشرك أيضاً بل الارتداد ، وذكر الايمان لاجل عدم تحقق التوبة ، أي الرجوع الى الله بدون الايمان ، والتقييد بالبعد بلحاظ شمول الغفران والرحمة للتائب ، حيث انه بسبب التوبة ، والمسبب بعد السبب واما اتصافه تعالى فلايكون مقيداً بل هو قبل كل شيء .

(ولماسكت عن موسى الغضب أخذ الالواح) أي لماكان الالقاء بسبب الغضب في النهاية ، فبمجرد تسكينه وخمود فورانه أخذ الالواح احتراما (وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) أي كان المكتوب فيها ماهو موصل الى الكمال والرحمة والتفضل لمن امتثل ، والممتثل والمطيع هو الذي يخاف لعظمة المولى أومايصدر منه .

(واختارموسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا) أي بعد بيان ان مافي الالواح من الله، وقد تكلم معي بالصوت الجهوري من تمام النواحي،استدعوا لرجوعه واسماعهم كلام الله ، فاصطفى واختار من بين التمام سبعين ، فاذهب بهم، وسمعوا الصوت الجهوري المخلوق منه تعالى في تمام النواحي ، فقالوا لانعتقد كونه من الله حتى نرى الله .

(فلما اخذتهم الرجفة قال رب لوشئت اهلكتهم من قبل واياى) أي لما ماتوا بالرجفة بعداستدعائهم مالم يمكن لهم ، قال موسى يا الهي كنت قادراً على اهلاكهم قبل ذلك واهلاكي معهم ، وكنت عالماً بغيبهم وانهم يستدعون مالايليق بهم .

(أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) (يحتمل) أن يكون مراده عليه السلام ماصدر من فعل السامري واتباعه، (ويحتمل) أن يكون هؤلاء المختارون، ولضعف عقلهم المستكشف من سؤالهم بمالايليق ، اطلق عليهم لفظ السفهاء أي ان كان لفعل الاخرين فلاتقصير لنا ، وان كان لفعل هؤلاء فهم ضعفاء العقول .

(ان هي الا فتنتك) اى ماهي الاابتلائك وامتحانك للتكميل(تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء) أي من اعلمت بصلاح ضلالته يصير امتحانك سبباً لبروز النقص والشقاوة ، ومن علمت بصلاح هدايته يصير امتحانك سبباً لبروز هدايته ، وكل

ذلك باختيارهم .

(انت وليّنا) أى أولى بنا من انفسنا، لان الممكن لاقتضاء محض، والايجاب والايجاد من العلة (فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين) أى استرنا بستر مغفرتك حتى لايشاهدوننا متصفا بكثافة المعصية ، وانزل الرحمة علينا باستحقاقنا للدخول فى دار كرامتك، وانت خير الساترين لانك تسترعن الاعضاء والجوارح والملائكة والله الهادى .

قوله تعالى : **واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الاخرة انا هدنا اليك قال عذابى اصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شىء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم بآياتنا يؤمنون(١٥٦) الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التورية والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه اولئك هم المفلحون(١٥٧) قل ياايها الناس انى رسول الله اليكم جميعاً الذى له ملك السموات والارض لااله الا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون(١٥٨) ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون(١٥٩) .**

(واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الاخرة) أى اثبت لنا فى عالم القدر، وقد مر ان كل مايجىءفى هذا العالم ، فهومسبوق بالوجود على نحو مّا فى عالم القدر ، وهو مسبوق بالقضاء ، وهكذا، وذكرنا أيضاً حصول العلم الجديد والارادة الجديدة لاهل القدر ، فمايجىء فيه يكون على سبيل التدريج .

فيتسدعى موسى عليه السلام من الله ان يكتب فى عالم القدر له ولاتباعه الخيرات الدنيوية ، حتى يفوزوا ويصلوا اليها والخيرات الاخروية ، فان قوس الصعود بعد النزول ، ولوتجاوز من التحاذى .

(انا هدنا اليك) يحتمل حذف الحسنة وكون الجملة علـّة ، أي لكوننا هدينا اليك اكتب لنا .

ويحتمل كونها مقام المفعول (اكتب) أي اكتب لنا في الاخرة انا هدينا اليك ، فان هذا الكتب يلازم بقاء الهداية الى الاخر .

(قال عذابي اصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء) أي المانع من العذاب والغضب يوجد وهو التفضل فمن استحق باعماله مطلق الاستحقاق للعذاب ، لايصبه الا في صورة علمي بصلاح عذابه ، واماالرحمة فلايوجد لها مانع ، وبمجرد استحقاق مـّا ، بل بقاء مورد التفضل وعدم بطلان الاستعداد تشمل الرحمة ، فهي تسع كل شيء ، أي بمجرد عدم ابطالكم استعداداتكم ولو للتفضل تشملكم رحمتي .

(فساكبتها الذين يتقون ويؤتون الزكوة) أي سأكتب الرحمة والحسنة لاهل التقوى ، أي الخائف من الله أو من اتخذ الله جنتـه ، ولمن اخرج زكوة ماله أو فطرته الاسلامية ، فانها وسخة وظلمانية ، وبقائها يورث ازدياد الظلمة في النفس ، فيصير موجباً لابطال استعداد وصول الرحمة الالهية ، ولعلـّه يمكن ان يستكشف ان عدم ايتاء العلم بمن يستحقه ويسئله ولوبلسان الحال منع للزكوة ، وتورث لابطال استعداد العالم للرحمة ، فالذين يكتمون علمهم بصدق النبي صلى الله عليه وآله من أهل الكتاب ولايظهرونه لاتباعهم تبطل استعداداتهم لشمول الرحمة (والذين هم بآياتنا يؤمنون) أي يأخذونها لكونها من الله ، لالكونها على طبق ميلهم النفسانية ، ككون الرياسة فيهم وفي طائفتهم .

(الذين يتـّبعون الرسول النبي الامي الذى يجدونه مكتوباً عندهم في التورية والانجيل) جملة مستأنفة وتكون مبتدءاً والخبر ماسيجيء في البعد ، وهو (فالذين الى قوله اولئك هم المفلحون) أي الاشخاص المتابعون لمحمد صلى الله عليه وآله وهو (رسول)

أي واسطة من الله ، وله كتاب ودين و(نبي) أي يخبر عن الله غير الاحكام التي في شريعته ايضاً من العلوم العقلية والاسرارالكشفية ، فان القرآن مشحون منها و(امي) أي من ام القرى وهي مكة (الذي يجدونه مكتوباً) بأوصافه في الكتابين .

(يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) أي يأمر بالمعروف والحسن عند العقل ، وينهي عن القبيح والمنكر عند العقل (ويحلّ لهم الطيبات) أي مالاتتنفر عنها الطباع وتميل اليها (ويحرّم عليهم الخبائث) أي ماينتفر عنه الطبع (ويضع عنهم اصرهم) أي يرفع مشقتهم من الاعمال العسرة ، كالقتل عند التوبة ونظيرها (والاغلال التي كانت عليهم) أي الشدائد ، كقرض مااصابه البول عمداً من جسدهم(١) ونحوه ، ولعل اختلافها مع الاصر بالمرتبة أويكونان مترادفين .

(فالذين آمنوا به وعزروه) أي وقّروه وعظموه (ونصروه) بلسانهم وأيديهم وأموالهم (واتبعوا النور انزل معه) أي كتابه وهو القرآن (اولئك هم المفلحون) أي الفائز بعد ظهوره ، هو تلك الطائفة لاالغير ، والوجه واضح ، وقد سبق برهان الجميع فلانعيد .

(قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً) اي ليست رسالتي مختصة بالعرب ومن لم يكن لهم دين من قبل الله كالمشركين، بل تكون عامة للعرب و غير العرب ولاهل الكتاب وغيرهم(الذي له ملك السموات والارض لااله الا هو يحيي ويميت) اي اكون رسولا من قبل الله الجامع لتمام الكمالات الذي تمام العاليات والسافل ملك وربط قائم به، وليست لها انانية واستقلال في الوجود ، و تنحصر الالوهية به لما سبق مكرراً من ادلة التوحيد ، وهو مفيض الحيوة وقابض لها، ومنقّل من عالم الى عالم آخر.

---

(١) اشارة الى مارواه في الفقيه(في ـ المياه) قال : قال الصادق عليه السلام كان بنواسرائيل اذا اصاب احدهم قطرة بول قرضوا لحومهم بالمقاريض وقد وسّع الله عزوجل عليكم باوسع مابين السماء والارض وجعل لكم الماء طهوراً فانظروا كيف تكونون .

(فآمنوا بالله) لكون تمام الكمال والنعمة منه (ورسوله النبى الامى) لكونه من قبله بالبراهين السابقة (الذى يؤمن بالله وكلماته) اى لايدعى الاستقلال بل يأخذ بعنايته، ومظاهر كماله(واتبعوه لعلكم تهتدون) اى الرجاء الغالب الوصول بسبب متابعته، اى اذالم يمنع مانع فمتابعته مقتضيه للهداية والوصول، والمانع من الخارج فلفظ لعل بلحاظ امكان المانع .

(ومن قوم موسى امة يهدون بالحق) اى يصلون الى الحق(وبه يعدلون) اى عن الباطل، او يعدلون فى اعمالهم بسبب الله، والله الهادى.

قوله تعالى: وقطعناهم اثنتى عشرة اسباطاً امماً و اوحينا الى موسى اذ استسقيه قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام و انزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون(١٦٠)

واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين(١٦١)فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون (١٦٢) واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذ يعدون فى السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً و يوم لايسبتون لاتأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون (١٦٣)

(و قطعناهم اثنتى عشرة اسباطاً امما) اى افترقناهم و قسمناهم بهذا العدد (اسباطاً) اى قبائل (امما) يكون بدلا لما قبله ، اى اثنتى عشرة امة ، و كل سبط كان الارتباط بينهم اكثر.

(و اوحينا الى موسى اذا ستسقيه قومه ان اضرب بعصاك الحجر)اى لماطلب قوم موسى عليه السلام فى التيه الماء من موسى عليه السلام ، اوحينا اليه ان يضرب عصاه بالحجر

(فانبجست منه اثنتا عشرة عينا) اى ضرب عصاه بالحجر فانفجرت من الحجر عيونا على العدد المذكور.

ولا استحالة في ذلك ولايكون مخالفاً للعقل بان يقال: ان الحجر الواحد الغير المتصل الى الارض الذي يحر كونه مع القوم، كيف يقبل اشتماله على الماء الكثير الازيد من حجم الحجر بمراتب، حتى يخرج منه ويشرب كل الاسباط منه، وهل هو الا احاطة الاقل على الاكثر، (اذلامانع) عند العقل ان يكون ضرب عصاء موسى عليه السلام مؤثراً في الانفجار و انقلاب الهواء الداخل فيه ماءاًوالهواء فى غاية الكثرة فعلى الدوام يدخل في الحجر وينقلب ماءاً ويخرج من الحجر على النحو المذكور فلا مانع منه عقلا .

(قد علم كل اناس مشربهم) اى عيّن موسى عليه السلام لهم وجعل لكل سبط عيناً، فعلموا ما يشربون منه.

(وظللنا عليهم الغمام) اى لمالم يكن لهم حافظ فى التيه من حرارة الشمس جعلنا الغمام حافظاً لهم من الشمس و كانوا فى ظل الغمام (وانزلنا عليهم المن والسلوى) اى لاحتياجهم في التيه الى الاكل، انزلنا عليهم الترنجبين او شبهه فى الحلاوة كالقطرات على النباتات والسمان وهو طائر صغير فيشوونه.

(كلو من طيبات ما رزقناكم) اى رخص الله لهم فى اكل ما ذكر من الطيبات (وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون) اى لم نتعد عليهم فى الاقتصار على هذا المقدار، ولكن تعدوا على انفسهم بعدم خروجهم الى الجهاد، ودخولهم فى الارض المقدسة، اوالقطع(١) منهم لم يكن للظلم بل لاستدعائهم التبديل

(واذ قيل لهم اسكنوا فى هذه القرية)اى اذكر يا محمد صلى الله عليه وآله حيث قيل لبنى اسرائيل: اسكنوا فى قرية بيت المقدس، اوذكّرهم حيث قيل لهم ما ذكر(وكلوا منها حيث شئتم)اى تكونون مرخصين فى اكل نعمائه من اى موضع منها تشاءون(وقولوا

---

(١) اى قطع المن والسلوى منهم لم يكن لظلمنا عليهم بل لاجابة دعائهم

حطة وادخلوا الباب سجداً) اى امروا بان يقولوا حطة اى حط عنا الوزر، وان يدخلوا الباب منحنيا انحناء تعظيم وخضوع .

(نغفرلكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين)جواب للامرفيكون مجزوما، اىقولوا وادخلوا، لنغفرلكم اى جزاء اطاعتكم غفران ذنوبكم، وسنزيد للمحسنينومن يفعل الحسن على ذلك، اى نعطيهم فوق ذلك .

(فبدل الذين ظلموا منهم قولا غيرالذى قيل لهم) اى الفساق والمتعدون منهم ما اطاعوا، فبدلوا القول بلفظ حنطة اوحبّة فى شعرة ، اى نطلب النعمة الدنيوية لا الاخروية بل دخلوا زحفا (۱) باستاههم (۲) و لم يدخلوا كما امروا به (فارسلنا عليهم رجزاً من السماء بما كانوا يظلمون) ان انزلنا عليهم العذاب من السماء بسبب ظلمهم.

(واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر) اى كانت فى ساحل قلزم ، وهى ايلة كما قيل (اذ يعدون فى السبت) اى يتعدون بصيد السمك فيه (اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً)اى ظاهراً عليهم وفى وجه الماء (ويوم لايسبتون لاتأتيهم) اى فى غير السبت لاتأتيهم ظاهرة(كذلك نبلوهم) اى نمتحنهم بما كانوا يفسقون اى بخروجهم عن طاعة الله، والله الهادى.

قوله تعالى **و اذقالت امة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم اومعذبهم عذاباًشديداً قالوا معذرةالى ربكم ولعلهم يتقون(۱۶۴) فلمانسوا ماذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون (۱۶۵) فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين (۱۶۶) واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم**

---

(۱) الزحف تقارب القدم الى القدم فى الحرب (مجمع البحرين)

(۲) الاست العجز وقديراد به حلقة الدبر (مجمع البحرين)

سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم (١٦٧) وقطعناهم في الارض امماً منهم الصالحون ومنهم دون ذلك و بلوناهم بالحسنات و السيئات لعلهم يرجعون (١٦٨) فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفرلنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لايقولوا على الله الا الحق و در سواما فيه والدار الآخرة خيرللذين يتقون افلاتعقلون (١٦٩) والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة انا لانضيع اجرالمصلحين (١٧٠)

(واذقالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديداً) اى اذكر حين قالت فرقة من اهل ايلة ، للناصحين للمتعدين ، لماذا تعظون هذه الطائفة الظالمة التي يهلكهم الله، اويعذبهم عذاباً شديداً ، اى ليسوا قابلين للموعظةوالحسنة (قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون) .

اى نعظهم لامرين (الاول) كونها معذرة الى الله و موجبة لعذرنا عندالله ، لكون النهى عن المنكرواجبا عقليا ، فان الانجاء من الهلكة الدنيوية، لااشكال فى حكم العقل بلزومه عند القدرة ، فالهلكة الاخروية لمن اعتقد بها يكون الزم،فالنهى من باب الامتثال للمولى ، قاطع لعذرالناهي و اعتذار منه بالنسبة الى الله (الثانى) لاحتمال التأثير فيهم ، فالامر الاول لاجل حفظ النفس ، والثانى لاجل حفظ الغير.

(فلمانسواماذكروابه) اى بعد عدم أخذهم بالموعظة والنصيحة، وصيرورتهم اقساماً ثلاثة (الاول) الناصحين (والثانى) الساكتين (والثالث) الظالمين (انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بماكانوا يفسقون) اى انجينا القسم الاول ، واخذنا الظالمين بعذاب شديد بسبب فسقهم .

قيل ان المأخوذ خصوص القسم الثالث ، واما القسم الثانى وهم الساكتون فمسكوت عنهم فى الاية الشريفة .

ونقل عن ابن عباس انه قال : ما ادرى مافعل بالفرقة الساكتة ، وقال عكرمة لم تهلك لانها كرهت ، وروى الحاكم رجوع ابن عباس الى ذلك .

اقول: لم يحضرني كتاب اخبار اهل العصمة عليهم السلام ، والمتعين ماعيّن فيها(١) ومع قطع النظر عنها يحتمل ان يقال : ان كانت الطائفة الساكتة ضعفاء العقول ، ولم تحكم عقولهم بلزوم انجاء الغير مهما امكن فالنهى عن المنكر غير لازم عندهم فذيل الاية لايشملهم ، فحالهم في النجاة كحال القسم الاول ، اذ العقاب من دون بيان و حجة يكون قبيحاً وان لم يكونوا كذلك ، فذيل الاية يشملهم ، لكونهم ظالمين بعدم النهى عن المنكر ، و فاسقين وخارجين عن طاعة الله بسبب ذلك .

(فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) اى لماتكبروا، وتجبروا عن نهيهم امرنا امراً تسخيرياً بصيرورتهم قردة ، من باب تصغيرهم على خلاف مرادهم من الكبر والعتو فصاروا قردة (واحتمال) كون ذلك خلاف العقل ، لان التناسخ (٢) ، والمسخ ، والرسخ ، والفسخ ، قد دل الدليل العقلى على بطلانها ،

---

(١) عن ابى جعفر عليه السلام في قول الله عزوجل : فلما نسوا ما ذكروا به ، قال كانوا ثلاثة اصناف ، صنف ائتمروا وأمروا، وصنف ائتمروا ولم يأمروا ، وصنف لم يأتمروا ولم يأمروا فهلكوا (تفسير البرهان ج٢ ص٤٣)

(٢) قال بعض الافاضل : قد يتوهم ان القول بتعلق الارواح بعد مفارقة ابدانها العنصرية باشباح اخر كما دلت عليه الاخبار ، قول بالتناسخ ، و هذا توهم سخيف لان التناسخ الذى اطبق المسلمون على بطلانه هو تعلق الارواح بعد خراب اجسامها باجسام اخر فى هذا العالم مترددة فى الاجسام العنصرية .

واما القول بتعلقها فى عالم آخر بابدان مثالية مدة البرزخ الى ان تقوم قيامتها الكبرى فتعود الى ابدانها الاولية فليس من التناسخ فى شيء انتهى (مجمع البحرين) فى مادة (روح وقال فى مادة(نسخ) قال الفخر الرازى نقلا عن (بعض الافاضل):ان المسلمين يقولون بحدوث الارواح وردها فى الابدان لا فـى هذا العالم التناسخية ويقولون بقدمها و ردها اليها فى هذا العالم و ينكرون الاخرة والجنة والنار ، و انما كفروا من هذا الانكار (انتهى)

فلا يدخل النفس الانسانية فيبدن انسان(١)، ولا في بدنحيوان وهو الثاني (٢) ولا دون حيوان وهو الباقي (٣) (مدفوع) بما ذكرنا مرارا ، ان على فرض القبول ، الباطل هو الخروج من بدن انسان والدخول في البدن الانساني الاخر، اوالدخول فيبدن الحيوان ، اوالتعلق بالجماد والنبات .

(واما كشف)الغطاء والحقيقة فلا استحالة فيهقطعاً عند احد من اربابالعقول ولما ان الانسان يكون تمام الحقائق فيه مأخوذة بنحو اللابشرط، و له التجاوز من كل حد الى حد آخر ، فهذهالطائفة كانوا قردة في الباطن، والشكل الظاهري كان انسانا، فكشفالغطاء فانبتت الشعروالذنب، وحصل الخرس لهم، والمرادبمسخهم ذلك، اي كشف حقيقتهم وقرديتهم الباطنية.

(واذتأذن ربك ليبعثن عليهمالى يوم القيامة من يسومهم سوء العذابانربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم) اي اذكر اذا علمالله تعالى ان يبعث علـى ضرر اليهود الى الابد من يصل اليهمالعذاب السوء، لما صدر منهم من افعالهممع كثرة البينات فلا سلطان لهم ويؤخذ الجزية منهم، ويكونون في ذل الغير لانالله يسرع في العقاب على العاصين، ولعلـّهللطفه عليهم،حتى لايشتد عذابهم، وغفوررحيم،اى كثير الغفران والرحمة على المطيعين .

---

(١) ذهب الاكثر من العقلاء الى بطلان هذا المذهب، والدليل عليه انا قد بينا ان النفوس حادثة وعلة حدوثها قديمة ، فلا بد من حدوثاستعدادوقت حدوثها ليختصـّصذلك الوقت بالايجاد فيه،والاستعدادانما هوباعتبار القابل ، فـاذا حدث الاستعداد وتم وجبحدوثالنفسالمتعلقةبه، فاذا حدث بدن وتعلقتبه نفسيحدث عن مباديها،فاذا انتقلتاليهنفساخرىمستنسخة(منسلخةـعنه خ)لزم اجتماع النفسين لبدن واحدوقدبينا بطلانه (كشف المراد فيشرح تجريد الاعتقاد).

(٢) يعني المسخ

(٣) يعني والرسخ والفسخ .

(وقطعناهم فی الارض امماً منهم الصالحون و منهم دون ذلك) ای صارت جمعیتهم متبدّلةبالتشتت ، وحصل الافتراق بینهم فی الارض بعد انقضاء سلطنتهم ، وصاروا طوائف، بعضهامن الصلحاء والاخیار، وبعضها ادنی من ذلك.

(وبلوناهم بالحسنات والسیئات لعلهم یرجعون) ای‌اختبرناهم بالامورالحسنة والامور السیئة ای الرخوة والشدة والنعمة والنقمة، لان یرجعواالی الله .

(فخلف من بعدهم خلف ورثوا الکتاب یأخذون عرض هذا الادنی)ای‌بقیت منهم ذراری و خلفاء، وهم‌من اهل‌العلم، ولکنهم یأخذون المتاع الدنیوی،ونظرهم الی الدنیا.

(ویقولون سیغفرلنا وان یأتهم عرض مثله یأخذوه) ای یرتکبون‌المعاصی بلحاظ قولهم: ان‌الله یغفرلنا، و فی صورة توجه متاع آخر الیهم فی صورة صدور المعصیة یرتکبون‌المعصیة بلحاظ اخذ عرض ومتاع، مثل ما اخذوا سابقاً ، والحال ان‌المغفرة فی کتبهم‌فی‌غیر صورة الاصرار والتکرار.

(الم یؤخذ علیهم میثاق الکتاب ان لایقولوا علی‌الله الا الحق) ای قد اخذ علیهم ، والاستفهام انکاری ، والمأخوذ عنهم المیثاق فی الکتاب هوالقول الحق اذا نسبواالی‌الله، وان‌لایکذبوا علیه،فقولهم‌ان‌الله‌یغفرلنا مع‌انهماکهم،خلاف‌المیثاق و الظاهر ان المراد فی صورة عدم‌التوبة وکون الغفران للتفضل ،واما معها فالقبول وجوبه‌عقلی.

(و درسوا مافیه) ای قرؤا وعلّموا الکتاب ، فکیف یقولون بالمغفرة مع الاصرار (والدار الاخرة خیر للذین یتقون افلا تعقلون) ای لم یأخذون بالمتاع الدنیوی، والحال ان الاخرة لبقائها خیر لاهل التقوی؟ الم یکن لهم تعقل.

(والذین یمسّکون‌بالکتاب واقاموا الصلوة انا لانضیع اجر المصلحین) ای من تمسك بالکتاب، وهو التوریة والانجیل، کابن سلام واتباعه ، اوغیرهم‌واقاموا الصلوة ای لاتّباع النبی ﷺ والجزاء محذوف ای‌لا نضیع‌اعمالهم، لانا لا نضیع اجر الصلحاء، وهم الصلحاء ای من یعمل عمل الصالحین ، او انهم یصیرون سبباً

لصلاح آخرين واقتدائهم بهم ، فهم من المصلحين ، والله الهادى .

قوله تعالى : **واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون (١٧١) واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريّتهم واشهدهم على انفسهم الست بربّكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين (١٧٢) او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل و كنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون (١٧٣) وكذلك نفصل الايات ولعلهم يرجعون (١٧٤) واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين (١٧٥) ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هويه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون (١٧٦) ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وانفسهم كانوا يظلمون (١٧٧) من يهدالله فهوالمهتدى ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون (١٧٨) .**

(واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة و ظنوا انه واقع بهم) اى اذكر حين رفعنا الجبل وقلعه من اصله ، بحيث جاء فوق رؤسهم كالشيء الذى يظل عليهم ، لاجل قبول احكام التورية والعمل عليها ، حيث كان العمل على طبقها ثقيلا وشاقا على اليهود ولم يريدوا ان يأخذوا به ، وبسبب هذا المطلب قبلوا ان يعملوا على طبقها، خوفاً لظنهم ان الجبل يقع عليهم ويهلك جميعهم .

(خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا مافيه لعلكم تتقون) اى خذوا احكام التورية التى آتيناكم للعمل على طبقها بقوة فى امتالها وعدم اظهار العجز، والتفتوا واعملوا

ما فيه ، لعله يحصل لكم التقوى ، اى العمل عليها مقتض لترتب التقوى ، و هو الخوف الاخروى من الله ، او التوكل عليه واخذه وقاية من تمام الشرور، فتعقيب التقوى يظنّ حصوله لوجود المقتضى .

(واذ اخذربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى) اى اذكر حين اخذ الله من اولاد آدم (من ظهورهم) يكون بدلا، اى اخذ الله من ظهور اولاد آدم ذراريهم وما فى اصلابهم ، واخذهم شاهدا على ضررهم بالتوحيد ، وان الله رب الكل ، وقالت تلك الذرارى : بلى ، اى انك ربنا ولا اله الا انت .

اعلم انه وقع الكلام فى مفاد تلك الاية الشريفة وان المراد منها اى شىء ، فقال المحدثون بان الله تعالى فى عالم الذر ، و عالم الميثاق اخرج من صلب آدم عليه السلام تمام اولاده الى يوم القيامة ، بشكل الذرات والنملة الصغيرة ، واشهدهم على التوحيد فى ذلك العالم واقرّوا على التوحيد ، ثمّ بعد مجيئهم الى الدنيا نسي من نسي واشرك من اشرك .

فأوردعليهم اويورد عليهم وجوه من الاشكال (الاول) ان ذلك العددالكثير كيف يمكن اندراجهم فى ظهرآدم عليه السلام وصلبه لانه يلزم ان يكون لكل واحدتمام الاعضاء من العين، والسمع، والقلب حتى يحصل لهم الالتفات، ومع ذلك لايمكن اجتماع جميعهم ، وهم الاف ملائين فى الصلب الواحد .

(الثانى) انهلاى جهة حصلت لهم العلم مع ضعفهم فى المداركالجثة، وبعد مجيئهم فى الدنيا وتولدهم وزمان الرضاع وبعده الى قليل ، لاعلملهم بهذه الامور العالية اصلا ، بل لولم يعلّمهم اياهالايلتفتون الى ذلك الا الاوحدى منهم .

(الثالث) ان فعلالحكيم لايخلوعن الغرض، فان كان عالم الذرعالمالتكليف و يحصل الكمال فيه ، فالاتيان فى عالم الدنيا خصوصاً لمن يعلم الله انه يشرك لا فائدة فيه ، بل يكون نقض الغرض للحكيم تعالى، وان لم يكن، فلا فائدة فيه ايضاً.

(الرابع) ان الله تعالى عيّن الغرض وهو قوله (ان تقولوا يوم القيمة الخ)،

فكان الله تعالى قـال ، ذلك المطلب لوجهين : (الاول) اتمام الحجة حتى لاتقولوا يوم العذاب انـا كنا غافلين (الثانى) ان لاتقولوا ان آبائنا اشركوا ، ونحن لضعفنا تبعناهم فـى العقايد ، ومع ذلك يكون عذابك لنا عذاب من يفعل باطلا ، وحينئذ فلابد ان يكون ذلك الميثاق قاطعاً للحجة ، ورافعا للعذر فى التقليد ولا يكون اخذ العهد يوم الميثاق كافيا للعالم الدنيوى ، اذ ليس احد يذكر ذلك العالم بالوجدان من جميع ولد آدم ، فحيث لاعلم ولا برهان ، فمن اين يجيء قطع العذر ، وقبح العقاب من دون بيان فى الدنيا من المسلميات عند الكل .

(الخامس) ان ذلك خلاف ظاهر لفظ الاية الشريفة اذ قال الله تعالى : مـن بنى آدم لامن آدم عليه السلام ، فالحق ان الاخبار(١) الواردة الظاهرة فى ذلك ناظرة الى ما ذكره المحققوق مقتبسين من انوارهم عليهم السلام ، او الى امرا على من ذلك .

ومحصّل مايقال فـى معنى الاية الشريفة على حسب عقولنا ، ان المراد من آدم هو آدم العقلانى، اى بعض المراتب العقلانية التى يصل آدم عليه السلام اليه، والمراد من بنى آدم معاليل ذلك الادم العقلانى ، حيث انهاابناء للعقل الاكمل ، ومن جهتها القوية ـ وهـى الظهور ـ اخذ ذراريهم فـى تلك العقول ، لان العلة مشتملة على المعلول على نحو ابسط .

بل الحق ان فاعليتها لها كعلمها الاجمالى فى عين الكشف التفصيلى ، و فى هذاالتجلى لحصول القرب واشتدادالنورية لم يكن حاجب للعقل وجهتها من موانع الشهوة ، والغضب ، والكبر وسايـر الموانع ، فاعترف الانسان بتمام افراده حيث ان فصله الاخير درك الكلى ، فحقيقته هـو فصلها الاخير ، والادراك الكلى عقـل ، فتكون حقيقته عقلانية بتوحيد الله وساير المعارف الحقة .

ثم اذاتنزل حتى يجييء الى العالم الدنيوى لاعلى نحو التجافى، بل على نحو

---

(١) راجع أصول الكافى ج ٢ ، باب طينة المؤمن والكافر والبابين اللذيـن بعده وفيها بعض التعاليق المفيدة من العلامة الطباطبائـى صاحب تفسير (الميزان) ـ قدس سره ـ من الطبع الاخوندى .

صدورالمعلول من العلة ، حفّت الافراد للوازم الدار، بمايلزمها من الشهوات وساير المزاحمات ، ولكن العقل يكون موجوداً ، واودع الله العرفان في العقل على نحو الخفاء بحيث لو تأمل أحد وتوجه من الظاهر الى الباطن، يرى الحق الواقع ببركة العقل ، وينتقل الى مافى كمون ذاته ، ومن لايعرف، فهو لتقصيره وترجيحه الموانع العرضية على حقيقته الذاتية ، فبسبب اعطاء العلم فى المرتبة العقلانية الموجودة مع الانسان التى جاء من العالم العقلانى يقطع العذر ، بانا لم نعلم او تبعنا آبائنا فان النور معه .

ولو فتح عينه يرى النور ، وعدم الرؤية من باب غمض العين لايقطع العذر، ووجوب الطلب من البراهين العقلية قد حصل ، فالتفكر يكون لازماً ، وبه يتوصل والمقصر غير معذور .

فالفائدة حاصلة ، والايرادات مندفعة ، والاخبار لاتنافى ماذكرناه خصوصاً بعدكون العلم السابق علما حضوريا اجماليا فى عين الكشف التفصيلى، فالذرارى عند آدم بمرتبته العالية كذلك ، والله الهادى .

(وكذلك نفصل الايات ولعلهم يرجعون) أى بالامور العقلانية نفصل الايات ، وهى محبوبة ذاتاً ، ولاجل حصول الرجوع الى الله(١) فانه مطلوب ذاتى مترتب على مطلوب .

(واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها) أى اقرء على أهل الكتاب ، خبر من اعطيناه العلم الشهودى لبعض الايات أو كلها ، لصفاء نفسه حيث ان الله لايكون بخيلا ، فخرج منها واخرج نفسه منها ، كخروج صاحب الجلد من جلده ، وهو بلعم ابن باعور (فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين) أى تبع الشيطان لفعله ، حيث ان مابالعرض يطرء على مابالذات ، واذا لم يغلب جهة المزاحمة العقلية عليها، لاسلطنة للشيطان فكان المتبوع من اهل الغواية .

---

(١) أى نفصل الايات لاجل حصول الرجوع الخ .

(ولوشئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض) أى لواردنا مزاحمة القوى بالقائها من مرتبتها وتضعيفها ، لرفعنا مرتبته بسبب الايات التى يعلمها شهوداً ، ولكن ليس دأب الله علىخلاف ارادة الانسان بتمام جهاته ، وهوقد مال ميلاخلوديا الى الدنائة فتركناه (واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث اوتتركه يلهث) اى تابع هوى نفسه فمثل ذلكالشخص فى اختيارالذل كمثل الكلب يخرج لسانه على اى حال سواء حمل عليه اويترك .

(ذلك مثل القوم الذين كذّبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) اى هذا المطلب مثل من كان مؤمناً ثم كذّب ، فكما ان الاتيان السابق لم ينفع بحال ذلك الشخص ، فكذلك تصديق اليهود أو النصارى للكتب السابقة لاينفع ، مع تكذيبهم لمحمد ﷺ وبين لهم تلك المطالب (لعلهم يتفكرون) ويلتفتون بالفكر الى الحق .

(ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وانفسهم كانوا يظلمون) أى يكون مثل المكذّبين ، مثلا سوءً وهم بظلمون على أنفسهم .

(من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون) أى الهداية من الله ، والاضلال هو الخسران الدائم ، والله الهادى .

قوله تعالى : ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهـم قلوب لايفقهون بها ولهم اعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها اولئك كالانعام بلهم اضل اولئك همالغافلون(١٧٩) ولله الاسماءالحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى اسمآئه سيجزون ماكانوا يعملون(١٨٠)وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون(١٨١)والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لايعلمون(١٨٢) واملى لهم ان كيدى متين(١٨٣) اولم يتفكروا مابصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين(١٨٤) أولم ينظروا فى ملكوت

السموات والارض وما خلق الله من شيء وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون(١٨٥) من يضلل الله فلاهادى له ويذرهم فى طغيانهم يعمهون(١٨٦) يسئلونك عن الساعة ايان مرسيها قل انما علمها عند ربى لايجليها لوقتها الا هو ثقلت فى السموات والارض لاتأتيكم الا بغتة يسئلونك كأنك حفى عنهـا قل انما علمها عنـد الله ولكن اكثر الناس لايعلمون(١٨٧)

(ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس) أى لقد خلقنا للادخال فى الجحيم جماعة كثيرة من الجن وجماعة كثيرة من الانس، والمراد بالخلق لهم لجهنم ،(اما) بأن عاقبتهم الى النار باختيارهم ، فاللام فى لجهنم لام العاقبة ، كاللام فى ليكون لهم عدواً .

(واما) بأن الخلق له لاجل ان ذواتهم باستعداداتها وافعالها الاختيارية طالبة حقيقة لدخول جهنم ، فان من يعلم ان السم يهلكه ومع ذلك لحلاوته مثلا يستعمله ، ولو لاجل درك غير الهلاكة لكنه يدرى بتقارنه مع الهلاكة يكون متوجهاً الى الهلاكة وطالبا لها ، من حيث استلزامها لما يقارنه من كثرة الوقاع اوشيء آخر ،فالعالم بأن الموجبات للنار علـّة للنار،اوصورتها الاخروية، النار ومع ذلك لكونها من الشهوات أو الغضبيات يطلبها فهى طالبة للنار ، والله لايحرمه عن مطلوبه بالاختيار ، اعطاءاً لكل ذى حق حقه .

والجن مخلوق من سنخ القوة المتخيلة ، أى حدّ وجوده المقدارى اللطيف كالخيال ، له الشكل والاعضاء والتناكح والتناسل كماتجتمع الخيالات ، وتنضـّم وتحصل منها النتايج ، فكما ان الانسان ينتقل من الانوار الاسفهبدية والنفوس المجردة ذاتاً لافعلا الى ارباب الانواع ، فينتقل ايضاً من قوته المتخيـّلة الى القسمين من المقداريات :

قسم منها واقع فى سلسلة الطول ، ويكون ذرّافى النزول ، وبرزخاً فى الصعود، وهوعالم الملائكة القدرية، والجنة المتوسطة والجحيم .

وقسم منها واقع فى عرض ذلك العالم وينقسم ايضاً على قسمين (المؤمن) وهو يسمى فى لسانالفرس بلفظ (پرى) بفتح الپاء المثلثة ، والكافر وهوالشيطان، وعلم هذا القسم الواقع فى عرض عالمنا محدود ، ولايكون من العقليات لهم حظ ، ولهم الاتصال بالانسان ، في الخيالات الصحيحة الجيدة ، والباطلة الردية ، والاول للقسم الاول ، والثاني للثانى .

(لهم قلوب لايفقهون بها ولهم اعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها) اى قلوبهم لاتدرك الحق الواقع ، لختمها وطبعها باختيارهم ، فمن باب شهواتهم واهويتهم لايفهمون ولاينتقلون من المبادى الىالنتايج ، واعينهم لاتبصر الدلائل الافاقية المشهورة ، نظر اعتبار دقيق وآذانهم لاتسمع الاصوات الحقة ، من الانذاراتوالمواعظ، والنصايح، والعلوم الصادرةمن المعلّمين بالتلفظ (اولئك كالانعام بل هم اضل اولئكهم الغافلون) اى حالتلك الاشخاص من الجنوالانس حال الانعام في عدم الفهم والاعتبار ، وعدم انتقالهم من كل واحد من تلك الامور لما أعدّ لهم ، بل هم اضل لان الانعام يسعون الى ملائماتهم وينفرون من منافراتهم بخلاف هؤلاء ، اذ يدركون العذاب الاخروى وينفرون عنه ، ولكنهم يسعون اليه باختيارهم ، وكذا فى تفويت الملائمات ، فالغافل منحصر بهم ، ولايقاس الانعام بهم .

(ولله الاسماءالحسنى فادعوه بها) اى تكونللهالاسماء المتعددة، (ولايتوهم) ان تعدد الاسماء موجب للقول بوجود الكثرة فى الذات ، ولو كثراعتبارية ، وهى منافية للبساطة،وموجبةللحدوالتركيب الموجبين لخروجالواجبعنوجوبهوانقلابه ممكنا (اذ قد ذكرنا) سابقا ان احاطة المتناهي باللّاتناهي تكون محالا ولما كنا من المحدودين فادراكنا يكون محدوداً ، لكون العلم عين العالم والاسم .

مأخوذ من السمة ، وهى العلامة ، ومايعلم به الشيء ، وحيث أن العلامة للممكنات، وهى باجمعها محدودات ، وعلومها متناهية محدودة، من الصادرالاول

الى ادنى المخلوق ، فلايمكن العلم الغير المتناهي لهم ، ففي صورة عدم التحديد لاعلم للممكنات ، فلابد من المحدودية الا ان القوة العمالة تخلّى حين التخلية فمع كون مدركنا الحاضر عندنا ، بالعلم الحضوري ، او الحصولي محدودا ، لنا ان نخلي المعلوم عن الحد كما أنا نعلم أنه تعالى غير محدود .

والحاصل أن الكمال في الذات ، والحد من قصور ادراك المدرك ، لولا الحد ، فلابدّ أن يدرك محدوداً ثم يلقى الحدّ بسبب القوة العمالة، فلايلزم التكثر ولواعتباراً ، اذ من حيث الكمال يكون العلم والقدرة والسمع والبصر والحيوة وغيرها واحدا ، ومن حيث الحدود والامتيازات ليست لهاواقع ، بل بلحاظ قصور المدرك كماسبق .

وكلها حسنة لكون الحسن وغيره في اللفظ بلحاظ ماينتقل اليه ، ومن تمام الاسماء ينتقل الى الكمالات ، مع عدم كونها ثقيلة على الالسن والاسماع فادعوا الله بتمام تلك الاسماء ، ولاشيء اعلى من هذا الترخيص العام للمحب .

(وذروا الذين يلحدون في اسمائه) اى أتركوا الاشخاص التى يستعملون الالحاد في أسماء الله، ويطلقونها على الاصنام بتغيير مّا كاطلاق اللاة وهي الاله بتغيير، واطلاق العزّى التى هي العزيز ، والمناة هو المنان بتغيير ، فيلحدون ويميلون عن الحق ، بسبب هذه الاطلاقات لارادتهم التشريك ، وتحطيط مرتبة الله ، وتعلية ماصنعوها وهي الاصنام (سيجزون ماكانوا يعملون) اى لايصل الى الله النقص ، ولايرتفع مقامهم وصنائعهم ، ولكنهم يجزون على طبق اعمالهم .

(وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون) اى قسم من الخلق مهتدون الى الحق، وبه يميلون عن الباطل لمتابعة عقولهم (والذيق كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لايعلمون) اى نأخذ المكذبين درجة درجة ، اى متدرجاً ناخذهم ونميتهم في حال عدم علمهم لان القوى دائماً في الحركة والتبديل حتى تتم ماهو مقصودهم، وهم لانهماكهم في الشهوات لايعلمون سيرهم الى الله ، وان كل آن يقربون الى الموت .

(وأملي لهم أن كيدي متين) اى أمهلهم ولاننزل عليهم العذاب، حتى يهلكوا دفعة ، بل بالتدريج يهلكون ، لان كيدى ومكرى متقن ، لاانفصام له ، وكلماوقع من احد بالنسبة الـى احد وكان سوءاًله ، وعن غيرعلمـه ، يسمى مكرا وكيدا ، فالجزاء الذى يعطيه الله بالفعل الاختيارى و ترتب السوء عليه فى حال عدم علم تلك الاشخاص لانهما كهم فى اهويتهم يسمى كيدا (١) .

(اولم يتفكروا مابصاحبهم من جنة ان هوالا نذيرمبين) اى الكفار واهل مكة الذين يقولون ان برسول الله جنة ، اولم يتعقلوا ان الجنة سواء كانت من الجنون، والمراد به سترالعقل ، اوان الجن اتصل به ، وهو المستورعن الانظار ، لاتجتمع مع العقليات ، وكلمات ذلك النبى كلها برهانيات عقلية ، الكاشفة من المجردات من ذات الحق ، وصفاته ، وافعاله ، والوسائط من الجبروتيين ، والملكوتيين ، وهكذا فكيف يكون مصاحباللجن ، اومجنونا مع هذه الاحكام البديعة، والسياسات الغريبة ، فالاستفهام تقريعى ، بل ليس هذا النبى الا المستجمع لتمام الكمالات ، المنبىء عن الاسماء الالهية بقسميها الجلالية والجمالية ، فانذاره بالاولى ، وبشارته بالثانية .

(اولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وماخلق الله من شيء وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون) اى لم لاينظرون فى باطن السموات والعاليات ، وباطن الارض وتمام الاشياء المخلوقة لله، فان الله قداعطاهم العقل ، وبالتأمل يهديهم العقل الى باطن السموات ، من نفوسها وتأثيراتها ودوام حركتها الى الله ، وتشبهابه فى الفيض الدائم ، وكذا باطن الارض من الاطباق ، وكيفية اخذها النوربالانعكاس ، وخروج النباتات والمعادن والحيوان والانسان منها ، وكذا باطن كل قسم من اقسام المخلوقات ، ولم لاينظرون فى احتمال قرب آجالهم ، فيبتدرون باخذالايات الالهية ، ولايتخذونها وراء ظهورهم، فلو لم يؤمنوا

---

(١) قوله : يسمى كيداً ، خبرلقوله : فالجزاء الذى الخ .

بهذه الكلمات العالية ، فباى خبر بعدذلك يعتقدون، اى لايتصور فوق تلك الكلمات

(من يضلل الله فلاهادى له ويذرهم فى طغيانهم يعمهون) اى من اضله الله بسبب سوء اعماله ، يطبع على قلبه ويختم ، فلايدخل فيه النور، وهداية الهادى لايؤثر فى قلب لاتدخله ، ويتركهم فى طغيانهم يترددون ويتحيرون .

(يسئلونك عن الساعة ايان مرسيها قل انما علمها عند ربى لايجليها لوقتها الا هو ثقلت فى السموات والارض) اى يسئلون منك ، ان القيامة اى وقت يقام ، قل فى جوابهم : ان علم قيام القيامة عندالله ، لايظهر القيامة فى وقتها الا الله ، اى ليست اقامتها وابرازها فى العين والخارج بيدالملائكة وغيرهم من الوسائط، وماكانت بهذه العظمة ثقلت أمرها على السموات والارض ، واتيانها اليكم على نحو البغتة لاالتدريج ، ولعل فى ذلك اشارة الى كونها فوق الوقت ، فالسؤال عن الوقت فى غير محله ، ولذلك تكون محيطة بالكل وشاملة لها ، اذ فى النفخة الاولى وهى نفخة الصقع يكون المستثنى بمشيةالله ، الاان فى نفخة القيام لااستثناء وحيث ان بالنفخة الاولى يذهب الكل من البين ، ولاادراك لهم ولااثر، فيرتفع منشأ الوقت الذى هو من حركة الفلك والكواكب او الارض ، والنفخة الثانية ابداعية من الله ، فلاوقت للقيام ، وبعد القيام يصير الامر نحوآآخر .

(يسئلونك كانك حفى عنها)اى يكررون سؤالهم فى ذلك، زعماأنك المستقصى سؤالهم وجدّهم فى ذلك ، اى تطلب أن بعد الاصرار والابرام تذكرلهم ، والحال أنه سؤال فى غير المحل ، وفهمهم غيرقابل لبيان الحقيقة (قل انما علمها عندالله) اىعلم الساعة عندالله، لان علمالله بالاشياء علم حضورى بحضورذات المعلوم لديه، والقيامة بذاتها عندالله ، وابرازها على نحوالابداع منه فلاوقت (ولكن اكثرالناس لايعلمون) اى أغلب الناس غير ملتفتين الى المطلب العالى ولايعلمون الحق من المطلب، والله الهادى.

قوله تعالى : قل لااملك لنفسى نفعا ولاضرآ الاماشاء الله ولوكنت اعلم

الغيب لاستكثرت من الخير ومامسنى السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون (١٨٨) هوالذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشيها حملت حملا خفيفاً فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين(١٨٩) فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون (١٩٠) ايشركون مالايخلق شيئاً وهم يخلقون (١٩١) ولايستطيعون لهم نصرا ولاانفسهم ينصرون (١٩٢) وان تدعوهم الى الهدى لايتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون (١٩٣) ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين (١٩٤) الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركائكم ثم كيدون فلاتنظرون (١٩٥)

(قل لااملك لنفسى نفعاً ولاضراً الا ماشاءالله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء) اى قل لاهل مكة او غيرهم ايضاً ، لست بمستقل فى الوجود ، ولااكون الا ربطاً محضاً ، فلا املك شيئاً من النفع والضر لانى أنّى ، اذ الربط غير قائم بنفسه ، فكيف يقوم به شىء آخر، فقيامى بالله وانا مشيّة الله ، فيقوم بى الاشياء من النفع والضر بلحاظ مشيّته .

ولو كنت مستقلا فى حد ذاتى وعالماً علماً حضورياً بالغيب المطلق وهو الذات الاحدية ، او الغائب من عالم الملك وهو ماكان فى الملكوت وفوقه ، لاستكثرت من الخير بنفسى، ولم يكن لى حد ونقص فى مرتبة من مراتبى، ولم يمسنى السوء ، والحال ان السوء يمس بدنى ، ومرتبتى النازلة فلست بالذات شيئاً ، بل وجودى وكمالي بالغير ، وهو الله ، فما أشاء الا ماشاء الله ، فالخيرات الكثيرة

الصادرة مني من تكميلات النفوس ببيان العلوم والعقايد من الله ، لا من نفسي، وورود السوء على ّلحدّي ونقصي.

(ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون) أى لست الا مبيّنا للصفات الجلالية بالانذارات ، وللصفات الجمالية بالبشارة لاهل الايمان ، فذاتي وصفاتي وقعتا في مرتبة الحكاية عن الجلال والجمال كالمرآت ، ولاحد لي بحيالي .

(هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها) أى الله هو الذى أخرجكم من نفس واحدة ، وهذا هو القدرة التامة ، وجعل من تلك النفس زوجها(يحتمل) ان يكون المراد بالنفس الواحدة هي آدم عليه السلام والزوج هي الحواء ، وقد مرّ سابقاً(١) في قصتهما كيفية خلقها منه وصحتها و(يحتمل) أن يكون الخطاب الى أهل مكة والمراد بالنفس الواحدة ابو القريش ، وجعل زوجه منه اى كانت زوجته من قبيلته لا من الخارج ، وعلى أى حال فذلك الجعل للازدواج ، والراحة والسكون عندها .

(فلما تغشيها حملت حملا خفيفاً فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين) اى لما قاربها انتقلت النطفة اليها ، وحملتها مع خفتّها ، فمرّ عليها الزمان حتى كبرت النطفة وحصل الثقل لها ، واستدعيا من الله أن يجعل الحمل ولدا سويّا تام الخلقة ، وان ذلك يصير سبباً لشكرنا ، فان الشكر يطلق اما لجلب النعمة أو دفع النقمة ، فموضوع الشكر لايتحقق الا على فرض اعطاء الولد السويّ ، وفي صورة الخلاف يكون موضوع الصبر متحققاً لا الشكر، فلا مفهوم للقضية ، اذ يكون الشرط سيق لتحقق الموضوع ، من قبيل (أن رزقت ولداً فاختنه) .

(فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون) أى بعد اعطاء الولد السويّ لهما ، جعلا لله شركاء في الولد الذى أعطاهما الله ، حيث

---

(١) لاحظ ٢٧٥-٢٧٨ ج١ من هذا التفسير

ان المحبة قد حصلت ، وتعلق قبلهما بولدهما فيفرحان برؤيته ووصله ، ويحزنان بعدم رؤيته وبعده ومفارقته ، ويخافان من قهره عليهما ، ويتواضعان لان ينظر اليهما بنظر الشفقة ، ويحبان من يحبّه ، ويبغضان من يبغضه .

والحال انالكامل المطلق لايفرح برؤية غير الله ووصله استقلالا ولايحزن بالبعد والمفارقة من غيره ولايخاف من قهرغيره ولايتواضع عند غيره ولايحب من احب غيره ولايبغض من أبغض غيره .

فهذهالاشياء منالفرح والحزنوالخوفوالتواضعوالحبوالبغض المترتبات على الجهات المتعددة في ذلك الولد ، شركاء لهذه الجهات مع الله تعالى ، فقد حصلت الشركاء المتعددة في ذلك الولد لله ، وهذا الشرك يكون من الاولى تركه لانه شرك ممنوع ، نعمينافي الكمال، والله تعالى لما اصطفى آدم عليه السلام واراد بلوغه نهاية الكمال قال (فتعالىالله عما يشركون) أي آدم عليه السلام وحواء وذراريهما فيحب الاولاد ، ولذا لابد من خلع النعلين في الوادي المقدس ، فلابد أن يكون حب الكامل لكل شيء ، لانه من آثاره وصنعه .

وقالبعض منغيرنا: انالمراد بالشرك جعل اسمالولد عبدالحارث ونقلخبراً (عن غيرطريقنا منسمرة بنجندب الواضح حاله فيالخسّة ، حيث لم يقبل النخلة الاخروية بازاء النخلة الدنيوية) ان الشيطان جاء عند حواء حيث لم يبق لها الولد قال: سميا ولدكما بعبدالحارث حتى يبقى فسميّا وبقي لهما .

وسخافة ذلك القول واضحة ، اذ لوعلمنا بأن المراد بالحرث غير الله وسميا بعبدالحرث فهو الشرك الحقيقي ، وان لم يعلما بلتوهما انه من اسماء الله فلاشرك اصلا ، فلاوجه لاطلاق انهما جعلا شركاء(۱) .

(۱) وقال الطبرسي رحمه الله في المجمع بعد نقلهذا الحديث اللائح منه الكذب : ماهذا لفظه . *

واعتذر يااخوانى كما اعتذرت مكرراً ، ان حين كنابتى لم يوجد لى كتاب الاخبار أوالفقه من آل محمد عليهم السلام وكذلك التفسير، ولم يكن عندى فى وقت هذه الكتابة ، الا مايسمى بالتفسير وهو شبه الترجمة فى الحقيقة ، وهو مايسمى بتفسير الجلالين .

والغرض انى اعلم انه وقع فى تفسير اصحابنا خبر من آل العصمة عليهم السلام فى بيان هذا الشرك، ولكنه ليس ببالى(١) اذ وقت الكتابة قد مضى من وقت خروجى من

---

*وهذا الوجه بعيد تأباه العقول وتنكره فان البراهين الساطعة التى لايصح فيها الاحتمال ولايتطرق اليها المجاز والاتساع، قد دلت على عصمة الانبياء عليهم السلام فلايجوز عليهم الشرك والمعاصى وطاعة الشيطان ، فلو لم نعلم تأويل الاية لعلمنا على الجملة ان لها وجهاً يطابق دلالة العقل ، فكيف وقد ذكر الوجوه الصحيحة الواضحة فى ذلك .

على ان الرواية الواردة فى ذلك قد طعن العلماء فى سندها بما هو مذكور فى مواضعه ولانحتاج الى اثباته ، فان الاية تقتضى انهم اشركوا الاصنام التى تخلق ولاتخلق لقوله : (أيشركون مالايخلق شيئاً وهم يخلقون) وفى خبرهم انهما أشركا ابليس اللعين فيما ولد لهما بأن سموه عبدالحرث وليس فى ظاهر الاية لابليس ذكر انتهى بيانه رفع مقامه .

(١)نذكر حديثاً واحداً تيمناً ، روى الصدوق فى كتاب عيون اخبار الرضا عليه السلام مسندا عن ابى الصلت الهروى (فيما اجابه عليه السلام عن السئوالات فى مجلس المأمون (الى أن قال) قام اليه على بن محمد بن الجهم فقال : يابن رسول الله أتقول بعصمة الانبياء ؟ فقال : نعم (الى ان قال) .

فقال له المأمون فمامعنى قول الله تعالى: فلماآتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما) فقال الرضا عليه السلام ان حواء ولدت لادم خمسمائة بطن فى كل بطن ذكراً وانثى وان آدم وحواء عاهدا الله تعالى ودعواه قالا : لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين . *

بلدي خائفاً يترقب من الكفار المهاجمين ، مايزداد على السبعة والعشرين شهراً ، ولايبقى في الخاطرمع هذه المخاطرات شيء ، وأخاف أن أنسى الفقه والدين كله من طريق الامامية ، ولاحول ولاقوة الا بالله وعليه توكلي .

(أيشركون مالايخلق شيئاً وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصراً ولاانفسهم ينصرون) أي أيجعل أهل مكة شريكا لله مالايكون خالقاً ، وهم مصنوع الغير، ولا قدرة لهم لنصر غيرهم ولالنصر انفسهم ، فهل العاقل يفعل ذلك .

(وان تدعوهم الى الهدى لايتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم امانتم صامتون) اى لكون الاصنام جمادات ، لايهتدون بهداياتكم لعدم ادراكهم، ولافرق في الضرر عليكم في الاخرة ، بين دعوتكم اياهم للهداية ام سكوتكم .

(ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين) اى هذه الاصنام مثلكم في المملوكية لله ، فان كنتم صادقين في الهيتهم فادعوهم ليجيبوا دعوتكم ، فحيث لااجابة فدعوتكم باطلة، والهيتهم مثلها.

(الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركائكم ثم كيدون فلا تنظرون) اى ما وجه القول بالهيتهم ، فانها ليست من المجردات، حتى يقال كمالها بالتجرد ، اذ هي ايضا اجسام مثلكم ، وليست فيها آثار ممتازة بان يقال : انها لسرعة حركتها او لقوتها ، اوشدة نفوذ بصرها او سمعها ، قد وصلت الى حد الكمال فيمتازون عنكم ، اذ لاقدرة لهم في حركة ارجلهم ابداً ولا تحريك اياديهم ، فضلا عن البطش والتحريك بالقوة، ولايبصرون ولايسمعون ابداً حتى يقال: انها اكمل من هذه الجهات ، والدليل على

---

*فلما آتاهما صالحاً من النسل خلقاً سوياً بريئاً من الزمانة والعاهة كانا يأتيهما صنفان ، صنف ذكران وصنف اناث فجعل الصنفان لله تعالى ذكره شركاء فيما آتاهما ولم يشكراه كشكر ابويهما له عزوجل ، قال الله تعالى : فتعالى الله عما يشركون فقال المأمون : اشهد انك ابن رسول الله حقاً .

فقدان قدرتها انكم اطلبوا منها كيدى، وعدم امهالى، ثم باعانتهم كيدون ولا تمهلونى، والله الهادى .

قوله تعالى : **ان وليى الله الذى نـزل الكتاب وهو يتولى الصالحين (١٩٦) و الذين تدعون من دونه لايستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون (١٩٧) وان تدعوهم الـى الهدى لايسمعوا وتريهم ينظرون أليك وهم لا يبصرون (١٩٨) خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين (١٩٩) واما ينزغنك مـن الشيطان نـزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم (٢٠٠) ان الذين اتقـوا اذا مسهم طائف مـن الشيطان تذكروا فاذا هـم مبصرون (٢٠١) واخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لايقصرون (٢٠٢) واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قـال انما اتبع ما يوحى الى مـن ربى هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (٢٠٣) واذاقرىءالقرآن فاستمعواله وانصتوا لعلكم ترحمون (٢٠٤) واذكر ربك فى نفسك تضرعاً و خيفة ودون الجهر من القول بالغدووالاصال ولاتكن من الغافلين (٢٠٥) ان الذين عندربك لايستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون (٢٠٦) .**

(ان وليى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) اى اولى بنفسى والمتصرف فى ذاتى وصفاتى وناصرى وحافظى ودافع شركم عنى (الله الذى نزل الكتاب) اى القرآن الجامع لجميع المعانى الكمالية على نحو الاجمال فى مرتبة كاملة فوق الكل وعلى نحو التفصيل والفرقانية فى بعض مراتبها النازلة فالفانى الذى يكون عيبةعلم الله تعالى، من المخلوق(١) والله قدقبل ولاية امور الصلحاء من عباده ، فتصرفاتهم تصرفات الله ، وايديهم يد الله .

---

(١) من هنا سقط كلمة وضاع .

(و الذين تدعون من دونه لايستطيعون نصركم و لا انفسهم ينصرون) اى الاصنام وغيرالاصنام الذين ليس لهم الاستقلال فى قبال اللهلايقدرون على نصركم، لو اراد احدا ايذائكم ، وتوجه اليكم شر، ولايقدرون على نصر انفسهم ، لو اراد احدكسرها او اهلاكها من غير الاصنام.

(وان تدعوهم الى الهدى لايسمعوا) اى ليس لهم سمع حتى يحصل لهم فهم سماع الدعاء ، فضلا عن الالتفات ، اى الاصنام ، وسقوط النون للمجزومية بالجزائية (وتراهم ينظرون اليك وهم لايبصرون) اى ترى الاصنام ـ يا محمد ﷺ ـ كالناظر اليك ، لما صنعوا لهم من الاعين ، ولكن لاقوة لهم لان يبصروا ، لان النظر حقيقتاً تقليب الحدقة الصحيحة نحو المرئى طلبا لرؤيته و ذلك لايتانى فى الجماد .

(خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عنالجاهلين) اى سامح مع عبدتهم اذلم تعمل ماكان حسناعند العقل والشرع، واعرض عن كلمات الجاهلين ، فانالمتوقع منهم ليس الا مـا يظهرونه ، وسيصل وقت قيام الجحة عليهم ، ولاتقابلهم بالسفه ، صيانة لقدرك فان مجاوبة السفيه تضع عن القدر .

(وامابنزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم) اى ان نالكمن الشيطان وسوسة ونخسة فى القلب ، بما يسول للانسان من استعمال خلاف العفو والاعراض بنحو المرور من الخيالات لا المستقر ، فاستعذ بالله من الشيطان ، سل الله عزوجل ان يعيذك منه ، فانه لايؤثر فيك ابداً، ان الله يسمع ويعلم استعاذتك.

(ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف مـن الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) اى اهل التقوى من المتوكلين على الله، اذا لمستهم وسوسة الشيطان او اتباعه فى خيالهم ، تذكروا الله ، وبمجرد هـذا التذكر ، تذكروا عليهم من العقاب ، فيذهب التوهمات الخيالية ، ويظهر العقل النورانى فيهم والقطع البرهانى ، فهممبصرون.

(و اخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لايقصرون) اى لومس الشيطان واتباعه لاخوانهم فيمدونهم فى الغى اى فى الضلال والمعاصى ، ويزينون لهم ما هم فيه ،

حتى يحصل لهم الغى فوق الغواية ، ويسرى منهم الى غيرهم ، ويضلون الباقى .

(واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل انما اتبع ما يوحى الى من ربى) اى اذا لم تأت لهم بما يقترحون ويشتهون بهواء أنفسهم ، يقولون ، هلا جئتنا به من قبل نفسك وهلااخترتها اى لاجل اى شيء مااخترتها؟ وقل فى جوابهم (انما اتبع ما يوحى الى من ربى) هذا بيان لقطع العذر ، لاماتشتهى أنفسكم، ولايكون غرضكم الايمان به .

(هذا بصائرمن ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) اى هذاالكتاب مجموعة البصائر ، لاشتماله على الاجزاء ، وكل واحد منهابصيرة ، ودلالة ظاهرة ، وحجة واضحة ، من الايات الافاقية ، والا نفسية والسمعية ، الدانية، والخيالية ، والعقلانية والمشاهدية ، حتى يبصر الانسان بها امور دينه .

وقد ذكرنا فى بعض رسائلنا ، ان القرآن مشتمل (على) التحدى الدانى من حيث ان جميع افراد الجن والانس ، لو اجتمع الكل لايأتون بمثله ، و(على) التحدى التوسطى وصرف الذهن عن الاتيان بسورة من السور ، مع ان الكلمات والحروف من سنخ الالفاظ والحروف المتداولة ويمكن الاتيان بمثله وهو بصيغة الخطاب المختص بالحاضرين ، لامثل الاول و(على) التحدى العالى لان فيه تبيان كل شيء ، واشتماله على كل شيء من العلوم ، (ولا رطب ولايابس الا فى كتاب مبين) ومن قبل الله ، لعدم امكان الصدور من غيره ، ويكون فيه الهداية والرحمة لمن يستعد للايمان ، فيؤمن به بعد ملاحظته .

(واذا قرىء القرآن فاستمعوا له و انصتوا) اى اذا قال المؤذن . قد قامت الصلوة، وشرع الامام فى القرائة، يلزم على المأموم الاستماع والسكوت، هذاعلى قولنا، وعلى قول مخالفينا وقت الخطبة يوم الجمعة، او العيدين والخطبة، لاشتمالها على القرآن ، اطلق عليها القرآن ، و قال بعض منهم مطلقا ، و ذلك لورودالرحمة عليكم .

(واذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخيفةودون الجهر من القول بالغدووالاصال

ولاتكن من الغافلين) اى اذكرالله فى نفسك بالتسبيح والتحميد بتضرع و خوف ، واذكره ادنى من الجهر فى القول فى الصبح والعشائين (ولاتكن من الغافلين) اى عما امرتك به من الدعاء والذكر .

(ان الذين عند ربك لايستكبرون عن عبادته و يسبحونه و له يسجدون) اى التضرع والخوف من الله لايكشف عن تقصيرهم وخطائهم، بل انهم مع جلالةقدرهم وعلو امرهم يعبدون الله ويذكرونه، ويرون ان لهم الفقر دائماً .

(ولا يستكبرون عن عبادته)اى لايكون لهم الكبر فى العبودية، والتنزيه ونهاية الخضوع، والله الهادى .

وقد فرغت من كتابة ماكتبت فى يوم الاربعاء المطابق للثانى من ربيع

الثانى، من السنة السادسة والثلاثين بعدالالف وثلاثماة

من الهجرة النبوية ـ و انا الغريب عن وطنه

و مملكته فى اسلامبول نور الدين

ابن الشفيع بن احمد

الحسينى العراقى

الايرانى

من بلدة سلطان آباد ـ ولله الحمد

سورة الانفال (٨)

وهي مدنية

غير سبع آيات نزلت بمكة

واذ يمكر بك الى آخر الايات

خمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى (١) (**يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعواالله ورسوله ان كنتم مؤمنين (١)**

الانفال جمع نفل ، والنفل الزيادة على الشيء ، يقال نفلتك كذا اذا زدته ، (وقيل) النفل العطية ونفلتك اعطيتك ، والنافلة عطية التطوع من حيث لاتجب ، ومنه نوافل الصلاة ، والنوفل الرجل الكثير العطية

(يسألونك) اى يسألك يا محمد جماعة من اصحابك (عن الانفال)

---

(١) ومن الاسف انما كتبه المفسر قدس سره (لما كان بخارج مملكة ايران (فى حال الحرب مع الكفار والمنافقين) قد ضاع منه ره سورة الانفال ، وقد صرح هو قده (كما يأتى فى مقدمة تفسير سورة يوسف) بانه قد كتب من اول سورة البقرة الى آخر سورة البراءة .

ولما كان الفصل بين سورة الاعراف وسورة البرائة ، بسقوط سورة الانفال غير مطلوب لشدة الارتباط بين سورة البرائة وسورة الانفال) اضفنا نحن ما اخذناه من تفسير مجمع البيان بعين عباراته لئلا يختل النظم ما امكن ، والله الموفق للصواب والسداد (المصحح)

اختلف المفسرون في الانفال هيهنا . (فقيل) هي الغنائم التي غنمها النبي ﷺ يوم بدر ، وهو المروى عن عكرمة ، عن ابن عباس ، و مجاهد ، وقتادة . و الضحاك ، وابن زيد .

(وقيل) هي انفال السرايا ، عن الحسن بن صالح بن حي .

(وقيل) هي ماشذ عن المشركين الى المسلمين من عبداوجارية من غيرقتال او ما اشبه ذلك ، عن عطاء .

(وقيل) هوللنبي ﷺ خاصة يعمل به ماشاء .

(وقيل) هوماسقط من المتاع بعد قسمته الغنائم من الغرس والزرع والرمح عن ابن عباس في رواية اخرى ، وروى عنه ايضاً انه سلب (١) الرجل و فرسه ، ينفل النبي ﷺ من شاء .

(وقيل) هي الخمس الذي جعله الله لاهل الخمس، عن مجاهد في رواية اخرى

وصحت الرواية عن ابيجعفر وابيعبدالله عليهما السلام انهما قالا : ان الانفال كل ما اخذ من دار الحرب بغيرقتال ، وكل ارض انجلى اهلها عنها بغيرقتال ، ويسميها الفقهاء فيئاً وميراث من لاوارث له ، وقطائع الملوك اذا كانت في ايديهم من غير غصب والآجام وبطون الاودية، والارضون الموات، وغيرذلك مماهو مذكورفي مواضعه(٢)

وقالا عليهما السلام هي لله ، وللرسول ، و بعده لمن قام مقامه ، فيصرفه حيث شاء من مصالح نفسه ، ليس لاحد فيه شيء ، وقالا ان غنائم بدر كانت للنبي صلى الله عليه و آله

---

(١) وهوما يسلب من المقتول من ثياب و سلاح و جبة للحرب و الجمع اسلاب كسبب واسباب (مجمع البحرين)

(٢) اجمع عبارة رأينا هافي تفصيل الانفال وبيان مواضعها ما كتبه المرجع الديني الاية الاصبهاني قده في الوسيلة وما كتبه **(الامام الخميني طول الله عمره المبارك)** في تحرير الوسيلة وهي ما هذا لفظه : (القول في الانفال) وهي ما يستحقه الامام عليه السلام على جهة الخصوص لنصب امامته كما كان للنبي ﷺ لمنصب نبوته ورياسته الالهية وهي امور . *

خـاصـة فسـألوه ان يعطيهم ، وقـد صح ان قرائـة اهـل البيت عليهم السلام

---

* (منها) الارض التى لم‌يوجف عليها بخيل‌ولاركاب(كل مالم‌يوجف‌عليها بخيل ولاركاب التحرير) سواء انجلى عنها اهلها او اسلموها للمسلمين طوعاً .

(ومنها) الارض الموات التى لاينتفع بها الابتعميرها واصلاحها،لاستيجامها اولانقطاع الماء عنها ، اولاستيلائه عليهـا ، او لغير ذلك ، سواء لم‌يجر عليها ملك لاحدكالمفاوز اوجرى ، ولكن قد باد ولم يعلم الان .

ويلحق بها القرى التى قدجلا اهلها فخربت،كبابل ، والكوفة ، ونحوهما فهى من الانفال ، ارضها وآثارها ،.وآجرها ، واحجارها .

والموات الواقعة في‌الارض المفتوحة عنوة كغيرها على الاقوى ، نعم‌ماعلم انهاكانت معمورة حال الفتح فعرض لها الموتان بعد ذلك ، ففي‌كونها من‌الانفال اوباقية علي‌ملك المسلمين كالمعمورة فعلاتردد واشكال لايخلوثانيهما عن رجحان .

(ومنها) اسياف البحـار ، وشطوط الانهار ، بل‌كل ارض لاربٌ لهـا وان لم‌تكن مواتاً ، بل‌كانت قابلة للانتفاع بها من غير كلفة كالجزيرة التى تخرج في دجلة ، والفرات ونحوها .

(ومنها) رؤس الجبال ومـا يكون بها من النبات ، والاشجار ، والاحجار ، ونحوها ، وبطون الاودية ، والاجام ، وهى الاراضى الملتفة بالقصب والمملوة من سائرالاشجار من غير فرق فى هذه الثلاثة بين ماكان فى ارض الامام عليه السلام او الارض المفتوحة عنوة وغيرها ، نعم ماكان ملكاً لاحد ثم صار اجمة مثلا فهو باق على ماكان .

(ومنها) ماكان للملوك من قطائع وصفايا .

(ومنها) صفو الغنيمة كفرس جواد ، وثوب مرتفع وسيف قـاطع ، ودرع فاخر، ونحو ذلك .

(ومنها) الغنائم التى ليست باذن الامام عليه السلام .

(ومنها) ارث من لاوارث له .

(ومنها) المعادن التى لم تكن لمالك خاص تبعاً للارض او بـالاحياء *

(يسألونك الانفال).

فقال الله تعالى : (قل) يا محمد (الانفال لله والرسول) ، وكذلك ابن مسعود وغيره، انما قرأوا كذلك على هذا التأويل، فعلى هذا، فقد اختلفوا في كيفية سؤالهم النبي ﷺ، فقال هؤلاء : ان اصحابه سألوه ان يقسم غنيمة بدر بينهم ، فاعلمهم الله سبحانه ان ذلك لله ولرسوله دونهم، وليس لهم في ذلك شيء، وروى ذلك ايضاً عن ابن عباس ، وابن جريح، والضحاك، وعكرمة، والحسن، واختاره الطبري وقالوا: ان (عن) صلة ومعناه يسألونك الانفال ان تعطيهم، ويؤيد هذا القول قوله (فاتقوا الله) الى آخر الاية.

ثم اختلف هؤلاء (فقال) بعضهم: هي منسوخة بآية الغنيمة وهي قوله (واعلموا انما غنمتم من شيء (١)

(وقال) بعضهم ليست بمنسوخة، وهو الصحيح ، لان النسخ يحتاج الى دليل ولاتنافي بين هذه الاية وآية الخمس (وقال) آخرون انهم سألوا النبي ﷺ عن حكم الانفال وعلمها فقالوا : لمن الانفال؟ وتقديره يسألونك عن الانفال لمن هي؟ ولهذا جاء الجواب بقوله : (قل الانفال لله والرسول) (وقال) آخرون : انهم سألوه عن حال الغنائم و قسمتها ، و انها حلال ام حرام كما كانت حراماً على من قبلهم فبيّن لهم ، انها حلال .

---

*مسئلة-١ الظاهر اباحة جميع الانفال للشيعة في زمن الغيبة على وجه يجري عليها حكم الملك من غير فرق بين الغني منهم والفقير الا في ارث من لاوارث له ، فان الاحوط لو لم يكن الاقوى اعتبار الفقر فيه ، بل الاحوط تقسيمه على فقراء بلده .

والاقوى ايصاله الى الحاكم الشرعي ، كما ان الاقوى حصول الملك لغير الشيعي ايضاً بحيازة ما في الانفال من العشب ، والحشيش ، والحطب وغيرها ، بل وحصول الملك لهم ايضاً للموات بسبب الاحياء كالشيعي (انتهى).

(١) الانفال -٤١

و(اختلفوا) ايضاً في سبب سؤالهم، فقال ابن عباس : ان النبي ﷺ قال يوم بدر . من جاء بكذا فله كذا ، ومن جاء بأسير فله كذا، فتسارع الشبان، وبقي الشيوخ تحت الرايات، فلما انقضى الحرب طلب الشبان ما كان قد نفلهم النبي ﷺ وسلم به فقال الشيوخ : كنا ردءاً لكم ، ولو وقعت عليكم الهزيمة لرجعتم الينا، وجرى بين ابي اليسر بن عمرو الانصاري اخي بني سلمة و بين سعد بن معاذ كلام ، فنزع الله تعالى الغنائم منهم وجعلها لرسوله يفعل بها مايشاء، فقسمها بينهم بالسوية .

وقال عبادة بن الصامت اختلفنا في النفل وسائت فيه اخلاقنا ، فنزعه الله من ايدينا فجعله الى رسوله فقسمه بيننا على السواء، وكان ذلك في تقوى الله وطاعته ، وصلاح ذات البين.

وقال سعد بن ابي وقاص: قتل اخي عمير يوم بدر، فقتلت سعيد بن العاص بن امية، واخذت سيفه، وكان يسمى ذا الكتيفة، فجئت به الى النبي ﷺ واستوهبته منه فقال: ليس هذا لي ولالك، اذهب فاطرحه في القبض، فطرحت ورجعت، وبي مالا يعلمه الا الله، من قتل اخي واخذ سلبي وقلت : عسى ان يعطى هذا لمن يبل بلائي، فما جاوزت الا قليلا حتى جاءبي الرسول وقد انزل الله (يسألونك) الاية ، فخفت ان يكون قد نزل فيّ شيء،فلماانتهيت الى رسول الله ﷺ قال يا سعد: انك سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي، فاذهب فخذه فهو لك .

وقال علي بن طلحة عن ابن عباس كانت الغنائم لرسول الله ﷺ خاصة ليس لاحد فيها شيء، وما اصاب سرايا المسلمين من شيء أتوه به ، فمن حبس منه ابرة او سلكا فهو غلول، فسألوا رسول الله ان يعطيهم منها فنزلت الاية .

وقال ابن جريح اختلف من شهد بدراً من المهاجرين والانصار في الغنيمة فكانوا ثلاثاً، فنزلت الاية، وملكها الله رسوله يقسمها كما اراه الله.

وقال مجاهد هي الخمس، وذلك ان المهاجرين قالوا: لم يرفع مناهذا الخمس ولم يخرج منا.

فقال الله تعالى (قل الانفال لله والرسول) يقسمانها كما شاءا او ينفلان منها ماشاءا، او يرضخان منها ماشاءا .

(فاتقوا الله) باتقاء معاصيه ، واتباع ما يأمركم به ، و ما يأمركم به رسوله ، واحذروا مخالفة امرهما.

(واصلحوا ذات بينكم)اى اصلحوا مابينكم من الخصومة والمنازعة، قوله (ذات بينكم) كناية عن المنازعة والخصومة، والذات هيالخلقة والبنية ، يقال فلان فيذاته صالح ايفي خلقته وبنيته ، يعني اصلحوانفس كل شيء بينكم ، او اصلحو حال كل نفس بينكم.

وقيل معناه ، واصلحوا حقيقة وصلكم كقوله (لقد تقطع بينكم) (١) اى وصلكم ، والمراد كونوا مجتمعين على ماامر الله ورسوله ، وكذلك معنى (اللهم اصلح ذات البين) اياصلح الحال التى بهايجتمع المسلمون ، عن الزجاج .

وهذا نهي من الله تعالى عن الاختلاف فيمااختلفوا فيه من امرالغنيمة يوم بدر، عن ابن عباس . ومجاهد ، والسدى .

(واطيعوا الله ورسوله) اى قبلوا ماامرتمبه فيالغنائم وغيرها، عن الزجاج، ومعناه واطيعوهما فيمايأمرانكم به وينهيانكم عنه(ان كنتم مؤمنين) مصدقينللرسول فيمايأتيكم به من قبل الله كماتدعون .

وفي تفسيرالكلبي ان الخمس لميكن مشروعا يومئذ، وانما شرع يوم أحد، وفيه ، انه ، لمانزلت هذه الاية ،عرّف المسلمين أنه لاحق لهم في الغنيمة ، وانها لرسول الله ﷺ ، فقالوا : يارسول الله سمعا وطاعة فاصنع ماشئت ، فنزل قوله (واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه) (٢) اى ماغنمتم بعد بدر.

وروى ان رسول الله قسم غنائم بدر، عن بواء ايعلى سواء ولميخمس .

---

(١) الانعام ـ ٩٤

(٢) الانفال ـ ٤١

قوله تعالى : **انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت (١) قلوبهم واذ تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون (٢) الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون (٣) اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم (٤).**

لما قال سبحانه (ان كنتم مؤمنين) بين صفة المؤمنين بقوله : (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) اى خافت تعظيماً له ، وذلك اذا ذكر عندهم عقوبته وعدله ، ووعيده على المعاصي بالعقاب ، واقتداره عليه ، فاما اذا ذكرت نعمة الله على عباده واحسانه اليهم ، وفضله ورحمته عليهم ، وثوابه على الطاعات، اطمأنت قلوبهم ، وسكنت نفوسهم الى عفو الله تعالى كما قال سبحانه (الا بذكر الله تطمئن القلوب (٢) فلاتنافى بين الايتين ، اذ وردتا فى حالتين .

ووجه آخر وهو أن المؤمن ينبغى أن يكون من صفته انه اذا نظر فى نعم الله عليه ومننه لديه ، وعظيم مغفرته ورحمته ، اطمأن قلبه ، وحسن بالله ظنه ، واذا ذكر عظيم معاصيه بترك اوامره ، وارتكاب نواهيه وجل قلبه ، واضطربت نفسه ، والوجل الخوف مع شدة الحزن ، وانما يستعمل على الغالب فى القلب .

(واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا) معناه: واذا قرىء عليهم القرآن زادتهم آياته تبصرة ، ويقيناً على يقين ، عن الضحاك .

(وقيل) : زادتهم تصديقاً مع تصديقهم بما انزل الله اليهم قبل ذلك ، عن ابن عباس ، والمعنى أنهم يصدقون بالاولى ، والثانية ، والثالثة ، وكل مايأتى من عندالله فيزداد تصديقهم (وعلى ربهم يتوكلون) اى يفوّضون امورهم الى الله فيما

---

(١) الوجل والخوف والفزع واحد، والتوكل هو الثقة بالله فى كل مايحتاج اليه يقال: وكلّت الامر الى فلان اذا جعلت اليه القيام به ، والوكيل ، القائم بالامر لغيره (مجمع البيان) .

(٢) الرعد ـ ٢٨

يخافونه من السوء في الدنيا .

وقيل فيمايرجونه من قبول اعمالهم في الاخرة .

(الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) قد مرتفسيره في سورة البقرة وانما خص الصلاة والزكاة بالذكرلعظم شأنهما ، وتأكد امرهما ، وليكون داعياً الى المواظبة على فعلهما .

(اولئك همالمؤمنونحقا) ايهؤلاءالمستجمعون لهذه الخصال، والحائزون لهذه الصفات ، هم الذين استحقوا هذا الاسم علىالحقيقة (لهم درجات عندربهم) يعني درجات الجنة يرتقونها باعمالهم ، عن عطا .

وقيل : لهم اعمال رفيعة وفضائل استحقوها في ايام حياتهم ، عن مجاهد (ومغفرة) لذنوبهم (ورزق كريم) اي خطير كبيرفي الجنة .

(وقيل) : كريم دائم ، كثيرلايشوبه ضرر ولايعتريه كدر، ولايخاف عليه فناء ولانقصان ولاحساب ، من قولهم : فلان كريم ، اذاكانت اخلاقه محمودة .

واستدل من قال ان الايمان يزيد وينقص وان افعال الجوارح من الايمان ، بهذه الايات فقال : ان الله تعالى نفى ان يكون المؤمن غير متصف بهذه الصفات بلفظة (انما) فكانه قال : لايكون احد مؤمنا الا أن يكون بهذه الصفات .

(والجواب عنه) ان هذه ، صفات خيارالمؤمنين وافاضلهم ، فكانه قال :انما خيار المؤمنين من له هذه الاوصاف ، وليس يمتنع ان يتفاضل المؤمنون في الطاعات ، وان لميتفاضلوا في الايمان .

يدل على ذلك ان الاجماع حاصل علىأن وجل القلب ليس بواجب، وانما هومن المندوبات ، وان الصلاة قد تدخل فيها الفرائض والنوافل، والانفاق كذلك، فعلمنا أن الاشارة بالاية الى خيارالمؤمنين واماثلهم ، فلاتدل اذاً على أن من كان دونهم في المنزلة خارج عن الايمان .

وقد قال ابن عباس : انه سبحانه اراد بذلك أن المنافق لايدخل قلبه خشيةالله عند ذكره ، وان هذه الاوصاف المذكورة منتفية عنه .

قوله تعالى: كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقاً من المؤمنين لكارهون (٥) يجادلونك في الحق بعد ما تبين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون (٦) واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين (٧) ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون (٨)

(كما اخرجك ربك مـن بيتك) يا محمد ، على التقدير الاول (١) ، قل الانفال لله ، ينزعها عنكم مع كراهتكم ، ومشقة ذلك عليكم ، لانه اصلح لكم ، كما اخرجك ربك من بيتك ، مع كراهة فريق من المؤمنين ذلك ، لان الخروج كـان اصلح لكم من كونكم في بيتكم.

(والمراد) بالبيت هنا المدينة ، يعني خروج النبي ﷺ منها الى بدر، ويكون معنى (اخرجك ربك) دعاك الـى الخروج ، وامرك به ، وحملك عليه، كما يقال : اضربت زيداً عمرواً فضربه .

واما (على التقدير الثاني) وهـو ان يكون اتصاله بما بعده ، فيكون معناه : يجادلونك في الحق كـارهين كما جـادلوك يا محمد ﷺ حين اخرجك ربك كارهين للخروج ، كرهوه كراهية طباع ، فقال بعضهم : كيف نخرج ، ونحن قليل والعدو كثير ، و قال بعضهم: كيف نخرج على عمياء ، لاندري الى العير نخرج ،

---

(١) ذكر في مجمع البيان في متعلق الكاف في قوله: كما اخرجك الخ وجوهاً ١ـ مدلول قوله تعالى : قل الانفال لله ، قال : لان في هذا معنى نزعها من ايديهم ٢ ـ قل الانفال ثابت لله و الرسول ثبوتا مثل ما اخرجك الخ . ٣ ـ يجادلونك ، وتقديره يجادلونك بالحق كما كـرهوا اخراجك الخ . ٤ ـ العامل فيه معنى الحق بتقديره : هذا الذكر ، الحق كما اخرجك الخ واشار ره فـي تفسير الاية الى ثلاثة منها بقوله : على التقدير الاول الخ .

امالى القتال؟ فشبه جدالهم بخروجهم، لان القوم جادلوه بعد خروجهم، كماجادلوه عند الخروج ، فقالوا : هـلاّ اخبرتنا بالقتال ، فكنا نستعد لذلك ، فهذا هو جدالهم على تاويل مجاهد .

واما (على التقدير الثالث) فمعناه ان هذا خير لكم كما ان اخراجك من بيتك على كراهية جماعة منكم ، خير لكم ، وقريب منه مـا جاء فى حديث ابى حمزة الثمالى ، فالله ناصرك ، كما اخرجك من بيتك وقوله (بالحق) اى بالوحى ، وذلك ان جبرئيل عليه السلام اتاه وامره بالخروج .

(وقيل) معناه ، اخرجك ومعك الحق ، (وقيل) معناه . اخرجك بالحق الذى وجب عليك وهو الجهاد .

(وان فريقا من المؤمنين) اى طائفة منهم (لكارهون) لذلك ، للمشقة التى لحقتهم .

(يجادلونك فى الحق بعد ما تبين) معناه يجادلونك فيما دعوتهم اليه بعدما عرفوا صحته وصدقك بما ظهر عليك من المعجزات ، ومجادلتهم . قولهم ، هـلا اخبرتنا بذلك . وهم يعلمون انك لاتأمرهم عن الله الا بما هو حق وصواب.وكانوا يجادلون فيه لشدته عليهم. يطلبون بذلك رخصة لهم فى التخلف عنه، او فى تاخير الخروج الى وقت آخر .

(وقيل) معناه . يجادلونك فى القتال يوم بدر بعد ما تبين صوابه وانه مأمور به ، عن ابن عباس .

(وقيل) بعد ما تبين انك يا محمد ، لاتصنع الا ما امرك الله به .

(كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون) معناه كأنّ هؤلاء الذين يجادلونك فى لقاء العدو. لشدة القتال عليهم ، حيث لم يكونوا مستعدين له . ولكراهتهم له من حيث الطبع ، كانوا بمنزلة من يساق الى الموت ، وهم يرونه عيانا ، وينظرون اليه والى اسبابـه .

(واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم) يعنى واذكروا واشكروا الله ، اذ

يعدكم الله ان احدى الطائفتين لكم ، اما العير واما النفير .

(وتودّون ان غيرذات الشوكة تكون لكم) اى تودون ان يكون لكم العير، وصاحبها ابو سفيان بن حرب ، لئلا تلحقكم مشقّة دون النفير وهو الجيش من قـريش .

قـال الحسن : كان المسلمون يريدون العير ، ورسول الله ﷺ يريد ذات الشوكة ، كنّى بالشوكة عن الحرب، لمافى الحرب من الشدة . عن قطرب . وقيل: ذات الشوكة ذات السلاح .

(ويريد الله ان يحق الحق بكلماته) معناه: والله اعلم بالمصالح منكم . فاراد ان يظهر الحق بلطفه ويعزّ الاسلام و يظفركم على وجوه قريش و يهلكهم على ايديكم، بكلماته السابقة وعداته فى قوله (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنالهم الغالبون) (١) وقوله : (ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) (٢) .

(وقيل) (بكلماته) اى بامره لكم بالقتال (ويقطع دابر الكافرين) اى يستاصلهم فلايبقى منهم احداً ، يعنى كفار العرب .

(ليحق الحق) اى انما يفعل ذلك ليظهر الاسلام (ويبطل الباطل) اى الكفر باهلاك اهله (ولو كره المجرمون) اى الكافرون، وذكر البلخى عن الحسن ان قوله (واذ يعدكم الله) الاية نزلت قبل قوله: (كمااخرجك ربك من بيتك بالحق) وهى فى القرائة بعدها (٣) .

قوله تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انـى ممدكم بالف مـن

---

(١) الصافات ـ ١٧٣

(٢) الصف ـ ٩

(٣) ذكر صاحب المجمع هنا قصة غزوة بدرولخوف الاطالة اغمضنا عن ذكرها ومن ارادها فليراجع اليه والى الكتب المفصلة والتواريخ .

الملائكة مردفين (٩) وما جعله الله الابشرى ولتطمئن به قلوبكم وماالنصر الا من عندالله ان الله عزيزحكيم (١٠) اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماءاً ليطهركم به ويذهب عنكم رجزالشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام (١١) اذ يوحي ربك الـى الملائكة انى معكم فثبتوا الذيـن آمنوا سألقى فـي قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فـوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان (١٢) ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله و من يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب (١٣) ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار (١٤).

قال ابن عباس : لما كان يوم بدر ، واصطف القوم للقتال قال ابوجهل اللهم اولانابالنصر فانصره، واستغاث المسلمون، فنزلت الملائكة ونزل قوله (اذتستغيثون ربكم الى آخره) .

و قيل ان النبى صلى الله عليه وآله لما نظر الى كثرة عدد المشركين ، وقلة عددالمسلمين استقبل القبلة وقال: اللهم انجز لى ما وعدتنى ، اللهم ان تهلك هذه العصابة لاتعبد فـى الارض ، فما زال يهتف ربه مادّاً يديه حتى سقط رداؤه مـن منكبيه فانزل الله تعالى (اذ تستغيثون ربكم) الاية ، عن عمر بن الخطاب، والسدى، وابى صالح .

وهو المروى عـن ابى جعفر عليه السلام قال : ولما امسى رسول الله صلى الله عليه وآله وجنّه الليل القى الله على اصحابه النعاس ،وكانوا قدنزلوا فى موضع كثير الرمل لايثبت فيه قدم ، فانزل الله عليهم المطر رذاذاً (١) حتى لبد الارض وثبت اقدامهم ، وكان المطر على قريش مثل الغزالى (٢) والقى الله فى قلوبهم الرعب كما قال الله تعالى :

---

(١) الرذاذ : المطر الضعيف

(٢) جمع الغزلاء : وهو فم المزادة الاسفل ، وشبه اتساع المطر واندفاقه بها (مجمع البحرين)

(سالقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) .

ثـم ذكر سبحانه ما آتى المسلمين من النصر فقال : (اذ تستغيثون ربكم) اى تستجيرون بربكم يوم بدر من اعدائكم فتسألونه النصر عليهم، لقلتكم وكثرتهم، فلم يكن لكم مفزع الا التضرع اليه ، والدعاء له في كشف الضرعنكم ، والاستغاثة طلب المعونة والغوث .

(وقيل) معناه : تستنصرونه والفرق بين المستنصر والمستجير ، ان المستنصر طالب الظفر ، والمستجير طالب الخلاص .

(فاستجاب لكم) والاستجابة هي العطية على موافقة المسألة ، فمعناه فاغاثكم واجاب دعائكم (انى ممدكم) أي مرسل اليكم مدداً لكم (بألف من الملائكة مردفين) أي متبعين الفاً آخر من الملائكة ، لان كل واحد منهم ردفا له ، عن الجبائى .

(وقيل) معناه مترادفين، متتابعين، وكانوا الفاً بعضهم فى اثر بعض، عن ابن عباس وقتادة والسدى .

(وقيل) معناه بألف من الملائكة جاؤا على اثر المسلمين، عن ابى حاتم .

(وماجعله الله الابشرى ولتطمئن قلوبكم) معناه وماجعله الله الامداد بالملائكة الا بشرى لكم بالنصر ، ولتسكن به قلوبكم ، وتزول الوسوسة عنها ، والا فملك واحد كاف للتدمير عليهم كما فعل جبرئيل عليه السلام بقوم لوط فاهلكهم بريشة واحدة .

واختلف فى ان الملائكة هل قاتلت يوم بدر أم لا ؟ (فقيل) : ماقاتلت ولكن شجعت ، وكثرت سواد المسلمين ، وبشرت بالنصر ، عن الجبائى .

(وقيل) : انها قاتلت قال مجاهد : انما أمدهم بألف مقاتل من الملائكة ، فاما ماقاله سبحانه فى آل عمران : بثلاثة آلاف ، وبخمسة آلاف ، فانه للبشارة وقد ذكرنا هناك ماقيل فيه .

وروى عن ابن مسعود انه سأله ابوجهل من اين كان يأتينا الضرب ولانرى الشخص قال : من قبل الملائكة ، فقال : هم غلوبونا لاأنتم .

وعن ابن عباس ان الملائكة قاتلت يوم بدر وقتلت .

(ومالنصر الا من عند الله) معناه انه لم يكن النصر من قبل الملائكة ، وانما كان من قبل الله ، لانهم عباده ينصر بهم من يشاء كما ينصر بغيرهم ، ويحتمل أن يكون المعنى مالنصر بكثرة العدد ولكن النصر من عند الله ينصر من يشاء قل العدد أم كثر (ان الله عزيز) لايمنع عن مراده (حكيم) في افعاله يجريها على ماتقتضيه الحكمة .

(اذ يغشيكم النعاس) قد ذكرنا تفسيره عند قوله : (ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا) والنعاس اول النوم قبل ان يثقل (امنة) أي امانا (منه) أي من العدو وقيل من الله فان الانسان لايأخذه النوم في حال الخوف ، فآمنهم الله تعالى بزوال الرعب عن قلوبهم ، كما يقال : الخوف مسهر ، والامن منيم ، والامنة الدعة التي تنافي المخافة ، وايضاً فانه قوّاهم بالاستراحة على القتال من العدو .

(وينزل عليكم من السماء ماء) أي مطراً (ليطهركم به) وذلك لان المسلمين قد سبقهم الكفار الى الماء ، فنزلوا على كثيب رمل واصبحوا محدثين ومجنبين ، واصابهم الظماء ، ووسوس اليهم الشيطان فقال : ان عدوكم قد سبقكم الى الماء وانتم تصلّون مع الجنابة والحدث ، وتسوخ اقدامكم في الرمل ، فمطرهم الله حتى اغتسلوا به من الجنابة ، وتطهروا به من الحدث ، وتلبدت به ارضهم ، واوحلت ارض عدوهم .

(ويذهب عنكم رجز الشيطان) أي وسوسته بمامضى ذكره ، عن ابن عباس (وقيل) معناه : ويذهب عنكم وسوسته بقوله ليس لكم بهؤلاء طاقة ، عن ابن زيد .

(وقيل) معناه ويذهب عنكم الجنابة التي اصابتكم بالاحتلام (وليربط على قلوبكم) أي وليشد على قلوبكم ، ومعناه يشجع قلوبكم ، ويزيدكم قوة قلب ، وسكون نفس ، وثقة بالنصر (ويثّبت به الاقدام) أي اقدامكم في الحرب بتلبد الرمل ، عن ابن عباس ومجاهد وجماعة .

وقيل : بالصبروقوة القلب عن ابى عبيدة ، والهاء فى (به) ترجع الى الماء المنزل .

(وقيل) الى ماتقدم من الربط على القلوب (اذ يوحي ربك الي الملائكة انى معكم) يعنى الملائكة الذين أمدّ بهم المسلمين، اى انى معكم بالمعونة والنصرة كما يقال : فلان مع فلان ، على فلان، والايحاء القاء المعنى على النفس من وجه يخفى وقد يكون بنصب دليل يخفى الا على من القى اليه من الملائكة

(فثبتوا الذين آمنوا) يعنى بشّروهم بالنصر، وكان الملك يسير امام الصف فى صورة الرجل ويقول ابشروا فان الله ناصركم ، عن مقاتل .

وقيل معناه : قاتلوا معهم المشركين ، عن الحسن

(وقيل) ثبوتهم بأشياء تلقونها فى قلوبهم يقوون بها ، عن الزجاج

(سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) اى الخوف من أوليائى (فاضربوا فوق الاعناق) يعنى الرؤس لانها فوق الاعناق قال عطا : يريد كل هامّة وجمجمة ، (وجائز) ان يكون هذا امراً للمؤمنين، (وجائز) ان يكون امراً للملائكة وهو الظاهر.

قال ابن الانبارى : ان الملائكة حين امرت بالقتال لم تعلم اين تقصد بالضرب من الناس فعلمهم الله تعالى .

(واضربوا منهم كل بنان) يعنى الاطراف من اليدين والرجلين ، عن ابن عباس وابن جريح والسدى .

(وقيل) يعنى أطراف الاصابع ، اكتفى الله به عن جملة اليد والرجل، عن ابن الانبارى .

(ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله) (معناه) ذلك العذاب لهم ، والامر بضرب الاعناق والاطراف ، وتمكين المسلمين منهم بسبب انهم خالفوا الله ورسوله ، قال ابن عباس : معناه حاربوا الله ورسوله .

ثم أوعد المخالف فقال (ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب) فى الدنيا بالاهلاك ، وفي الاخرة بالتخليد فى النار (ذلكم فذوقوه) أى هذا الذى أعددت

لكم من الاسر والقتل في الدنيا فذوقوه عاجلا (وان للكافرين) آجلا في المعاد (عذاب النار) قال الحسن : ذلكم حكم الله ، فذوقوه في الدنيا ، وان لكم ولسائر الكافرين في الاخرة عذاب النار ، ومعناه : كونوا للعذاب كالذائق للطعام ، وهو طالب ادراك الطعم بتناول اليسير بالفم ، لان معظم العذاب بعده .

قوله تعالى : (يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الادبار (١٥) و من يولهم يومئذ دبره الامتحرفالقتال او متحيزاً الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأوايه جهنم وبئس المصير (١٦) فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ومارميت اذرميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم (١٧) .

لما امدالله سبحانه المسلمين بالملائكة ووعدهم النصر والظفربالكفار، نهاهم عقيبه عن الفرار فقال سبحانه (يا ايها الذين آمنوا) (قيل) انه خطاب لاهل بدر، (وقيل) هوعام .

(اذا لقيتم الذين كفروا زحفا) (١) اى متدانين لقتالكم ، قال الزجاج معناه اذا واقفتموهم للقتال (فلاتولوهم الادبار) يعني فلاتجعلوا ظهوركم ممايليهم اى فلاتنهزموا .

(ومن يولهم يؤمئذ دبره) اى ومن يجعل ظهره اليهم يوم القتال ،ووجهه الى جهة الانهزام ، واراد بقوله (يومئذ) ذلك الوقت ، ولم يرد به بياض النهارخاصة دون الليل (الامتحرفالقتال) اى الا تاركاً موقفا الى موقف آخراصلح للقتال من الاول ، عن الحسن .

(و قيل) معناه : الا منعطفا مستطرداً ، كأنه يطلب عورة يمكنه اصابتها

الزحف : الدنو قليلا قليلا والتزاحف : التداني يقال زحف يزحف زحفا ، وازحفت للقوم اذا دنوت لقتالهم وثبّت لهم (مجمع البيان) .

فينحرف عن وجهه ، ويرى انه يفر ثم يكر ، والحرب كروفر (او متحيزا الى فئة) اى منحازا منضما الى جماعة من المسلمين يريدون العود الى القتال ليستعين بهم (فقدباء بغضب من الله) اى احتمل غضب‌الله واستحقه .

(وقيل) رجع بغضب من الله (ومأواه جهنم) اى مرجعه الى جهنم (وبئس المصير) واكثر المفسرين على ان هذا الوعيد خاص بيوم‌بدرخاصة ، ولم‌يكن‌لهم يومئذ ان ينحازوا ، لانه لم‌يكن يومئذ في الارض فئة للمسلمين ، فاما بعد ذلك فان المسلمين بعضهم فئة لبعض وهوقول ابى سعيد الخدرى ، و ابن عباس فى رواية الكلبى والحسن وقتادة ، والضحاك .

ووردت الرواية عن ابن‌عمرقال : بعثنا رسول‌الله‌ﷺ فى سرية فلقوا العدو فجاض‌الناس جيضة (١) وأتينا المدينة فتخبانابها(٢) وقلنايارسول‌الله نحن‌الفرارون، فقال: بل‌انتم العكارون (٣) وانافئتكم .

(وقيل) انه عام في جميع الاوقات ، وان فرمن الزحف اذا لـم يزيدوا على ضعفى المسلمين لحقه الوعيد ، عن‌ابن عباس فى‌رواية اخرى ، وهو قول الجبائى وابى مسلم .

ثم‌نفى سبحانه ان يكون المسلمون قتلوا المشركين يـوم بـدرفقال : (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) وانما نفى الفعل عمن هو فعله على الحقيقة ، ونسبه الـى نفسه وليس بفعل‌له ، من حيث كانت افعاله تعالى كالسبب لهذا الفعل ، والمؤدى اليه من‌اقداره اياهم ومعونته لهم وتشجيع قلوبهم ، والقاء الرعب فى‌قلوب‌اعدائهم والمشركين حتى قتلوا

---

(١) جاض عن‌الشيىء يجيض جيضاً حـادعنه وعدل، واصل الجيض الميل عن الشي ـ (مجمع البحرين)

(٢) يقال خبأت الشيىء خبأ من باب نفع سترته (مجمع البحرين)

(٣) عكرت عليه ، حملت عليه (مجمع البحرين) العكار من يحمل على العدو ثم يتخلف ثم يحمل كثيراً

(ومارميت اذرميت ولكن الله رمى) خطاب للنبي ﷺ ذكر جماعة من المفسرين كابن عباس وغيره ، أن جبرئيل قال للنبي ﷺ يوم بدر : خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال رسول الله ﷺ لما التقى الجمعان لعلي : اعطني قبضة من حصا الوادي ، فناوله كفا من حصا عليه تراب فرمى به في وجوه القوم وقال : شاهت الوجوه ، فلم يبق مشرك الادخل في عينه وفمه ومنخريه منها شيء ، ثم ردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ، وكانت تلك الرمية سبب هزيمة القوم

وقال قتادة وانس : ذكر لنا ان رسول الله ﷺ اخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم ، وحصاة في ميسرة القوم ، وحصاة بين أظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا .

فعلى هذا انما اضاف الرمي الى نفسه لانه لايقدر احد غيره على مثله ، فانه من عجائب المعجزات

(وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا) اى ولينعم عليهم به نعمة حسنة، اى فعل ذلك انعاما على المؤمنين والضمير في منه راجع الى النصر ، اى من ذلك النصر ، ويجوز ان يكون راجعا الى الله تعالى

(ان الله سميع) لدعائكم (عليم) بـافعالكم وضمائركم ، وانما يقال للنعمة : بلاء كما يقال للمضرة : بلاء ، لان اصل البلاء ما يظهر به الامر من الشكر والصبر ، فيبتلى سبحانه عباده ، اى يختبرهم بالنعم ليظهر شكرهم عليها ، وبالمحن والشدائد ليظهر عندها الصبر الموجب للاجر ، والبلاء الحسن هاهنا ، هو النصر ، والغنيمة ، والاجر ، والمثوبة .

قوله تعالى : **(ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين (١٨) ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وان الله مع المؤمنين (١٩) ياايها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولاتولوا عنه وانتم تسمعون (٢٠) ولاتكونوا كالذين قالوا سمعنا**

وهم لايسمعون (٢١)

(ذلكم) اشارة الى بلاء المؤمنين ، خاطبهم سبحانه بعدان أخبرعنهم ، ومعناه الامرذلكم الانعام، اوذلكم الذى ذكرت (وان الله موهن كيد الكافرين) بالقاء الرعب فى قلوبهم ، وتفريق كلمتهم ، قال ابن عباس يقول انى قداوهنت كيد عدوكم حتى قتلت جبابرتهم ، واسرت اشرافهم

(ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) قيل انه خطاب للمشركين ، فان اباجهل قال يوم بدرحين التقى الفئتان (اللهم اقطعنا للرحم وآتانا بما لانعرف فانصرعليه ، عن الحسن ، ومجاهد والزهرى والضحاك والسدى .

وفى حديث ابيحمزة قال ابوجهل اللهم ربنا ديننا ، القديم ، وديسن محمد الحديث ، فاى الدينين كان احب اليك وارضى عندك فانصراهله اليوم ، وعلى هذا فيكون معناه ان تستنصروا لاهدى الفئتين، فقدجائكم النصر، اى نصر محمد واصحابه

وقيل انه خطاب للمؤمنين عن عطا، وابى على الجبائى، ومعناه ان تستنصروا على اعدائكم فقدجاءكم النصربالنبى ﷺ قال الزجاج: ويجوز ان يكون معناه : ان تستحكموا وتستغزوا فقدجاءكم القضاء والحكم من الله

(وان تنتهوا) اى تمتنعوا من الكفر وقتال الرسول والمؤمنين (فهو خيرلكم وان تعودوا نعد) معناه وان تعودوا ايها المشركون الى قتال المسلمين نعد، بان ننصرهم عليكم ونأمرهم بقتالكم

(ولن تغنى عنكم فئتكم شيئا) اى ولن تدفع عنكم جماعتكم شيئا (ولو كثرت فأن الله مع المومنين) بالنصروا لحفظ يمكنهم منكم و ينصرهم عليكم ، عن جماعة من المفسرين

وقيل: معناه وان تنتهوا ايها المسلمون عما كان منكم فى الغنائم وفى الاسارى من مخالفة الرسول فهو خيرلكم ، وان تعودوا الى ذلك الصنيع نعد الى الانكار عليكم وترك نصرتكم ولن يغنى عنكم حينئذ جمعكم شيئا اذمنعناكم النصر عن عطا والجبائى .

ثم امر سبحانه بالطاعةالتى هى سبب النصرة فقال (ياايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله) خص المؤمنين بطاعة الله و رسوله ، وان كانت واجبة على غيرهم ، لانه لم يعتد بغيرهم ، لاعراضهم عما وجب عليهم .

ويجوز انيكون انماخصهم أجلا لالقدرهم ، ويدخل غيرهم فيه على طريق التبع(ولاتولوا عنه) اىولاتعرضوا عنرسول الله (ص) (وانتم تسمعون) دعاءهلكم، وامره ونهيه اياكم ، عن ابن عباس

وقيل معناهوانتم تسمعون الحجةالموجبة لطاعةالله، وطاعة الرسول،عن الحسن

(ولاتكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون) فيالكلام حذف و معناه : ولاتكونوا كهم في قولهم : هذا المنكر ، فحذف المنهى عنه لدلالة الحال عليه ، وفى ذلك غاية البلاغة ، و معنى قولهم: سمعنا وهم لايسمعون، انهم سمعوه سماع عالم قابل له وليسوا كذلك ، و السماع بمعنى القبول ، كما فى قوله : سمع الله لمن حمده ، وهؤلاء الكفارهم المنافقون ، عنابن اسحاق ، ومقاتل ، وابنجريج، والجبائى .

وقيل : هم اهل الكتاب من اليهود ، وقريظة ، والنضير ، عن ابن عباس ، والحسن ، وقيل انهم مشركوا العرب لانهم قالوا : (قد سمعنا لونشاء لقلنا مثلهذا) عنابن زيد .

قوله تعالى : (ان شرالدواب (١) عند الله الصم البكم الذين لايعقلون (٢٢) ولوعلم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون (٢٣) .

ثمذم سبحانه الكفار فقال : (ان شرالدواب) اىشرمن دب على وجهالارض

(١) الدواب جمع دابة ، وهى مادبّ على وجه الارض ، الاانه تختص فى العرف بالخيل(مجمع البيان) .

من الحيوان (عندالله الصم البكم الذين لايعقلون) يعني هؤلاء المشركين الذين لم ينتفعوا بمايسمعون، من الحق ولايتكلمون به ولايعتقدونه ولايقرون به فكانهم صم بكم لايتفكرون ايضا فيما يسمعون ، فكانهم لم ينتفعوا بعقولهم ايضا وصاروا كالدواب

وقال الباقر عليه السلام : نزلت الاية في بني عبدالدار ، لم يكن اسلم منهم غير مصعب بن عمير ، وحليف لهم يقال له سويبط .

وقيل : نزلت الاية في النضر بن حارث بن كلدة من بني عبدالدار بن قصي (ولوعلم الله فيهم خيراً لاسمعهم) معناه : ولوعلم الله فيهم قبولا للهدى ، واقبالا على طلب الحق لاسمعهم مايذهبون عن استماعه ، عن الحسن .

وقيل معناه لاسمعهم الجواب عن كل ماسألوا عنه ، عن الزجاج .

وقيل معناه لاسمعهم قول قصي بن كلاب ، فانهم قالوا احي لنا قصي بن كلاب، ليشهد بنبوتك، عن الجبائي (ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) اي لاعرضوا وفي هذا دلالة على أن الله تعالى لايمنع أحداً من المكلفين اللطف ، وانما لايلطف لمن يعلم أنه لاينتفع به .

قوله تعالى : (ياايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون (٢٤) واتقوا فتنة لاتصيبن(١) الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب (٢٥)

ثم امر سبحانه بطاعة الرسول (ص) فقال (يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول) اي اجيبوا الله والرسول فيمايأمرانكم به ، فاجابة الله والرسول طاعتهما فيمايدعوان اليه (اذا دعاكم لمايحييكم).

قيل فيه أقوال (احدها) انمعناه اذا دعاكم الى الجهاد ، واللام في معنى(الى)

---

(١) قرأ امير المؤمنين على بن ابيطالب(ع) ، وزيد بن ثابت ، وابو جعفر الباقر عليه السلام، والربيع بن أنس، وابو العالية (لتصيبن) والقراءة المشهورة (لاتصيبن) (مجمع البيان)

قال القتيبى : هو الشهادة ، فان الشهداء احياء عند الله تعالى ، وقال الجبائى : اى دعاكم الى احياء أمركم : واعزازدينكم بجهاد عدوكم مع نصرالله اياكم ، وهو معنى قول الفراء .

(وثانيها) ان معناه اذادعاكم الى الايمان، فانه حياة القلب والكفرموته عن السدى وقيل الى الحق عن مجاهد .

(وثالثها) ان معناه اذا دعاكم الى القرآن والعلم فى الدين ، لان الجهل موت والعلم حياة ، والقرآن سبب الحياة بالعلم ، وفيه النجاة والعصمة عن قتادة .

(ورابعها) أن معناه اذا دعاكم الى الجنة لما فيها من الحياة الدائمة ونعيم الابد عن ابى مسلم .

(واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) اى يحول بين المرء، وبين الانتفاع بقلبه بالموت ، فلايمكنه استدراك مافات ، فبادروا الى الطاعات قبل الحيلولة . ودعوا التسويف عن الجبائى قال : وفيه حث على الطاعة قبل حلول المانع .

وقيل معناه أنه سبحانه أقرب اليه من قلبه ، وهو نظيرقوله (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) فان الحائل بين الشيء وغيره أقرب الى ذلك الشيء من ذلك الغير، عن الحسن ، وقتادة قالا: وفيه تحذير شديد .

وقيل معناه انه سبحانه يملك تقليب القلوب من حال الى حال كماجاء فى الدعاء (يامقلب القلوب والابصار) فكأنهم خافوا من القتال ، فاعلمهم سبحانه انه يبدل خوفهم أمناً ، بان يحول بينهم وبين مايتفكرون فيه من اسباب الخوف .

وروى يونس بن عمارعن ابى عبدالله عليه السلام قال انه يحول بين المرء وقلبه ، معناه لايستيقن القلب ان الحق باطل ابداً ، ولايستيقن القلب ان الباطل حق أبداً.

وروى هشام بن سالم عنه عليه السلام قال: معناه يحول بينه وبين ان يعلم ان الباطل حق، اوردهما العياشى فى تفسيره .

وقال محمد بن اسحاق معناه لايستطيع القلب ان يكتم الله شيئا وهذا فى معنى قول الحسن .

(وانه اليه تحشرون) معناه واعلموا انكم تحشرون اى تجمعون للجزاء على اعمالكم يوم القيامة ، ان خيراً فخير، وان شراً فشر (واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) حذرهم الله تعالى من هذه الفتنة ، وامرهم ان يتقوها، فكانه قال اتقوا فتنة لاتقربوها فتصيبنكم لان قوله لاتصيبن نهى مسوق على الامر، ولفظ النهى واقع على الفتنة ، وهو فى المعنى للمأمورين بالاتقاء كقوله (ولاتموتن الاوانتم مسلمون) اى احذروا ان يدرككم الموت قبل ان تسلموا .

واختلف في معنى الفتنة هاهنا ، فقيل هى العذاب امر الله المؤمنين ، ان لايقربوا المنكربين اظهرهم فيعمهم الله بالعذاب والخطاب لاصحاب النبى (ص) خاصة ، عن ابن عباس والجبائى .

(وقيل) هى البلية التى يظهر باطن امر الانسان فيها ، عن الحسن قال : ونزلت فى على عليه السلام وعمار وطلحة والزبير وقد قال الزبير لقدقرأنا هذه الآية زمانا ومارأنا من أهلها ، فاذا نحن المعنيون بها . فخالفنا حتى أصابتنا خاصة.

(وقيل) نزلت فى اهل بدر خاصة ، فاصابتهم يوم الجمل فاقتتلوا ، عن السدى .

وقيل هى الضلالة وافتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضا ، عن ابن زيد .

وقيل هى الهرج الذى يركب الناس فيه بالظلم ، ويدخل ضرره على كل احد .

ثم اختلف فى اصابة هذه الفتنة على قولين(احدهما) انها جارية على العموم فتصيب الظالم وغير الظالم اما الظالمون فمعذبون واما المؤمنون فممتحنون ممحصون عن ابن عباس وروى انه سئل عنها فقال ابهموا ماابهم الله (والثانى) انها تخص الظالم لان الغرض منع الناس عن الظلم وتقديره : واتقوا عذابا يصيب الظلمة خاصة ويقويه قراءة من قرء (لتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) باللام فانه تفسيره على هذا المعنى .

(وقيل) ان (لا) فى قوله (لاتصيبن) زائدة ويجوز ان يقال ان (الالف) فى

(لا) لاشباع الفتحة على ماتقدم ذكره ، قال ابومسلم تقديره احذروا ان يخص الظالم منكم بعذاب . اى لاتظلموا فيأتيكم عذاب لاينجو منه الامن زال عنه اسم الظلم .

(واعلموا ان الله شديد العقاب) لمن لم يتق المعاصي، وروى الثعلبى باسناده عن حذيفة انه قال: اتتكم فتن كقطع الليل المظلم، يهلك فيها كل شجاع بطل وكل، راكب موضع، وكل خطيب مصقع (١)

وفي حديث ابى ايوب الانصارى، ان النبى صلى الله عليه وآله قال لعمار: ياعمار انه سيكون بعدي هنات، حتى يختلف السيف فيما بينهم، وحتى يقتل بعضهم بعضاً، وحتى يبرأ بعضهم من بعض ، فاذا رأيت ذلك فعليك بهذا الاصلع عن يميني، علي بن ابيطالب عليه السلام، فان سلك الناس كلهم وادياً، وسلك علي وادياً، فاسلك وادى علي، وخل عن الناس، ياعمار: ان علياً لايردك عن هدى ولايدلك على ردى ، ياعمار: طاعة علي طاعتي، وطاعتي طاعة الله، رواه السيد ابوطالب الهروى باسناده عن علقمة، والاسود قالا اتينا اباايوب الانصارى الخبر بطوله.

و فى كتاب شواهد التنزيل للحاكم ابى القاسم الحسكاني : وحدثنا عنه ابو الحمد مهدى بن نزار الحسني: حدثنى محمد بن القاسم بن احمد، قال حدثنا ابو سعيد محمد بن الفضيل بن محمد، قال: حدثنا محمد بن صالح العرزمي ، قال: حدثنا عبد الرحمن بن ابى حاتم قال : حدثنا ابو سعيد الاشج ، عن ابى خلف الاحمر ، عن ابراهيم بن طهمان، عن سعيد بن ابى عروبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب ، عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الاية (واتقوا فتنة) قال النبى صلى الله عليه و آله وسلم : من ظلم علياً مقعدى هذا بعد وفاتى ، فكانما جحد بنبوتى، ونبوة الانبياء قبلى.

قوله تعالى : **(واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون فى الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فآواكم و ايدكم بنصره و رزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون(٢٦)**

---

(١) الراكب الموضع فى الفتنة : المسرع فيها ، و المصقع ـ كمنبر ـ : البليغ .

ثم ذكر سبحانه، حالتهم السالفة في القلة والضعف، وانعامه عليهم بالنصر ، والتأييد ، والتكثير ، فقال (واذكروا) معشر المهاجرين (اذا انتم قليل) في العدد وكانوا كذلك قبل الهجرة في ابتداء الاسلام (مستضعفون) يطلب ضعفكم بتوهين امركم (في الارض) اي في مكة ، عن ابن عباس ، والحسن

(تخافون ان يتخطفكم الناس) اي يستلبكم المشركون من العرب ان خرجتم منها .

وقيل: انه يعني بالناس كفار قريش، عن قتادة وعكرمة

وقيل: فارس، والروم عن وهب (فآواكم) اي جعل لكم مأوى ترجعون اليه ، يعني المدينة دار الهجرة (وايدكم بنصره) اي قواكم (ورزقكم من الطيبات) يعني الغنائم احلّها لكم ولم يحلها لاحد قبلكم.

وقيل هي عامة في جميع ما اعطاهم من الاطعمة اللذيذة (لعلكم تشكرون) اي لكي تشكروا ، والمعنى قابلوا حالكم التي أنتم عليها الآن، بتلك الحال المتقدمة ليتبين لكم موضع النعمة ، فتشكروا عليها .

قوله تعالى : **(يا ايها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون (٢٧) (واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة وان الله عنده اجر عظيم (٢٨)**

ثم امرهم الله سبحانه بترك الخيانة فقال : (يا ايها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول) اي لاتخونوا الله بترك فرائضه ، والرسول بترك سننه وشرايعه ، عن ابن عباس .

(وقيل) ان من ترك شيئا من الدين وضيّعه ، فقد خان الله ورسوله ، عن الحسن

(وتخونوا اماناتكم) يعني الاعمال التي ائتمن الله عليها العباد ، يعني الفرائض التي يقول : لاتنقصوها ، عن ابن عباس .

(وقيل) انهم اذا خانوا الله والرسول فقد خانوا اماناتهم ، عن السدى

(وانتم تعلمون) ما في الخيانة من الذم والعقاب وقيل : وانتم تعلمون انها امانة من غير شبهة .

(واعلموا) اى وتحققوا وأيقنوا (انما اموالكم واولادكم فتنة) اى بليـّة عليكم، ابتلاكم الله تعالى بها ، فان ابا لبابة حمله على ما فعله ، ماله الذى كان فى ايديهم واولاده الذين كانوا بين ظهرانيهم (وان الله عنده أجر عظيم) لمن أطاعه ، وخرج الى الجهاد ، ولم يخن الله ورسوله ، وذلك خير من الاموال والاولاد .

بيـّن سبحانه بهذه الاية ، انه يختبر خلقه بالاموال والاولاد ، ليتبين الراضي بقسمه ممن لايرضى به، وان كان سبحانه اعلم بهم من انفسهم، ولكن ليظهر الافعال التي بها يستحق الثواب والعقاب .

و الى هذا أشار اميرالمؤمنين على عليه السلام فى قوله : لايقولن احدكم (اللهم انى اعوذ بك من الفتنة) لانه ليس احد الا وهو مشتمل على فتنة، ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلات الفتن ، فان الله تعالى يقول (واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة) وقد روى هذا المعنى عن ابن مسعود ايضا .

قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذوالفضل العظيم (٢٩)

(يا ايها الذين آمنوا) اى ياايها المؤمنون (ان تتقوا الله) اى ان تتقوا عقاب الله باتقاء معاصيه ، و اداء فرائضه (يجعل لكم فرقانا) اى هداية ونوراً فى قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل ، عن ابن جريح وابن زيد وقيل : معناه يجعل لكم مخرجاً فى الدنيا والاخرة : عن مجاهد .

(وقيل) يجعل لكم نجاة ، عن السدى وقيل: يجعل لكم فتحا ونصراً كما قال (يوم الفرقان يوم التقى الجمعان) عن الفراء .

(وقيل) يجعل لكم عزاً فى الدنيا وثواباً فى الاخرة وعقوبة وخذلاناً لاعدائكم وذلا وعقاباً ، كل ذلك يفرق بينكم وبينهم فى الدنيا والاخرة ، عن الجبائى .

(ويكفرعنكم سيئاتكم) التي عملتموها (ويغفرلكم) ذنوبكم (والله ذوالفضل العظيم) على خلقه بما انعم عليهم من انواع النعم ، فاذا ابتدأهم بالفضل العظيم من غير استحقاق كرماً منه، وجوداً ، فانه لايمنعهم ما استحقوه بطاعاتهم له .

(و قيل) معناه: اذا ابتدأ بنعيم الدنيا من غير استحقاق ، فعليه أتمام ذلك بنعيم الاخرة ، باستحقاق وغير استحقاق .

قوله تعالى **واذيمكر(١) بك الذين كفروا ليثبتوك اويقتلوك اويخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين (٣٠)**

قال المفسرون: انهانزلت في قصة دارالندوة وذلك ان نفراً من قريش اجتمعوا فيهاوهي دارقصي بن كلاب وتآمروا في امرالنبي ﷺ فقال عروة بن هشام: نتربص به ريب المنون ، وقال ابو البختري: اخرجوه عنكم تستريحوا من آذاه .

وقال ابوجهل: ما هذابرأي ولكن أقتلوه بأن يجتمع عليه من كل بطن رجل فيضربوه بأسيافهم ، ضربة رجل واحد، فيرضى حينئذ بنوهاشم بالدية ، فصوّب ابليس هذا الرأي، وكان قدجاءهم في صورة شيخ كبيرمن اهل نجدوخطّأالاولين فاتفقوا على هذا الرأي واعدواالرجال والسلاح ، وجاء جبرائيل عليه السلام فاخبررسول الله ﷺ فخرج الى الغار ، وامر علياً عليه السلام فبات على فراشه .

فلما اصبحواوفتّشوا عن الفراش وجدوا عليّا، وقد ردّ الله مكرهم ،فقالوا: أين محمد ؟ فقال:لاأدري فاقتصواأثره وارسلوافي طلبه، فلمابلغواالجبل ومروابالغار رأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا: لوكان هاهنا ، لم يكن نسج العنكبوت على بابه ، فمكث فيه ثلاثاً ، ثم قدم الى المدينة .

(واذ يمكر بك الذين كفروا) اى واذكر : اذيحتال الكفار في ابطال أمرك ، ويدبرون في هلاكك ، وهم مشركوا العرب منهم عتبة وشيبة، ابنا ربيعة، والنضربن

---

(١) المكر : الميل الى جهة الشرّفي خفية قال الازهري : المكر من الناس خبّ وخداع ، ومن الله جزاء (مجمع البيان)

الحارث وابو جهل بن هشام وابوالبختري بن هشام، وزمعة بن الاسود وحكيم بن حزام وامية بن خلف وغيرهم (ليثبتوك) اى ليقيدوك ويثبتوك فيالوثاق، عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة .

(وقيل) ليثبتوك في الحبس ويسجنوك في بيت، عن عطاوالسدى .

(وقيل) معناه:ليثخنوكٔ بالجراحة والضرب، عن ابان بنتغلب والجبائي ، وابو حاتم .

(او يقتلوك او يخرجوك) من مكة الى طرف من اطراف الارض .

(وقيل) او يخرجوك على بعير ويطردونه حتى يذهب في وجهه (ويمكرون ويمكر الله) اى ويدبّرون في امرك ويدبر الله في امرهم ، عن ابى مسلم .

(وقيل) ويحتالون في امرك من حيث لاتشعر ، فأحل الله بهم ما اراد من عذابه من حيث لايشعرون ، عن الجبائي .

(وقيل) يمكرون والله تعالى يجازيهمعلى مكرهم كما قال سبحانه : (وجزاء سيئة سيئة مثلها) (١) .

(والله خير الماكرين) لانه لايمكر الا ما هو حق وصواب ، وهو انزال المكروه بمن يستحقه ، والعباد قد يمكرون مكراً هو ظلم وباطل ، ومكرهم الذى هو عدل لايبلغ في المنفعة للمؤمنين مبلغ مكر الله ، فلذلك قال (خير الماكرين) وقيل: معناه خير المجازين على المكر .

قوله تعالى : **و اذا تتلى عليهم آياتنا قالوا : قدسمعنا لونشاء مثلهذا انهذا الاالساطير الاولين (٣١) واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء اوأتنا بعذاب اليم (٣٢) وماكان الله ليعذبهم وانت فيهم وماكان الله معذبهم وهم يستغفرون (٣٣) و ما لهم ان**

(١) الشورى ـ ٤٠

لايعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وماكانوا اولياءه ان أولياءه الا المتقون ولكن أكثرهم لايعلمون (٣٤)

ثم اخبر سبحانه عن عناد هؤلاء الكفار ، ومباهتتهم، فقال: «واذا تتلى عليهم آياتنا» من القرآن (قالوا قد سمعنا) اى أدركنا بآذاننا ، فان السماع ادراك الصوت بحاسة الاذن (لو نشاء لقلنا مثل هذا) انما قالوا ذلك مع ظهور عجزهم عن الاتيان لصورة مثله بعدى التحدى عداوة وعناداً وقدتحمل الانسان شدة العداوة ، على ان يقول مالا يعلم .

(وقيل) انما قالوا : ذلك ، لانه لم ينقطع طمعهم من القدرة عليه فى المستقبل اذ القرآن كان مركباً من كلمات جارية على السنتهم ، فطمعوا أن يتأتى فى ذلك المستقبل ، بخلاف صيرورة العصاحيّة فى انه قد انقطع طمعهم عن الاتيان بمثله، اذ جنس ذلك لم يكن فى مقدورهم .

(ان هذا الا أساطير الاولين) معناه ماهذه الا احاديث الاولين تتلوها علينا .

وكأن قائل هذا ، النضربن الحارث بن كلدة ، وأسريوم بدر ، فقتله رسول الله ﷺ ، وعقبة بن ابى معيط .

قال ﷺ : ياعلى، على بالنضر ابغيه ، فاخذ على بشعره وكان رجلا جميلا له شعر، فجاء به الى النبى (ص) فقال : يا محمد ، اسألك بالرحم بينى وبينك الا أجريتنى كرجل من قريش ، ان قتلتهم قتلتنى ، وان فاديتهم فاديتنى ، فقال (ص) لارحم بينى وبينك ، قطع الله الرحم بالاسلام ، قدمه ياعلى فاضرب عنقه ، فضرب عنقه .

ثم قال : على بعقبة فاحضر ، فقال : يا محمد ألم تقل لاتصبر قريش - اى لايقتلون صبراً فقال (ص) : وانت من قريش ؟ انما انت علج من اهل صفورية ، والله لانت فى الميلاد اكبر من ابيك ، الذى تدعى له قال : فمن للصبية ، قال(ص) النار ثم قال : حن قدح ليس منها .

قال سعيد بن جبير: قتل رسول الله (ص) يوم بدر، ثلاثة نفر من قريش صبراً، المطعم بن عدى، والنضربن الحارث، وعقبة بن ابى معيط .

(واذاقالوا) اى واذكر يامحمد اذقالوا ـ اى قال هؤلاء الكفار ـ (اللهم ان كان هذا) الذي جاء به محمد ﷺ (هو الحق من عندك) دون ما نحن عليه (فامطر علينا حجارة من السماء) كما امطرته على قوم لوط (اوائتنا بعذاب اليم) اى شديد مؤلم ، والقائل لذلك ، النضربن الحارث ايضا ، عن سعيد بن جبير ومجاهد .

وروى في الصحيحين أن هذا من قول ابى جهل .

(ويسأل) هاهنا فيقال لم طلبوا العذاب من الله بالحق ، وانما يطلب بالحق ، الخير والثواب ، والاجر (والجواب) انهم كانوا يعتقدون ان ماجاء به النبى (ص) ليس بحق من الله واذا لم يكن حقاً لم يصبهم شيء .

(ويقال) لم قال: امطر من السماء ، والامطار لايكون الا من السماء (وفى هذا جوابان) (احدهما) انه يجوز أن يكون أمطار الحجارة من مكان عال غير السماء (والثانى) انه على طريق البيان ب (من) .

ثم قال سبحانه (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم) ذكر سبحانه سبب امهالهم ومعناه وماكان الله يعذب أهل مكة بعذاب الاستئصال وانت مقيم بين اظهرهم لفضلك وحرمتك يامحمد ، فان الله تعالى بعثك رحمة للعالمين، فلايعذبهم الا بعد ان يفعلوا مايستحقون به سلب النعمة باخراجك عنهم .

قال ابن عباس : ان الله سبحانه لم يعذب قومه حتى اخرجوه منها بقية من المؤمنين بعد خروجك من مكة .

وذلك ان النبى ﷺ لما خرج من مكة بقيت فيها بقية من المؤمنين لم يهاجروا بعذر، وكانوا على عزم الهجرة فرفع الله العذاب عن مشركى مكة لحرمة استغفارهم فلما خرجوا أذن الله في فتح مكة، عن ابن عباس وعطية والضحاك واختاره الجبائى .

(وقيل) : معناه : ومايعذبهم الله بعذاب الاستئصال فى الدنيا وهم يقولون :

غفرانك ربنا ، وانما يعذبهم على شركهم في الاخرة، عن ابن عباس في رواية اخرى ويزيد بن رومان ، وابى موسى ، ومحمد بن مبشر.

وفي تفسير على بن ابراهيم : لماقال النبي صلى الله عليه وآله لقريش : انى اقتل جميع ملوك الدنيا واجرى الملك اليكم فاجيبونى الى مادعوكم اليه، تملكون بها العرب ، وتدين لكم العجم فقال ابوجهل اللهم ان كان هذا هو الحق الاية ، حسداً لرسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم قال غفرانك اللهم ربنا ، فانزل الله وما كان الله ليعذبهم الاية .

ولما همّوا بقتل رسول الله صلى الله عليه وآله واخرجوه من مكة انزل الله سبحانه ومالهم الا يعذبهم الله وهم يصدّون عن المسجد الحرام الاية فعذبهم الله بالسيف يوم بدر وقتلوا .

(وقيل) معناه انهم لو استغفروا لم يعذبوا ، وفى ذلك استدعاء الى الاستغفار عن ابن عباس في رواية اخرى والسدى ، وقتادة ، وابن زيد .

قال مجاهد وفي اصلابهم من يستغفر ، وقال عكرمة: وهم يسلمون فاراد بالاستغفار الاسلام .

وقد روى عن اميرالمؤمنين على عليه السلام انه قال : كان في الارض امانان من عذاب الله وقد رفع احدهما فدونكم الاخر فتمسكوا به وقرء هذه الاية ، وروى ذلك ، عن قتادة ايضا .

(ومالهم ان لايعذبهم الله) معناه ولم لايعذبهم الله ، واى امر يوجب ترك تعذيبهم (وهم يصدون عن المسجد الحرام) اى يمنعون عن المسجد الحرام اولياءه فحذف لان مابعده يدل عليه (وما كانوا اوليائه) اى وما كان المشركون اولياء المسجد الحرام وان سعوا في عمارته .

(ان اوليائه الا المتقون ولكن اكثرهم لايعلمون) معناه : وما اولياء المسجد الحرام الا المتقون ، عن الحسن وهو المروى عن ابى جعفر عليه السلام .

(وقيل): معناه، وما كانوا اولياء الله ان اولياء الله الا المتقون الذين يتركون معاصى الله ويجتنبونها ، والاول حسن، (ويسأل) فيقال: كيف يجمع بين الايتين، وفي الاولى

نفى تعذيبهم وفى الثانية اثبات ذلك ؟

وجوابه على ثلاثة اوجه (احدها) ان المراد بالاول عذاب الاصطلام والاستئصال كما فعل بالامم الماضية ، وبالثانى عذاب القتل والسيف والاسر وغير ذلك بعد خروج المؤمنين من بينهم .

(والآخر) انه اراد : ومالهم ان لايعذبهم الله في الآخرة ، ويريد بالاول عذاب الدنيا ، عن الجبائى .

(والثالث) ان الاول استدعاء للاستغفار، يريد أنه لايعذبهم بعذاب دنيا، ولا آخرة اذا استغفروا وتابوا ، فاذا لم يفعلوا عذبوا ، ثم بين ان استحقاقهم العذاب بصدهم الناس عن المسجد الحرام .

قوله تعالى: **وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاءً (١) وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون (٣٥)**

ثم وصف سبحانه صلاتهم فقال : (وماكان صلاتهم عند البيت) يعنى هؤلاء المشركين الصادّين عن المسجد الحرام (الا مكاءأوتصدية).

قال ابن عباس : كانت قريش يطوفون بالبيت عراة يصفرون ويصفقون ، وصلاتهم معناه دعائهم اى يقيمون المكاء والتصدية مكان الدعاء والتسبيح .

(وقيل) : اراد ليس لهم صلاة ولاعبادة وانما يحصل منهم ما هوضرب من اللهو واللعب ، فالمسلمون الذين يطيعون الله ويعبدونه عند هذا البيت احق بمنع المشركين .

وروى أن النبى (ص) كان اذا صلى فى المسجد الحرام قام رجلان من

---

(١) المكاء، الصفير والمكاء بالتشديد طائر يكون بالحجاز له صفير يقال : مكأ يمكأ مكاءاً ، اذا صفر بفيه، والتصدية، التصفيق وهوضرب اليد على اليد ومنه الصدى ، صوت الجبل ونحوه (مجمع البيان) .

بني‌عبدالدار عن‌يمينه ، فيصفران ، ورجلان عن يساره يصفقان بايديهما فيخلطان عليه صلاته ، فقتلهم الله جميعا ببدرولهم يقول، ولبقية بني‌عبدالدار(فذوقواالعذاب) يعني عذاب السيف يوم بدر، عن الحسن والضحاك .

(وقيل) عذاب الاخرة ، وعلى هذا يكون في الكلام حذف اي يقال لهم : اذا عذبوا ذوقوا العذاب (بماكنتم تكفرون) بتوحيد الله .

قوله تعالى: **ان الذين كفروا ينفقون اموالهـم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونهاثم تكون عليهـم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون (٣٦) ليميزالله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه (١) جميعا فيجعله في جهنم اولئك هم الخاسرون (٣٧)**

ثم ذكرسبحانه انفاق‌المشركين اموالهم في‌معصية الله تعالى فقال:(ان الذين كفروا ينفقون اموالهم) في‌قتال الرسول والمؤمنين(ليصدوا عن سبيل‌الله)اي‌ليمنعوا بذلك الناس ، عن دين الله الذي اتى به محمد ﷺ وانما قال (ليصدوا) وان كانوا: لم‌يقصدوا ذلك من‌حيث لم‌يعلموا انذلك دين الله، لان‌فعلهم ذلك‌كان صداً عن دين الله وان‌لم يقصدوا ذلك .

(فسينفقونها) معناه : فسيقع منهم الانفاق‌لها (ثم‌تكون عليهم حسرة) معناه ، ثم ينكشف لهم ، ويظهر من ذلك الانفاق ما يكون حسرة عليهم ،من حيث انهم لاينتفعون بذلك‌الانفاق ، لافي‌الدنيا ، ولافي‌الاخرة ، بل‌يكون وبالاعليهم(ثم‌يغلبون) في‌الحرب اي‌يغلبهم المؤمنون ، وفي‌هذا دلالة على‌صحة نبوة‌النبي ﷺ‌لانه اخبر بالشيىء قبل كونه، فوجدعلى‌ما اخبربه .

(والذين كفروا الى جهنم يحشرون) اي يجمعون الى النار بعد تحسرهم

---

(١) الركم جمعك شيئاً فوق شيء حتى تجعله ركاماً مركوماً مرتكماً وهو المتراكب بعضه فوق بعض (مجمع البيان)

في الدنيا ووقوع الظفر بهم وقتلهم وانما اعاد قوله : (والذين كفروا) لان جماعة ممن انفقوا اسلموا بعد ، فخص منهم من مات على كفره بوعيد الاخرة .

(ليميز الله الخبيث من الطيب) معناه ، ليميز الله نفقة الكافرين من نفقة المؤمنين (و يجعل الخبيث بعضه على بعض) اى و يجعل نفقة المشركين بعضها فوق بعض (فيركمه) اى فيجمعه (جميعاً) في الاخرة (فيجعله فى جهنم) فيعاقبهم به كما قال : (يوم يحمى عليها فى نار جهنم الاية (١)

(وقيل) معناه ليميز الله الكافر من المؤمن فى الدنيا بالغلبة والنصر والاسماء الحسنة والاحكام المخصوصة، وفى الاخرة بالثواب والجنة، عن أبى مسلم (وقيل) بان يجعل الكافر فى جهنم ، والمؤمن فى الجنة، ويجعل الخبيث بعضه على بعض فى جهنم يضيّقها عليهم (فيركمه جميعاً) اى يجمع الخبيث حتى يصير كالسحاب المركوم، بان يكون بعضهم فوق بعض فى النار مجتمعين فيها (فيجعله فى جهنم) اى فيدخله جهنم (اولئك هم الخاسرون) قد خسروا أنفسهم لانهم اشتروا بانفاق الاموال فى المعصية عذاب الله فى الاخرة .

قوله تعالى : **قل للذين كفروا ان ينتهوا (٢) يغفرلهم ماقدسلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين (٣٨) و قاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فأن الله بمايعملون بصير (٣٩) وان تولوا فاعلموا أن الله موليكم نعم المولى ونعم النصير (٤٠) .**

ثم امر سبحانه نبيه ﷺ بدعائهم الى التوبة و الايمان فقال :(قل) يامحمد (للذين كفروا ان ينتهوا) اى يتوبوا عما هم عليه ، من الشرك ويمتنعوا منه (يغفرلهم ماقدسلف) اى ماقدمضى من ذنوبهم .

---

(١) التوبة ـ ٣٥

(٢) الانتهاء : الا قلاع عن الشيىء لاجل النهى يقال : نهاه عن كذا فانتهى (مجمع البيان).

(وقيل)معناه ان ينتهوا عن المحاربة الى الموادعة،يغفر لهم ماقدسلف من المعاقبة (وان يعودوا فقدمضت سنة الاولين)معناه وان يعودوا الى القتال واصروا على الكفر فقدمضت سنةالله في آبائكم وعادته في نصر المؤمنين وكبت اعداء الدين ، والاسر والاسترقاق ، وانماذكر ذلك تحذيراً لهم ، واضاف السنة اليهم لانها كانت تجرى عليهم،وقال : (سنة من قدارسلنا) فاضاف السنة الى الرسل لانها كانت تجرى على ايديهم ، ثم قال : (و لا تجد لسنتنا تحويلا) (١) فاضاف الى نفسه ، لانه هو المجرى لها .

(وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة) هذا خطاب للنبي ﷺ والمؤمنين بأن يقاتلوا الكفار حتى لاتكون فتنة اى شرك ، عن ابن عباس ، والحسن ومعناه حتى لايكون كافر بغير عهد . لان الكافر اذا كان بغير عهد كان عزيزاً في قومه يدعو الناس الى دينه فتكون الفتنة في الدين (وقيل) : حتى لايفتن مؤمن عن دينه .

(و يكون الدين كله لله) اى ويجتمع اهل الحق واهل الباطل على الدين الحق فيما يعتقدونه ، و يعملون به ، اى و يكون الدين حينئذ كله لله ، باجتماع الناس عليه .

وروى زرارة وغيره عن ابى عبدالله عليه السلام انه قال : لم يجيىء تأويل هذه الاية، ولو قام قائمنا بعد سيرى من يدركه ما يكون من تأويل هذه الاية، وليبلغن دين محمد ﷺ مابلغ الليل،حتى لايكون مشرك على ظهر الارض، كماقال الله تعالى:(يعبدونني لايشركون بي شيئاً(٢)).

(فان انتهوا) عن الكفر (فان الله بمايعملون بصير) معناه فان رجعوا عن الكفر وانتهوا عنه فان الله يجازيهم باعمالهم مجازاة البصير بها ، باطنها وظاهرها ، لايخفى عليه منها شيء (وان تولوا) عن دين الله وطاعته (فاعلموا) ايها المؤمنون (ان الله

---

(١) الاسراء - ٧٧

(٢) النور - ٥٥

مولاكم) اى ناصركم وسيدكم وحافظكم (نعم المولى) اى نعم السيد والحافظ (ونعم النصير) هو ينصر المؤمنين ويعينهم على طاعته ولايخذل من هو ناصره.

قوله تعالى : **واعلموا انما غنمتم (١)من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى و المساكين و ابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير(٤١)**

ثم بيّن سبحانه حكم الغنيمة ، فقال سبحانه مخاطباً للمسلمين:(واعلموا انما غنمتم من شيء) اى مما قلّ اوكثر(فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى)

اختلف العلماء في كيفية قسمة الخمس، ومن يستحقه على اقوال(احدها) ماذهب اليه اصحابنا ، وهو ان الخمس يقسّم على ستة اسهم ، فسهم لله ، وسهم للرسول وهذان السهمان مع سهم ذى القربى للامام القائم مقام الرسول صلى الله عليه وآله،وسهم ليتامى آل محمد، وسهم لمساكينهم،وسهم لابناء سبيلهم لايشركهم في ذلك غيرهم لان الله سبحانه حرم عليهم الصدقات ، لكونها او ساخ الناس ، و عوضهم من ذلك ، الخمس ، وروى ذلك الطبرى ، عن على بن الحسين زين العابدين عليه السلام ، ومحمد بن على الباقر عليه السلام .

وروى ايضاً ، عن ابى العالية، والربيع ، انه يقسم على ستة اسهم ، الاانهما قالا : سهم الله للكعبة ، والباقى لمن ذكره الله ، و هذا القسم مما يقتضيه ، ظاهر الكتاب و يقويه .

(والثانى)ان الخمس يقسم على خمسة اسهم ، وان سهم الله والرسول واحد ويصرف هذا السهم الى الكراع (١) والسلاح، وهو المروى عن ابن عباس وابراهيم

(١) الغنيمة ما اخذ من اموال اهل الحرب من الكفار بقال: وهى هبة من الله تعالى للمسلمين، والفيء ما اخذ بغير قتال (مجمع البيان)

(١) الكراع : اسم لجماعة الخيل خاصة(مجمع البحرين)

وقتادة وعطا.

(والثالث) ان يقسم على اربعة اسهم، سهم ذى القربى لقرابة النبى ﷺ . والاسهم الثلاثة لمن ذكروا بعد ذلك من سائر المسلمين، وهومذهب الشافعى.

(والرابع) انه يقسم على ثلاثة اسهم، لان سهم الرسول قد سقط بوفاته عندهم لان الانبياء لايورثون، فيمايزعمون، وسهم ذى القربى قدسقط، لان ابابكر وعمر لم يعطيا سهم ذى القربى و لم ينكر ذلك احد من الصحابة عليهما ، و هو مذهب ابى حنيفة ، و اهل العراق ، و (منهم) من قال : لواعطى فقراء ذوى القربى سهماً ، و الآخرون ثلاثة اسهم جاز ، و لو جعل ذوو القربى اسوة الفقراء و لا يصرد لهم سهم ، جاز .

واختلف فى ذوى القربى (فقيل): هم بنوهاشم خاصة من ولد عبد المطلب لان هاشما لم يعقب الامنه، عن ابن عباس، ومجاهد، واليه ذهب اصحابنا .

(وقيل): هم بنوهاشم بن عبد مناف ، وبنو المطلب بن عبد مناف، وهومذهب الشافعى، رروى ذلك، عن جبير بن مطعم، عن النبى ﷺ

وقال اصحابنا: ان الخمس واجب فى كل فائدة تحصل للانسان من المكاسب وارباح التجارات ، وفى الكنوز ، والمعادن ، والغوص ، وغيرذلك مماهو مذكور فى الكتب، ويمكن ان يستدل على ذلك بهذه الاية، فان فى عرف اللغة يطلق على جميع ذلك اسم الغنم والغنيمة.

ونعود الى تأويل الاية،قوله(فان لله خمسه) قالوا: افتتح الكلام بالله على جهة التيمن والتبرك، لان الاشياء كلها له عزوجل ، والمراد به مصروف الى الجهات المقرّبة الى الله تعالى، وللرسول.

قالوا: كان للنبى ﷺ سهم من خمسة اسهم يصرفه فى مؤنته ، وما فضل من ذلك يصرفه الى الكراع والسلاح والمصالح، ولذى القربى

قال بعضهم سقط هذان السهمان بموت الرسول ﷺ، على ما ذكرناه ، قال الشافعى : يصرف سهم الرسول الى الخيل والكراع فى سبيل الله، وسهم ذى القربى

لبني‌هاشم، وبني المطلب، يستحقونه بالاسم والنسب فيشترك فيه‌الغني والفقير.

وروى عن الحسن ، وقتادة : ان سهم الله وسهم الرسول وسهم ذى القربى للامام القائم من بعده ينفقه على نفسه وعياله ، ومصالح المسلمين وهو مثل‌مذهبنا .

(واليتامى والمساكين وابن السبيل) قالوا : ان هذه الاسهم الثلاثة لجميع الناس ، وانه يقسم على كل فريق منهم بقدر حاجتهم ، وقد بيّنا ان عندنا يختص باليتامى من بني هاشم ومساكينهم وأبناء سبيلهم .

(ان كنتم آمنتم بالله) قال الزجاج : يجوز أن يكون (ان كنتم آمنتم) معلقة بقوله : (فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير) ان كنتم آمنتم بالله .

(وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان) أى فأيقنوا ان الله ناصركم ان كنتم قد شاهدتم من نصره ، ماقد شاهدتم ، ويجوز أن يكون (ان كنتم آمنتم بالله) معناه : اعلموا ان ماغنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول يأمران فيه بمايريدان ، ان كنتم آمنتم بالله فاقبلوا ماأمرتم به من الغنيمة واعملوا به (وما انزلنا على عبدنا) أى وآمنتم بما انزلنا على محمد ﷺ ، من القرآن .

(وقيل) من النصر (وقيل) من الملائكة أى علمتم ان ظفركم على عدوكم كان‌بنا يوم‌الفرقان، يعنى يوم بدر، لان الله تعالى‌فرق فيه بين‌المسلمين والمشركين باعزاز هؤلاء ، وقمع اولئك (يوم التقى الجمعان)، جمع المسلمين ، وهم ثلاثمأة وبضعة عشررجلا ، وجمع الكافرين، وهم بين تسعمأة الى الف من‌صناديد قريش ورؤسائهم ، فهزموهم ، وقتلوا منهم زيادة على السبعين، واسّروا منهم مثل ذلك، وكان يوم بدريوم الجمعة لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان من سنة اثنتين من الهجرة ، على رأس ثمانية عشرشهراً (وقيل) كان‌التاسع عشر من شهررمضان ، وقد روى ذلك عن ابى عبدالله عليه السلام .

(والله على كل شيء قدير) قد مرّ تفسيره فى سورة البقرة .

وفى تفسير الثعلبى ، قال المنهال بن عمرو : سألت على بن الحسين عليهما السلام ،

وعبدالله بن محمد بن على(١) عن الخمس ، فقالا : هو لنا ، فقلت لعلى : ان الله يقول : (واليتامى والمساكين وابن السبيل) فقال : يتامانا ، ومساكيننا .

وروى العياشي، باسناده عن ابي عبدالله عليه السلام قال: كتب نجدة الحرورى الى ابن عباس: يسأله عن موضع الخمس، فكتب اليه ابن عباس : اما الخمس فانا نزعم انه لنا ، ويزعم قومنا انه ليس لنا ، فصبرنا .

وعن ابى عبدالله عليه السلام قال : ان الله تعالى لمّا حرّم علينا الصدقة انزل لنا الخمس ، فالصدقة علينا حرام ، والخمس لنا حلال ، والكرامة لنا حلال .

قوله تعالى : **اذانتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب اسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضى الله امراً كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وان الله لسميع عليم(٤٢) اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو اراكهم كثيراً لفشلتم(٢) ولتنازعتم(٣) فى الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور(٤) (٤٣) واذ يريكموهم اذ التقيتم(٥) فى اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم ليقضى الله امراً كان مفعولا**

---

(١) وفى ارشاد المفيد ره : عبدالله بن محمد بن على بن الحسين عليهم السلام اخو جعفر بن محمد عليهما السلام من ام واحدة ، كان يشار اليه بالفضل والصلاح (رجال المامقانى ره ج٢ ص٢١٤)

(٢) الفشل ضعف من فزع والفعل منه فشل يفشل (مجمع البيان)

(٣) التنازع : الاختلاف الذى يحاول كل واحد ، نزع صاحبه مما هو عليه (مجمع البيان)

(٤) الصدر الموضع الاجلّ يكون فيه القلب وصدر المجلس اجلّه ، لانه موضع الرئيس (مجمع البيان)

(٥) الالتقاء اجتماع الاتصال لان الاجتماع قد يكون فى معنى من غير اتصال كاجتماع القوم فى الدار ، وان لم يكن هناك اتصال ، ويقال للعسكريين اذا تصافا : التقيا لوقوع العين على العين (مجمع البيان)

والى الله ترجع الامور(٤٤) .

ثم بيّن الله سبحانه نصرته للمسلمين ببدر فقال سبحانه : (اذ انتم) ايها المسلمون (بالعدوة الدنيا) قال ابن عباس: يريد والله قدير على نصركم وانتم اذلة ، اذ أنتم نزول بشفير الوادى الاقرب الى المدينة (وهم) يعنى المشركين أصحاب النفير (بالعدوة القصوى) اى نزول بالشفير الاقصى من المدينة (والركب) يعنى ابا سفيان واصحابه وهم العير (اسفل منكم) أى فى موضع أسفل منكم الى ساحل البحر .

قال الكلبى : كانوا على شط البحر بثلاثة اميال فذكر الله سبحانه مقاربة الفئتين من غير ميعاد ، وماكان المسلمون فيه ، من قلة الماء والرمل، الذى تسوخ فيه الارجل مع قلة العدد والعدّة ، وماكان المشركون فيه ، من كثرة العدد والعدة ، ونزولهم على الماء والعير أسفل منهم، وفيها اموالهم ، ثم مع هذا كله نصر المسلمين عليهم ، ليعلم ان النصر من عنده سبحانه .

(ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد) معناه لو تواعدتم ايها المسلمون للاجتماع فى الموضع الذى اجتمعتم فيه ثم بلغكم كثرة عددهم مع قلة عددكم لتأخرتم فنقضتم الميعاد ، عن ابن اسحاق .

(وقيل) : معناه لاختلفتم بما يعرض من العوائق والقواطع ، فذكر الميعاد لتأكيد أمره فى الاتفاق ولو لطف الله مع ذلك لوقع على الاختلاف .

(ولكن ليقضى الله أمراً كان مفعولا) معناه ، ولكن قدر الله تعالى التقائكم وجمع بينكم ، وبينهم على غير ميعاد منكم ليقضى الله امراً كان كائناً لامحالة ، وهو اعزاز الدين وأهله ، واذلال الشرك وأهله ، ومعنى (ليقضى) ليظهر قضاءه ، اذ الله تعالى قد قضى ماهو كائن ومعنى قوله : (مفعولا) أى واجباً كونه لامحالة يقال للامر الكائن لامحالة : هذا أمر مفروغ منه .

(وقيل) : معناه ليتمّ امراً كان فى علمه مفعولا لامحالة ، من اظهار الاسلام ، واعلاء كلمته على عبدة الاصنام .

(ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بيّنة) اى فعل ذلك ليموت من مات منهم بعد قيام الحجة عليه بما رأى من المعجزات الباهرات للنبى ﷺ فى حروبه وغيرها ، ويعيش من عاش منهم ، بعد قيام الحجة عليه .

(وقيل) : ان البينة ، هى ماوعد الله من النصر للمؤمنين على الكافرين صار ذلك حجة على الناس فى صدق النبى ﷺ فيما آتاهم به من عند الله .

(وقيل) : معناه ليهلك من ضلّ بعد قيام الحجة عليه فتكون حياة الكافر وبقائه هلاكاً له ، ويحيى من اهتدى بعد قيام الحجة عليه فيكون بقاء من بقى على الايمان حياة له وقوله (عن بيّنة) يعنى بعد بيان .

(وان الله لسميع عليم) لاقوالهم (عليم) بمافى ضمائرهم فهو يجازيهم بحسب مايكون منهم (اذ يريكهم الله) العامل فى (اذ) ماتقدم ، وتقديره اتاكم النصر ، اذ كنتم بشفير الوادى ، اذيريكهم الله (وقيل) : العامل فيه محذوف، وتقديره ، واذكر يامحمد اذيريكهم الله ، اى يريك الله يامحمد هؤلاء المشركين الذين قاتلوكم يوم بدر.

(فى منامك قليلا ولواريكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم فى الامر) معناه : يريكهم الله فى نومك قليلا لتخبر المؤمنين بذلك، فيجترئ المؤمنون على قتالهم ، وهذا قول اكثر المفسرين ، وهذا جائز ، لان الرؤيا فى النوم هى تصور يتوهم معه الرؤية فى اليقظة ولايكون ادراكاً ، ولا علماً ، بل كثير ممايراه الانسان فى نومه ، يكون تعبيره بالعكس مما رآه كما يكون تعبير البكاء ضحكاً .

قال الرمانى : ويجوز أن يرى الله الشيء فى المنام على خلاف ماهو به لان الرؤيا فى المقام تخيّل للمعنى من غير قطع ، وان جامعه قطع من الانسان على المعنى وانما ذلك على مثل مايخيّل السراب ماء من غير قطع على انه ماء ، ولايجوز ان يلهمه اعتقاداً للشيء على خلاف ماهو به ، لان ذلك يكون جهلا لايجوز ان يفعله الله سبحانه .

والرؤيا على اربعة أقسام ، رؤيا من الله عزوجل ، ولها تأويل ، ورؤيا من وساوس الشيطان ، ورؤيا من غلبة الاخلاط، ورؤيا من الافكار وكلها أضغاث احلام ،

الا الرؤيا من قبل الله تعالى التى الهام فى المنام ، ورؤيا النبى صلى الله عليه وآله هذه ،كانت بشارة له وللمؤمنين بالغلبة .

وقال الحسن : معنى قوله (فى منامك) فى موضع نومك أى فى عينك التى تنام بها ، وليس من الرؤيا فى النوم ، وهو قول البلخي ، وهذا بعيد ، لانه خلاف الظاهر .

(ولواريكهم كثيراً) على ماكانوا عليه لجبنتم عنقتالهم وضعفتم، ولتنازعتم فى أمرالقتال، فكان يقول بعضكم نقاتلهم ، وبعض آخر يخالفونهم ، ويقول بعضكم لبعض تقدم انت فى القتال ، ويتأخر هوبنفسه (ولكنه سلّم) اى سلّم المؤمنينعن الفشل والتنازع ، واختلاف الكلمة ، واضطراب الامر بلطفه لهم ، واحسانه اليهم حتى بلغوا ماارادوه من عدوهم (انه عليم بذات الصدور) اى بما فى قلوبكم يعلم انكم لوعلمتم كثرة عدوكم لرغبتم عن القتال .

(واذ يريكموهم اذ التقيتم فىأعينكم قليلا) الكاف والميم كناية عنالمؤمنين والهاء والميم كناية عن المشركين ، اضاف الرؤيا فى النوم الى النبى ﷺ لان رؤيا الانبياء عليهم السلام لاتكون الا حقاً ، واضاف روية العين اليهم ، قلل الله المشركين فى أعين المؤمنين ، ليشتد بذلك طمعهم فيهم ، وجرأتهم عليهم ، وقلّل المؤمنين فى أعين المشركين لئلا يتأهبوا لقتالهم ، ولا يكترثوا بهم فيظفر بهم المؤمنون ، وذلك قوله تعالى : (ويقللكم فى أعينهم) .

وقد وردت الرواية ، عن ابن مسعود ، قال : قلت لرجل بجنبي : أتراهم سبعين رجلا ؟ فقال : هم قريب من مأة .

وقد روى ان ابا جهل كان يقول : خذوهم بالايدى أخذاً ولاتقاتلوهم .

ومتى قيل : كيف قالهم الله فى أعينهم مع رؤيتهم لهم ؟ قالوا فالقول انه يجوز ان يكون ذلك لبعض الاسباب المانعة من الرؤية (اما) بغبار (او) ماشاكله فتخيّلوهم بأعينهم قليلامن غير رؤية عن الصحة لجميعهم ، وذلك لطف منالطاف الله تعالى .

(ليقضى الله امراً كان مفعولا) انما كرره سبحانه ، مع ذكره في الاية الاولى لتكرر الفائدة ، لان المعنى في الاية الاولى جمعكم من غير ميعاد ليقضى الله أمراً كان مفعولا ، من الالتقاء على تلك الصفة ، والمعنى هنا انه قلّل كل فريق فى عين صاحبه ، ليقضى امراً كان مفعولا ، من اعزاز الدين بجهادكم .

(وقيل) اراد بالاول الوعد بالنصرة يوم بدر ، وبالثانى الاستمرار على النصر (وقيل) انما كرر للتأكيد ، وانما قال : (كان مفعولا) ، والمعنى يكون مفعولا في المستقبل لتحقيق كونه لامحالة حتى صار بمنزلة ماقد كان لعلمه سبحانه انه كائن لامحالة (والى الله ترجع الامور) مرّ معناه .

قوله تعالى : **ياايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون(۴۵) واطيعوا الله ورسوله ولاتنازعوا فتفشلوا(١) وتذهب ريحكم(٢) واصبروا ان الله مع الصابرين(۴۶) ولاتكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً(٣) ورئاء(۴) الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط(۴٧) .**

ثم أمر سبحانه بالقتال والثبات فى الحرب فقال : (ياايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة) أى جماعة كافرة (فاثبتوا) لقتالهم ولاتنهزموا ، وانما اطلق الفئة لان من المعلوم ان المؤمن ، لايقاتل الا الفئة الكافرة او الباغية ، فحذف للايجاز .

(واذكروا الله كثيراً) مستعينين به على قتالهم ، ومتوقعين النصر من قبله عليهم

---

(١) رجل فشل أى ضعيف جبان ، والجمع افشال وفشل بالكسر اذا جبن (مجمع البحرين)

(٢) الريح الدولة (مجمع البيان)

(٣) البطر الخروج عن موجب النعمة من شكرها واصل البطر الشق ومنه البيطار لانه يشق اللحم بالمبضع (مجمع البيان)

(۴) الرياء اظهار الجميل ليرى مع ابطان القبيح (مجمع البيان)

(وقيل) معناه ، واذكروا ماوعدكم الله تعالى من النصر على الاعداء في الدنيا والثواب في الاخرة ليدعوكم ذلك الى الثبات في القتال (لعلكم تفلحون) أي لكي تفلحوا وتنجحوا بالنصر والظفر بهم ، وبالثواب عند الله يوم القيمة .

(واطيعوا الله ورسوله) فيما يأمر انكم به (ولاتنازعوا فتفشلوا) اى لاتتنازعوا في لقاء العدو ، ولا تختلفوا فيما بينكم فتجبنوا عن عدوكم ، وتضعفوا عن قتالهم (وتذهب ريحكم) معناه تذهب صولتكم وقوتكم ، وقال مجاهد ، نصرتكم ، وقال الاخفش دولتكم ، والريح ههنا كناية عن نفاذ الامر وجريانه على المراد تقول العرب: هبّت ريح فلان اذا جرى امره على مايريد وركدت ريحه اذا ادبر أمره ،

(وقيل) ان المعنى ريح النصر التي يبعثها الله مع من ينصره على من يخذله ، عن قتادة ، وابن زيد ، ومنه قوله ﷺ : نصرت بالصبا ، واهلكت عاد بالدبور .

(واصبروا) على قتال الاعداء لان الله مع الصابرين بالنصر والمعونة (ولاتكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً) اى بطرين يعني قريشا . خرجوا من مكة ليحموا غيرهم فخرجوا معهم بالقيان (١) و المعازف (٢) يشربون الخمور و تعزف عليهم القيان .

(ورئاء الناس) قيل: انهم كانوا يدينون بعبادة الاصنام فلما اظهروا التقرب بذلك الى الناس كانوا مرائين (وقيل) انهم وردوا بدراً ليروا الناس انهم لا يبالون بالمسلمين ، وفي قلوبهم من الرعب مافيه فسمى الله سبحانه ذلك رئاء (ويصدون عن سبيل الله) اى ويمنعون غيرهم عن دين الله (والله بمايعملون محيط) اى عالم باعمالهم

---

(١) القينة ، الامة مغنية كانت اوغير مغنية وقيل الامة البيضاء (مجمع البحرين)

(٢) المعازف هي آلات اللهو يضرب بها ، الواحد عزف رواية عن العرب واذا افرد المعزف بكسر الميم فهو نوع من الطنابير يتخذه اهل اليمن كذا نقل عن المغرب ، وفي النهاية ، العزف اللعب بالمعازف وهي الدف وغيرها ممايضرب بها (مجمع البحرين)

فيجازيهم عليها ولايخفى عليه منها شيء .

قوله تعالى : **واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لاغالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال : اني بريء منكم اني ارى مالاترون اني اخاف الله والله شديدالعقاب . (٤٨)**

(واذ زين لهم الشيطان اعمالهم) دخلت الواو عطفاً على حال المشركين في خروجهم بطراً ورئاء الناس يعني ، وفي وقت تزيين الشيطان اعمالهم (وقيل) انه يعني واذكرواذ زين الشيطان للمشركين اعمالهم اى حسّنها في نفوسهم ، وذلك ان ابليس حسن لقريش مسيرهم الى بدر لقتال النبي ﷺ .

(وقال : لا غالب لكم اليوم من الناس) اى لايغلبكم احد من الناس لكثرة عدوكم وقوتكم (واني) اى مع ذلك (جارلكم) اى ناصرلكم ودافع عنكم السوء (وقيل) : معناه واني عاقدلكم عقد الامان من عدوكم من قوله : ولايجير ولايجار عليه .

(فلماتراءت الفئتان) اى التقت الفئتان (نكص على عقبيه) اى رجع القهقرى منهزماً وراءه (وقال اني بريء منكم اني ارى مالاترون) اى رجعت عما كنت ضمنت لكم من الامان والسلامة، لاني ارى من الملائكة الذين جاءوا لنصر المسلمين مالا ترون وكان ابليس يعرف الملائكة وهم كانوا يعرفونه .

(اني اخاف الله) اى اخاف عذاب الله على ايدي من اراهم (و الله شديد العقاب) لايطاق عقابه (و قيل) : معناه اني اخاف ان يكون قد حل الوقت الذي انظرت اليه،فان الملائكة لاينزلون الالقيام الساعة، (او) للعقاب (وقال قتادة) كذب عدو الله ، مابه من مخافة ، ولكنه علم انه لاقوة له ولا منعة ، وذلك عادة عدوالله لمن اطاعه حتى اذا التقى الحق والباطل اسلمهم وتبرء منهم ، وعلى هذا فيكون قوله : (ارى ما لاترون) معناه اعلم ما تعلمون واخاف الله ان يهلكني فيمن يهلك .

واختلف في ظهور الشيطان يوم بدر كيف كان ؟ (فقيل) ان قريشاً لمااجمعت

المسير ، ذكرت الذى بينها وبين بنى بكر بن عبدمناف بن كنانة من الحرب وكاد ذلك ان يثنيهم فجاء ابليس فى جندمن الشيطان فتبدى لهم فى صورة سراقةبن مالك بن جشعم الكنانى، ثم المدلجى وكان من اشراف كنانة فقال لهم(لاغالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم) اى مجير لكم من كنانة .

فلما راى ابليس الملائكة نزلوا من السماء وعلم انه لاطاقة له بهم (نكص على عقبيه) عن ابن عباس والسدى والكلبى وغيرهم .

(وقيل) انه لما التقوا كان ابليس فى صف المشركين آخذاً بيد الحارث بن هشام فنكص على عقبيه فقال له الحارث يا سراقة اين ؟ أتخذلنا على هذه الحالة ؟ فقال له انى أرى مالاترون ، فقال والله ما نرى الا جعاسيس (١) يثرب ، فدفع فى صدر الحرث وانطلق وانهزم ، فلما قدموا مكة ، قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ماشعرت. بمسيركم حتى بلغنى هزيمتكم، فقالوا انك أتيتنا يوم كذا؟ فحلف لهم ، فلما اسلموا علموا ان ذلك كان الشيطان ، عن الكلبى .

وروى ذلك عن ابى جعفر وابى عبدالله عليهما السلام .

(وقيل) ان ابليس لايجوزان يقدر على خلع صورته، ولبس صورة سراقة، ولكن الله تعالى جعل ابليس فى صورة سراقة علما للنبى صلى الله عليه وآله ، وانما فعل ذلك، لانه علم انه لولم يدع المشركين انسان الى قتال المسلمين، فانهم لايخرجون عن ديارهم حتى يقاتلهم المسلمون لخوفهم من بنى كنانة، فصوّره بصورة سراقة حتى تم المراد فى اعزاز الدين ، عن الجبائى وجماعة .

(وقيل) ان ابليس لم يتصورفى صورة الانسان، وانما قال ذلك لهم على وجه الوسوسة عن الحسن ، واختاره البلخى (والاول هو المشهور فى التفاسير) .

ورأيت فى كلام الشيخ المفيدابى عبدالله محمد بن محمد بن النعمان (رضى الله عنه) انه يجوزان يقدر الله الجن، ومن جرى مجراهم على ان يجتمعوا ويعتمدوا

(١) الجعسوس : القصير الدميم ج جعاسيس (اقرب الموارد)

ببعض جواهرهم على بعض حتي يتمكن الناس من رؤيتهم ، ويتشبهوا بغيرهم من انواع الحيوان، لان اجسامهم من الرقة على مايمكن ذلك فيها، وقد وجدنا الانسان يجمع الهواء ويفرقه ويغيّر صور الاجسام ، الرخوة ضروباً من التغيير واعيانها لم تزد و لم تنقص وقد استفاض الخبر، بان ابليس تراءى لاهل دار الندوة في صورة شيخ اهل من نجد ، وحضر يوم بدر في صورة سراقة وان جبرئيل عليه السلام ظهر لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في صورة دحية الكلبي (قال) وغير محال ايضاً ان يغير الله تعالى صورهم ويكشفها في بعض الاحوال فيراهم الناس لضرب من الامتحان .

قوله تعالى : **اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم (٤٩) ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا عذاب الحريق (٥٠) ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد (٥١)**

(اذ يقول المنافقون) هذا يتعلق بما قبله ، معناه واذ زين لهم الشيطان اعمالهم اذ يقول المنافقون (فلذلك حذف الواو) وهم الذين يبطّنون الكفر ويظهرون الايمان.

(و الذين في قلوبهم مرض) وهم الشاكون في الاسلام مع اظهارهم كلمة الايمان .

(وقيل) انهم فتية من قريش اسلموا بمكة ، واحتبسهم آبائهم ، فخرجوا مع قريش يوم بدر وهم قيس بن الوليد بن المغيرة وعلي بن امية بن خلف والعاص بن منبه الحجاج والحارث بن زمعة وابوقيس بن الفاكهة بن المغيرة لما رأواقلة المسلمين قالوا:(غرّ هؤلاء دينهم) اي غرّ المسلمين دينهم حتى خرجوا مع قلتهم لاجل دينهم الى قتال المشركين مع كثرتهم ولم يحسنوا النظر لانفسهم حين اغتروا بقول رسولهم .

فبين الله تعالى انهم هم المغرورون بقوله : (ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم) معناه ومن يسلّم لامر الله و يثق به ويرض بفعله وان قل عددهم ، فان

الله تعالى ينصرهم على اعدائهم وهو عزيزلايغلب ، فكذلك لايغلب من تو كل عليه وهو حكيم يضع الامور مواضعها على ما تقتضيه الحكمة .

(ولو ترى) يا محمد (اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة) اى يقبضون ارواحهم عند الموت (يضربون وجوههم وادبارهم) يريد استاههم ، ولكن الله سبحانه كنى عنها ، عن سعيد بن جبير ومجاهد .

(وقيل) (وجوههم) ما اقبل منهم (وادبارهم) ما ادبر منهم والمراد يضربون اجسادهم من قدامهم ومن خلفهم ، والمراد به قتلى بدر ، عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير واكثر المفسرين .

(و قيل) معناه سيضربهم الملائكة عند الموت ، قال الرماني : وهذا غلط لانه خلاف الظاهر .

وروى الحسن قال : انرجلا قال يا رسول الله انى رأيت بظهر ابي جهل مثل الشراك فقال ﷺ ذاك ضرب الملائكة .

وروى مجاهد ان رجلا قال للنبى ﷺ انى حملت على رجل من المشركين فذهبت لاضربه ، فندر ، فقال : سبقك اليه الملائكة .

(وذوقوا عذاب الحريق) اى ويقول الملائكة للكفار استخفافا بهم : ذوقوا عذاب الحريق ، بعد هذا فى الاخرة (وقيل) انه كان مع الملائكه يوم بدر مقامع من حديد كلما ضربوا المشركين بها التهبت النار فى جراحاتهم ، فذلك قوله : فذوقوا عذاب الحريق .

(ذلك) اى ذلك العقاب لكم (بماقدمت ايديكم) اى بما قدمتم وفعلتم ، وانما اضاف الى اليد على التغليب ، لان اكثر الافعال تكون باليد والمراد بـ (ذلك) جنايتكم الكفروالمعاصى (وأن الله ليس بظلام للعبيد) اى لايظلم عباده فى عقوبتهم، من حيث انه انما عاقبهم بجناياتهم على قدراستحقاقهم، وفى هذا دلالة واضحة على بطلان مذهب المجبرة فى انه يخلق الكفر ، ثم يعذب عليه ، وانه يجوز أن يعذب

من غير ذنب ، وأن يأخذ بذنب غيره لان هذا غاية الظفر ، وقد بالغ عز اسمه في في نفي الظلم عن نفسه بقوله : (ليس بظلام للعبيد) .

قوله تعالى: **كدأب (١) آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوى شديد العقاب (٥٢) ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم، وان الله سميع عليم (٥٣) كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم، فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين (٥٤)**

ثم بيّن سبحانه أن حال هؤلاء الكفار كحال الذين من قبلهم فقال :(كدأب آل فرعون) اى عادة هؤلاء المشركين في الكفر بمحمد ﷺ، كعادة آل فرعون (والذين من قبلهم) في الكفر بالرسل وماانزل اليهم (وقيل) معناه عقوبة الله تعالى لهؤلاء الكفار كعقوبته لال فرعون، وآل فرعون اتباعه.

والفرق بين آل فرعون واصحاب فرعون، ان الاصحاب مأخوذ من الصحبة و كثر في الموافقة في المذهب ، كما يقال : اصحاب الشافعي و ابى حنيفة يراد به الموافقة في المذهب، ولا يقال : آل الشافعي الالمن يرجعون اليه بالنسب الاوكد الاقرب .

(كفروا بآيات الله) كما كفر هؤلاء (فاخذهم الله) اى فعاقبهم الله (بذنوبهم ان الله قوى) اى قادر لايقدر احد على منعه عن احلال العقاب بمايريد (شديد العقاب) لمن استحقه، ولايوصف الله سبحانه بانه شديد، لان الشديد هو المتداخل على صعوبة تفككه، وانما وصف العقاب بالشدة دون نفسه و شبه حال المشركين في تكذيبهم بآيات الله بحال آل فرعون ، لان تعجيل العقاب لهؤلاء بالاهلاك كتعجيله لاولئك

---

(١) الدأب العادة والطريقة يقال: مازال ذلك دأبه ودينه وديدنه، قال الزجاج الدأب ادامة الفعل دأب يدأب في كذا اذا دام عليه، وهو دائب يفعل كذا أي يجرى فيه على عادة (مجمع البيان)

بعذاب الاستئصال .

(ذلك) اى ذلك الاخذ والعقاب لهم (بانالله لم يك مغيراً نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم) معناه : بانالله لم يكن يزيل نعمة أنعمها على قوم حتى يتغيروا، هم عن احوالهم المرضية الى احوال لايجوز لهم أن يتغيروا، اليهاوهوان يستبدلوا المعصية بالطاعة، وكفران النعمة بشكرها .

وقد يسلب الله تعالى، النعمة على وجه المصلحة، لاعلى وجه العقاب امتحاناً لمصلحة يعلمهافى ذلك ، ولكن لايسلبهابفعل النقمة على وجه العقاب الاعمن استحق العقاب، قال السدى : النعمة التى انعمهاالله عليهم، محمد ﷺ،انعم الله به على قريش فكفروا به وكذبوه فنقله الى الانصار (وانالله سميع) لاقوالهم (عليم) بضمائرهم وبكل شيء .

(كدأب آل فرعون والذين من قبلهم) اى كعادتهم و طريقتهم فى التكذيب بآيات الله، عادة هؤلاء (كذبوابآيات ربهم) اى بحججه وبيناته (فاهلكناهم بذنوبهم) اى استأصلناهم (و اغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين) اى كل هؤلاء المهلكين كانوا ظالمين لانفسهم، فلم نعاقب فريقاً منهم الاعن استحقاق

وانما كرر قوله : ـ كدأب آل فرعون ـ لانه اراد (بالاول) بيان حالهم فى استحقاق عذاب الاخرة (وفى الثانى) بيان استحقاقهم لعذاب الدنيا (وقيل): ان الاول تشبيه حالهم بحال اولئك فى التكذيب (وفى الثانى) تشبيه حالهم بحالهم فى الاستئصال (وقيل) ان الاول فى اخذهم بالعذاب، والثانى فى كيفية العذاب (وقيل) ان آل فرعون كانوا على احوال مختلفة فى المعصية فبين مشاركة هؤلاء اياهم فى تلك الاحوال .

قوله تعالى : **ان شر الدواب عندالله الذين كفروا فهم لايؤمنون (٥٥) الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لايتقون(٥٦)**

ثم ذم سبحانه الكفار فقال(ان شر الدواب عندالله) اى شر من يدب على وجه الارض فى معلوم الله، او فى حكم الله (الذين كفروا) واستمروا على كفرهم (فهم

لايؤمنون) هذا اخبار عن قوم من المشركين انهم لايؤمنون ابداً فخرج المخبر على وفق الخبر، فماتوا مشركين.

ثم وصفهم الله فقال: (الذين عاهدت منهم) اى من جملتهم والضمير العائد الى (الذين) محذوف اى الذين عاهدت منهم اى من المشركين (وقيل): ان (من) مزيدة و انما دخلت لان معنى عاهدتم اخذت العهد منهم، و كما قال: (ردف لكم) (١) لان معنى ردف، قرب، فعومل بما يعامل به (وقيل) معناه عاهدت معهم، قال مجاهد: اراد به يهود بني قريظة، فانهم كانوا قدعاهدوا النبي صلى الله عليه و آله على ان لايضروا به ولايمالئوا عليه عدواً، ثم مالئوا عليه الاحزاب يوم الخندق واعانوهم عليه بالسلاح وعاهدوا مرة اخرى فنقضوا فانتقم الله منهم

(ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة) اى كلما عاهدتهم نقضوا العهد ولم يفوا به (وهم لايتقون) نقض العهد (وقيل) لاينقون عذاب الله تعالى.

قوله تعالى: **فاما تثقفنهم (٢) فى الحرب فشرد بهم (٣) من خلفهم لعلهم يذكرون (٥٧) واما تخافن من قوم خيانة (٤) فأنبذ اليهم على سواء (٥) ان الله لايحب الخائنين (٥٨)**

ثم حكم سبحانه فى هؤلاء الناقضين للعهود، فقال لنبيه صلى الله عليه و آله (فاما تثقفنهم فى الحرب) معناه فاما تصادفتهم فى الحرب اى ان ظفرت بهم وادركتهم

---

(١) النمل- ٧٢.

(٢) الثقف، الظفر، والادراك بسرعة (مجمع البيان)

(٣) التشريد التفريق على اضطراب (مجمع البيان)

(٤) الخيانة نقض العهد فيما أوتمن عليه (مجمع البيان)

(٥) النبذ القاء الخبر الى من لا يعلمه (مجمع البيان)

(٦) السواء، العدل ومنه قيل للوسط سواء لاعتداله الى الجهات وقيل: عنى بقوله: على سواء على استواء فى العلم به (مجمع البيان)

(فشرد بهم من خلفهم) اى فنكل بهم تنكيلا، وأثر فيهم تأثيراً يشردبهم من بعدهم ويطردهم ويمنعهم من نقض العهد بان ينظروا فيهم فيعتبروا بهم فلا ينقضو العهد ، ويتفرقوا في البلاد مخافة ان تعاملهم بمثل ما عاملتهم‌به ، وان يحل‌بهم ماحل بهم ، وهذا معنى قول ابن‌عباس، والحسن و قتادة ، و سعيدبن جبيروالسدى .

وقال الزجاج : معناه افعل بهم فعلا من القتل تفرق بهم من خلفهم (وقيل) : ان معنى (شردبهم) سمع بهم بلغة قريش(لعلهم يذكرون) اى‌لكى‌يتذكرواويتعظوا وينزجروا عن مثل ذلك .

(واما تخافن من قوم خيانة) معناه : وان خفت يامحمد من قوم بينك و بينهم عهد خيانة فيه ، لان الخيانة انما تكون بعد تقدم العهد ولم يظهر منهم نقض العهد بعد (فانبذ اليهم على سواء) اى فالق اليهم مابينك وبينهم، من العهد ، واعلمهم‌بانك قد نقضت‌ما شرطت لهم لتكون انت وهم في العلم بالنقض على استواء ولاتبدءهم بالقتال من قبل ان تعلمهم بنقض العهد حتى لاينسبوك‌الى الغدر بهم، فهذا معنى‌قوله (على سواء)

(وقيل) معنى قوله : (على سواء) على عدل- اى ان‌كان بينك و بينهم عهد بغير مال فأعلمهم بانك قد نقضت عهدهم، وان‌كان العهد على‌مال فردالمال‌عليهم‌ثم انقض العهد(ان الله لايحب‌الخائنين)اى بنقضهم، معناه فلا تخنهم بأن تبدأهم‌بالقتال من غيراعلامهم بنقض العهد، قال الواقدى: هذه الاية نزلت في بنى قينقاع ، وبهذه الاية صار النبى ﷺ .

قوله تعالى: **ولاتحسبن‌الذين كفرواسبقوا انهم لايعجزون(٥٩) واعدوا لهم ما استطعتم‌من‌قوة ومن رباط الخيل ترهبون(١) به‌عدوالله‌وعدوكم وآخرين من دونهم‌لاتعلمونهم الله يعلمهم‌وما تنفقوا من‌شيءفى سبيل‌الله**

---

(١) الارهاب ازعاج النفس بالخوف(مجمع البيان)

يوف اليكم وانتم لاتظلمون(٦٠) وان جنحوا(٢) للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم(٦١)

لما تقدم الامر بقتال الكفار عقبّه سبحانه بوعد النصر والامر بالاعداد لقتالهم فقال : (ولاتحسبن الذين كفروا) معناه : و لا تحسبن يا محمد اعداءك الكافرين قد سبقوا امرالله وأعجزوه، وانهم قد فاتوك، فان الله سبحانه يظفرك بهم كما وعدك ويظهرك عليهم، والسبق ، والفوت بمعنى واحد.

(وقيل) معناه لاتحسبن من أفلت من هذه الحرب انه قد سبق الى الحياة، عن الزجاج ، والخطاب للرسول ﷺ والمراد به غيره.

(و قيل) : انه انما قاله تطييباً لقلبه في الهار بين كما طيّب قلبه في المقتولين والمأسورين ، وعلى القرائة بالياء ، فالمعنى لايحسبن الكافرون انفسهم سابقين او لايحسبن الكافرون انهم سابقون .

(انهم لايعجزون) اى لايعجزون الله ولايفوتونه حتى لايبعثهم الله يوم القيمة، عن الحسن (وقيل) معناه : لايعجزونك ، عن الجبائى .

(واعدوا لهم مااستطعتم من قوة) هذا امر منه سبحانه بان يعدّوا السلاح قبل لقاء العدو، ومعناه : واعدّوا للمشركين ماقدرتم عليه ممايتقوى به على القتال من الرجال ، وآلات الحرب ، وروى عقبة بن عامر عن النبى ﷺ: ان القوة الرمى ، وعلى هذا فيكون معناه : انه من القوة (وقيل) : ان القوة اتفاق الكلمة ، والثقة بالله تعالى ، والرغبة في ثوابه (وقيل) : القوة الحصون ، عن عكرمة .

(ومن رباط الخيل) اى ومن ربطها واقتنائها للغزو ، وهى من أقوى عدد الجهاد ، وروى عن النبى (ص) انه قال ارتبطوا الخيل ، فان ظهورها لكم عز ، واجوافها كنز (وقيل) ان القوة ذكور الخيل ، والرباط ، الاناث منها ، عن الحسن

(٢) الجنوح الميل ومنه جناح الطائر لانه يميل به فى احد شقيه، ولاجناح عليه اى لاميل الى مأثم(مجمع البيان)

وعكرمة(ترهبون به) اى تخوفون بماتعدّونه لهم (عدوالله وعدوكم) يعنيمشركى مكة وكفارالعرب .

((وآخرين من دونهم) اى وترهبون كفاراً آخرين دون هؤلاء، واختلفوا فى الاخرين (فقيل) انهم بنوقريظه ، عن مجاهد (وقيل) هم أهل فارس عن السدى (وقيل) هم المنافقون لايعلم المسلمون أنهم أعدائهم وهم أعدائهم ، عن الحسن وابن زيد .

(لاتعلمونهم)معناه:لاتعرفونهم،لانهميصلّون، ويصومون،ويقولونلااله‌الاالله محمد رسول الله ، ويختلطون بالمؤمنين (الله يعلمهم) اى يعرفهم لانه المطلع على الاسرار (وقيل) هم الجن ، وهواختيار الطبرى ، قال لان (الاعداء) دخلفيه جميع المتظاهرين بالعداوة فلميبق الا من لايشاهد .

(وماتنفقوا منشيء فىسبيل الله) اى فى الجهاد ، وفىطاعة الله (يوفاليكم) اى يوفرعليكم ثوابه فى الاخرة (وأنتم لاتظلمون) اى لاتنقصون شيئاً منه .

(وان جنحوا للسلم اى مالوا الى الصلح وترك الحرب (فاجنح لها) اى مل اليها واقبلها منهم ، وانما أنّث ، لان السلم بمعنى المسالمة (وتوكل على الله) اى فوض امرك الى الله (انه هو السميع العليم) لاتخفى عليه خافية (وقيل) : ان هذه الاية منسوخة بقوله : (اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) (١) وقوله : (قاتلواالذينلايؤمنون بالله) الاية (٢)، عنالحسن وقتادة (وقيل): انها ليستمنسوخة لانها فى الموادعة لاهل الكتاب ، واخرى لعباد الاوثان .

وهذا هوالصحيح لان قوله : (اقتلوا المشركين) والاية الاخرى نزلتا فى فى سنة تسع فى سورة براءة ، وصالح رسول الله ﷺ وفد نجران بعدها .

---

(١) التوبه : ٥

(٢) التوبة : ٢٩

قوله تعالى : **وان يريدوا ان يخدعوك(١) فان حسبك الله هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين (۶٢) والف بين قلوبهم لوانفقت مافى الارض جميعاً ماالفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيزحكيم (۶٣) .**

ثم خاطب الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله فقال (وان يريدوا ان يخدعوك) معناه وان يزد الذين يطلبون منك الصلح ان يخدعوك فى الصلح بان يقصدوا بالتماس الصلح دفع اصحابك والكف عن القتال حتى بقوا فيبدؤكم من غير استعداد منكم .

(فان حسبك الله) اى فان الذى يتولى كفايتك ، الله (هوالذى ايدك بنصره وبالمؤمنين) اى هوالذى قواك بالنصر من عنده وأيدك بالمؤميين الذين ينصرونك على اعدائك (والّف بين قلوبهم) واراد بالمؤمنين الانصار،وهم الاوس والخزرج عن ابى جعفر عليه السلام والسدى واكثر المفسرين .

واراد بتأليف القلوب ماكان بين الاوس والخزرج ، من المعاداة والقتال ، فانه لم يكن حيان من العرب بينهما من العداوة مثل ماكان بين هذين الحيين، فالّف الله بين قلوبهم حتى صاروا متوارين متحابين ببركة نبينا صلى الله عليه وآله (وقيل) اراد كل متحابين فى الله ، عن مجاهد .

(لو انفقت مافى الارض جميعا ماالفت بين قلوبهم) اى لم يمكنك جمع قلوبهم على الالفة ، وازالة ضغائن الجاهلية (ولكن الله الف بينهم) بان لطف لهم بحسن تدبيره ، وبالاسلام الذى هداهم اليه (انه عزيزحكيم) لايمتنع عليه شىء يريد فعله ولايفعل الا ماتقتضيه الحكمة .

قال الزجاج وهذا من الايات العظام وذلك أن النبى صلى الله عليه وآله ،

---

(١) الخدع و الخديعة اظهار المحبوب مع ابطان المكروه (مجمع البيان) .

بعث الى قوم أنفتهم (١) شديدة بحيث لولطم رجل من قبيلة لطمة قاتل عنه قبيلته ، فالف الايمان بين قلوبهم حتى قاتل الرجل اباه ، واخاه ، واينه ، فاعلم الله سبحانه ان هذا ماتولاه منهم الا هو.

قولهتعالى : ياايها النبيحسبك اللهومن اتبعك(٢) من المؤمنين(٦٤) ياايهاالنبيحرض(٣) المؤمنينعلى القتالانيكنمنكم عشرونصابرون(٤) يغلبوا مأتين وان يكن منكم مأة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بانهم قوم لايفقهون (٦٥) الان خفف الله عنكم و علم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مأة صابرة يغلبوا مأتين وانيكن منكم الف يغلبوا الفين باذن اللهوالله مع الصابرين (٦٦)

ثم أمرسبحانه بقتال الكفار وحث عليه بقوله : (ياايها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) اى كافيك الله، ويكفيك متبعوك منالمؤمنين ، (وقال) الحسن معناه : الله حسبك وحسب مناتبعك منالمؤمنين اى يكفيكويكفيهم (قال) الكلبى نزلت هذه الاية بالبيداء فيغزوة بدرقبل القتال

(يا ايهاالنبى حرض المؤمنين) اى ابعث المؤمنين (على القتال) ورغبهم فيه بسائر أسباب التحريض والترغيب من ذكـر الثواب الموعود على القتال ، وبيان ماوعدالله لهم منالنصر والظفر واغتنام الاموال

(ان يكن منكم عشرون صابرون) على القتال (يغلبوا مأتين) من العدو

---

(١) أنف من الشيء أنفاً: والاسم منه الانفة: استنكف (اقرب المورد)

(٢) الاتباع موافقه الداعي فيما يدعوا اليه من اجل دعائه (مجمعالبيان)

(٣) التحريض والحض والحث بمعني، وهوالترغيب فيالفعل بمايبعثعلى المبادرة اليه ، وضدهالتقطير (المجمع) .

(٤) الصبر حبس النفس عما تنازع اليه منضدماينبغى ان يكون عليهوضده الجزع (مجمع البيان)

(وان يكن منكم مأة يغلبوا الفاً من الذين كفروا) واللفظ لفظ الخبر ، والمراد الامر ، ويدل على ذلك قوله فيما بعد : (الان خفف الله عنكم) لان التخفيف لايكون الابعد التكليف (بانهم قوم لايفقهون) معناه ذلك النصر من الله تعالى لكم على الكفار ، والخذلان للكفار بانكم تفقهون امر الله تعالى وتصدقونه فيما وعدكم من الثواب ، فيدعوكم ذلك الى الصبر على القتال والجد فيه ، والكفار لايفقهون امر الله تعالى ولايصدقونه فيما وعدكم من الثواب

ولما علم الله تعالى أن ذلك يشق عليهم تغيرت المصلحة في ذلك فقال : (الان خفف الله عنكم) الحكم في الجهاد من وجوب قتال العشرة على الواحد ، وثبات الواحد للعشرة (وعلم ان فيكم ضعفاً) اراد به ضعف البصيرة والعزيمة ولم يرد ضعف البدن ، فان الذين اسلموا في الابتداء لم يكونوا كلهم أقوياء البدن ، بل كان فيهم القوى والضعيف ، ولكن كانوا اقوياء البصيرة ، واليقين ، ولما كثر المسلمون واختلف بهم من كان اضعف يقينا وبصيرة نزل (الان خفف الله عنكم)

(فان يكن منكم مأة صابرة) الى القتال (يغلبوا مأتين) من العدو (وان يكن منكم الف) صابرة (يغلبوا الفين) منهم (باذن الله) اى بعلم الله

(وقيل) : بامره ، فامر الله تعالى الواحد ، بان يثبت لاثنين وتضمن النصرة له عليها، وانما لم يفصل ولم يأمر من كان قوى البصيرة بان يثبت لعشرة ومن كان ضعيف البصيرة ، بان يثبت لاثنين ، لانهم كانوا يشهدون القتال مختلطين ، فكان لايمكن التميز بينهم ، ولو نص على من كان ضعيف البصيرة كان فيه ايحاشهم وانكسار قلوبهم وزيادة ضعفهم .

(والله مع الصابرين) اى معونة الله مع الصابرين، ومعناه : والله معين الصابرين

(و قيل) : ان هذه الاية نزلت بعد الاية الاولى بمدة وان قرن بينهما في المصحف ، وهى ناسخة للاولى والمعتبر في الناسخ والمنسوخ بالنزول دون التلاوة وقال الحسن ان التغليظ كان على اهل بدر ثم جاءت الرخصة

قوله تعالى : ماكان لنبى أن يكون لهاسرى (١) حتى يثخن (٢) فى الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة والله عـزيـز حكيم (٦٧) لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم (٦٨) فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم (٦٩)

(ماكان لنبى) اى ليس له ولا فى عهد الله اليه (ان يكون له اسرى) من المشركين ليفديهم او يمن عليهم (حتى يثخن فى الارض) اى حتى يبالغ فى قتل المشركين وقهرهم ليرتدع بهم من ورائهم ، وقال ابومسلم : الاثخان ، الغلبة على البلدان والتذليل لاهلها يعنى حتى يتمكن فى الارض .

(تريدون عرض الدنيا) هذا خطاب لمن دون النبى ﷺ من المؤمنين الذين رغبوا فى اخذ الفداء من الاسرى ، فى اول وقته ، ورغبوا فى الحرب للغنيمة ، قال الحسن وابن عباس: يريد به بيوم بدر ويقول: اخذتم الفداء من الاسرى فى اول وقعة كانت لكم من قبل ان تثخنوا فى الارض، وعرض الدنيا، مال الدنيا لانه بمعرض الـزوال .

(و الله يريد الاخرة) اى تريدون عاجل الحظ ، من عرض الدنيا ، والله يريد لكم ثواب الاخرة (والله عزيز) لايغلب انصاره، فاعملوا مايريده منكم لينصركم (حكيم) يجرى افعاله على ما توجيه الحكمة، فصّل سبحانه بين ارادة نفسه وارادة عباده ولو كان ما ارادوه على ما قاله المجبرة لم يصح هذا التفصيل .

(لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم) قيل فى معناه اقوال

---

(١) الاسر الشد على المحارب بمايصيربه فى قبضة الاخذ له وفلان ماسور اى مشدود وكانوا يشدون الاسير بالقد (مجمع البيان)

(٢) الاثخان فى الارض تغليظ الحال بكثرة القتل، والثخن والغلظ والكثافة نظائر وقد اثخنته المرض اذا اشتدت قوته عليه واثخنه الجراح (مجمع البيان)

(احدها) لولامضى من حكم الله ان لايعذب قوماً حتى يبين لهم ما يتقون، وانه لم يبين لكم ان لاتأخذوا الفداء ، لعذبكم بأخذ الفداء ، عن ابن جريح .

(وثانيها) لولا ان الله حكم لكم باباحة الغنائم والفداء في ام الكتاب وهو اللوح المحفوظ لمسكم فيما استحللتم قبل الاباحة عذاب عظيم، فان الغنائم لم تحل لاحد قبلكم ، عن ابن عباس .

(وثالثها) لولا كتاب من الله سبق وهو القرآن فآمنتم به واستوجبتم بالايمان به ، الغفران لمسكم العذاب ، عن الجبائى، قال: والمراد به الصغائر .

(ورابعها) ان الكتاب الذى سبق قوله: (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم) (١) والمعنى لولا ما كتب الله في القرآن او فى اللوح المحفوظ انه لايعذبكم والنبى بين اظهركم لعذبكم .

(فكلوا مماغنمتم حلالا طيباً) هذه اباحة منه سبحانه للمؤمنين ان يأكلوا مما غنموه من اموال المشركين (واتقوا الله) باتقاء معاصيه (ان الله غفوررحيم) (٢).

قوله تعالى : **ياايها النبى قل لمن فى ايديكم من الاسرى ان يعلم الله فى قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما اخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم (٧٠) وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم (٧١)**

ثم خاطب الله سبحانه نبيه فقال : (يـا ايها النبى قل لمن فى ايديكم) من الاسارى ، انما ذكر الايدى ، لان من كان في وثاقهم ، فهو بمنزلة من يكون في ايديهم لاستيلائهم عليه (من الاسرى) يعنى اسراء بدر الذين اخذ منهم الفداء (ان يعلم الله في قلوبكم خيراً) اى اسلاماً واخلاصاً اورغبة في الايمان وصحة نية (يؤتكم خيراً) اى يعطكم خيـراً (مما اخذ منكم) من الفداء (اما) في الدنيا و الاخرة

---

(١) الانفال ـ ٣٢

(٢) ثم ذكر في مجمع البيان بقيـّة قصة البدر هنا تركناها لطولها من شاء فليراجع اليه في ذيل هذه الاية

(واما) في الاخرة (ويغفرلكم) ذنوبكم (والله غفور) للذنوب (رحيم) .

روى عن العباس بن‌عبدالمطلب انه قال: نزلت هذه الاية فيّ وفي‌اصحابي، كان معي عشرون اوقية ذهباً، فاخذت‌مني، فاعطاني الله مكانهاعشرين عبداً كل‌منهم يضرب‌بمال كثير، وادناهم يضرب‌بعشرين الف‌درهم مكان العشرين اوقية، واعطاني زمزم ، وما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة، وانا انتظر المغفرة من ربي .

قال قتادة : ذكر لنا ان نبي الله ﷺ لما قدم عليه مال البحرين ثمانون الفاً ، وقد توضأ لصلاة الظهر ، فما صلي يومئذ حتى فرقـه ، و امر العباس ان يأخذ منه ويحشي فاخذ ، فكان العباس يقول : هذا خير مما اخذ منا وارجوا لمغفرة .

(وان يريدوا خيانتك) معناه: وان يردالذين اطلقتهم من الاساري خيانتك‌بان يعدّوا حرباً لك، او ينصروا عدواً عليك(فقد خانوا الله من قبل) بان خرجوا الى بدر ، وقاتلوا مع المشركين (وقيل) بان اشركوا بالله واضافوا اليه مالا يليق بـه (فامكن منهم) اى فامكنك منهم يوم بدر ، بان غلبوا وأسروا وسيمكنك منهم ثانياً ان خانوك (والله عليم حكيم) معناه : عليم بما يقولونه وبمافي نفوسهم وبجميع الاشياء حكيم فيما يفعله .

قوله تعالى : **ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم‌في سبيل الله والذين آووا و نصروا أولئك بعضهم اولياء بعض والذين آمنوا ولم‌يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الاعلى قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير(٧٢)**

الهجرة والمهاجرة فراق الوطن الي‌غيره من البلاد : واصله من الهجرضد الوصل .

ثم ختم الله سبحانه السورة بايجاب موالاة المؤمنين وقطع موالاة الكافرين فقال : (ان الذين آمنوا بالله ورسوله) وبما يجب الايمان به (وهاجروا) من‌مكةالى

المدينة (وجاهدوا) وقاتلوا العدو (باموالهم وانفسهم في سبيل الله) اى فى طاعـة الله واعزاز دينه (والذين آووا) الرسول ، والمهاجرين بالمدينة ، اى جعلوا لهم مأوى واسكنوهم منازلهم يعنى الانصار (ونصروا) اى ونصروهم بعد الايواء على اعدائهم وبذلوا المهج فى نصرتهم (اولئك بعضهم اولياء بعض) اى هؤلاء ، بعضهم اولى ببعض في النصرة ، وان لم يكن بينهم قرابة من اقربائهم من الكفار .

(وقيل) في التوارث ، عن ابن عباس والحسن ومجاهد ، وقتادة والسدى.

(وقيل) فى التناصر والتعاون والموالاة فى الدين ، عن الاصم .

(وقيل) فى نفوذ امان بعضهم على بعض ، فان واحداً من المسلمين لو أمّن انساناً نفذ أمانه على سائر المسلمين .

(والذين آمنوا ولم يهاجروا) الى المدينة (مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا) اى مالكم من ميراثهم من شيء حتى يهاجروا ، فحينئذ يحصل بينكم التوارث فان الميراث كان منقطعاً فى ذلك الوقت بين المهاجرين وغير المهاجرين ، وروى عن ابى جعفر عليه السلام انهم كانوا يتوارثون بالمواخاة الاولى .

(وقيل) معناه مالكم من موالاتهم ونصرتهم من شيء اى ليس عليكم نصرتهم

(وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر) معناه وان طلبوا يعنى المؤمنين الذين لم يهاجروا منكم النصرة لهم الكفار واعانتهم فى الدين ، فعليكم النصر ، والمعونة لهم ، وليس عليكم نصرتهم فى غير الدين (الاعلى قوم بينكم وبينهم ميثاق) معناه : الا ان لا يطلبوا منكم النصرة لهم على قوم من المشركين بينكم وبينهم امان وعهد يجب الوفاء به ، ولا تنصروهم عليهم ، لما فيه من نقض العهد (والله بما تعملون بصير) اى باعمالهم عليم لا يخفى عليه شيء منها .

قوله تعالى : **والذين كفروا بعضهم اولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة** (١)

---

(١) الفتنة ، أصلها الامتحان ثم تستعمل فى اشياء منها الكفر والشرك (مجمع البيان) .

فى الارض وفساد كبير (٧٣) والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذيـن آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقاً لهـم مغفرة ورزق كريم (٧٤) (٢) والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شىء عليم (٧٥) .

ثم ذكر سبحانه وتعالى حكم الكافرين فقال : (والذين كفروا بعضهم اولياء بعض اى بعضهم أنصار بعض ، عن ابن اسحاق وقتادة (وقيل) معناه بعضهم أولى ببعض فى الميراث ، عن ابن عباس وابى مالك .

(الاتفعلوه) وتقديره، الاتفعلوا ماأمرتم به فى الاية الاولى والثانية ، ومخرجه مخرج الخبر، والمراد به الامروتقديره ، الاتفعلوا ماأمرتم به من التناصروالتعاون والتبرء من الكفار(تكن فتنة فى الارض وفساد كبير) على المؤمنين الذين لم يهاجروا ويريد بالفتنة هنا ، المحنة بالميل الى الضلال ، وبالفساد الكبير، ضعف الايمان .

(وقيل) : ان الفتنة هى الكفر ، لان المسلمين اذا والوهم تجرؤوا على المسلمين ودعوهم الى الكفر ، وهذا يوجب التبرء منهم ، والفساد الكبير سفك الدماء ، عن الحسن .

(وقيل) : معناه وان تعلقوا التوارث بالهجرة ولم تقطعوه بعدمها أدى الى فتنة فى الارض باختلاف الكلمة وفساد عظيم بتقوية الخارج عن الجماعة ، عن ابن عباس وابن زيد .

ثم عاد سبحانه الى ذكر المهاجرين والانصار، ومدحهم والثناء عليهم فقال: (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله) اى صدّقوا الله ورسوله وهاجروا من ديارهم واوطانهم يعنى من مكة الى المدينة وجاهدوا مع ذلك فى اعلاء دين

(١) الرزق الكريم، العظيم الواسع

الله (والذين آووا ونصروا) اى ضموهم اليهم ونصروا النبى ﷺ (اولئك هم المؤمنون حقاً) اولئك الذين حققوا ايمانهم بالهجرة والصعرة بخلاف من اقام بدار الشرك.

(وقيل) معناه ان الله حقق ايمانهم بالبشارة التى بشرهم بها ولم يكن لمن لم يهاجر ولم ينصر مثل هذا .

واختلفوا فى أن الهجرة هل تصح فى هذا الزمان ام لا ؟ فقال : لاتصح ، لان النبى (ص) قال لاهجرة بعد الفتح ، ولان الهجرة ، الانتقال من دارالكفر الى دارالاسلام ، وليس يقع مثل هذا فى هذا الزمان لاتساع بلاد الاسلام الا ان يكون نادراً لايعتد به .

(وقيل) ان هجرة الاعراب الى الامصار باقية الى يوم القيمة ، عن الحسن ، والاقوى ان يكون حكم الهجرة باقياً ، لان من أسلم فى دارالحرب ثم هاجر الى دارالاسلام كان مهاجرا ، وكان الحسن يمنع ان يتزوج المهاجر الى اعرابية ، وروى ، عن عمربن الخطاب انه قال : لاتنكحوا اهل مكة ، فانهم اعراب ، وانما سمى الجهاد سبيل الله لانه الطريق الى ثواب الله فى دار كرامته (لهم مغفرة ورزق كريم) لايشوبه ماينقصه (ماينغصه ـ خ) .

(وقيل) الرزق الكريم ها هنا طعام الجنة ، لانه لايستحيل فى اجوافهم نجواً بل يصير كالمسك ريحاً .

(والذين آمنوا من بعد) اى من بعد فتح مكة، عن الحسن (وقيل): معناه آمنوا من بعد ايمانكم (وهاجروا) بعد هجرتكم (وجاهدوا معكم) ايها المؤمنون (فاولئك منكم) اى مؤمنون مثلكم ومن جملتكم وحكمهم حكمكم فى وجوب موالاتهم ، وموارثتهم ، ونصرتهم وان تأخر ايمانهم وهجرتهم .

(واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض) معناه : وذوالارحام والقرابة بعضهم احق بميراث بعضهم من غيرهم ، عن ابن عباس ، والحسن ، وجماعة المفسرين ، وقالوا : صار ذلك نسخا لماقبله ، من التوارث بالمعاقدة والهجرة وغير ذلك من

من الاسبـاب ، فقدكانوا يتوارثون بالمواخاة فان النبى (ص) كان آخي بين المهاجرين والأنصار.

(فى كتاب الله) اى فى حكم الله ، عن الزجاج (وقيل): فى اللوح المحفوظ كمافي قوله : (ماصاب من مصيبة في الارض ولافى انفسكم الافى كتاب من قبل ان نبرئها) .

(وقيل) : فى القرآن ، وفى قوله : (واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض)
دلالة على ان من كان اقرب الى الميت فى النسب كان اولى بالميراث
سواء ذاسهم اوغير ذى سهم اوعصبة اوغير ذى عصبة ، ومن
وافقنا فى توريث ذوى الأرحام يستثنى اصحـاب
الفرائض والعصبة من الاية ، وذلك خلاف الظاهر
(ان الله بكل شىء عليم) ظاهر المعنى
و اكثر هذه السورة فـى قصة بـدر

تم سوره الانفال مأخوذة من مجمع البيان
ويتلوها سورة البرائة من المفسر الجليل
الاغا نورالدين
الاراكى قدس سره

سورة البراءة(٩)

وهی مدنية

مائة وتسع وعشرون آية

كتبها فی حلب (٦ شعبان)

سنة ١٣٣٦

القمرية من الهجرة النبوية على

هاجرها آلاف التحية

قوله تعالى: **براءة (١) من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين (١) فسيحوا في الارض اربعة اشهر واعلموا انكم غير معجزى الله وان الله مخزى الكافرين (٢) واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله برىء من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم (٣)**

هذه المقروات براءة وانفصال العهد من جانب الله ورسوله ، التى لابد من وصولها الى الاشخاص التى وقعت المعاهدة بينكم وبينهم من المشركين ، حتى يخرج من الغدر والمكر ، ويعلموا بفصل عهودهم ، ولافرق بين ان تكون مدة المعاهدة هي أربعة اشهر المذكورة، اوأقل اوأكثر، فللطائفة الاولى اعلام بان لايحصل العهد الجديد وللثانية استيمان فى تمام تلك المدة واعلام بعدم العهد الجديد فى البعد، وللثالثة اعلام بقطع العهد بعد المدة الى زمان عهدوا واعلام بعدم العهد الجديد ايضا.

ويظهر من قوله تعالى (فسيحوا فى الارض) ان انفصال العهد بعد المدة

---

(١) لما ختم الله سبحانه سورة الانفال بايجاب البراءة عن الكفار افتتح هذه السورة بانه تعالى ورسوله بريئان منهم كما امر المسلمين بالبراءة منهم فقال: براءة الخ (مجمع البيان)

المذكورة في الاية ، وهي اربعة الاشهر الحرم، شوال الى آخر المحرم، واطلاق الحرم على مايشمل الشوال (اما) من باب التغليب (واما) من باب صحة وقوع الاحرام فيه ، بلحاظ الجهة الجامعة بين مايقع الاحرام فيه ، ويحرم القتال فيه ، اطلق عليه كونه من الحرم .

وعلى اى حال ، فذلك الامر امر ترخيص، اى سيروا من لكم السير في تلك الاربعة ، ولتعلموا ان بعد أوان فصل العهد والشروع في القتال ، انكم غير معجزى الله ، فان حزب الرسول حزب الله ، والله غالب على الكل ، ولايكون عاجزاً عنكم فتأمّلوا في صلاح اموالكم حتى تكونوا على البصيرة .

واعلموا ايضا (ان الله مخزى الكافرين) ويجعلهم موهونا مطلقا في الدنيا والاخرة ، فلا محالة لاترضوا بالوهن الدنيوى وذلّة ، اذ تمت الحجة عليكم ، وتعلمون رسالة محمد ﷺ بسبب ماصدر منه ﷺ وبعد العلم برسالته ، وان الله معه لمّا يكون اصراركم على الخلاف كبركم وهو نقض الغرض، فان(١) الله تعالى يوهنكم ويخذلكم ، فتذلّون ويصير غرضكم غير حاصل بل ضده يصير حاصلا .

(واذان من الله ورسوله) أى هذا اعلام منه ومن رسوله (الى الناس) في هذا اليوم وهو يوم النحر وهو يوم الحج الاكبر لوقوع اكبر افعال الحج فيه (بان الله برىء من المشركين) وان رسوله ايضا برىء ، وبحسب اللفظ يكون عطفا على الله ، وهو اسم ان المرفوع محلا لكونه مبتدأ ، فلذا رفع لفظ الرسول (فان تبتم فهو خير لكم) اى ان رجعتم من الكفر الى الايمان (وان توليتم) وادبرتم الايمان (فأعلموا انكم غير معجزى الله) .

وقد بعث النبي ﷺ علياً اميرالمؤمنين عليه السلام بأن يأخذ من ابى بكر ، ويقرء على المشركين يوم النحر ، ففعل علي عليه السلام ذلك ، واعلم ان لايحج بعد العام مشرك وان ادبرتم عن الله والرسول فاعلموا ان الله لايعجز ، ولكم البشارة بالعذاب الاليم .

---

(١) جواب لقوله ره : (لمايكون)

اعلم انا قد بيّنا في سورة الاحزاب لكتابتنا فيها قبل ذلك ، ان الجهاد مع الكفار وقتلهم ، بلحاظ ان القانون الذي جعله الله على حسب صلاح الوقت ، ورأى لزوم العمل عليه لابد للرسول من قبله ـ بعد اظهار المطلب عليهم ، واتمام الحجة باتيان المعجزات على قدر مايكون متماً للحجة ، بحيث يكون عدم قبوله عناداً ـ ان يلزمهم ولو بالسيف على الادخال تحت القانون ، وعدم مزاحمتهم للقواعد المجعولة فيه ، اذ لو تركهم بحاله يزاحمون للقانون ، ويردعون محبهم وذراريهم ونسائهم ويوسوسون للباقي ، و الحال انهم لوعدموا لدخل الممنوعون تحت القانون ، لوجود متمّ الحجة ، فيصل اليهم الخيرات الدنيوية والاخروية .

فالمعاندون يفوّتون الصلاح عليهم ، ويمنعون من اجراء القانون ، فمن باب الصلاح الاعظم يلزم اعدام هؤلاء حتى يستقر القانون ، ويصل الصلاح الى الجماعة الكثيرة التي تسرى ذلك الصلاح في اعقابهم وذراريهم ، لجواز ايصال الخير الكثير لو توقف على الشر القليل بأيجاده ، كقطع بعض الاعضاء لسلامة الباقي .

والحال ان في مقامنا بنظر الدقة لايكون شراً على المقتولين ايضا بلحاظ العالم الباقي اذ عذابهم يصير اخف من عذابهم اذا بقوا ، وزاحموا وصاروا سببا للردع ، فالجهاد مع المزاحم للقانون لازم بحكم العقل .

ولا يكون الجهاد بلحاظ اجبارهم على الاعتقاد فانه تعالى قال (لا اكراه في الدين)(١) وبحسب العقل ايضا لامعنى للاكراه على الامر القلبي وهو الاعتقاد ولذا نقبل من اهل الكتاب ابقائهم على مذهبهم اذا التزموا بشرائط الذمة ، التي لاتختل معها القانون المجعول .

واخذ الجزية بلحاظ ان التقوية على دفاع مزاحمي القانون في العالم ، تكون لازمة ، وهي موقوفة على تجهيز الجند ، وهو يتوقف على اخذ المال ، فلوفرض ان تمام اهل الكتاب يقبلون الشرائط ، ويحصل الامن من عدم مخالفتهم ، ولم يكن في

---

(١) البقرة ـ ٢٥٦

العالم ايضا من يزاحم القانون لما يأخذ المال ، الان بقائهم تحت القانون ، و كذلك عدم مزاحمة الباقين ، لا يكون الا مع الخوف ، و هو لا يحصل الا مـن وجود السيف (١) اي الالة للمقاتلة في كل زمان بحسبه ،و وجود الجنود المجندة ، وهما متوقفان على المال ولذلك يؤخذ الجزية .

واما تصغيرهم حين الاداء فلاجل انجرار ذلك تدريجا الى حصول الصلاح الحقيقي لهم و لذرياتهم والسائرين من الايمان الموجب لصلاحهم في الحقيقة في الدار الاخرى ، و حينئذ فلو رأى النبي ﷺ الصلح الى مدة بشرط عدم ايذائهم للمؤمنين ، وعدم مضادتهم مع القانون فيمن اخذبه ،فله ، واذا رأى خلفهم بعهدهم وانهم جعلوا ذلك وسيلة للتقوية لهم ، والايذاء التام ولذا قدحصلت منهم الخلف ، فله ﷺ النقض حينئذ لارتفاع المزاحم مع المقتضي للقتل .

و ظهر من جميع ما ذكران المستفاد من الايتين ، من لزوم الجهاد وحصول التعاهد في الترك لاجل مصلحة ، والنقض بعد رفع ذلك الصلاح كلها على طبق العقل ، ولايخالف العقل لها ، والله الهادي .

قوله تعالى : **الاالذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموااليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين (٤) فاذا انسلخ الا شهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجد تموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم (٥) و ان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه ذلك بانهم قوم لايعلمون (٦) كيف يكون للمشركين عهد عندالله و عند رسوله الا الذين عاهدتم عند**

(١) قال رسول الله ﷺ : الخير كله في السيف وتحت ظل السيف ولايقم الناس الا السيف ، و السيوف مقاليد الجنة ـ الوسائل باب ١ حديث١ من ابواب جهاد العدو:

المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين (٧)

قداستثنى الله تعالى من المشركين المعاهدين ، هذه الطائفة الذين وفوا بعهودهم ولم ينقصوا شيئاً من الشرائط واتموها ، ولم يظاهروا ولم يعاونوا على ضرر المسلمين احداً من خصماء المسلمين ، فان العهود معهم من قبل الله والرسول ايضا تكون باقية غير منفصلة ، ولذا يجب ايها المسلمون عليكم . اتمام عهدهم الى مدتهم ، ووفائكم على طبق المعاهدة ، كما وفوا بعهودهم فالمزاحم للمقتضى للقتل يكون موجودا ، فان الله يحب اهل التقوى ، ومن التقوى الوفاء بالعهد لكون الوفاء محبوبا عندالله

ولما ان الترخيص فى اشهر الحرم كان عاما فرتب الله على انسلاخها قتل المشركين فى اى مكان وجدوا ، فى الحل او الحرم ، ولزوم اخذهم و محاصرتهم فى حصونهم ، والقعود للاستيلاء عليهم فى كل مرصدوطريق ، ونصب لفظ الكل(١) لاجل نزع الخافض ، وهو لفظ (فى)

وهذا التعميم لاجل الامكنة ، والا فالباقون على العهد لم يؤمروا بقتلهم بعد الانسلاخ ، وهم باقون على التخصيص كما يدل عليه ماسيجيىء ايضا ، فان رجعوا من الكفر وصلّوا وزكّوا فلاتمنعوا عليهم الطريق ، لتبديل الموضوع والفرض ازالة الكفرة والمانعين من اجراء القانون لا المسلمين ، فان الله غافر الذنب ورحيم بالعباد ويتجاوز عنهم اذاتابوا .

ومن استجارك ــ يا ايها النبى ــ من المشركين لاجل استماع كلام الله واتمام الحجة ، فأجره له وابلغه بعد السماع الى مأ منه ، حتى لايكون منك غدر ومكر على احد ، والاجارة لاجل انهم غيرعالمين فلعلهم يحصل لهم العلم فيؤمنوا .

ثم علل الله فصل (٢) العهد ، ولزوم القتل بعد اشهر الحرم بما سيجيىء فى البعد واستثنى الطائفة السابقة وهم المعاهدون عند المسجد الحرام وأمر النبى بانهم

---

(١) يعنى فى قوله تعالى : واقعدوا لهم كل مرصد

(٢) اى نقض العهد

ما استقاموا (١) وداموا على عهودهم، فاستقيموا لهم على عهودكم ، لكون الوفاء محبوبا واهل الوفاء منكم المتقون .

وظهر مما ذكرنا ان المستفاد من تلك الايات انفسخ عهد الله والرسول من قبل المشركين ، صار سببا لرفع المزاحم عن الصلاح فى قتلهم ، فامر الله بقتلهم، واما الباقون على العهد فلاجل وجود المزاحم لايجوز قتلهم ما دام كون المزاحم باقيا ، واجارة من استجار لاجل الوصول الى الصلاح ولو احتمالا ، ثم ايصاله الى المأمن حذراً من الغدر ، وكل ذلك مما يطابق العقل ، والعقل لا يخالفه والله الهادى .

قوله تعالى :**كيف وان يظهروا عليكم لايرقبوا فيكم الاولاذمة يرضونكم بافواههم وتأبى قلوبهم واكثرهم فاسقون (٨) اشتروا بايات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون (٩) لايرقبون فى مؤمن الا ولاذمة واولئك هم المعتدون (١٠) فان تابوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم فى الدين ونفصل الايات لقوم يعلمون (١١) وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون (١٢) الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم اول مرة اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين(١٣)**

اى كيف يكون لهؤلاء المعاهدين حق العهد ، والحال انهم ان ظفروا عليكم لايراعون فيكم القرابة ولاالعهد ، ويتكلمون بافواههم مايوجب رضاكم، ولاتوافق قلوبهم لافواههم ، واكثر هؤلاء خارجون عن الطاعة فى الجوارح ايضا ، بمايتنفر عنه العقلاء ، اوفاسقون الى الابد ، ولايرى الله فيهم خيرا حتى يلاحظهم

(واشتروا) بالقرآن (ثمنا قليلا) وهومتابعة أهوائهم وشهواتهم، من الكبر والشره

(١) يعنى مادامو مستقمين

والشيطنة ، فبسبب اعراضهم عن القرآن الذى هو على طبق العقل الصافى ، والاخذ بشهواتهم منعوا سايرالناس عن طريق الله ، وقالوا لهم ببطلان الطريقة الحقة ، ومنشأ ذلك التبديل سوء اعمالهم فى السابق ، اى كثرة توغلهم فى الشهوات ، ورسوخها فى نفوسهم ، صارت علة لبقائهم على الكفر و الاعراض عن القرآن ، لانهم يرون ان القرآن يأمر بخلاف ماعملوا فى السابق، وينهيهم عن الفحشاء والمنكر عند العقول كالظلم والسرقة وقطيعة الرحم

لايراعون هذه الاشخاص بسبب اخلاقهم الكسبية من السابق القرابة والعهد ، وتكرار الكلمتين (١)

(اما) بلحاظ التقييد فى السابق بحصول الظفر لهم ، والاطلاق هنا ، فهؤلاء اشد فى الشهوات . ولذلك وصفهم بانهم معتدون ، ومتجاوزون عن الحدود فوق المتعارف .

و(اما) بملاحظة تعدد السبب، فالسبب للسابق يكون ظفرهم ان حصل، وهناك سوءاعمالهم وملكاتهم الراسخة ، فكانه انتقل ممايخبره الله مما فى انفسهم ، من باب علمه بالغيب بما يكون ظاهرا فيهم .

فان تابوا هؤلاء ايضاً ، الذين كفرهم وشدة ملكاتهم الردية ارسخ وصلوا و زكوا فيكون لهم حق الاخوّة، لان الله عفوٌ، اذفعله بلحاظ صلاح الناس والفساد لهم ، لا بلحاظ نفسه ، و تفصيل تلك الايات و شرحها يكون من الله لاجل اهل العلم ، فانهم يدركون هذا الفرق والتفصيل ، وغيرهم يظنون المطلب واحداومكررا.

(وان نكثوا) اى الباقون على العهد ، الى زمان صدور الاية لو نكثوا بعد ذلك كالمعاهدين عند المسجد الحرام . حيث كانوا فى زمان صدور تلك الايات باقين على عهودهم ، الا انهم نقضوها بعد و قوع المحاربة بين خلفاء النبى ﷺ وهم خزاعة مع بنى بكر ، فساعدوا لبنى بكر، (وطعنوا فى دينكم) وعدوا النقائص له ،

---

(١) يعنى كلمة (الا ولاذمة)

فقاتلوا رؤسائهم وائمتهم ، وهم ائمة الكفر (فانهم لاايمان لهم) اى ينقض يمينهم فينقض يمين النبى ﷺ ايضاً معهم ، فالايمان السابقة لا تنفعهم ، وهذا القتال ايضاً لطف من الله عليهم ، فلعلهم ينتهون عن كفرهم و سوء اعمالهم ، فيصلوا الانسانية الحقيقية التى هى المقصد .

ثم يحرّض الله المؤمنين على القتال ، بانه لاجل اىّ جهة لاتقاتلون مع هذه الاشخاص الموصوفين بتلك الرذائل مع انهم قدهموا باخراج الرسول من مكةفى دارالندوة ، وهم بدؤكم بالقتال بعد عهدهم حيث قاتلوا مع خزاعة ، اتكون هذه الاشخاص قابلةلان يخشى منهم؟ والله حقيق بان يخشى منه . فمن كان مؤمنا، لايخشى غيرالله فى مقابل الله .

وقد ظهر مما ذكرنا من الايات استفادة اسرار رفع اليدعن العهد و الامر بالقتال ، وان الله مع ذلك يعفولو رجعوا ، ولاحاجة لنا الى تكرار ذكر الاسرار بعد ما قدمناها مفصلا ، فلامخالفة للعقل مع تلك الايات، بل يوافقها، والله الهادى.

قوله تعالى : **قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم و ينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين (١٤) ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم (١٥) ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم و لم يتخذوا من دون الله و لا رسوله ولا المؤمنين و ليجة و الله خبير بما تعملون (١٦) ما كان للمشركين ان يعمروا مساجدالله شاهدين على انفسهم بالكفر اؤلئك حبطت اعمالهم وفى النارهم خالدون (١٧) .**

ثم امر الله تعالى بمقاتلة هؤلاء ، الذين عاهدوا عند المسجد الحرام ، وبقوا على عهودهم الى ان نصروا بنى بكر ، على بنى خزاعة، وهم من عظماء القريش، وأنباء

بان الله يعذبهم فى ايديكم ويذلهم فتأخذونهم بالاسرى (١) (وينصركم الله عليهم ، ويشف صدورقوم مؤمنين) وهم بنوخزاعة ، (ويذهب غيظ قلوب) هؤلاء المؤمنين بمشاهدة مارأوا من عطوفةالله عليهم ويقبل التوبة ممن يشاء من هذه الطائفة الظالمة اذا رجعوا (والله عليم) بما فى نفوسهم ، وان التوبة ممن يكون حقيقيا ، وممن لايكون حقيقيا فيقبل ما كان حقيقيا ، وهوالذى شاء قبول توبته وهوا لحكيم المتقن في أموره .

(ام حسبتم) استفهام أنكاري ، اى أتحسبون ان الله يترككم ، ولما يعلم الله المجاهدين الخالصين الذين لم يتخذوا من دون الله والرسول والمؤمنين (وليجة) اى بطانة وهو المحب في الخفاء ، (والله خبير) باعمالكم ، اى وهو وان كان علمه الذاتى ، و هى الصفة التى عين الذات محيط باعمالكم ، بل العلوم الفعلية ايضاً وهى ظهور المجردات وحضورها لديه ، تكون كذلك ، الا انه لابد ان يكون علمه الحضورى الكوني وهى صفحة الكون والفساد ايضاً ثابتا اخلاصكم فيه ، وهى مرتبة الوجود الكوني والصلاح في هذا حتى تصل كما لاتكم من القوة الى الفعل، فالامتحان لتحصيل تلك الدرجة يكون لازما .

وقد تعدد مراتب علم الله ، اذ العلم هو حضور الشيء لديه ، فالمرتبة العالية حضور الذات لديه ، وكون الاشياء مندرجا فيه ، وبعدها وجود المجردات وحضورها لديه، واندراج الاشياء في المجردات ، وهكذا الى ان تنتهي الى الوجود العيني للكائنات ، فصفحة الكائنات علمه ، والذى نفاه (١) قبل وجود الكائنات هى تلك المرتبة بقرنية اثبات العلم (٢) فى آخر الاية فتكون الاية مطابقة للعقل من ثبوت المراتب للعلم .

---

(١) الاسر الشد على المحارب بما يصير به فى قبضة الاخذ له ، وفلان مأسور اى مشدود وكانوا يشدون الاسير بالقد (مجمع البيان)

(٢) بقوله تعالى : ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم

(٣) وهو قوله تعالى : والله خبير بما تعملون

(ماكان للمشركين) تعمير مساجدالله للزوم تطهيرها عن النجاسة، والمشركون نجس ولكن ذلك اذا اعترفوا بالشرك و الكفر ، فالاعمال الصادرة منهم لاثواب فيها ، وهم يخلدون في النار والظاهر من تلك الايات ، الاخبارات الغيبية ، وصار الامر كمــا اخبر الله ، وقبول توبة التائب الواقعي ، وان الامتحان لاجل وصول مابالقوة الى الفعل يكون لازما ، وكون مراتب العلم متعددة ، والاخبار بخلود الكفار ونجاستهم ، وليس شيئي منها مخالفا للعقل ، بل العقل امامطابق لها اوغير مخالف والله الهادى .

قوله تعالى: **انما يعمرمساجدالله من آمن بالله واليوم الاخر واقام الصلوة واتى الزكوة ولم يخش الاالله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين(١٨) اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله لايستوون عندالله والله لايهدى القوم الظالمين (١٩) الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عندالله واولئك هم الفائزون (٢٠) يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان و جنات لهم فيهانعيم مقيم (٢١) خالدين فيها ابداً ان الله عنده اجر عظيم(٢٢)**

تعمير المساجد (اما) باصلاح ماصار منه خرابا (واما) بالدخول فيه لذكر الله حتى يوجد فيها الانسان لاجل عبادة الله ولاتبقى خالية ، و متروكة فيها عبادة الله وذكره ، وعلى القسمين العامر الحقيقي هو المؤمن بالله واليوم الاخر ، اذ اصلاح الخراب بيد المشرك سبب للنجاسة ، وهوا فسد مماصدر منه ، فكانما خربه .

واما الثاني فلان ذكر غير المؤمن بالله واليوم الاخر ، تعمير لمحل الاصنام، ولايكون تعميراً لمحال السجدة لله والخضوع له ، (فجعل) الخبر بمعنى الانشاء ، حتى يكون التعمير لازما على المسلمين بكلا القسمين ، و كان اللازم عليهم منع المشركين من القسمين ، وابقائه على الخبرية، وان تعميرهم اى المشركين لايكون تعميرا (يكونان) صحيحين ايضا فالمعمر هو المؤمن المصلى ، واما من لايصلى

فلايعمرالتعمير الحقيقي ، وهو الثاني ، وهو يزكي اذ شرط قبول الصلوة الزكوة ، فلولم يزك ، فكانه لم يصل فما حصل التعمير (ولم يخش الاالله) وذلك في زمان صدور الاية، فانه لوخشي من المشركين لايدخل المسجد خوفا منهم ، فلايحصل التعمير، ويقرب هؤلاء الاشخاص من الهداية الحقيقية والوصول الى الله، اذهو الغرض الاهم

(اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله لايستوون عندالله) والاستفهام يكون انكاريا ، اى لايمكن ان يجعل السقاية للحاج والتعمير كالايمان والجهاد في سبيل الله ، لايستوون، فان العقل اذا تامل وجد بينهما الفرق البيّن، اذماكان من السقاية في حال عدم الايمان لايكون سقاية للحاج ، بل سقاية لاهل اللعب ، والحاج هو من كان قصده الله ، وقدسبق الكلام في عمارة المسجد الحرام ، واما الايمان فهو الغاية المقصودة من الانسان ، اذ غاية العبادة معرفة المعبود ، فلا يساويه شيء اصلا .

ونقل في ورود الاية ان العباس قال لعلى اميرالمؤمنين (ع)- بعد أمره امير المؤمنين بالايمان: بكونه ساقيا للحاج ، وبعض آخر كطلحة قال: بيدى مفتاح البيت فوردت الاية (والله لايهدى القوم الظالمين) فلواصروا على التسوية، اورجحوا شيئا اخرعلى الايمان بالله فيكونون داخلافي الظالمين ، ولايوصلهم الى الله فلايهتدون ، الاان من التفت بعد الاية واخذ بذيل الآية، فيصلون الى الله .

والمؤمنون المهاجرون المجاهدون في سبيل الله بالاموال والانفس (اعظم درجة عندالله) اما من كل احد بسبب عدم ذكر المتعاق ،اومن المفتخرين (واولئك هم الفائزون) الواصلون الظافرون بالخير .

يبشرهم الله برحمته ورضائه اوالجنة التى هي ظهوردرجة رضاءالله ، وجنات فيهانعيم متفاوتةمختلفة باقية ، وهم مخلدون في النعمة ، والنعمة لهم دائمية ، لاانتهاء لها وتدوم ابدا، لان الله يكون عنده أجر عظيم لكونه عظيما، فمامن قبله يكون عظيما ولكون فيضه دائميايفيض على الدوام فلاانتها ء ،

وقد ظهر مما ذكرنا ان المستفاد من تلك الايات ، من كون معمر المساجد اهل الايمان الموصوف بالصفات المذكورة ، ومن عدم التسوية بين السقاية والتعمير الصوري لمسجد الحرام ، مع الايمان بالله والمعاد والجهاد في سبيل الله ، وكون المؤمن المهاجر المجاهد بالمال والنفس اعظم درجة، وبشارة الله لهم ، وساير ماذكر، وكون الاخرة ابديا وان فعل العظيم عظيم، تمامها (١) على طبق العقل والعقل يطابقها ولايخالفها، والله الهادي .

قوله تعالى **يايها الذين آمنوا لاتتخذوا آبائكم و اخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون(٢٣) قل ان كان آبائكم وابناؤكم و اخوانكم و ازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتوها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامره والله لايهدي القوم الفاسقين (٢٤) لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم و ليتم مدبرين (٢٥) ثم انزل الله سكينته على رسوله و على المؤمنين و انزل جنوداً لم تروها و عذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين (٢٦) ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم (٢٧) .**

لما ان الايمان الحقيقي بغلبة العقلانية وما فوقها على القوى الدانية ، ولابد في تحصيل تلك المرتبة من الايمان من المجاهدات ، و رفع التعلقات فيما اذا زاحمت مع الدرجة العالية، فنهى الله المؤمنين من اتخاذ آبائهم ، واخوانهم الكافرين اولياء ، وبين ان حبهم مع كفرهم ينافي حب الله بكماله ، فانهم مبغوضون عندالله فاخذهم الاولياء، يكون تعديا عن العدل المستقيم ، ولايجتمع مع المحبوبية لله على نحو الكمال .

---

(١) خبر لقوله : ان المستفاد من تلك الايات

وانه لو كانت الاباء، اوالابناء ، اوالاخوان اوالازواج اوالعشيرة ، اوالاموال المكتسبة، اونماء التجارة وعدم كسادها ، اوالمساكن احب اليكم من الله والرسول والجهاد فى سبيل الله فانتظروا للوصول اليهم ، ولاتنتظروا الوصول الى الله لعدم اجتماعهما اذا جاء امرالله من العذاب الدنيوى او الاخروى ، والامر للتهديد ، فان الوصول الى الداني المفوت للوصول الى العالى لابد ان يخاف منه عند العقلاء، والله لايهدى الفساق ، وهم الخارجون عن طاعة الله .

ثم عدمواطن نصرالله، فانها كثيرة ، كبدر ، وقريظة والنضير، (ويوم حنين) اى اذكر ذلك اليوم حيث (اعجبتكم كثرتكم) وظننتم عدم مغلوبيتكم من باب كثرتكم ، ولم تغن الكثرة عنكم شيئا (وضاقت عليكم الارض) بسعتها ثم فررتم .

والحنين وادبين مكة والطائف والمسلمون يبلغ عددهم الى اثنى عشر الفا، والهوازنوهم الاعداء الىاربعة آلاف، ومع ذلك حصل للمسلمين رعب ، لاعتمادهم على الكثرة .

فانزل الله السكينة والاطمينان على الرسول والمؤمنين ، وانزل الجنود الغير المترائية ، وانعكس الامر، وغلبتم على الكفار ، وعذبهم بايديكم وهو جزاء كفرهم .

ثم قبل توبة المنهزمين على ماشاء ، ورأى، من التوبة الحقيقية ، فانهم تابوا من ظنهم ورؤيتهم الاسباب فى قبال الله .

وقد ظهر من تمام ما ذكر ، ان المستفاد من الايات ، من لزوم ترجيح الله على الغيرولو كان من اعز الاحبة ، وان التسوية والترجيح مبغوضان ، وان الاعتماد على الاسباب فى قبال الله العالي يكون غلطا ، و ان الجنود الالهية مؤثرة غاية التأثيرمن القاء الرعب او الطمأنينة ، وان جزاء الكفار يصل اليهم فى الدنيا ايضا، وانه بقبل التوبة ، كلها على طبق العقل ، والعقل لايخالفها، والله الهادى .

قوله تعالى : يـا ايها الذين آمنوا انمـا المشركون نجس فلا يقربوا

المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم (٢٨) قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الاخرولايحرمـون ما حرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق مـن الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون (٢٩) وقالت اليهود عزيز ابن الله وقـالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بـافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون (٣٠) اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً مـن دون الله والمسيح بن مريم ومـا امروا الا ليعبدوا الهاً واحداً لااله الا هو سبحانه عما يشركون (٣١)

النجاسة هي القذارة وهوما يوجب التنفرعنه عند الملتفت به ، ويزيله عن كل مورد يكون الاهتمام في طهارته ونظافته، من المأكولات والمشروبات والملبوسات التي تلبس عند الاعـاظم ، الملتفتين بالدقائق ، وهكذا ، ولاتكون النجاسة عند العرف والشرع ، معنيان وحقيقتان مختلفتان على الاقوى ، بل تكون واحدة، الاان الاختلاف في النظروالمصداق بعدكون مفهومها عندهما واحداً ، فهو مثل ان الاسد وهوالحيوان المفترس، بحسب المفهوم يكون معناه واحدا، الاانه اذا رآه غيرحديد البصر من البعيد ، اوفى الظلمة ، وتوهم كونه حيوانا آخر ، فقال حديد البصر : انه الاسد ، وقـال : غيره انه الحيوان الاخر ، فلااختلاف بينهما فى المفهوم ، بل الاختلاف فى المصداق .

وكذلك الامر فى النجاسة بالنسبة الى العرف والشرع ، فاذا رأى العرف ظاهراً نظيفا بحسب الجلد واللباس ، ولايرى ما قام به من الامور القذرة عند مـن رآها ، اوبحسب الباطن والاخلاق الموصلة الى الكثافات للسنخية ، من قبيل الدماء السائلات والقيح فى الجحيم يحكم بـالطهارة ، ولكن الشارع الذى يكون نظره حديداً ، ويرى الاجزاء الصغار الدلكية ، او الاوصاف فى نهـاية القذارة كغير

المذكى من الحيوان ، اوالاخلاق المؤدية الى الجحيم، بحيث تسرى الى مجالسه، فيحكم بالنجاسة ، ووجوب الأجتناب .

و الجهة الثانية فى المشركين تكون موجودة قطعا، وهى كافية فى الحكم بالنجاسة ، ووجوب الاجتناب عنها ، ومنع دخولهم فى المساجد خصوصاً مسجد الحرام ، ولعل الجهة الاخرى ايضا تكون فيهم ولاندرى لعدم حدة بصرنا .

وعلى اى ّحال فقدحكم الشارع بنجاستهم ، والمنع من دخولهم بعد ذلك العام ، وهو عام نزول الاية ، عن القرب الى المسجد الحرام ، والمرادبه الدخول

وخوف الفقرلكم ، فى غير المحل ، فان الله يغنيكم من فضله اذا شاء ، فبعد نهيه لاتتأملوا ولاتتفكروا ، فى ان المشركين لتجارتهم جالبوا الرزق لنا ، ومع منعهم ، من الدخول فى المسجد الحرام يفوّت عنا ، فان الله عليم بذلك ، ومتقن فى افعاله ، فما لم‌ير الصلاح فى المنع لاينهى ، فلما رأى انه يغنيكم نهاكم عن عدم الحيلولة .

ثم ترقى من ذلك ، وامر بمقاتلة هؤلاء ، بل مقاتلة اهل الكتاب الذين (لايحرمون ماحرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق) الا ان يعطوا الجزية بايديهم لابوكلائهم ، على نهاية الصغارة ، وقد سبق وجه المقاتلة مع اهل الكتاب ، وان اخذ الجزية لتجهيز الجند لحفظ القانون ، ورفع المزاحمين مع القانون ، ولزوم كونه بايديهم على نحو تصغيرهم ، لكون الكبر مانعا من افاضة الصلاح عليهم ، فيؤخذ بالضد لرفع تلك المزاحمة ، حتى يؤثر المقتضى وهو اتمام الحجة ، أثره ولو فى بعض الموارد .

(وقالت اليهود) وهم سلام بن مشكم ، ونعمان بن اوفى ، ومحمد بن دحية وشاس بن قيس ، ومالك بن الضيف على ما نقل ، وانهم ذكروا كيف نتبع دينك وانت لاتصلى الى قبلتنا وحولت منها، ولاتقول بان عزيراً ابن الله (وقالت النصارى المسيح بن الله وذلك قول كافتهم الى الازمنة المتأخرة ، والاختلاف وقع فى البعد

ولعله بعد مضى الالف من الهجرة ، وذلك القول ، وهو الابنيةصرف لقلقة اللسان ، ولاطائل تحته ، ولابرهان عليه ، ولاالمعنى الصحيح .

فان قالوا بان الله ترجل وجامع مع ام العزير ، او مع مريم فحصلا من مـائه ، فلا خرافة فوق ذلك ، من تجسم الله بـالجسم الملكى المحتاج الى دفع الشهوة ، وانفصال الماء منه ، وان لم يبعد بالنسبة الى من يدعى ان الله قد اكل من العجل فى ضيافة الخليل عليه السلام ولكن لايظن بتسليمهم لذلك ، ولو سلموا فلا كمال فى هذا الا له ، وهو ايضا كاحد من الناس الاقوياء ، ولايستلزم ان يكون ابنه كاملا اذ قد يصير ولد القوى ضعيفا .

وان قالوا انالمسيح والعزير من شدة محبتهما لله وشدة محبةالله لهما، لهما لكما وفنائهما بمنزلة الابن ، واطلق هـذا اللفظ عليهما ، فذلك اطلاق لفظى ، والكاملون كثيرون ، ولامعنى للاختصاص ، على ان الاكمل من العزيز فى نهاية الكثرة .

وان قالوا بفنائهما فى الله بحيث ظهرصفات الله فيهما ، كظهورصفاتالاب فى الابن غالبا ، فالفانون فى الله فى نهاية الكثرة .

(يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل) اى مشابه قول الطائفتين قول الكفار الذين قالوا من قبل انا وجدنا آبائنا للاصنام عابدين ، فكماانهجهل باطل كما سبق كذلك قول الطائفتين .

(قاتلهم الله انى يؤفكون) اعلم ان مثل تلك الكلمة وهو لفظ (قاتلهمالله) اولفظ (تبّت يدا ابى لهب) لايكونان من قبيل الاخبار حتى ينظر مطابقته للواقع وعدم مطابقته ، ولا يكونان طلبين من الغير لايجاد قتلهم ، او قطع يدى من ذكر ، حتى يقال: انالله قادرعلىالاهلاك والقطع، فلايستدعى من الغير، بل هما انشاآن وكلمتان وضعتا للسبب غير ملحوظ فيهشىء سوىالعنوان الثانوىالمترتب عليهما، وهوالسب اى لغاية فرطهم أوفرطه فىالجهالة والغباوة ، لايستحقان الا الشتم (انّى يؤفكون)

اى بأىّ مقام من البعد وصل افكهم .

وقد (اتخذوا احبارهم) وهم علماء اليهود (ورهبانهم) وهم علماء النصارى (ارباباً) ومؤثرات من دون الله ، أى بالاستقلال لاعلى نحو الفناء ، وكونها محال مشيّة الله ، وكذلك اتخذوا المسيح مربيّا مستقلا ، لامن باب فنائه وزوال انانيته والحال انهم لم يؤمروا فى شريعة التورية والانجيل الا لان (يعبدوا الهاً واحداً لااله الا هو) لبراهين التوحيد كما اسبقنا ذكرها ، والله منزّه عمّا جعلوا شركاء له من العزير ، والمسيح ، وعلماء اليهود ، والنصارى شركة فى الملك والسلطنة والتربية فانه لاحول ولاقوة الا بالله كما انه لااله الا الله ولاهو الا هو ، وقد بيّنّا الادلة على التوحيد فى المقامات الثلاث(١) .

و فى ذيل الاية اشعار بكون اليهود والنصارى من المشركين ، فى المرتبة الثالثة فيحكم بنجاستهما ، ووجوب الاجتناب عنهما .

وقدظهر مماذكران المستفاد من الاية ، من نجاسة المشركين ، ولو من حيث الاخلاق ، ونهيهم عن القرب الى المسجد الحرام ، وكونه عليما حكيما فيغنيهم ، و لزوم مقاتلة المشركين واهل الكتاب ، حتى يعطوا الجزية باليد فى حال التصغير لحفظ القانون ، وانقول اليهود والنصارى بدون الاصل ، كقول المقلدة من الكفار وان الشرك فى سلطنة الله باطل ، كلها تطابق العقل والعقل لايخالفها ، والله الهادى .

قوله تعالى : **يريدون ان يطفؤا نورالله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولوكره الكافرون (٣٢) هوالذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون (٣٣) يا ايها الذين آمنوا ان كثيراً من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل و يصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها فى سبيل الله فبشرهم**

(١) وهى الملك ، والسلطنة ، والتربية والجملات الثلاث التى ذكره قده وهى لاحول الخ ولااله الخ ولاهو الخ اشارة الى الادلة .

بعذاب اليم (٣٤) يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم و جنوبهم وظهورهم هذا ماكنزتم لانفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون(٣٥) ان عدةالشهور عندالله اثناعشر شهراً فى كتاب‌الله يوم خلق السموات‌والارض منها اربعة حرم ذلك‌الدين القيم فلاتظلموا فيهن انفسكم‌وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان‌الله مع‌المتقين (٣٦)

اطفاء نورالله بالافواه ، هو اطفاء حقيقة العلم والايمان، بمايصدر من‌افواههم اى‌التكلمات التى لامعنى لها وتكون محض لقلقلة اللسان ، كالقول بوجدان الاباء يفعلون كذلك ، اوان عظمائنا قالوا باىنية المسيح ، اوالعزيرلله ، والله يأبى عن‌تاثير الكلمات الناقصة ، و اطفاء نوره ، بمجرد الكلمات الواهية ، و هوالمتم للحجة ، ليهلك من‌هلك عن‌بينة ، ويحيى من‌حى عن‌بينة ، وهو اتمام نوره ولو كره الكفار وارادوا عدم الظهور .

والله ارسل رسوله بالهداية و الدين الثابت الغير المنسوخ ، ليغلبه على كل الاديان ويعلو حجته وبرهانه على‌الكل ، ولولا ذلك لماكانت للرسالة العامة معنى، والرسالة مقتضية لاتمام الحجة والا فلا معنى لوجوب الا طاعة بحكم العقل ، وهو ظهوره على‌تمام الاديان ، ولومع كراهة اهل‌الشرك

ثم اعلم اهل الايمان بان اكثر الاحبار والرهبان ، يأكلون اموال الناس، بالباطل ، ويمنعون عن سبيل‌الله ، وليس عدم ايمانهم للقصور ، بل‌من باب التقصير و لاجل اكل المال بالباطل ، وكل من‌كنز الذهب والفضة ولا ينفق ما كنزه فى سبيل‌الله فبشره بالعذاب المولم ، فان غرض الله من خلقهما لان يصرف فى مصالح العباد ، فاذا ذخره وحبسه ، فقداخذ بخلاف غرض‌الله ، فلابد ان‌يبشر بالعذاب‌الاليم

و كذلك حال كل من كنز علمه‌الذى بمنزلة الذهب ، اوعلمه الذى بمنزلة الفضة ،ولم‌ينفقها فى‌سبيل‌الله ولم‌يعلم الناس بحقيقة الامر ، من‌بيان‌كمال النبى ﷺ واوصافه وكون حجته تامة ، وانه الذى بشربه ، كالاحبار والرهبان ، فلهم البشارة

بالعذاب الاليم ، فيلزم على كل من علم علما فيه صلاح الناس ، ان يظهره ولايخفيه ، كالكنز الذى لايترتب عليه الفائدة ، ولذلك يلزم اظهار مادل على ضلالة اهل البدع والغواية ، حتى يحترز الناس عن المعاشرة لهم ، اويقدرون على ابطال منسوجاتهم وخرافاتهم ، فامروا من جانب الاولياء عليهم السلام باظهار العلم على العالم ، اذا ظهرت البدع وان لم يظهروا فعليهم لعنة الله (١)

(يوم يحمى) اى الوصول الى ما بشروا به يكون فى يوم انكشاف الحقايق، وحركة كل شيء و وصوله الى كماله ، فالحرص المتولد من الكنز ، و منشائه كما مر ان الملكة موجبة للافعال ومشتدة بتكررها ، فكل ، يؤثر فى الاخر يتحرك ـ اى ذلك الحرص ـ ويصير الذهب المحماة بالنار، اوالفضة كذلك (فتكوى) الجباه والجنوب والظهور ، على رغم زعمهم ان بسببها يصان الوجه ويتكى بالجنب على الحرير ونحوه ، وتكون سبباً لقوة الظهر، ويعلموهم اعلان عيان ، ان هذا كنزكم المذخور فى نفسكم، الظاهر لكم ، فذوقوا آثاره من الكي.

(ان عدة الشهور عندالله اثنا عشرشهراً) اعلم ان الامور الاعتبارية على قسمين قسم لها منشأ الانتزاع بحسب الواقع والتكوين ، وليس مجرد الجعل والتبانى ، وقسم بخلاف ذلك، ويكون مأخوذاً من الجعل والبناء ، والشهر عبارة عن مجموع ايام ، ولـه البدء والختم ، وما يكون من الشهور له المنشأ الواقعى شهران ، الشهر القمرى والشهر الشمسى .

فان الاول يكون منشأه من اول ظهور القمر بعد اختفائه ظهورا ناقصاً، لايرى منه على نحو النورانية سوى مقدار الهلال ، فيزداد كل ليلة الى البدر ، ثم ينقص الى ان لايرى ، ثـم بعد الاحتجاب يرى ايضا هلالا ، وهذا الامـر الواقعى منشأ لاطلاق الشهر على تمام تلك الليالى وايامها ولكن لسنة تلك الشهور لاواقعية بل مجرد

---

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله : اذا ظهرت البدع فى امتى ، فليظهر العالم علمه ، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله ـ اصول الكافى ج ١ باب البدع والرأى الخ من كتاب فضل العلم .

البناء ، او بلحاظ الامر الثاني .

واما الثاني فلشهريته وسنته منشأ واقعي، لاجل حركتها ـ اى الشمس في كل سنة مقدارأقسموه الى اثنيعشربلحاظ الاول، اذيقرب الى الثلاثين،فشهرية القمرى لها الواقع ، وسنوية الشمسيايضا لها الواقع ، وبملاحظتهما يصير الشهر بالغاالى اثنى عشر في الحول ، فان بعد انقضاء الحول ، يعود الشمس الى الحالة الاولى ، واما غيرهما فلايكون الامجرد التباني والجعل والفرض .

ولما ان الواقعيات تكون من قبل الله ، والفرضيات امور وهمية ، فالعدد في كتاب الله وهـو اللوح المحفوظ ، من اول خلق السموات والارض ، يكون اثنى عشر ، ومن الشهور القمرية التي ذكرنا انها الاصل في الشهرية كما ان الحول الشمسي هو الاصل في الحولية اربعة من الاثنى عشر في الحول تكون محرماً فيها القتال، وهيرجب، وذوالعقدة ، وذوالحجة ، ومحرم(ذلك الدينالقيم) اىالمستقيم اوالثابت الغيرالمنسوخ ، فلاتقاتلوا فيهن ولاتظلموا انفسكم وقاتلوامعاهل الشرك تمامهم من غير فرق بين الارحام وغيرها ، كما انهم معكم كذلك ، والله مع اهل التقوى .

واحتماللزوم المقاتلهفيكافة الشهور، حتىالاشهر الحرم في حقالمشركين لوكان ، فلاجل ابتدائهم ، فبمنزلة ان يقولالله : اذا قاتلوا معكم في كافة الشهور قاتلوهم ، فهي الحرم لغيرذلك المبتدئين من المشركين ، اومن باب جزاء مافعلوا سابقا من الابتداء فقاتلوهم ، فلاينافي حينئذكون التحريم من الثابت الذى لاينسخ اذمن حيث الزمان لايحصل الفرق ، وتحريم مقاتلة غيرهؤلاء ثابتة .

ومن جميع ماذكرنا ظهر ان المستفاد من تلك الايات ، من عدم اطفاءالعلم و الايمان بمجرد النطق بدون الدليل ، و من منع الله تأثير الباطل باخفائه الحق ، واتمام النور باتمام الحجة ، وان دين النبي ﷺ لما انه من قبل الله ، يغلب بالغلبة البرهانية على ساير الاديان ، وان عدم ايمان الاحبار والرهبان للتقصير لاالقصور،

اذاالبرهان قدتم ، وان غاية الكنزالكي ، والوبال في‌الاخرة ، وكون عدد الشهور من‌اول خلق السموات والارض اثنى عشر، كلها امورعقلية مبرهنة عليها كمااشرنا وكون الاربعة محرماً فيها القتال لايخالفه العقل كما ان لزوم قتل المشركين قددل عليه العقل ، وكذلك كونه مع اهل التقوى، والله الهادى .

قوله تعالى : **انما النسيء زيادة فى الكفريضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطؤا عدة ماحرم الله فيحلوا ماحرم الله زين لهم سوء اعمالهم والله لايهدى القوم الكافرين(٣٧) ياايها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحيوة الدنيا من‌الاخرة فمامتاع الحيوة الدنيا فى‌الاخرةالاقليل (٣٨) الاتنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولاتضروه شيئاً والله على كل شيء قدير(٣٩)الاتنصروه فقدنصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغاراذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم‌تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيزحكيم (٤٠) انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله ذلكم خيرلكم ان كنتم تعلمون (٤١)**

النسيء هو التاخيرلما كان محرماً فى‌وقت الى وقت آخربدله ، على حسب الارادة والشهوة ((وبعبارة اخرى) تبديل الحكم الثابت لموضوع ، وجعله فى الموضوع الاخر، فاذا كان القتال فى المحرم حراما ، وقد هيئا اسبابهم للمقاتلة فيه اى المحرم فيقاتلون فيه‌بلحاظ انا نؤخرزمان التحريم ونجعل فى هذه السنة،الصفر بدل المحرم ولانقاتل فيه ، وذلك التأخير الذى هوتبديل موضوع الحكم حقيقة اشتداد فى كفرهم ، فانهم قد كانوا على طريقتهم آخذين بذلك الحكم ، ويرون أن القتال فى أشهر الحرم يكون محرماً وحكم الله ايضا ذلك .

ولكنهم لازدياد مرتبة كفرهم يتخطأون من‌مسلمياتهم ويؤخرون الموضوع

لاجل ميلهم ، وهذا النسيء والتاخيروالتبديل، سبب لاضلالهم عن طريقتهم وكانت طريقتهم فى ذلك تحليل مابدّلوا حكمه فى عام، وتحريمه فى عام آخر، فيكون اصل العدد وهو الاربعة محفوظا والاعيان متبدلة فكانه لاخصوصية فى البين ، بل مقدار ذلك العدد يكون القتال فيه حراما ، وهو خلاف جعل الله ، وتسليمهم من الاول ، فان ذلك التبديل قد نشأ من رسمهم الثانوى لشهواتهم ، والشيطان قد زين لهم اعمالهم بان الغرض قعود ذلك المقدار لاالخصوصية ، مع ان ذلك يوجب رفع القعود اذفى هذه السنة يجعل بعضهم ذلك الموضوع حراما، والاخرون يجعلونه غيره فتذهب فائدة التحريم ، والهداية غير شاملة للكفار ، فيقعون فى تلك الضلالات بارادتهم، بعد اتمام الحجة على خلافهم .

ثم يذم المؤمنين بان علة بطؤكم وتثاقلكم اىّ شيء؟ ولم اذا قيل لكم اخرجوا الى الجهاد تتأملون وتثاقلون؟ ءأخذتم الدنيا بدل الاخرة مع قلتها فى جنب الاخرة، و ان لم تخرجوا يعذبكم الله ، وياتى بطائفة اخرى عوضا عنكم ولايصل الضرر الى الله ، بل الضرر عليكم ، فان الله ، قادر على شيء من تعذيبكم وتبديل الغير عنكم .

(ان لاتنصروه) اى النبى ﷺ فلايكون على النبى ضرر (فقد نصره الله) بالجنود الغيبية ، و ينصره ايضا ، فالجزاء محذوف ، و العلة قائمة مقامه ، بملاحظة كونه العلة فالمراد استمرار نصرة الله له بالجنود الغيبية فى زمن الاحتياج دائما .

وكان وقت تلك النصرة اولّ الامر، حيث اخرجوه من مكة ، حال كونه (ثانى اثنين) اى لم يكن معه الاواحد وهو ابوبكر، (اذهما فى الغار) وهو نقب فى جبل ثور (اذيقول) اى انتصاراً لله له فى الغار كان حين قال النبى ﷺ لمصاحبه حيث فزع وقال بعد رؤية أقدام المشركين: انهم لو رأوا تحت اقدامهم يرونا: انك (١)(لاتحزن

---

(١) قوله ره انك لاتحزن مقول لقوله : قال النبى ﷺ وقوله : انهم لورأو مقول قوله وقال بعد رؤيته الخ .

فـان الله معنا ويحفظنا (فانزل الله) بسبب توجهه الى الله وتذكاركون الله معهم لمصاحبه (سكينته) واطمينانه على النبى ﷺ (وايده) بالجنود الغير المترائية ، من ايقاع انظارهم الى بيت العنكبوت والحمامة ، وصاربيت العنكبوت ساتراًلهما فلم يرهما الكفار ، وصرفوا عن الغار ، لرفع الاحتمالات بالمدد الالهى ، واحتمال رجوع ضمير(عليه) الى ابى بكرينافى السياق ، لرجوع ضمير وايده الى النبى ﷺ قطعا ، فالسكينة نازلة على النبى ﷺ ، ولم يشارك معه فى ذلك ابوبكر ، والسرفى ذلك انه لاجل اى جهة ـمع انه قدسبق فى تلك السورة (ويوم حنين) الى ان قال : (ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنوداً لم تروها)، وكذلك فى ساير المقامات يكون الله اعلم به ، والله قدجعل كلمة الكفر اسفل،وكلمة الله هى العليا ، وهو غالب متقن فى اموره .

اخرجوا الى الجهاد سواء كان بالنشاط اوالثقالة والكسالة ، وجاهدوا بتمام الاقسام ، فانه خير لكم ان كنتم من اهل العلم .

وقدظهر مما ذكرنا ، ان المستفاد من تلك الايات ، من كون النسيىء زيادة فى الكفر ، ومن كون العمل السوء منشأ لذلك لان الاعمال منشأ اشتداد الملكات، ومن قلة الدنيا فى جنب الاخرة ، ومن شمول العذاب للقاعدين ، و من نصرة الله والتأييد بالجنود ، ومن لزوم الخروج ولومع الكسالة ، كلها واقعيات يطابقها العقل فى الاكثر منها ، ولايخالف فى الباقى، والله الهادى .

قوله تعالى : **لوكان عرضا قريباً و سفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة و سيحلفون بالله لواستطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون (٤٢) عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين (٤٣) لايستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم و انفسهم والله عليم بالمتقين (٤٤) انما يستأذنك الذين لايؤمنون بالله واليوم الاخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون (٤٥)**

ولوا رادوا الخروج لاعد واله عدة ولكن كره الله انبعا ثهم فثبطهم وقيل اقعد وامع القاعدين (٤٦) وخرجوا فيكم مازادوكم الاخبالا ولاوضعوا اخلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين . (٤٧)

نزلت في حق المنافقين المتخلفبن ، فيعلم الله باطنهم ، من انه لو كان المدعو لاجله اخذ المتاع وقرب حصوله ، او كان السفر متوسطا في المشقة لا تبعوك لاهوائهم، من اخذ المال اوالمماشاة معك للدنيا، ولكن المشقةاى مشقة الجهادبعدت عليهم تحملها ، وبعد رجوعك من الجهاد يحلفون باناالم نقدر للحركة ، والا كنا معكم، ويهلكون انفسهم بالحلف الكاذب هلاكا اخرويا ، بل دنيويا بلحاظ ظهور كذبهم وخزيهم ، والله عالم بكذبهم .

ولما (ان بعضهم) قد استأذن التخلف عن النبى ﷺ واذن لهم بلحاظ ان الصلاح فى أذنهم والمماشاة معهم ، ولعل مع عدم الاذن يتخلفون ، ويصير تخلفهم منشأ للضعف حينئذ حيث يظهرون النفاق (قال الله تعالى): ان الاصلح كان عدم الاذن وان كان الاذن فيه الصلاح ايضا ولكن تميز الصادق عن الكاذب عند المؤمنين اصلح، فان القوة قد حصلت بمقدار ، فكان الاولى رجوعك الى الله ثم الاذن ، ولم تركت الاولى ؟ والله عفى عن ذلك النقص ، اذلابد من كما لك على نحو الأطلاق ثم . اعلم الله ان المؤمنين لايستأذنون في ترك الواجب و هو الجهاد ، بان يتخلفوا عنه في الجهاد ، ببذل الاموال والنفوس . ولعل السر ان التخلف والقعود فى ذلك الزمان سبب امحاء الاسلام ، وهجوم الكفار عليهم ، والمؤمن لايتحمّل ذلك ، وغير اهل الايمان من الذين فى قلوبهم الريب والشك ليستأذنون ، ولو كانوا يريدون الخروج على فرض عدم أذنك ، لاعدوا السفر هم ، وعدم تهيأهم كاشف عن كون استيذانهم صوريا ، ركانوا مريدين للتخلف على اى حال ، سواء اذنت لهم املاولكن بحسب الواقع (كره الله) خروجهم و (انبعاثهم) فابقاهم على ارادتهم المكث وعدم الخروج وادامهم على موافقه الاطفال والمرضى والنساء ، وعدم اخراجهم مـن الظلمات ،

لاجل اراداتهم البقاء فيها ، كاف في بقائهم، ولذلك ينسب الى الله، كما ينسب اليهم كما في تمام الافعال ، فعدم اذنك لهم يكون صلاحه ظهور حالهم لابعثهم والافهم ينبعثون ، ولاصلاح لبعثهم وخروجهم .

فانهم لـو خرجوا سـازادوكم الا فسادا ، بتخذيل المؤمنين ، (ولاوضعوا خلالكم) اى وضعوا النميمة بينهم لنفرقهم، طلبا للفتنة والقاء العداوة بينكم، وتكون فيكم سمّاعون لهم اى كثير القبول لهم ، والله عليم بحال الظالمين

و عدم مخالفة المستفاد مـن الايات المذكورة للعقل يكون واضحا ، اذ فيها اعلام بحالات جماعات ، كانت متصفة بالصفات المذكورة والله الهادى

قوله تعالى : **لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون (٤٨) ومنهم من يقول ائذن لى ولاتفتنى الا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين (٤٩) ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون (٥٠) قل لن يصيبنا الاما كتب الله لنا هو مولينا وعلى الله فليتوكل المؤمنون (٥١) قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده اوبايدينا فتربصوا انا معكم متربصون (٥٢) قل انفقوا طوعاً اوكرهاً لن يتقبل منكم انكم كنتم قوماً فاسقين (٥٣) وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الاانهم كفروا بالله وبرسوله ولايأتون الصلوة الاوهم كسالى ولاينفقون الاوهم كارهون (٥٤) .**

لقد طلبوا الفتنة لك من قبل ، وهو اول دخولك المدينة ، لمزاحمتك مع رياستهم باعتقادهم، ورفع المزاحمة كان بوقوع بليات عليك (وقلبوا) واجالوا الفكر في ابطال دينك والكيد معك ، واختلال امورك حتى جاء الامر الثابت مـن الله ، وهو نصرك، وغلب امر الله على ساير الامور في حال كراهتهم ذلك ، فيكون دخولهم

فی الاسلام ظاهریا .

(ومنهم من يقول ائذن لیولاتفتنّی) وهو لجدبن قيس(١) اوغيره حيثقال له النبیﷺ هل لك انتجاهد مع بنیالأصفروهم الروم، فاجاب بانی رجل كثير الحب للنساء ، واخاف وقوعی فی فتنة محبتهن ، (ی اخـاف من الابتلاء بالزناء اومقدماته او التساهل فی امر الجهاد للامر المذكور ، فقال الله تعالى (الا فی الفتنة سقطوا) ای ذلك الشخص واتباعه . اذخوف الوقوع فی الزناء . او التكاسل من الجهاد ليس كالقعود من الجهاد من اول الامر ، فهم فیالفتنة العظمی قدوقعوا ، وهی النار الجحيم . لانهم كفرة حقيقةوتكون جهنم محيطة بالكفار (اما) مآلاً منباب التوسع فی المجاز (واما) حقيقة فعلية ، اذصورة عقايدهم وملكاتهم هی صورة الجحيم ، الا ان الغطاء قد القيت عليها ، و اذا رفع الستر وانتقلت الى العـالم الاخر فهی نـار بالحقيقة ، وساير الموذيات .

(ان تصبكم) الخيرات من الفتح والغنائم (تسؤهم) وان تصبكم المصيبة من القتل وغيره (يقولوا) قداخذنا الاحتياط والحرزمنا من القبل ، ويدبرون عنكم وهم فرحون فی الادبار عن الجهاد وعنكم .

قلفیجوابهمحيثقالوااخذنابالحرز:انهلايصلاليناشيیء من المصائبوغيرها الابما سبق فی الكتاب لنا ، وانانتحرك على حسب ارادة الله وقضائه ، ونرضی بهما فانه الاولى بنامنا ، و يتصرف فينابما هو الاحسن لنا ، و كل مؤمن لابدان يتوكل عليه ، وليفوض الامر اليه .

(وقل)هلتنتظرونبنا(الااحدیالحسنيين) ایماتوهمتمانهشرلنالايكونالاخيرا فانه (اما) الشهادة وهو الخير الاخروی (واما) الفتحوهو الجامع ولكن ننتظرلكم، اما العذاب الاخروی ، وامابايدنيا ، بان ياذن اللهلنافیقتالكم ، فانتظروا لماتنتظرون بحسب زعمكم ، وننتظر لماتربص فی حقكم .

---

(١) فی مجمع البيان : جد بن قيس اخوبنی سلمة بن بنیالخزرج .

وقل ان انفاقكم غير نافع ، سواء كان بالطوع اوالكره ، ولايقبلهاالله لفسقهم بالجوارح ، وكفرهم بالله ورسوله ، وعدم اتيانهم بالصلوة الاعن الكسالة ، وعدم النشاط ، حيث لايدرون ان قيامهم بين يدى الجامع لتمام الكمالات ، الفياض فى كل آن ، الرحمن لكل احد ، والرحيم للمؤمنين ، وعدم انفاقهم الا(وهم كارهون) من حيث كونه نفقة فى سبيله ، اذلا يعدونه الا نقص المال ، وان كان بالطوع لامر عرضى من ايراث الحب ، حتى ينفعهم فى الدنيا ولاتنا فى بينهما بان تكون احدى الجهتين مكرهة ، والاخرى بالطوع .

وقد ظهران المستفاد منها ، وهو اتصاف المنافقين بما ذكر ، وكون الفتح والشهادة سعادة للمسلمين ، وكون الموت والقتل وبالاعلى الكافرين ، وكون علة عدم قبول الصدقة كفرهم ، وعدم اعتنائهم بالصلوة ، وكون عنوان (فى سبيل الله) مكرهة لاتخالف العقل، والعقل يطابقها، والله الهادى.

قوله تعالى : **فلاتعجبك اموالهم ولااولادهم انما يريدالله ليعذبهم بها فى الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون(٥٥)ويحلفون بالله انهم لمنكم وماهم منكم ولكنهم قوم يفرقون (٥٦) لو يجدون ملجـاءاً او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون (٥٧) ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون (٥٨) ولوانهم رضوا ما آتيهم الله ورسوله وقالوا حسبناالله سيئوتينا الله من فضله ورسوله اناالى الله راغبون(٥٩)انماالصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليهاوالمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم (٦٠) ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هواذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم (٦١)**

(فلا تعجبك اموالهم ولااولادهم) ولاتعد كثرة اموالهم واولادهم انعام الله عليهم بكثرتهما ، فلا تستحسن ذلك ، اذ هذا التكثير و الانعام الصورى من باب الاستدراج ، ومكرالله معهم جزاء لمكرهم مع الله ، فان هذا التكثير اذا توقف على زحمات ، ولايؤثّران نفعا لصاحبهما ، بل يؤثران في الضر بصورتهما الاخروية يكونان مضرين مخفيين فيما صورته النفع ، وهذا هو المكر و الاستدراج ، فلا تعجبك ذلك ، فان الله يريد تعذيبهم بهمافي الحيوة الدنيا والورود في عالم الملكوت وهو زمان زهوق انفسهم وخروجهم من هذه الدنيا في حال الكفر .

ويحلفون بالكذب ، انهم منكم ولا يكون قولهم صدقاً ، فانهم قوم يخافون ان تعامل معهم معاملة الكفار ، فتقتلهم ، فهذا الاظهار يكون من باب التقية ، وان وجدوا من يعينهم ، اوسراديب في الجبال ، او موضع يدخلونه ، وتقطع ايديكم عنهم، لتوجهوا اليها (وهم يجمحون) ويسرعون في المشي كالفرس الذى يمشي بالسرعة ، ومن هؤلاء المنافقين من ينسبك الى الحيف والميل ، ويعيب عليك في الصدقات ، فان اعطيتهم منها يرضون وان لم تعطهم فهم يغضبون عليك (١)

ولو انهم رضوا بما آتاهم الله و رسوله من العلم و الايمان ، والقسمة من المال في مواضع اخرى ، وقالوا كفانا الله والرسول ، وسيؤتينا الله بعد ذلك في الغزوات ، وانا راغبون الى الله مطلقا ، سواء اعطانا ام لا، لكان خيراً لهم، وقد حذف ذلك الجواب لقرينة المقام ومعلوميته .

(انما الصدقات) اى حرمان هؤلاء لاجل عدم دخولهم فيما يلزم صرف الصدقات ، فان الصدقات لها مواضع ثمانية ، ولابد من صرفها فيها .

(الاول) الفقراء و هم اللذين لامال لهم فعلا ، ولاقوة بالكسب بمقدار مؤنة السنة ، لنفسهم وعيالهم الواجبى التفقة ولايسئلون من الناس .

(الثاني) هذه الاوصاف الا انهم يسئلون ويشترط فيها عدم الهاشمية اذا كانت

(١) قال ابوعبدالله عليه السلام : اهل هذه الآية اكثر من ثلثى الناس (مجمع البيان)

الصدقة مـن غير قبيلتهم ، وترك المعاصى الكبيرة التى فوق شرب الخمر وشرب الخمر على الاقوى .

(الثالث) العاملون عليهاالمنصوبون لاجل اخذها وحفظها وكتابتها وتقسيمها من قبل النبى ﷺ او الامام ؑ او نائبه .

(الرابع) المؤلفة قلوبهم ، وهم ضعفاء الايمان، الذين بالاعطاء يميلون الى التدبروالتفكرويقوى ايمانهم، اوالكفارالذين فى الثغور ، وبسبب الاعطاء يخبرون عن حال الاعداء ويميلون الى حماية المسلمين .

(الخامس) فك الرقاب وهمالعبيد تحت الشدة تشترى بالصدقات ويعتقونهم او يعتقون بعد الشراء قهراً .

(السادس) الغارمون و هم المديونون ، اذا لم يتمكنوا من اداء ديونهم ، فيؤدى ديونهم مـن الصدقات ، وقد اشترط بعض ، عدمكون دينهم لاجل الصرف فى المعصية .

(السابع) فى سبيل الله و هو الجهاد فى دفع الاعداء ، ولوازم تجهيز الجند بما يكون لازما فى اى زمان ، على حسب ذلك الزمان، والاقوى كون المراد مطلق القرب ، فيدخل الصرف فى القناطيروالخاناتوتسوية الطرق، حتى يسيرامرالسير سهلا على الناس .

(الثامن) ابن السبيل، وهوالمسافرالمنقطع عنوطنه وتسلط الغربة والطريق عليه ، بحيث صار محتاجا ، ولوكان غنياً فى بلده ، وذلك فرض الله ، وهو العليم المتقن، فجعل الصدقات، وتقسيمها بهذا النحوموجبين لقوة المسلمين، وعدموجود الفقير فيهم ، ورفع احتياج الجميع والسياسة العظيمة .

ومن المنافقين من يقول: ان رسول الله ﷺ هوالاذن ، اى يصدق مايقال له وسريع القبول ، وقل فـى الجواب : انه الاذن الخير لا الشر ، اى لا يرتب على الاقوال آثار الواقع ما لـم يتحقق له ، الا انه يظهر نفسه انه لاينكر ذلك لاجـل المماشاة ، واما العمل ، فمع الشرائط يعمل بها لابدونها ، وهو يؤمن بالله ، و يقبل

قوله لكونه عبدالله ، ويؤمـن للمؤمنين ، اى يرتب الاثر على نحو كان نافعا لتمام المؤمنين ، و هو لا يمكن الا بما ذكر ، و الا يكون الضرر على البعض اذا ترتب الاثر على قول كل احد ، وهو الرحمة للمؤمنين، ومن يؤذيه، له العذاب الاليم .

وقد ظهر مما ذكرنا ان المستفاد من هـذه الايات ، من كون الدنيا للمنافق و الكافر و زراً ووبـالاللآخرة، ومن كون صفة المنافقين ماذكر، ومن كون خلاف طريقتهم وقولهم احسن، وكون الصدقات للثمانية ، وان الاذن الخير ليس فيه ضير ومن اتصاف النبى ﷺ بايمان الله، وماينفع لتمام اهل الايمان ، ومن كون العذاب الاليم لمن يؤذيه ،كلها مـن الامور التى لايخالفها العقل ، بل يوافق بعضها ، ولا يخالفهما فـى البقية ، وخصوصاً اذا تأمل فى السياسية المستفادة من التقسيم الـى الثمانية ، من ملاحظة الكل والله الهادى .

قوله تعالى : **يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق أن يرضوه ان كانوامؤمنين (٦٢) الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نارجهنم خالداً فيها ذالـك الخزى العظيم (٦٣) يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون (٦٤) ولئن سئلتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل ابا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن (٦٥) لاتعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين (٦٦) المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يـأمرون بالمنكر و ينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هـم الفاسقون (٦٧) و عدالله المنافقين والمنافقات والكفارنارجهنم خالدين فيها هى حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم (٦٨)**

اذا اطلع المؤمنون على ايذاء المنافقين لرسول الله ، بساقوالهم واطوارهم فى الخلف واستحضر المنافقون باطلاعهم ، حلفوا بعدم الواقعية لما بلغهم لاجل

تحصيل رضاء المؤمنين ، ولو كانوا مؤمنين لكان الاحق ان يرضواالله ورسوله في اظهار طاعتهم .

وافرد الضمير لان النبي ﷺ لاانانية له ، ومرآت الله ، فرضائه عين رضاءالله وحق البيان في جميع الموارد كان كذلك : الاان القرآن لمايكون نازلابلسان القوم وبعضهم لايلتفتون الى ذلك جرى على طريقتهم وهذا النحو لاجل ارائة الواقع ويحتمل حذف خبر (ورسوله) ، والموجود خبر لفظ (الله) والحذف لقرينة المقام

الم يعلم المنافقون ، ان من وقع في طرف الشقاق مع الله والرسول، يكون لـه الخلود في النار وهو الخزى ، والذل العظيم ، لملامة اهالـي النار لهم (يحذر المنافقون) من نزول سورة تكشف للمؤمنين ما في قلوب المنافقين (قل استهزؤا) امر في مقام التهديد ، فانه يحصل ماتخافون منه من اطلاع المسلمين على نفاقكم ، لان الله مخرج ماتحذرون منه ، اذهو يظهر على النبي ﷺ مافي قلوبكم

(ولئن سالتهم) من الكلمات الصادرة من المنافقين في طريق تبوك مما ينافي مع شان الرسول يجيبون بانه قد كان غرضنا المزاح حتى نقطع السبيل والطريق ، (قل)لهم، المزاح والاستهزاء ولوعلى نحوالمزاح لايجوّزه العقل مع الله والرسول والايات ، ويكون منكراً عنده

(لاتعتذروا) بان كان مرادكم تصحيح ما صدرمنكم الى الان ، فانكم كفرتم بعد ايمانكم و(ان نعف عن طائفة منكم) لرجوعكم وتوبتهم من الان (نعذب طائفة) اخرى ، لعدم توبتهم من الان ، فانهم مجرمون ، والمجرم الذى لم يتب، يكون معذبا

ومن نافق رجلا كان اوامرءة لسوء اخلاقهم ، بعضهم يكون من بعض آخر كاجزاء شيءواحد يامرون بالمنكر عندالعقل وينهون عن المعروف عندالعقل اومطلق المعروف والمنكر ويقبضون ايديهم ولاينفقون في سبيل الله، مع ان حسن الاحسان يكون عقليا وقدنسوا الله فعامل الله معهم معاملة من نسي صدور الخير منهم، لفسقهم وخروجهم عن طاعة الله وعدهم الله والكفار (نار جهنم) حال كونهم خالدين فيهاوهي تكفيهم ويبعدون عن رحمة الله لخبث طينتهم واختيارهم البعد ولهم العذاب الراسخ ولاتصير النار

ملائما لهم وغيرمعذبين بل يكونون معذبين و عذابهم دائمي ايضا وهم مقيمون فيه كماان بقائهم في النار يكون دائميا .

وقدظهرمماذكر، ان المستفاد من الايات، من اولوية تحصيل رضاء الله والرسول على رضاء المؤمنين ، ومن كون المحادد والمشاق خالدين في الجحيم ، ومن انباء الله مافي قلوب المنافقين ، ومن لغوية المزاح مع الله والرسول والايات ، ومن عفو من تاب ، وتعذيب من لم يتب ، ومن نسيان الله ومعاملته معاملة الناسي للخير لمن ينساه ، وكون الجحيم والعذاب كليهما على نحو الدوام للمنافق والكافر ، مما يطابق العقل ، وقد بيناكلامنها في مورده ، ولايخالف العقل له ، والله الهادى .

قوله تعالى: **كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثراموالا واولاداً فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كمااستمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا اولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والاخرة واولئك هم الخاسرون (٦٩) الم ياتهم نبأالذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين والمؤتكات اتتهم رسلهم بالبينات فماكان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون (٧٠) والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيزحكيم (٧١) وعدالله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهارخالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم (٧٢)**

انتم كالذين من قبلكم ، والخطاب الى المنافقين ، حذف المبتدء بقرينة القبل وهم كانوا من حيث الدنيوى ، اعلى منكم قوة وقدرة ، واكثر اموالا واولاداً

فتلذذوا بملكاتهم ، وتلذذتم ايضا بملكاتكم كماتلذذوا ، واستغرقتم في تلك التلذذات كاستغراقهم، وهؤلاء لااثر خير لاعمالهم في الدنيا، من استقامة اعوجاج او اغاثة ملهوف ، ولافي الاخرة ، لعدم الارتباط بينهم وبين الجنة ، فانها من شئون رضى الله ، فالخسران منحصر في حق هؤلاء الموصوفين ، ومن مثلهم ، بقرينة السابق من كون المنافقين الموجودين مثلهم .

الم يأت للمنافقين خبر قوم نوح عليه السلام ، وقوم عاد في زمان هود عليه السلام وقوم ثمود في زمان صالح عليه السلام وقوم ابراهيم عليه السلام واصحاب مدين في زمان شعيب عليه السلام والمؤتفكات، وهي القرى التي فيها قوم لوط عليه السلام حيث انه قد تمت الحجة عليهم بسبب اتيان رسلهم بالمعجزات ، فلم يؤمنوا، فعذبهم الله في الدنيا ، كما انهم يعذبون في الاخرة ، وذلك ليس ظلما من الله عليهم ، بل ظلم من قبلهم على ضررهم ، حيث انهم اتبعوا الشهوات بعد اقامة الحجة عليهم .

واهل الايمان ايضا ، بعضهم من بعض ، كاجزاء الشيء الواحد ، ويحبون كلا منهم الاخر من حيث الايمان ، وصفاتهم انهم يأمرون بالمعروف عقلياً كان او شرعياً ، وينهون عن المنكر كذلك ، والعموم مستفاد من عدم ذكر الموجب ، (ويقيمون الصلوة) لكونها سبب الربط بين الخلق والخالق، كماذكرنا سابقا(ويؤتون الزكوة) على نحو مااراد الله في مقام الفرض ، على نحو الفرض وفي مقام الندب على وجه الندب ، وذكرنا ان زكوة القلب والجوارح والمال ، كل على نحو ونسق غير الاخر .

(ويطيعون الله ورسوله) في كل الاوامر والنواهي ، ولايختص اطاعتهم في المهمات كالصلوة والزكوة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهؤلاء مورد رحمة الله وفيضه ، فانه غالب، ويعطي كل ماراد ، وحكيم يعطي كل احد مايستحقه وقد وعد ان يعطيهم جنات تجرى تحتها الانهار ، اذ كانت اعمالهم ناشئة عن العلم والاعتقاد ، فالاعتقاد هو الاصل ، وصورته الماء ، فاصل تمام بناء الجنة واشجارها على الماء كما مرّ ذلك مفصلا ، ويكونون خالدين لدوام فيض الله ولهم مساكن

طيّبة ومعطرة ، اذكان اطمينانهم في الدنيا باستشمام رائحة العاليات، وهذه المساكن في جنات العدن ، وهي دار الاقامة ، وهذا هو الفوز العظيم .

وقد ظهر مماذكرنا ، ان مايستفاد من هذه الايات ، من عدم الفرق بين الكفار والمنافقين ، في قرن معهم في القرون الاخرى ، والحبط شامل للجميع ، ومن كون بعضهم اجزاء بعض ومن تعذيب الله لهم ومن شئون الرحمة للمؤمنين وكون الجنة لهم على نحو ماوصف، لايخالفها العقل، والله الهادى .

قوله تعالى : **ياايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأويهم جهنم وبئس المصير (٧٣) يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بمالم ينالوا ومانقموا الا ان اغنيهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيراً لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذاباً اليما في الدنيا والاخرة ومالهم في الارض من ولي ولانصير(٧٤) ومنهم من عاهد الله لئن آتينا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين(٧٥) فلما آتيهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون (٧٦) فاعقبهم نفاقاً في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ماوعدوه وبما كانوا يكذبون(٧٧) الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجويهم وان الله علام الغيوب (٧٨) الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لايجدون الاجهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم(٧٩)**

الجهاد مع الكفار يكون بالسيف ، ومع المنافقين بحدة اللسان ، وامر بأن يغلظ معهما ، او خصوص المنافقين ، (ومأواهم جهنم) لكونها صورة عقايدهم وملكاتهم ، وبئس المرجع .

والمنافقون يحلفون في عدم صدور كلمة الكفر منهم ، والحال انه قد صدر منهم ، وحصل لهم الكفر بعد اسلامهم ، (وهمّوا) في فتك الرسول، ولعله في العقبة بعد الرجوع عن غزوة تبوك كماقيل ، وقصدوا قتله ﷺ ولم ينالوا بقصدهم ، وهذا

القصد كان انتقاما منهم ، على الاحسانات الواصلة من الله والرسول اليهم ، بان اغناهم الله ورسوله ، اى فى مقابل الاحسان قد هموا بالاسائة ، فان رجعوا وتابوا فهوخيرلهم (وان يتولوا) وادبروا عن الله والرسول ، وبقواعلى كفرهم، يعذبهم الله عذاباً اليماً ، فى الدنيا والاخرة ولاولى لهم فى الارض ولانصير وعدم ذكر الولى والنصير فى السماء لوضوح عدم كون ناصر المنافقين من اهل السماء .

ومن المنافقين (من عاهد الله) بانه لو اعطاه مالا من فضله يتصدق منه ، ويكون من الصلحاء والعاملين بالطاعات ، وبعد وصولهم الى مقصدهم باعطاء الله بخلوا فى التصدق ولم يتصدقوا ، واعرضوا عن الله ، عوضا عن صيرورتهم صالحين فجعل الله ذلك الخلف سببا لازدياد شقاقهم ، ونفاقهم باختيارهم الى القيامة لخلف وعدهم ولكذبهم فى الانباء عن عدم نفاقهم ، ثم استفهم انهم لم يعلموا بان الله يعلم السرو النجوى ، ويعلم كل غيب ، فلاى جهة اخلفوا او كذبوا ، ومن يلمز المتنفل فى الصدقات ، ويعطى الزايد من الواجب ويعيبه بانه من باب الرياء ، وكذا من يلمزويعيب المتصدق بالقليل ، حيث لايكون لهازيد ، ويقول هذا لامقدارله عندالله ويسخربالاول ، وكذا بالثانى ، فالله يسخرهم، ويظهرركاكة الصادرمنهم ، ويعذبهم بالعذاب الاليم .

والمستفاد منها ، من كون الله عالما بخفاياهم ، وان الوزر موجب للازدياد من باب صيرورته ملكة ، ومن كون افعال هؤلاء مماتستحق لان يسخربها لامخالفته للعقل فيهاكمالايخفى ، والله الهادى .

قوله تعالى : **استغفرلهم اولا تستغفر لهم ان تستغفرلهم سبعين مرة فلن يغفرالله لهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لايهدى القوم الفاسقين(٨٠) فرح المخلفون بمعقدهم خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله وقالوا لاتنفروا فى الحر قل نارجهنم اشد حرا لوكانوا يفقهون (٨١) فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاءآ بماكانوا يكسبون (٨٢)**

فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى ابدا ولن تقاتلوا معى عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا مع الخالفين (٨٣) ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولاتقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون (٨٤) ولاتعجبك اموالهم و اولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون (٨٥) واذا انزلت سورة ان آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك اولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين (٨٦)

لماأن النبى ﷺ يكون استغفاره سببا لغفران الذنوب، والسبب هو المقتضى، وتأثيره فى حال عدم المانع ولكن مع المانع لايؤثر، والكفر الباطنى للمنافقين ككفر الكفار، يمنع من التاثير، فلايترتب على استغفار النبى ﷺ فى حقهم اثر، لنقص القابل، ووجود مايمنع من التأثير.

والتخيير بين الفعل والترك فى المباحات لااشكال فيه، اذ قد يكون الفعل والترك خاليين عن الصلاح والفساد، اويتساويان، ولكن فى التخيير بينهما على نحو الطلب بأن يكون الفعل مأموراً به بالامر التخييرى وكذلك الترك - فيه غموض، لاستلزام ذلك لغويتهما، اذ الانسان، اما فاعل، او تارك، ولاجتماع الامر و النهى (اى الطلب والكراهة) فى الشىء الواحد مع اتحاد الجهة، او التعدد الغير المجدى من الجهة التعليلية، باصطلاح بعض، فانها غيرمكثرة، اوالتقييدية الغير المكثرة، والتخييرية غير رافعة لاشكال اجتماع الضدين وانماتكون رافعة لاشكال التكليف بمالايطاق وتسهيل ذلك بانه اذاكان ممكنااشتمال الفعل على صلاح ولو كان عرضيا، والترك ايضاً مشتمل، على صلاح، لانطباقه على فعل وجودى ذى صلاح (فيمكن) طلب الفعل والترك كليهما تعيينا، فضلا عن التخيير، كالعبادات المكروهة التى لابدل لها، فانها على الاقوى تكون مأموراً بها ومنهياً عنها،

كالصلوة اول طلوع الشمس، حيث ان للصلوة في كل وقت وآن صلاح، وتركها ايضا فيه صلاح ، وهوالتغاير مع عبدة الشمس ، نعم في كل مورد يوجب التكليف بمالايطاق لايكون جائزا، واما اذا لم يوجب له فلامانع منه .

وحينئذ فنقول: اما اللغوية فتندفع ،بان المحرك للاتيان اذا كان الامر ولو كان تخييريا يكون سببا لوصول الصلاح ، وكذلك الترك اذا كان الباعث نهي المولى ، وفي المباحات لايكون صلاحا مؤثراً، اوفساداً بخلاف المقام ، فانه اذااختار كل واحد منهما ، يترتب عليه الصلاح كماسبق ، فلايكون لغوا .

واما الثاني (١) فيندفع بكون الجهة متعددة مجدية، حيث انها المغايرة،مثل الغصب والصلوة، وهنا جلب قلوب اهاليهم ، صلاح مترتب على الفعل ، وزجرهم والاخرون حتى (٢) يرتدعوا يكون مترتبا على الترك فلااشكال في ذلك وروى أنه ﷺ قال خيرت بين الفعل والترك ، فاخترت الفعل .

واما استغفاره ﷺ مقدار السبعين فان كان المراد التكنية عن الكثرة كما يكون مناسبا للتعليل، فالمراد ان المانع هنا ، بحيث لافرق في بقائه، كثرة الاستغفار وقلته ، وان كان المراد البالغ الى هذا الحد ، ولعل الازيد موجب لتغيير حالهم وانقلابهم ، حتى لاينافي مع العلة ايضاً ، فالمعنى أن هذا المقدارغير مؤثر ، ولذا روى أنه ﷺ قال لازيدن على السبعين ، وقد روى بعض أنه ﷺ قال : لو كان للزائد تأثير لكنت أزيد ، وعلى اى حال فلااشكال فيه ، ويعلل الله عدم غفرانهم بكفرهم ، وان الايصال الى ملزوم الغفران لايحصل لهم .

وفرح القاعدون المتخلفون بقعودهم وتخلفهم ، وكرهوا من بذل المال والنفس في سبيل الله، واظهروا لغيرهم، ان الهواء حار، ولاتنفروا في هذه الحرارة

---

(١) اى اجتماع الامر والنهي

(٢) هكذا في النسخة بخط المصنف قدس سره ولكن الظاهر (وزجر الاخرين حتى الخ) .

وامر لله رسوله بأن يقول لهم : لو كان رادعكم هو الحرارة ، فهي تقتضي الخروج، اذ في تركه نار جهنم ، وحرارته اشد ان فقهتم وادركتم المعنى ، وهؤلاء يلزم عليهم بحكم عقلهم ، ان يبكون على انفسهم كثيرا ويقللون في ضحكهم وقيل ان الامر هنا بمعنى الخبر اي يكون ضحكهم قليلا، وهو في الدنيا وبكائهم كثيراً ، وهو في الاخرة ، ولكنه لاداعي له ، وعلى اي حال لزوم الامرين او اتصافهم بهما ، يكون جزاء لما كسبوه ، من الاعمال السيئة ، والملكات الرذيلة .

و اذا رجعت من هذه الغزوة ، وهي تبوك واستأذنك بعض هؤلاء للخروج اليك ، في غزوة اخرى فاردعهم (وقل لن تخرجوا معي ابدا) ابل كونوا مع الخالفين وهو امر تبكيت ، وكذلك النهي عن القتال ، اخذا بملكاتهم وافعالهم السابقة ونهي الله عن الصلوة على جنائزهم ، وقيام رسول الله (ص) على قبرهم بنحو التابيد ، الدال على انه لاينسخ ، لعلة موتهم على الكفر قيل نزل لامامات ابن ابي ، وصلى عليه رسول الله (ص) وقام على قبره .

والاموال والاولاد لهؤلاء للتعذيب ، والافتتان ، وموتهم على الكفر ، اذمن موجبات التخلف حبهما واذا انزلت سورة وفيه الايمان والامر بالجهاد، يستأذنك الوا الطول والثروة في المال ، واستدعوا بقائهم مع القاعدين ،وقد ظهر مما ذكرنا ان المستفاد من هذه الايات ، وهو كون الكفر مانعا من تاثير استغفار النبي ، وكون نارجهنم اشد حراً من الحرارة الهوائية في الدنيا ، ومنع الصلوة عليهم لكفرهم ، و كون الاموال والاولاد مضراً لهم ، كلها مما لايخالف العقل فيها ، بل على طبقها ، والبقية اخبار عن الواقعيات ، فلا يكون لها مانع، حيث كان الامر مطابقا للواقع، والله الهادي.

قوله تعالى: **رضوابان يكونوامع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لايفقهون (٨٧) لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم واولئك لهم الخيرات و اولئك هم المفلحون (٨٨) اعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم (٨٩) وجاء المعذرون من**

الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم (٩٠) ليس على الضعفاء ولاعلى المرضى ولاعلى الذين لايجدون ماينفقون حرج اذانصحوالله ورسوله ماعلى المحسنين من سبيل والله غفور رحيم (٩١) ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد مااحملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الايجدوا ماينفقون (٩٢) انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم اغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لايعلمون (٩٣)

رضوا بكونهم مع الخوالف من النساء والصبيان ، وقد ختم الله على قلوبهم لكثرة اعراضهم عن النبى ﷺ والمؤمنين بالتخلف ، و توجههم الى الخلاف ، ولاجل ذلك التكرار الحاصل من كثرة الخطرات فى حديث نفسهم ، وكثرة الاظهارات، كررالله تعالى ذلك زيادة تبكيت عليهم ، وحصل لهم الملكة للاغراض والتوجه الى الغير فطبع على قلوبهم وختم فلا يدخلها التوفيق ، وبسبب الطبع زال ادراكهم العقلانى ، فهم لايفقهون .

وفى مقابل ذلك التكرار ما حصل للنبى ﷺ والمؤمنين ، فى بذل اموالهم متدرجا ، وتحمل المشاق بنفوسهم ، فالهم الخيرات وكل خير ، وحصلت لهم الملكة ، وهى ملكة الفوز والفلاح ، فصفتهم انهم هم المفلحون .

وبسبب ذلك لهم الجنات باقسامها ، الناشئة من العلم ، والخلود فيها بازاء رسوخ الملكات ، والفوز العظيم بازاء فلاحهم .

(وجاء المعذرون) من اهل البادية الذين لهم العذر حقيقة ، ليحصل لهم الاذن فى القعود ، وجاء غير اهل العذر ايضا لتحصيل الاذن ، ولما ان هذاالمجىء بمنزلة القعود ، بل حقيقة القعود بناء على وضع الالفاظ للمعانى الكلية ، عبر الله عنه بالقعود ، وهؤلاء يكذبون الله والرسول ، وسيصل الى الكفار منهم جزائهم ، وهو العذاب الاليم .

(وليس على الضعفاء) بالشيخوخية ، (ولاعلى المرضى) كالعمى والشلل في اليد او الزمن في الرجل ، ولاعلى الفقير الذى لايجد ما ينفق في الطريق (حرج) في القعود ، و ترك الجهاد ، لعدم تكليف الله بالمعسور الشديد ، امتناناً له على العباد وعدم الحرج لهم ، انما يكون (اذا نصحوا لله والرسول) اى بذلوا لسانهم بالنصيحة ، و تشجيع الباقى على الخروج ، فكان جهادهم في منازلهم باللسان ، وعلل نفى الحرج ، بعدم كون السبيل والمؤاخذة على من يفعل الحسن ، ولايكون في فعله القبح ، وهؤلاء كذلك .

فالمحسن بمعنى الفعل المجرد لاالمزيد وهو الاحسان الى الغير ، وتوهّم كونهم محسنين لله والرسول ، لنصيحتهم لاجلهما لعله في غير محله ، مع كونه سوء ادب بالنسبة الى الله ، (والله هو الغنى) ، ولامعنى للاحسان اليه ، فالحسن راجع اليهم (والله غفور رحيم) فيقبل العذر .

و كذالايكون السبيل (على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لااجدما احملكم عليه فتولوا) مع الاسف والحزن ، وجريان الدموع ، لاجل فقرهم الذى صار سببا لحرمانهم من الجهاد (انماالسبيل) والمؤاخذة على الاغنياء الراضين بكونهم مع الخوالف ، وحصل الطبع في قلوبهم .

وقد ظهر مما ذكر ان المستفاد من هذه الايات ، وهو الطبع على قلب من كرر النفاق ووصول الخيرات على المجاهدات لله ، وحصول الفلاح من تكرر الطاعات واعداد الجنات التى اصلها ماء الحيوة لهم ، و عدم السبيل على الضعيف واشباهه وكون السبيل على الاغنياء السالمين ، وعدم الملامة على السبعة(١) المذكورين ، ومن اجل عدم وجدان الراحلة ، رجعوا مع الاسف ، كلها من الامور المطابقة للعقل وليس في العقل ما يخالفها ، والله الهادى .

---

(١) الظاهر ان مراده قده من قوله تعالى : ليس على الضعفاء الخ (ولكنهم) ليسوا بسبعة ولعل الخمسة انسب والله العالم .

قوله تعالى : يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لاتعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون (٩٤) سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأويهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون (٩٥) يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لايرضى عن القوم الفاسقين (٩٦) الاعراب اشد كفراً ونفاقاً واجدر ان لايعلموا حدود ماانزل الله على رسوله والله عليم حكيم (٩٧) ومن الاعراب من يتخذ ماينفق مغرماً ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم (٩٨) ومن الاعراب من يؤمن بالله و اليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عندالله وصلوات الرسول الاانها قربة لهم سيدخلهم الله فى رحمته ان الله غفور رحيم (٩٩)

يظهرون العذر اليكم اذا رجعتم اليهم ، بتوهم ان لاعلم لك بالخفايا ويشتبه عليك ، قل لانصدق عذركم، لعلمنابكذبكم بسبب اخبارالله واخباره صدق وسيرى الله ورسوله بالرؤية الحضورية فى الكون ، حقيقة اعمالكم ، التى هى العذاب الدنيوى (ثم) بعدهاتصلون الى الاخرة و(تردون) الى الله، فيخبركم اخباراً حضوريا باعمالكم ، حيث ترونها بحقائقها فى صفحة كتبكم .

ويحلفون بالله كاذباً (اذاانقلبتم اليهم) لاجل ان تعرضوا عن عتابهم فاعرضوا عن عتابهم ، اذالعتاب لاجل التأديب والتأثير وهم رجس لايقبلون التطهير، ومحلهم المستقر هو جهنم من باب جزاء ما كسبوا .

يحلفون لكم لترضوا عنهم ، والله لايرضى عنهم لفسقهم ولو صرتم راضين اذلايكون تقصيرهم منحصراً بالخلاف معكم حتى يرتفع برضاكم ، بل قصروا فى

اطاعة الله ايضا .

واهل البوادى اشد كفرا ونفاقا لقساوة قلوبهم وجفائهم ، من باب ما كانوا يمارسون فيه من الغارات والقتل (واجدر) فى عدم علمهم بحدود الله لبعدهم عن المعارف وسماع القرآن (والله عليم) بهم ومتقن فيما يصنع معهم .

ومنهم من يعدّ الانفاق غرامة وضرراً، لعدم اعتنائهم بثواب الاخرة وينتظرون بكم دوائر الزمان وانقلابه حتى يستريحوا منكم والانقلابات والدوائر عليهم، قيل ان المورد ، بنواسد وغطفان .

(ومن الاعراب) من يكون بخلافهم، فيؤمنون بالله والرسول، وينفقون لاجل التقرب الى الله، والادعية من النبى ﷺ فى حقهم ونفقاتهم مقبولة ومقربة الى الله، ويدخلهم الله فى رحمته وهو الغفور الرحيم .

و المستفاد من هذه الايات ، من رؤية الله و الرسول اعمال العصاة ، و من الرد الى الله وانبائه باعمالهم .

وعدم تأثير العتاب لخباثتهم ، وعدم انحصار الحق للناس ليسقط برضاهم، وكون اهل البادية فى مرتبة الكفر والنفاق اشد لغلظهم ، واجهل لبعدهم ، وكون الله سميعاً ، يسمع تكلمات تلك الاعراب وعليماً يدرى بواطنهم، وان من لايعتنى بثواب النفقة ، عليه دائرة السوء .

وان من يؤمن من الاعراب ، وينفق لاجل تحصيل الثواب ، يكون القرب لهم حاصلا ويدخلون فى رحمة الله ، كلها على طبق العقل اولايخالفها العقل، والله الهادى .

قوله تعالى : **والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابداً ذلك الفوز العظيم (١٠٠) وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لاتعلمهم نحن نعلمهم**

سنعذبهم مرتين ثم يردون الـى عذاب عظيم (١٠١) وآخـرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم (١٠٢) خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلوتـك سكـن لهم و الله سميع عليم (١٠٣) الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وياخذالصدقات وان الله هوالتواب الرحيم (١٠٤) وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب و الشهادة فينبئكم بماكنتم تعملون (١٠٥) وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم (١٠٦)

وكل سابق اول (من المهاجرين والانصار) لما ان السابق والاول من الامور المتضايفة ، فلابد من وجود ما يلحظ السابق واللاحق ، والاول والاخر اليه ، من الايمان او الهجرة او المرتبة او الجهاد او غيرها .

ولولا القرينة لقلنا : بان المراد السابق في الجميع ، وبلحاظ الانصار، ولا مهاجر بينهم ، لا يكون الفرض، السابق في الهجرة ، والالكان البيان غير صحيح فالمراد كل سابق في الايمان والمرتبة والجهاد وكذا كل من يتبعهم .

(باحسان) اى الافعال الحسنة (رضى الله عنهم) لعقائدهم ومرتبتهم من الملكات وجهادهم في البدر وغيره و رضوا عن الله ، لان هذه الاشخاص لايكون محبوبهم الا الله ، و ما يصل اليهم برضى المحبوب فهو محبوب لهم ، فلا يرون من الله الا الحسن ، فيرضون منه ، وهيئا الله لهم الجنات ، جنة العقائد وجنة الملكات وجنة الافعال وجنة الرضاء .

وهى اعلى ، فجرى من تحتها الانهـار، ومائها غير آسن ، لاستقامتهم فى استشمام رائحة الرحمن ، وطعمها غيرمتغير ، لثبات اذواقهم فى حلاوة المحبة ، (خالدين فيها) لبلوغ صفاتهم الى الرسوخ والثبات ، والفوز العظيم هوذلك .

وبعض أهل البادية ، فى أطراف المدينة يكونون من المنافقين ، وبعض اهل المدينة ، قد لجوا فى النفاق ، واشتدوا فيه، ولاتعلمهم بلحاظ نزولك الظاهرى ونحن نعلمهم ، وحكم الفانى حكم المفنى فيه (١) .

(سنعذبهم مرتين) فى الدنيا وفى القبر ، ثم يردون فى البرزخ ، الى عالم الغيب والشهادة ، ولهم عذاب عظيم فى ذلك ، ويحتمل كون المرتين فى القبر والبرزخ ، والرد فى عالم القيامة ، وبعض آخرمن المؤمنين اعترفوا بتقصيرهم ، فى التخلف عن الجهاد ، (وخلطوا عملا صالحاً) بماصدرمنهم فى‌القبل من الجهاد والاعمال الخيرية ، اوتوبتهم بهذا التخلف، وهو العمل السيء (عسى الله ان‌يتوب عليهم) اى بحسب المقتضيات ، لم‌يكن قبول توبتهم من الحتم والاستحقاق ، بل من الراجح والفضل ولذلك قبل الله توبتهم ، لكونه غفوراً رحيماً .

قيل‌نزل فى ابى‌لبابة وجماعة اوثقوا انفسهم فى سوارى المسجد ، لمّابلغهم مانزل فى المتخلفين ، وحلفوا ان لايحلهم الاالنبى ﷺ فنزل (خذ من اموالهم صدقة تطهرهم) من الذنوب فحملهم النبى (ص) واخذ ثلث اموالهم ، وتصدق به فى سبيل الله (وصل عليهم) وادع لهم ، فان دعائك سبب لاطمينان قلبهم ، فى قبول الله توبتهم (والله سميع) باقوالهم من الحلف والانين و (عليم) ببواطنهم) واخذك الصدقة منهم ، اخذ الله .

وان يدك يد الله، (الم‌يعلموا بأن الله يقبل التوبة ، ويأخذ الصدقات) وهو التواب ، اى كثيرالقبول للتوبة ، والرحيم بعباده .

اعملوا ماشئتم ، فالله يراه وتردون عليه ، وهوتشويق بالنسبة الى المطيعين وتهديد بالنسبة الى العاصين ، والمستعمل فيه الطلب ، والاختلاف فى الغرض ، فلااشكال فيه ، وستردون جميعا الى الله ، وتقرؤون كتابكم .

---

(١) المفنى فيه النفاق ، والفانى المنافق ، فكأنهم من شدة توغلهم فى النفاق هم عين النفاق ، نظيرقوله تعالى : طلعها كانه رؤس الشياطين .

وآخرون ، اى البعض الاخرمن المؤمنين ، مرجون ومؤخرون لامر الله ، وهى التوبة ، فاما يعذبهم ، بانلايوفقهم للتوبة المقبولة ، واما يوفقهم للتوبةالمقبولة وهوعليم بالباطن ، وحكيم فى التوفيق وعدمه .

قيل : نزل فيمن تخلف لاللنفاق ، بل من باب الكسالة والميل الى الراحة ، ولميعتذروا ، وهم مرارة ابن ربيع ، وكعب ابن مالك ، وهلال ابن امية ، فوقف امرهم خمسين ليلة ، وتركهم الناس ، ولميقربوا اليهم ، فانزجروا وتابوا ، وقبل الله منهم توبتهم ، والمستفاد منها ، وهوعلوالسابقين ومن يتبعهم ، ورضا اللهعنهم، ورضاهم عنه ، واعداد الجنات لهم ، وتعدد عذاب المنافقين ، بلحاظ تعدد العوالم لرسوخ نفاقهم ، وقبول التوبة مع الشرائط من المخالطين تفضلا ، وكون يد الفاني فى الله يد الله ، وجزاء كل احد على عمله ، وكون المؤخرامره الى الله ، كلها من الامورالتى يوافقها العقل ، ولايخالفها، والله الهادى .

قوله تعالى : **والذين اتخذوا مسجداضرارا وكفراوتفريقاً بين المؤمنين وارصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبلوليحلفن ان اردنا الاالحسنى والله يشهد انهم لكاذبون (١٠٧) لاتقم فيه ابداً لمسجداسس على التقوى من اول يوم احق انتقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين (١٠٨) افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خيرام من اسس بنيانه على شفا جرفهار فانهار به فى نارجهنم والله لايهدى القوم الظالمين (١٠٩) لايزال بنيانهم الذى بنواريبة فى قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم (١١٠)ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقاًفىالتورية والانجيل والقرآن ومناوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هوالفوزالعظيم (١١١)**

ومن المنافقين الذين اتخذوا مسجداً لله بحسب الاسم ، ولما ان العبادة

موقوفة على قصد التقرب ، ولم يقصدوا ، لم يصر مسجدا حقيقة ، ولم يكن قصدهم الا(ضراراً) بأن يضروا بالمؤمنين(وكفرا) بان يقوى به الكفر(وتفريقا بين المؤمنين) المجمعثين في مسجد قبا ، ويحصل بينهم الفرق، بأن يأتي بعضهم اى من المصلين في مسجد قبا، ويصلى في ذلك المسجد (وارصاداً لمن حارب الله) اى لاجل ورود من يجيء من قبل المحارب مع الله فيه .

فكأن هذا المسجد موضع المترصدين ، والمنتظرين للورود ، من قبل ابى عامر الراهب على ماقيل ، وكان عدواللنبى (ص) ومحاربا مع الله والرسول من القبل ، وذهب عند القيصر ملك الروم، حتى يأتي بالجند من قبله ، لمحاربة الرسول صلى الله عليه وآله والمؤمنين ، وتصدى اثناعشر من المنافقين ، لبناء هذا المسجد حتى يرد فيه من يرد ، من قبل ذلك الشخص ويصير سببا لتقوية الكفر وعدم اجتماع المسلمين بقباء .

لكنهم يحلفون انا لم نرد من بنائه الا الحسنى، بتعدد المساجد وتوسعته على الاشخاص ، من باب بعد المسافة والحر، والله يشهد بكذبهم .

ولما اصروا واستدعوا من النبى ﷺ ان يصلى فيه ايضا ، نهى الله من قيامه فيه بان يصلى ، مؤكداً بالابدية ، اذ ما اسس بنيانه من اول هجرتك على التقوى، حقيق بان تقوم فيه ، (وفيه رجال) من الانصار (يحبون ان يتطهروا) من الارجاس (والله يحب المطهرين) وهو من يستعمل الماء ، اويستعمله عقيب المسح بالاحجار ، والمطهرين من الارجاس ولا تنافي بين الوصفين ، الطهارة الظاهرية والباطنية ، لوجود الجامع .

ثم يستفهم انكاراً من باب التمثيل ، بان من احكم اعماله على التقوى، والنظر الى الله و رضوانه خير ؟ اومن اسس بنيان اعماله على آخر طرف مشرف على السقوط ، فان (الشفة) آخر الفم ، (والجرف) هو الطرف ، (والهور) هو المشرف على السقوط .

وكأن مايسقط فيه هو نار جهنم فالمصلي في مسجد كان الغرض منه الضرار يكون عمله وهو صلاته في آخر الطرف المشرف على السقوط في الجحيم، والمصلي في مسجد قبا بمنزلة ان يبنى صلوته على ما لايسقط ابدا ، فان واقيه وحافظه هو الله ومن تخلف من بنيان التقوى الى الاخر، فهو ظالم (والله لايهدى القوم الظالمين) .

وذلك البناء الميشوم ، موجب لانبعاث الريب والشك في قلوبهم ، الى ان يموتوا وتصير قلوبهم متقطعة ، وهو العليم والحكيم .

والمؤمنون باعوا انفسهم واموالهم من الله والله اشترى منهم ، واعطاهم الجنة فمن باب بيعهم انفسهم (يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) وذلك الوعد من الله يكون ثابتاً (في التورية والانجيل والقرآن).

(ومن) اجدر من الله ان يوفى (بعهده) ، فلكم البشارة بهذا البيع وهذا الثمن (وذلك هو الفوز العظيم) وذلك الانتساب من باب التفضل والكرم ، والافالافعال انماتصدر بتوفيقه ، وهو المالك الحقيقى ، فلابيع ولاشراء (١) الاان المكالمة مع النوع، ولايفهمون الدقائق، ومن باب الاحسان ، ولعل كون الاعطاء من باب الوعد والوفاء به مشعر بما ذكرنا .

والمستفاد من تلك الايات من كون بناء التقوى خيراً من خلافه ، و اشتراء الله من المؤمنين ، ولم يكن أوفى من الله ، امور عقلية ، والبقية أنباءات عما وقع، وليس للعقل خلاف فيه ، ولاحكم ، فالجميع مشترك في عدم تخالفها مع العقل، والله الهادى .

قوله تعالى: **التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المومنين (١١٢) ماكان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولوكانوا اولى**

---

(١) وهذا نظير قول الشاعر :

وقيم الباغ قديهدى لصاحبه　　برسم خدمته من باغه التحفا

قربى من بعد ماتبين لهم انهم اصحاب الجحيم (١١٣) وماكان استغفار ابراهيم لابيه الاعن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدولله تبرامنه ان ابراهيم لاواه حليم (١١٤) وماكان الله ليضل قوماً بعد اذهدايهم حتى يبين لهم مايتقون ان الله بكل شيء عليم (١١٥) ان الله له ملك السموات والارض يحيى ويميت ومالكم من دون الله من ولي ولانصير (١١٦) لقدتاب الله على النبى والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعدما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم (١١٧).

يمدح (التائبون) من الشرك ، ومادحهم هو الله ، (العابدون) لله (الحامدون) له بذكر كمالات الواجب (السائحون) الصائمون ، المصلون مع الركوع والسجود (الامرون بالمعروف) العقلى والشرعى (و الناهون عن المنكر) العقلى والشرعى (والحافظون) لماجعل الله من الحدود ، فى مجعولاته من الاحكام (وبشر المؤمنين) حيث انهم ممدوحون .

ولا يكون للنبى و ساير المؤمنين ان يطلبوا المغفرة للمشركين ، ولو كان المشرك من أقاربهم، بعدظهور انه مات على الشرك، اذالنبى ﷺ يعلم و كذا المؤمنون ، ان فيض الله و تفضله ، انما يكون مع قابلية المحل ، ومع عدم قابلية المحل لا محل للفيض والتفضل حيث ان صورة عقايدهم صورة ذاتهم وهى من سنخ النار ، والذاتى لايتغير ، اذاخرج من صراط الحركة .

واما استغفار ابراهيم لعمه وهو ابوه فى التربية ، وهو آذر ، فانما كان لاجل وعده اياه فى حال رجائه للايمان ، وبعدظهور انه لايؤمن ، ويكون عدوالله (تبرء منه) اذيكون محبالله ، والمحب لايحب مبغض حبيبه والنبى والمؤمنون يكونون كذلك

قال بعض اهل الجماعة ، اواكثرهم ، بكون شأن النزول فى حق ابيطالب عليه السلام حيث استغفر له النبى ﷺ وكذا استغفر بعض الصحابة لابويه ، و قد ذكرنا سابقا ان هذا المطلب من المجعولات و المفتريات ، فى زمن معاوية و اشباهها فان الشرك اما يكون عن الاعتقاد (واما) يكون عن العناد (واما) يكون

عن الكبر في اظهار الحق ، و كل منها منتف في حقه (ع) اخذا بتسلماتهم

اما الاول فكيف يجتمع مع امراعز الشيء عنده ـ وهو ولده جعفر (ع) ـ بالمتابعة والصلوة مع النبي (ص) وهل المعتقد بالاصنام يترك اولاده ؟ و لايمنع عن رفع اليد عنها بل سبها ، خصوصاً الولد اذا كان صغيرا ، فضلا عن الامر ، وهل يمكن ان يترك ولده الصغير عليا (ع) ولا يمنعه ، ويأمر جعفرا ، وذلك من الواضحات .

واما الثاني فالعناد (اما) مع الداعي الى التوحيد (واما) مع الله ، اما كونه محبا للداعي وهو محمد (ص) وكونه ناصره ، بحيث صار موته في العام الذي مات ، سببا للتسمية بعام الحزن ، وصار رسول الله ﷺ لموته مأموراً بالهجرة ، لفقدان ناصريه ابيطالب وخديجة سلام الله عليهما فهو من الواضحات عند الكل ، واما العناد مع الله الذي يكون عنده الها ايضا ، ولكن له شركاء فكيف يمكن .

(واما الثالث) فلا بد ان لايظهر خلاف مابني عليه ، من وقوع المشاركة ، و امر جعفر بالمتابعة اظهاراً

فابوطالب كان مؤمنا يكتم ايمانه ، حتى يبقى له الوجه عند القريش ، من عبدة الاصنام ، فيحفظ النبي (ص) وكيف يظهر للقوم ، من يتكبر من الاظهار ، بملاحظة الصحيفه الملعونة ، حيث اكلها الارزة الاما كتب باسم الله ، بان ربه على قوله اخبره فان كان كذلك فخلوا سبيله .

والحاصل ان المراد من الاية النهي عن ذلك ، ولكن على نحو غير قابل للنسخ ولا الحدوث في تلك الشريعة ، وحال النهي كالامر ، لايحتاج الى سبق واقعة ، بل للصلاح يأمر ، وللفساد ينهى ، خصوصاً ان الظاهر منه ، هو النهي الذي كان ويكون ، و ذلك مساوق للنهي العقلي ، وكون ذلك منكرا عقليا ، وما كان كذلك كيف يصدر من النبي ﷺ

ولو اغمض عن ذلك ، فنقول : اولوا القربى للنبي (ص) لم يكن منحصراً في حق ابيطالب ، فذكره (ع) كعدم ذكر بعض الصحابة من المستغفرين لوالديه ، كما

صدرعن بعض منهم ، لايكون الاناشئا من‌عناد ، كان فی‌القلوب من‌علی عليه السلام وعلى ای‌حال (وان‌ابراهيم لاواه) ای‌کثير التضرع ، (حليم) ای‌متحمل للمكاره وصبور

و الاضلال من الله بمعنى الخذلان ، فلا يكون الا بعد اتمام الحجة ، وعدم قبولهم (ولله ملك‌السموات والارض) ولانصير ولاولى غيره .

لقد قبل‌الله التوبة ، والرجوع الى الله من‌النبى صلى الله عليه وآله واتباعه (الذين اتبعوه فى‌ساعة العسرة) فى‌غزوة تبوك ، من‌بعد زيغ قلوب فريق منهم وانحرافهم، وتاب عليهم ، لكونه رؤفا رحيما .

و عدم مخالفة ما يستفاد منها ، من مدح الموصوفين فى الاية الاولى ، ومن بشارتهم بالجنة ، وعدم جواز الاستغفار للمشرك ، وكون الخذلان بعداتمام الحجة و كونه مالكا للسموات و الارض ، ای‌کل عال وسافل او المعهود منهما وعدم الولى الاالله ، و كذلك النصير ، وقبول التوبة ، كلها من الامور المطابقة للعقل ، كمالايخفى بالتامل ولتكلمنا فى كل‌واحدواحدمنها، فى موضعه مماسبق منا، لانطيل بذكر الوجه، والله الهادى .

قوله تعالى : **وعلى‌الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان‌لاملجأ من‌الله الااليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان‌الله هوالتواب الرحيم(۱۱۸) ياايها الذين آمنوا اتقواالله وكونوا مع‌الصادقين(۱۱۹) ماكان لاهل المدينة ومن‌حولهم من‌الاعراب ان‌يتخلفوا عن‌رسول‌الله ولايرغبوا بانفسهم عن‌نفسه ذلك بانهم لايصيبهم ظمأولانصب‌ولامخمصة فى‌سبيل‌الله‌ولايطؤن موطئاً يغيظ الكفارولاينالون من‌عدو نيلا الاكتب‌لهم‌به عمل‌صالح ان الله لايضيع اجرالمحسنين(۱۲۰) ولاينفقون‌نفقة صغيرة ولاكبيرة ولايقطعون واديا الاكتب لهم ليجزيهم الله احسن ماكانوا يعملون (۱۲۱) وماكان المؤمنون لينفروا كافة فلو لا نفر مـن‌كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا**

اليهم لعلهم يحذرون (١٢٢)

وتاب الله على الثلاثة الذين اخرت توبتهم ، وهم مرارة ، وكعب ، وهلال كما سبق ، على مـا قيل ، حتى ضيقت عليهم الارض مع سعتها ، لكثرة الوحشة العارضة عليهم من تأخير توبتهم ، وضيق صدورهم ، وعدم تنفس همهم وغمهم ، وانفسهم قـد ضاقت عليهم ، واعتقدوا ان لاملجأ الا الى الله ، فوفقهم الله للتوبة ، وقبل منهم ، فانه قابل التوب .

ويلزم اتقاء الله ، والكون مع من دأبه الصدق .

ولايكون لاهل بلد المدينة ، واهل البوادى حولهـا ، التخلف من غزوات رسول الله ﷺ، وعدم رغبتهم ببذل انفسهم لوقاية نفسه ﷺ ، فـان بحفظه صلاح الدين والدنيا ، لأن من اصابه العطش ، اوالمشقة ، او الجوع ، او وطأ موطأيغيظ الكفار ، اوينال من العدو نيلا يكتب لهم بهعمل‌صالح ، لعدم تضييع أجرمن‌احسن، ولا ينفقون نفقة ، كبيرة ولا صغيرة ، ولا يقطعون مسافة ، الا كتب لهم بكل واحد ان يجزيهم باحسن ما عملوا .

(وماكان المؤمنون لينفروا كافة) اى لايجب عليهم خروجهم الى الجهاد كافة ، ونقل عن ابن عباس ان الايات السابقة كانت فى الغزوات ، والمراد بهـا ، مايخرج رسول الله ﷺ بنفسه ، وهذه الاية فى السرايا ، اى مالايخرج رسول الله ﷺ فيها بنفسه ، فاذا خرج رسول الله ﷺ يلزم خروج الجميع ، واذا بقى‌رسول الله ﷺ فى المحل ، يكون الخروج واجبا كفائيا ، فلابد من خروج طائفة مـن كـل فرقـة وبقاء بعض عند النبى ﷺ ليأخذوا منه مسائل الدين وبعد رجوع المجاهدين ، ينبأونهم بهذه المسائل المأخوذة ، حتى يحذرون .

وقد استدل بها على حجية الخبر الواحد وحجية قول الفقيه .

والمستفاد مـن هذه الايات وهو قبول توبة هؤلاء الثلاثة ، ولزوم الكون مع الصادقين ، ولزوم عدم التخلف عن النبى ﷺ ، وان المكتوب بكل مشقةعمل

صالح ، وان اللزوم العينى فى الغزوة ، لا السرية كما ذكر ، كلها من الامور التى يطابقها العقل ولايخالفها .

قوله تعالى : **يـا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم مـن الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين (١٢٣) واذا مـا انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هـذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايماناً وهم يستبشرون (١٢٤) واما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم وماتوا وهم كافرون (١٢٥) اولا يرون انهم يفتنون فى كل عامر مرة او مرتين ثم لايتوبون ولاهم يذكرون (١٢٦) واذا ما انزلت سورة نظربعضم الى بعض هل يريكم من احد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم لايفقهون (١٢٧) لقد جائكم رسول من انفسكم عزيزعليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم (١٢٨) فان تولوا فقل حسبى الله لااله الا هو عليه توكلت وهورب العرش العظيم (١٢٩)**

لما ان قتل الكفار لاجل اجراء القانون الالهى ، وانهم يزاحمونه ، و يسرى تزاحمهم الى الاخرين ، فمن باب دفع مادة الفساد ، و عدم السراية يلزم قتلهم وهذا السبب موجب لكثرة الاهتمام فى دفع الكفار ، الذين يقربون مـن المدينة ، ويلزم ان تظهروا غلظتكم حتى يخافوا ، وعلموا ان الله مع اهل التقوى .

(واذا ماانزلت سورة) قال بعض المنافقين لأتباعهم (ايكم زادته هذه ايماناً) على سبيل السخرية ومشوا بان جزاء ذلك هو الاقدام للجهاد ، والقتل فى سبيله .
فـامـا اهل الايمان فبنزول اى سورة كـانت ، يزيد ايمانهم ويستبشرون لابتهاجهم بالآيات الالهية.

واما المرضى من حيث القلوب فيزيدهم رجساً الى رجسمهم ، ويموتون

في حال كفرهم ، لقساوة قلوبهم الناشئة من افعالهم وملكاتهم ، وهما مؤثران في الذات والاعتقادات كما ذكرنا سابقا .

والدليل على ازدياد رجسهم ان الله يفتنهم ويبتليهم بالأمراض ، وما يسوئهم في كل عام مرة اومرتين ، ومع ذلك لايتوبون ولايتذكرون ان الافتتان لسوء اعمالهم، واتمام الحجة عليهم .

(واذا ماانزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يريكم من احد) ويشيرون بالخروج والتفرق ، ان لم يلتفت احد ، والفراران التفت (ثم انصرفوا) عن تذكر الايات النازلة (صرف الله قلوبهم) باختيارهم وعدم ادراكهم حلاوة المطالب ، وعذوبة الالفاظ ، وادراك المعالي العالية ، لانهم قوم لافقه لهم ولافهم ، من باب سوء اختيارهم ، والحال انهم في النعمة العظمى .

وهى هذه (لقد جائكم رسول من الله الجامع للكمالات ، بحيث يتصل مع الله ويأخذ منه ،وهو من (انفسكم) اى العرب (عزيزعليه) مايوجب عنائكم، ومشاقكم، لحبه لكم ، بحيث لايرضى في حقكم مالم يكن حسناً و يكون حريصا عليكم بان تكملوا رؤف بكم رحيم كرحمة الاب الشفيق (فان تولوا فقل) ان الله حسبى(لااله الاهو) وقدسبق برهان التوحيد، بل براهينه (عليه توكلت وهورب العرش العظيم) والمراد به اقرب المخلوقات اليه ، وفي عالم الاجسام اقرب الاجسام مرتبة اليه ، فلابد ان يكون له الادراك ، اذعظم الجثة لايوجب القرب عندالله .

والمستفاد من هذه الايات ، وهو لزوم المقاتلة مع الكفار القريبين من حيث المكان ، ولزوم اشتداد الاخذ عليهم ، وكون الله مع المتقين ، وكون صفة المنافق الاستهزاء ، و كون الايمان سبب ازديـاده بنزول كل آية من القرآن ، اوسورة ، واستبشارهم، وكون المرضى القلوب يزدادرجسهم باى آية نزلت ، وعدم ردعهم، بالافتتان من قبل الله لجهالتهم .

وانهم لايحبون السماع الا من باب الخوف، وان الرسول الذى صفته كماذكر

لابدان يكون محبوبا عندكم ، وان تاخذوا بذيل عنايته، وانه ان تولوا فقل حسبى الله الى الاخر، كلها (١) ، مما يطابق العقل اولايخالفه ، والله الهادى .

قدفرغت فى حلب يوم الجمعة السادس
من شهر شعبان المعظم فى عام ١٣٣٦
وانا العاصى الراجى عفو ربه

نور الدين ابن الشفيع ابن احمد الحسينى

غفر له ذنوبه

---

(١) قوله قده كلها الخ خبر لقواه : والمستفاد من هذه الايات الخ .

سورة يونس(١٠)

وهى مكية

مائة و تسع آيات

كتبها فى حلب (١٨شعبان)

سنة ١٣٣٦

القمرية الهجرية النبوية على

هاجرها آلاف التحية

بسم الله الرحمن الرحيم

الـر تلك آيات الكتاب الحكيم (١) أكان للناس عجباً ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عندربهم قال الكافرون ان هذالساحر مبين (٢) ان ربكم الله الذى خلق السموات و الارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه افلا تذكرون (٣) .

قد سبق الكلام فى الحروف المقطعة فى فواتح السور ، وان التعيين يتوقف على بيان النبى ﷺ اواحد اوصيائه الاثنى عشر عليهم السلام وهوموقوف على تتّبع كتب اخبار اهل البيت عليهم السلام و انا فاقدها بالتمام ، و احتمالا يمكن ان يقال : ان الالف اشارة الى الله ، واللام الى جبرئيل، والراء الى النبى ﷺ لكونه رؤفاً، اولكونه رحمة للعالمين ، ولفظ تلك بلحاظ اللام (١) اشارة الى البعيد.

و قد قلنا :ان للقرآن مراتب بعيدة من الأذهان من تجليه (الاول) المعرب عن الغيب وهوالصفات (والثانى) هواول التجلى الافعالى (والثالث) وهى الافعال المقيدة ، الى ان يصل الى عالم القدر.

---

(١) اى اللام فى تلك

فتلك آيات من الكتاب الثابت الذى لايتغير، المتقن، لعدم تطرق النقص اليها.

(أكان للناس عجبا) اى أكـان عجبا للناس على نحو الاستفهام الانكارى ارسالنا الوحى وايحاؤنا الى رجل من الناس ـ اى من بنى آدم ـ بان انذر الناس تفسير الوحى ، وبشر اهل الايمان بان لهم قدم صدق، وثبات عندالله ، اى لايعثرون اذا حضروا عنده ، و قال اهل الكفر هذا النبى لساحر ظاهر ، اوان ذلك القرآن لسحر ظاهر .

ووجه الانكار ، ان العقل كما ذكرنا سابقا يكون حاكما بان ارسال الواسطة يكون لازما، لكون حقيقة الانسان ، هوالادراكات العالية وقبولها، لاشتداد المراتب كمانشاهدان التفاوت بين افرادالانسان فى هذاالامر، بابعد مما بين السماء والارض وان بالتعليمات يحصل العروج .

ولكون علم الله لايتناهى، وكونه جواداً مطلقا فيّاضا ولانعمة اعلى من العلم العالى ، فيلزم عليه ـ مضافا الى ما ذكرفى باب النبوات لاجل ما ذكرنا ـ ارسال الواسطة حتى يكمل ساير الافراد .

ثم ان الواسطة لكونها مفيضة على الناس بالتعليمات تلزم ان تكون من سنخهم حتى يرونها ويأخذون منها ، نعم يلزم ان يكون معها شىء يدل على كماله ، وكان خارجا عن قوة النوع ، و هـو المسمى بالاعجاز، حتى يتمّ على الناس حجته ، فالعقل حاكم بلزوم كون الواسطة بشرا، فالعجب منه يكون فى نهاية العجب ويلزم ان ينكر على القائل به .

ولما ان كمال النفس بالملكات وكمال الملكات بالافعال ، فلابد من ان يأمـر بافعال موجبة لتزكية النفس ، وينهى عن امور باعثة لرذالة النفس ، ويبشر باطاعة الاوامر و النواهى ، و ينذر على عصيانهما ، فهذا ايضا امـر عقلى ، و العجب منه يكون عجبا .

ولما ان الله يحب مـن يحبه ويكون مطيعا له ، فينظرفى تجلياته الاخروية ، ينظر الرحمة وآثارها الى المطيعين ، فالمطيع يستقرعنده ، بل لاشىء له احسن من

قيامه في الحضور، ومع هذه الامور العقلية، فالقول بان هذه الكلمات تمويه وسحر ولا واقع لها ، او ان الجائي بهذه الكلمات ساحر ، في نهاية العجب ، بل لابد ان نستهزء بهم .

ولما ان الداعي لتكلمهم بهذه الكلمات، هي عبادتهم للاصنام، وانباء النبى لهم بان الاصنام غير قابل للعبادة ، لابمادتها لكونها من الجمادات ، ولا باشكالها لكونها من قبلكم (اعلمهم الله) وكأنه قال : اعلموا ان ربكم و من يربيكم هو الله الجامع لتمام الكمالات ، لكون نبذة كل كمال في حقيقة الانسان، وما يكون فاقداً لايمكن ان يعطى ، فالمربّي لحقيقة الانسان غير معقول ، الاان يكون و اجداً لكل كمـال .

و هو الذى خلق العاليات من الارواح وغيرها و الارض وهو عالم السفل والاجساد بتمامه ، او السموات الجسمانية والأرض التى من التراب (في ستة ايام) ثم استولى على العرش ، يدبر الامر في الجميع ولاشفيع عنده الاباذنه ، وهذا هو الله الذى يكون ربا لكم فاعبدوه افلا تلتفتون .

ثم ان الخلق قديطلق في قبال الامر، والمراد بالامر هي المجردات كالعقول والنفوس الكلية والارواح فيكون المراد بالخلق عالـم الاجسام وقد يطلق على كل مجعول ، والظاهر هنا هو الاول و المراد بستة ايام (اما) هى المراتب الست و هي من السماء حاويها ومحويها ومن الارض صلبهـا و رخوتها وبين السماء والارض من الهواءوالناروالماء والاجزاء المغيرة في الافلاك من الكواكب اوالمراد باليوم، اليوم الربوبى ولانعلم مقدارههنالان فيبعض المقامات قال الله : (وان يوماًعندربك كألف سنة مما تعدون) (۱).

وفي بعض المقامات قال : (تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره

(۱) الحج - ۴۷

خمسين الف سنة) (۱)

الآ"انه لما انابقاء الخلق ايضا خلق، لانبقاءكل شيء منمقولته ويحتاج الى العلة ، فالمنتهى وهو القيامة ، تمام الستة (او) المراد باليوم مدة نبوة كل نبى .

وصاحب الشريعة ستة ،آدمونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد على نبينا وآله وعليهم السلام خاتمهم ، فنبوته الى القيامة وان كان المراد بهما (۲) ما ذكرنا من كون المراد مطلق المجعول، فالايام الستة هى المراتب الست، العقول الطولية والعقول العرضية وهى ارباب الانواع، والنفوس الكلية ، وعالم القدر وهوالمثال، والبرزخ وعالم الكون والفساد بمرتبتيه بسائطه ومركباته .

ولما ان الاثار بعد المؤثر ، وتمام مافى العالم يفاض عليه بوساطة العرش ، فمرتبة التوسط للافاضة بعد مراتب الاصل ، فقال تعالى (ثم استوى على العرش) بتدبيرالامور وان ينزل به ، وعدم كون الشفيع عنده الا باذنه ، من باب انه اذا كان فانيا ، فلايسبق الله بالقول ، وان يرى انانيته فلايعتنى به .

وكون تمام المذكورات على طبق العقل ممالايخفى .

ولايعتنى بماحدث فى تلك الازمنة ، من قول بعض اشخاص ، يوجد بينهم كاملا فى الصنائع ، فيقاس بهم ساير اشخاصهم ، وقالوا بنفى السموات ، وان الكواكب كرات كالارض ، فى الخلاء الغير المتناهى ، فان قولهم بالخلاء المتقدر يظهر مقدار عقولهم ، فان الخلاء ان كان امراً موجوداً فمرادنا من السماء المحيط هوهذا، وعدم تناهى الجسم باطل عقلا، ببرهان التسلسل، وان كان معدوماً واللاشيء كما هو مرادهم ، فالمعدوم كيف يتقدر بالمقدار ويقال انه متناه او غير متناه ؟ فالاعراض عن أقوالهم اجدر ، والله الهادى .

قوله تعالى: **اليه مرجعكم جميعاً وعدالله حقا انه يبدؤ الخلق ثم يعيده**

---

(۱) المعارج - ۴

(۲) اى السماوات والارض .

ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بماكانوا يكفرون(٤) هوالذى جعل الشمس ضياءاً والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك الا بالحق يفصل الايات لقوم يعلمون (٥) ان فى اختلاف الليل والنهار وماخلق الله فى السموات والارض لايات لقوم يتقون(٦) .

الى الله الجامع لتمام الكمالات رجوعكم ، اى افراد الانسان ، لان الكون الجامع الذى فيه تمام الاسماء الحسنى ، بل مايرى فيها من الاضداد ، من الهادى، والمضل ، والرحيم ، وشديد العقاب ، والعفو، والمنتقم ، والساتر ، ومن يخذل وهكذا ، كل فى مورده ، يكون الانسان ايضاً كذلك ، ولذلك ذكرنا ان حدود تمام الاشياء وفصولها فيه على نحو له التجاوز ، ولذلك يكون خليفة الله ، ومظهر تمام الاسماء .

ولما ان كل كمال فى الممكن ، انما جاء من قبل الواجب ، فالمفيض الى تلك الحقيقة ، لابد ان يكون بلحاظ الاسم الجامع ، وهو الله ، واذا جاء الكمال من قبل ذلك الاسم ، فبلحاظ الفيض يكمل ويصير أكمل ، وبعد كل كمال يصير انائه اوسع ، فيفاض المرتبة الا على من السابق ، وهكذا ، الى ان يفنى فيه ويرجع اليه ، وبعد الفناء ايضا فى كل حال تجلّى فوق الاخر ، لعدم انتهاء الكمال ودوام الفيض .

(وعد الله حقا) اى وعد ذلك الرجوع وعداً ، وحق ذلك حقا .

اماالوعد فبلحاظ اسمه الفياض وسايرمامن قبيله ، واما الحقية ، فبلحاظ دوام فيضه ، فهو الثابت ،

والوجه انه الفعل المحض فهوالمبدء ، وهوالمفيض الدائم فيكمّل، وبسبب الكمال يفنون فيه ، فيكون المعاد اليه ، هذا بلحاظ الروحانية والحقيقة .

واما بلحاظ الجسمانية ، فلانتهاء كل الاسباب اليه يكـون مبدءاً ، وبلحاظ ان الفيض يكمّل البدن ايضاً ، ولوبعد حين ، بملاحظة النظرات الموجبة للامطار السموية المتحركة بسببها البدن الى الاعلى من البرزخ ، ليمتاز الانسان من غيره .

والشرافة تسرى فيه بتمام مراتبه ، اقتضاءاً لاسم الحكمة ، وانه الحكيم ، ولكون الله جامعاً ، يكون فيه الحكيم ايضا .

(ليجزى) الخ(١) علّة للعلة وهى ماذكرنا من اقتضاء الحكمة لوصول جزاء الايمان والعمل الصالح ، الى المؤمن العامل بالقسط والعدل فيما يليق به يجزيه وباب الفضل ايضا واسع .

وجزاء الكافر هو الشراب من الحميم وهو صورة عقائده ، من كونه ادراكاً يكون ماءاً ومن خلافه للواقع يكون متعفنا ، اومتصفا بالدموية والريمية ، اوالحار فى منتهى الحرارة ، على حسب سنخية ذلك الاعتقاد ، والعذاب الاليم بلحـاظ افعاله ، واعماله الصادرة بلحاظ الكفر من العبادات الغير المجعولة شرعا .

و هو المعطى للضياء ، و هو النور الشديد ، اومع الحرارة الى الشمس ، ومطلق النور الى القمر ، لمصالح العباد ، فان الكمال عندالله بلحاظ المعرفة والمحبة ، لابلحاظ عظم الجثة وقدر للقمر ، المنازل المعروفة (٢) (لتعلموا عدد السنين والحساب) كما ذكرنا سابقا فى سورة التوبة (٣) .

ولايلزم انحصار العلة فى ذلك ، بل هذه علة ، وان كانت لها علة اخرى ، ككون الاشتداد فى النور و النقيصة له ، الدخل فى التاثيرات ايضا ، فالموضوع له مطلق السبب ، لاالسبب المنحصر ، كما ان الامر كذلك بلحاظ كل حرف اواسم وضع للسبب ، فلايصح ان يقال : ان العلة شىء آخر ، لعدم المنع من كون العلل متعددة .

(١) وتمام الاية الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط

(٢) الثمانية والعشرين منزلا

(٣) فى تفسير قوله تعالى : ان عدة الشهور عندالله اثناعشر شهراً الخ

ثم بين على نحو الاجمال العلل الاخر ، بان خلق العالم الحكيم المستجمع للكمالات ، لايكون الا بالحق ، اى لامرعقلائى غيرباطل ، فالحق مقابل الباطل ، والبيان التفصيلى يكون للعلماء ببيانات الوسائط والحجج و العقول الداخلية ،

ثم استأنف بان فى اختلاف الليل والنهار ، وساير ماخلق الله فى السموات والارض ، من خروجها ومن القوة الى الفعل ، لآيات وعلامات لمعرفة الله ، لماذكرنا ان الفعل المحض هو الله ، والفاقد لايعطى ، وانتهاء الحركات ، لابدان يكون الى الفعل المحض ، والكمال الخالص ، وهو الله وكذا اختلاف الاقسام ، يدل على از دياد الوجدان للمفيض على الكل وكذا الاختلاف والتعدد موجب للمحدودية ، والمحدود مجعول والجاعل المطلق غير محدود ، ونحوهامن البراهين ، والاختصاص باهل التقوى لان حقيقة العلم عندهم فان علومهم صارت صافية بالر ياضات ، و التوجه الى الله والبقية صورة العلم .

وظهور كونها على طبق العقل ، بعد البيانات السابقة ، يغنينا عن الملاحظة الثانوية .

قوله تعالى : **ان الذين لايرجون لقائنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بهاوالذين هم عن آياتنا غافلون(٧) اولئك ماويهم النار بما كانوا يكسبون(٨) ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم (٩) دعويهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعويهم ان الحمدلله رب العالمين (١٠)**

لما (ان) عالم الملك ، (وهوعالم الشهادة) عالم الحجاب والموت ، وعالم البرزخ بالنسبة اليه عـالم الكشف والحيوة وكذلك الامر بين البرزخ والقيامة ، والقيامة عالم القيام والحضور ، وشهود تجليات الله بحسب اسمائه لكل احد على مايناسبه (فاللقاء) حاصل بالتجليات الصفاتى لكل احد حتى لاهل الجحيم ، يتجلى باسم المنتقم ، وشديد العقاب

فالمنكر للمعاد لا يرجو لقاءالله و رضائهم بالحيوة الدنيوية ، و هو عالم الملك ، سواء كانوا قائلين بالفوت بعدالموت ، اوبكون الجزاء فيالعالم الدنيوى بتبديل الاجساد ، و انتقال الارواح من جسد الى جسد فى الدنيا على الدوام ، كالتناسخية ، فاطمينان هؤلاء بالدنيا .

(ومأويهم النار) لهذا الاعتقاد ، اذالنار صورة عقائدهم ، وما كانوا يكسبون باعمال المقدمات المغالطية ، لتحصيل تلك العقائد الفاسدة ، اولاجـل انهـّم مثل هؤلاء، الاشتغال فيالامور اللهوية ، فيكتسبون التلذذ بها ، ومثل هؤلاء غافلون عن آياتالله .

ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً قدهديهمالله بسبب ايمانهمالىجنات (تجرى من تحتهم الانهار) وهى صورة علومهم والاثمار وساير النعماء صورة اعمالهم

و مستد عياتهم ، التنزيه ، و هو التجلى الجلالى حتى يصعقون ، وهو (١) (سبحانك) والجمالى ، (٢) وهـو (اللهم) حتى يفيقون ، وتحياتهم و تعارفاتهم التسليملله ، ورفقائهم مناهل الجنة ، لكثرة الوداد والشوق ، (وآخر دعويهم) ان لاكمال الالله ، وهو رب تمام العوالم ، وهو المجمل المفيض للجميل على الكل فلايرونمنه الاالجميل، ولاالجميل الامنه (طوبى لهم)

ولا اظن ان يحتمل احد ، عـدم موافقة تلك الايات مع العقل ، بعد الاخذ بالمقدمات التى ذكرنا .

و اما المقدمات ، فقداقمنا البراهين عليها ، فلا نحتاج الى النظر الثانوى ، والله الهادى .

قوله تعالى: **ولويعجل الله للناس الشر(٣) استعجالهم بالخير لقضى اليهم**

---

(١) اىالتنزيه هوقولهم : سبحانك

(٢) اىالتجلى الجمالى . اللهم

(٣) والتقدير: ولويعجل الله للناس الشر ، استعجالا مثل استعجالهم بالخير لقضى اليهم اجلهم (مجمع البيان) .

اجلهم فنذر الذين لا يرجون لقائنا فى طغيانهم يعمهون (١١) و اذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعداً او قائما فلما كشفنا عنه ضره مركان لم يدعنا الى ضرمسه كذلك زين للمسرفين ماكانوا يعملون (١٢)ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لماظلموا وجائتهم رسلهم بالبينات وماكانوا ليؤمنوا كذلك نجزى القوم المجرمين (١٣) ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون (١٤)

لما ان الحكيم يمشى على طبق حكمته من المصلحة الشخصية، لمخلوق خاص اوللنوع ، واذا انضم اليها الجود ، لايرفع اليدعن جوده ، بسبب هفوات اللسان، لان الحكمة سواء كانت للشخص ، اوالنوع ايضا ، لاتناسب ذلك ، بل ولو كان الداعى القلبى ايضا موجودا الاانه على نحو الحال قدعرضه لطرو بعض الامور الموجبة للغضب ، فيستدعى بسببها شرنفسه ،

اومن باب انه يعتقد عدم وقوعه ، بل يقرب الى الاستحالة عنده ، وغرضه من ذلك ، الزام طرف مقابله ، فان استدعاء الشر للنفس على نحو الحقيقة . بحيث يصير ملكة ، لا يصدر عن الحيوان فضلا عن الانسان ، اذ كل وجود طالب ، فاستدعاء الشر لايكون الا بلحاظ ماسبق ، و لا يناسب للحكيم الحليم الجواد ، المؤاخذة بهذه الامور الناشئة عن ضعف النفس ، من صدور الهفوات ، اوالتكلم فى حال الغضب ، اواعتقاده عدم الوقوع .

فلو كان الله مجيبا لدعوة من طلب الشرلنفسه فى مقدار من الزمان كاجابته لدعوة من طلب الخير فى المقدار من الزمان ، وكان الله معجّلا فى طلب الشر بايصاله ، كتعجيله فى طلب الخير، لانقضى اجلهم ، واماتهم الله .

اذ قل من الانسان من لم يستدع الشرلنفسه ، والموت له ، لاجل احد الامور بسبب فقدبعض الامورالشهوية ، من اتلاف مال كثير، اوموت من يحبّه ، اوتزويج

من يريد تزويجه ، وكان له منتهى الميل اليه ، اوبسبب طروبعض الامور المغضبة له ، فيلزم على الاستعجال عدم بلوغ الناس - الا الاوحدى - الى ماأعد له ، من بلوغه الى كماله ، سعادة كانت ، اوشقاوة ، وهوغيرمناسب للحكمة ، وقال تعالى : لانعجّل ولانميتهم ، بل نتركهم فى طغيانهم يترددون ، حيث انهم لايرجون لقائنا وغرضهم ليس الا الدنيا ، فنمهلهم فى الدنيا .

ثم ان الانسان لضعفه ، وان كان يطلب شرنفسه فى بعض الحالات ، الا انه يدعوالله ، ويطلب كشف الضرعنه ، اذا مسّه الضرايضا ، عندكسرثورة غضبه ، فيتوجه الى الله ، ويستدعى كشف الضر منه اذا كان مضطجعا ونائما على الجنب ، او كان قاعداً ، اوكان قائماً .

وبعدكشف الضرعنه ، ينسى الله ، كانه لم يدعه قطّ ، ولم يكشف الله ضره .

كذلك زين الشيطان اعمالهم وهم مسرفون ومتجاوزون عن حد الاقتصاد ، اذ المقتصد يستحيى من اعراض من سأله فى بعض الحالات ، لقضاء حاجته فقضى حاجته .

ثم هدّدالله بانه لايعجّل بالشر ، الا أنه اذارسخت فيهم تلك الحالات ، فناخذهم ويصلهم الشر ، فقد اهلكنا القرون من قبلهم ، لظلمهم وعدم ايمانهم بالرسل ،

(كذلك نجزى القوم المجرمين) فنهلكهم ايضا ، اذا بقوا على تلك الحالة ، وقد جعلناكم خلائف من السابقين فى الارض ، حيث اذهبناهم ، وتركنا الارض فى يد الموجودين ، وعلة ابقائكم ، النظرالى اعمالكم ، وان القوى المستودعة فيكم ، تأخذون بأىّ واحد منها ، واىّ مرتبة من الايصال الى الفعل تختارون ، وذلك النظرهوالعلم الحضورى الكونى ، الذى مع وجود الكون ، كما حققنا فى مراتب العلم .

وبعد ماذكرنا من البيان لاوجه لاحتمال كونها على خلاف العقل ، حتى نحتاج الى الذكرالاجمالى ، والله الهادى .

قوله تعالى : واذاتتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقائنا ائت بقرآن غيرهذا اوبدله قل مايكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا مايوحى الي انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم (١٥) قل لو شاءالله ماتلوته عليكم ولاادريكم به فقدلبثت فيكم عمرآمن قبله افلاتعقلون(١٦) فمن اظلم ممن افترى على الله كذباً اوكذب بآياته انه لايفلح المجرمون(١٧)

لما (ان الكفار كان غرضهم ، ان يتكلم النبى ﷺ على طبق مقاصدهم ، وان يكون قرآنه غير منـاف للشرك ، وغير مانع من عبادة الاصنـام اذا تليت عليهم الايات ، مع كونهـا بينـات ، وظاهرات انها من الله ، لعدم قدرتهم مع كونهم من الفصحاء على الاتيان بسورة قصيرة مثل سور القرآن، (قالوا ائت بقرآن غيرهذا) .

اى ارفع اليد مما اتيت به ، وأئت بغيره ، اوابقه بحاله ، ولكن بدل مطالبه .

وكان هـذا القول مبتنيا منهم على عدم رجائهم للقـاء الله ، اى الحشر ، فالخوف من عقاب التبديل اورفع اليد عنه ، والاتيان بغيره لايخاف عليه ،

وقل فى الجواب : ان الامر ليس بيدى ، حتى ابدل القرآن من قبل نفسى ، فان القرآن ليس من مجعولاتي ومخترعاتي ، وانما هومن قبل الله ، النازل علّى فى بعض الاوقات ، وتذهب انانيتي فى هذه الحالة ، فلاانانية لى حتى ابدله من تلقاء نفسي .

و اما ساير الكلمات الصادرة ، فهى ليست بقرآن ، حتى تكون عوضـا ، فالقرآن متابعة الوحى ، و تبديل الوحى ليس بيدى ، لذهاب يدى و قدرتى و استهلاكى .

والاسناد الى الله مالم يقله ، موجب للعذاب العظيم ، فتبديلى بعض المطالب او رفع اليد مما اتيت ، موجب لعذابى ، وانا اخاف العذاب العظيم ان عصيته ، فى اليوم العظيم ، وهو يوم القيامة ويوم اللقاء .

واذا كان الامر بيدالله فلو شاء الله (ماتلوته عليكم) بسبب عدم الانزال من قبله ، اوبسبب الامربعدم الاظهار ، ولا (١) اعلمكم به ، وفى قرائة ، ولا دريكم(٢) به، اى لو شاء لكنت اعلمكم بلسان غيرى ، وما تلوته عليكم ، (فقد لبثت فيكم عمرا) طويلا ، قبل الامر باظهار الوحى ، وكان فى ذلك الزمان ، قوة الغضب والشهوة اعلى من بلوغ العمر الى اربعين ، فلو كانت هذه الكلمات صادرة عنهما (٣) لكان فى السابق اظهارها اولى ، وحيث لم يكن فى السابق ، فالباعث له ليس الاالتوجه الى الله ، والاخذ منه بسبب الوحى ثم التلاوة عليكم واعلامكم .

(افلاتعقلون) هذه الامور ، بان التبديل ورفع اليد ، كاشف اذا كان من قبل النفس وبميله ، وملاحظة الناس عن الصدورمن الطبيعة ، والصدورمن الطبيعة فى القبل، كان اتم .

ولما انهما موجبان للافتراء ، ولاظلم اعلى من افتراء الكذب عليه، فالتبديل او رفع اليد يكونان من اعلى درجات الظلم ، ولا اقدم عليه ، كما ان الشرك ايضاً والتكذيب بايات الله ايضا كذلك ، ولا يفلح من اجرم ، فاطاعتكم موجبة لرفع اليد عن فلاحى .

وقد ظهرمماذكرنا ، عدم مخالفة الايتين مع العقل ،وكونهما على طبق العقل للزوم اطاعة المولى ، وقبح عصيانه ، وان الصادر من لسانه ﷺ لو كان قرآنا ، فبلحاظ رفع حكم نفسه والتبديل ابقاء حكمه وهمامتنا قضان فلايجتمعان ، فاستدعاء ذلك استدعاء للجمع بين المتناقضين ، وهومحال .

والبقية المستفادة قد ذكرناها سابقا ، بادلتها فلانعيد ، والله الهادى .

قوله تعالى : **ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم و يقولون**

---

(١) معنى قوله تعالى : ولا ادريكم به.

(٢) باللام المفتوحة وصيغة التفضيل .

(٣) اى عن عدم التلاوة ، وعدم الدراية

هؤلاء شفعاؤنا عندالله قل اتنبؤن الله بمالايعلم في السموات ولافي الارض سبحانه وتعالى عما يشركون (١٨) وماكان الناس الا امة واحدة فاختلفوا ولولاكلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيمافيه يختلفون (١٩) ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا اني معكم من المنتظرين (٢٠) .

ولما ان عبادة العاقل لابد ان يكون لغاية عقلائية ، اى يعتدبها ، حتى لايكون فعله سفهيا ، والدرجة العالية ، ان يكون الغرض اداء ما يستحقه المعبود من العظمة ولا ينالها الا النادر ، و لذالم يذكره الله ، و الاستحقاق لغيرالله مفقود ، لان كل الكمال منه تعالى ، و من رشحاته ، فمن حيث الاستقلال ، لايكون الشيء شيئاً ، فضلا عن عظمته ، لان الممكن ، من ذاته فقدان ، وليس محض كما سبق .

و بعد الدرجة العالية لابد ان يكون لاجل الخوف ، في صورة الترك من العقاب ، اوتفويت النعم ، او للطمع في الانعام ، في صورة الفعل ، فالمعبود حينئذ لابد ان يكون له الضر والنفع . فاذا لم يقدر عليهما ، تكون عبادته غيرعقلائية ، و عبدة الاصنام لعبادتهم لها ، وهي جمادات لاادراك لها ، حتى تملك شيئا ويفيضه اوتاخذه وتقبضه ، تكون افعالهم غيرعقلائية ، والشفاعة ايضا موقوفة على الادراك فحيث لاادراك لها ، لاشفاعة لها ، فبعنوان الشفاعة وتركها ايضا ، لايكون لها ضر ولا نفع .

وقد ردعهم الله في قولهم بالشفاعة ، بالامر بالاستفهام الانكاري ، اى هل تخبرون الله بمالايعلمه في السموات والارض ؟ اى لو كانت هؤلاء شفعاء لعلم الله شفاعتها ، وانها شفعاء ، لحضور تمام الاشياء لديه ، وكونه عالما . مضافا الى ان الشفاعة وكونها محبوبة عنده من الامور الراجعة اليه ، فكيف يتصور عدم التفاته بوجدانه ولو علم الله اياها ، وما امرني بان انكر عليكم ، والملازمة ثابتة بصدور المعجزة عني وقداقمتها

ثم نزه الله عن الشرك ، ومن تعاليه وترفّعه ، لما صدرمنا مكررا ، بان الشرك لازمه التحديد والنقص والافتقار ، والواجب كمال محض ، فلانقص فيه ابدا فالقول بمحدوديته تنفيضه ، وهومنزه ، وتحطيطه ، وهواجل وارفع

وماكان الناس الاعلى نسق واحد ، وهوالسلم لله والتفويض اليه ، (اما) من حيث الفطرة التى فطرالناس عليها ، وغيره اى غير الاسلام والسلم ، حصل بالعارض من الشهوة والغضب و (اما) فى زمن الانبياء السالفة ، من نوح الى مقدار ، والاول احسن .

(ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى الخ) قدذكرنا سابقا ، انالكلمة هى المعربة عن الباطن والغيب ، واول كلمات الله تجلياته بالصفات ، ثم بالفعل المطلق ، ثـم بالمقيد ومن الكلمات ، الرحمة الالهية السابقة على غضبه فى تجليات الافعال ، فلولا هذه الكلمة وسبق الرحمة على الغضب ، ليغضب الله عليهم ، بمجرد الاختلاف ، ورفع اليدعن السلم لله والاسلام .

(ويقولون لولا انزل عليه آية الخ) قدذكرنا مرارا ، اناستدعا الاية ، قديكون بسبب عـدم اتمام الحجة عليهم وحصول الريب لهم فيمـا وقع وامـا اذا وقع مـا يستدعونه بزول ريبهم و قد يكون بسبب تلاعبهم بالآيـات وشبه الاستهزاء والاقتراح ، بانا لانريد ذلك ، بل نريد ذلك مع كونهما متساويين ، او مع اتمام الحجة عليهم ، يستدعون نزول الآية .

ولا ريب بحسب العقل ، ان نزول الآية على الاول ، يكون لازمـا عقلا ، اذ وجوب الاطـاعة ، موقوف على اتمام الحجة وزوال الريب لهم لايكون ، الابالاية الفلانية ، فيلزم انزال الآية الفلانية ، واما على الثانى فلايلزم ، بل فى بعض المقامات ، لايكون مستحسنا .

ولما اناستدعائاتهم كانت من ذلك القبيل فلايلزم ، فان اهل مكة والاطراف بالتحدى فى الاتيان بسورة ، ولو كانت قصيرة ، قد تمت عليهم الحجة ، بعجزهم ،

مضافا الى الحجج الاخر ، من اشباع الجماعة الكثيرة بالمقدار القليل في اول امره وتبليغه وحصول الانشقاق للقمر بحيث قالوا (انه سحر مستمر) وتسبيح الحصى ، والانباء بمغلوبية الروم وغيرها ، بل انباء الله ، بانهم كلما يرونه من الايات يقولون (انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون) (١) بل استدعوا اقدارهم على الاتيان بالمعجزات ، كماسبق في الانعام (٢)

والحاصل ان عدم الاجابة في تلك الصورة ولعل قوله المأمور به ، بان الغيب لله ، بلحاظ انه يعلم باطنكم فان كان غرضكم ازالة الريب ، ولم يتم الحجة عليكم ، فالله ينزلها . وان كان غرضكم شيئا آخر فلايجاب دعوتكم (فانتظروا انى معكم من المنتظرين) وقد ظهر من تلك البيانات ، كون المستفاد من تلك الايات على طبق العقل والله الهادى .

قوله تعالى : **واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذالهم مكر في آياتنا قل الله اسرع مكرا ان رسلنا يكتبون ماتمكرون (٢١) هوالذى يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جائتها ريح عاصف وجائهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجتنيا من هذه لنكونن من الشاكرين (٢٢) فلما انجيهم اذاهم يبغون فـي الارض بغير الحق ياايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون (٢٣)**

الكافر والمستوعب في الدنيا اذا اذقهم الله رحمته مـن المطر ، اوالصحة والامان ، بعد الجدب والمرض، والخوف ، فلهم المكر في آيات الله ، اذهي علامات على الله الجامع للكمالات ، من الامور الجلالية والجمالية ، اى القهرية والرؤفية

(١) الحجر - ١٥

(٢) راجع ص ٤٤٢ من المجلد الاول عند تفسير قوله تعالى ولو نزلنا الخ

ومكرهم بعودهم من التوجه الى الله الى التوجه بشهواتهم ، المترائى منهم انه تعالى لم‌يدر باطننا من البقاء على ماكنا فيه واعطينا بمقتضى ظواهرنا ، فقد مكرنا معه والله اسرع مكراًمنهم اذمالم ترسخ الملكة فيهم للشقاوة بمجرد دفع البلاء ، لايتوجهون الى الشهوات ، ورسوخ الملكة ثبت لشقاوتهم ، فى كتب انفسهم بيد الملائكة المتوسطة وهم يغفلون من احاطة العذاب عليهم ويظنون ان التبديل ، مع تلك الشقاوة ، شفقة الله عليهم حال غفلته والحال انه قهرالله حال غفلتهم

وهوالذى ينعم عليهم بسيرهم فى‌البر والبحر على طبق مراداتهم ، واعطاهم فى‌البحر الريح الطيبة ، ويبدل ذلك بالريح العاصفة ومجىء الموج من كل‌مكان ، وحصول الظن لهم بالهلكة فيتوجهون الى الله بالاخلاص ، ويظهرون كونهم من الشاكرين بعدالخلاص ، واذا انجيهم الله يعودون الى البغى ، والظلم والطغيان فى غير مورده .

فيخاطبهم الله ايها الناس هذا البغى على ضرركم وهو فى المدة القصيرة ، وهى الدنيا ورجوعكم فى‌الاخرة الينا ، وننبئكم بماكنتم تعملون فالانتفاع فى‌المدة القليلة ، والابتلاء بصور الاعمال السيئة ، فى الدار الغير المتناهية ، مع ثبت الكل فى النفس ، وهو ايضا نوع انباء من‌الامور المضرة التى لافوق لها

والمستفاد من‌هذه الابات بيان صفات الكفار، ومن‌مثلهم فى الغفلة وانهامضرة عليهم ومكرالله‌معهم ، وان‌مايعملون يكون ثابتا فى‌نفوسهم ، وغيرالاول مطابق‌للعقل والاول غيرمخالف‌له ، والله الهادى .

قوله‌تعالى: **انما مثل الحيوةالدنياكما ءانزلناه‌من‌السماء فاختلط به‌نبات الارض مما ياكل الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتيها امرنا ليلا اونهارا فجعلناها حصيداكأن لم‌تغن بالامس كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون (٢٤) والله يدعوا الى دارالسلام ويهدى من‌يشاء الى صراط مستقيم (٢٥) للذين احسنوا الحسنى**

وزيـادة ولايـرهق وجوههم قتر ولاذلـة اولئك اصحاب الجنة هـم فيها خالدون (٢٦)

لما ان النفس وهو الروح من عالم الامر ومـن العالم العالي ، وخلق آخر فوق الجسمانيات ولذا اتصف الله جاعلها بالتبارك وانه احسن الخالقين ، حيث قال تعالى (ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين) (١) فاذا حدث من البدن وصار البدن مرتبة من مراتبها ، يسرى حكمها في البدن فيصير البدن ، مضافا الـى لطافته ، و عدم تعفنه كالعضو الميت حساسا ، ودراكا للملموسات ، والمشمومات والروائح ، والابصارات والمسموعات فيرى في طرفة العين مايظهر من الكواكب عليها مع ان بعدها منه ، على قدر ماشاء الله ، وهكذا الباقي وبمجرد رحلة النفس من هذا المنزل ، وحركتها الى المنزل الاخر ، يرتفع تمام الاثار ، فالبصر لايرى ، و الاذن لايسمع ، واللسان لايذوق ، و الانف لا يشم و الجلد لايلمس وهكذا بل البدن يتلاشى ، ويتعفن ، قال الله تعالى في تبيينه وتوضيحه مثلا حتى ندرك بالمثل حقيقة ذلك

فالنفس يكون مثله الماء النازل من السماء ، وسريان حكمها في البدن وصيرورة البدن حيادراكا ذات الاثار ، كسريان الماء الى اجزاء الارض، واختلاطه معهاوبمدد الاشراقات ، واختلاف الاستعداد في الارض ، بسبب القطعات والبذور ، تنبت اقسام النباتات من العشب والكلاء ، والزروع ، والاشجار المثمرة ، وغيرها ، وتزينت الارض منتهى زينتها ، من الخضرة والحمرة والصفرة و غيرها ، من اقسام الالوان ، بسبب الاوراد، والاوراق والاشجاروانتفعت بهاالانسان والحيوانو كل ذلك من قبل الله وظن اهل الدنيا، انهم قادرون على الابقاء على تلك الحالة، واتى امرنا بالليل اوالنهار فجعلناجميع ذلك حصيدا اى مثل المحصود في عدم الطراوة وزوال الرطوبة بل بحيث لاينتفع بهابسبب بعض الرياح السمومة فاعطاؤنا الرطوبة والماء حيوة لها، واخذنا

(١) المؤمنون ـ ١٤

لها موت لهاوهكذا حال الماء الحقيقي وهو الحيوة، اذاافضناها على البدن، يصير البدن متزيناً ، باقسام الزينة ، ويتوهم الانسان انه قادر على ابقاء ذلك الاتحاد ، فيجيىء امر الله ، ويذهب الاتحاد ويقع الفرق بينهما ، فيصير البدن جماداً ميّتا اثنن من كل شيء ، وتفصيل الايآت من الله لقوم يتفكرون .

والله يدعو الى دار البقاء ، فحيث يكون الكمال الوجودى باقياً ، يكون سالماً ، فهو دار السلام ، اذالمرض زوال الصحة وهكذا ، ويهدى الله من يشاء الى الصراط المستقيم ، وهو الصراط العقلانى (للذين احسنوا) وعملوا عملا حسنا ، (الحسنى) وهى الجنة ، او كل شيء حسن ، وزيادة ، اى لقاء الله ، او كل ماكان فوق الاستحقاق، ولايغشى وجوههم سواد من الانفعال، وآثار المعصية ولاذلة وكآبة (اولئك اصحاب الجنةهم فيها خالدون) وقد ظهر مما ذكرنا عدم خلاف العقل مع الايتين ، والله الهادى .

قوله تعالى : **والذين كسبوا السيئات جزآء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة مالهم من الله من عاصم كأنما اغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون(٢٧) ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ماكنتم ايانا تعبدون(٢٨) فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين(٢٩) هنالك تبلوكل نفس مااسلفت وردوا الى الله موليهم الحق وضل عنهم ماكانوا يفترون(٣٠) قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلاتتقون(٣١) فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون(٣٢) كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لايؤمنون(٣٣) .**

الذين أتوا بتمام السيئات ، على مايستفاد من الجمع المحلّى باللام ، حيث انه وضع للعموم الاستغراقى الافرادى ، وهو بحسب الظاهر غير ممكن الوقوع ، اذ الزنا مثلا مع كل امرأة فى العالم غير ممكن وكذا اتيان كل غلام ، اوشرب كل مسكر ، وهكذا ، وكون المراد الانواع ، وانه قد اتى من كل نوع بفرد ، خلاف الظاهر من اللفظ ، مع ان بعض الانواع ايضا لاتجتمع كالشرك ، او ساير اقسام الكفر ، والفرار من الزحف فى صورة الجهاد مع هذا القبيل ، فالبقاء على اليهودية والنصرانية من المحرمات ، والفرار من جهاد هؤلاء ايضا من المحرمات ، وهما لايجتمعان ، لان اليهودى لايجاهد مع اهل ملّته حتى يفر ، وكون المراد التبعيض بحسب الازمان ، بان كان مسلما فى بعض الاوقات ، ويفر من الزحف ، ثم يصير يهوديا ، خلاف ظاهر آخر .

فالمراد تحصيل منشأ كل واحد من اقسام المعاصى انواعا ، وافراداً ، وهو الاعراض عن الله ، فان كل معصية ، يكون ناشئا من ذلك ، حتى المعاصى الصغيرة فبالاعراض القليل تصدر الصغيرة ، وبالاعلى منه تصدر الاصرار ، اوالكبيرة ، وبالاعلى منه ، تصدر الكبائر بعضها ، وبالاعلى من الجميع يكتب الكل فى النفس ، بحيث كلما ابتلى يكون المقتضى للاتيان من قبلها موجوداً ، والمانع مفقوداً .

ولعل السر فى اطلاق الكسب هو ذلك ، اى معدن الكل ومخزنه ، حاصلة فى النفس وهو ليس الا الشرك ، فالمشرك قد كسب فى صقع نفسه ، جميع افراد المعاصى حكما ، اذ المقتضى للارتكاب من قبله يكون موجوداً والمانع مفقوداً ، والنقصان من الخارج لامن قبله .

ولذا فسر بعض المفسرين ذلك الكسب بالشرك وحينئذ فجزاء سيئة بمثلها ، اى لا مانع من وقوع كل نوع ، وكل فرد من افراد العذاب عليه ، والمقتضى وهى السنخية ايضا موجود ، ولكن هذا المطلب من قبل نفس المشرك فهى المقتضية لان يعذب فيها ولا مانع فيها ، وعدم وقوع الكل عليها من الخارج ، حيث ان النفس الواحدة قاصرة عن توجه الكل اليها ، فالخارج هو عدم السعة

كما ان في طرف الصدور ايضا كان كذلك .

وحينئذ فما يتوجه عليها هو الخلود ، واستيعاب العقاب على مقدار التحمل ، فلاتفاوت بين الجزاء والاصل ، بل الجزاء هى صورة الاصل ، ووصوله الى حد الفعلية .

(وترهقهم) الذلة اى تغشاهم وتحيط بهم ، فان كل عذاب ذلّة ، او ان الذلة ايضا عذاب ولابد ان تصل اليهم بمقدار ظرفيتهم فتغشاهم ، مالهم من قبل الله من عاصم ، لانهم قطعوا حبالهم بايديهم ، وانقطعوا من الله ، فالحافظ الالهى من العذاب لايكون لهم ، وقد غشيت الظلمة التى كأجزاء الليل وجوههم، لزوال نورية فطرتهم الاصلية ، وهم فى النار خالدون، لما مر من ان جزائهم وقوع تمام العذاب عليهم ولازمه الخلود .

(و)اذكر (يوم نحشرهم جميعاً) وهويوم جمع الاولين والاخرين الى ميقات يوم معلوم ، وهى القيامة ، فان تمام الحقايق فيها مجتمعة ، ولو كانت قبله على نحو التفرق ، كما برهن فى محله وقد ذكرناه فى السابق ايضاً .

ثم يخاطب العابدون من دون الله من الاصنام وغيرها ، (مكانكم) اى قفوا فى مكانكم ، او الزموا فى مكانكم ، ولاتتجاوزوا مع شركائكم ، اى المعبودين لكم، (فزيلّنا) اى ميّزنا بين جميع الخلائق المحشورين ، وعرف حال كل واحد بسيماهم وآثارهم فعرف المؤمنون ، فقال المعبودون لعبدتهم ، اما اذا كانوا ذات ادراك فيكون واضحاً وان كانوا من قبيل الاصنام ، فالمراد بالقول ظهور الاثار: (ما كنتم ايانا تعبدون) اى اما كنتم والمراد بما ، النفى ، والاستفهام يكون انكارياً، اى الم تكونوا عابدين لنا ، (وكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم ان) مخففة عن مثقلة اى انّا (كنا) عن هذا المطلب من غفلة ، اى لم تكن عبادتكم لنا برضائنا ، بل كان من تسويلات انفسكم ، وهذا فى الاصنام ونحوها ، او البريئين من الرضاية ، يكون ظاهراً .

واما المدركون ، الراضون بذلك من فرعون وهامان ونمرود وامثالهم فهم

ايضا فى الحقيقة داخلون فى‌المشركين والحقيقة التى يدّعون انها فينا، يخاصمهم بلسان الاثار .

وفى‌هذا اليوم وهذا المكان البعيدعنا ، تبلواى تختبر كل نفس بمااسلفت ، من‌الاعمال والملكات فى‌الحدوث ، اى‌آثارها تظهرمنها وفى‌قرائة (تتلو) اى تقرء كل نفس ما اسلفت و يردون الى المولى الحق الثابت فى الواقع و يضل عنهم مفترياتهم ، اى‌يشاهدون الكل باطلا ومضمحلا وان‌جهة المعبودية ليست فيها ، والمعبودية منحصرة فى الله واسئل عنهم من الرازق و المالك للسمع والبصر ، و مخرج الحى من‌الميت وعكس ذلك ومدبر الامور؟ فيجيبون بانه‌الله

(فقل‌افلاتتقون) من‌جعل الشريك‌له فاذا كان‌كل ذلك الامورمن‌الله ، فمامعنى الشرك وهل هذا الا التناقض ، فلم لا تخافون ، او لا تجعلون‌الله فقط وقاية لكم ، ولا معنى للرب الا فاعل تلك الامور ، فاذا كان الفاعل هوالله الحق ، فالتجاوز من الحق ، ليس الاالضلال لان‌مقابل الثابت هوالزائل ، والزائل باطل ، او مقابل ماله الواقع ، ماليس له‌الواقع ، فيكون معدوما باطلا ، فلايكون بعدالحق الاالضلال ، فاين‌تصرفون‌وجوهكم، وتتوجهون الى‌غيرالله ، (كذلك) اى‌كثبوت الحق ، ثبوت كلمة الحق و هى املائه لجهنم ، من الجنة و الناس اجمعين من الفسقة ، بعدم ايمانهم اوحقت عدم ايمانهم ، لصيرورته ذاتيالهم .

وقدظهر مماذكرنا ، كون المستفاد من‌تلك الايات ، ما هو المبرهن ، عند ارباب العقول ، كماذكرنا ، فهى مطابقة للعقل ولاتخالفه، والله الهادى .

قوله تعالى : **قل هل من شركائكم من يبدء الخلق ثم يعيده قل‌الله يبدؤ الخلق ثم‌يعيده فانى تؤفكون (٣۴) قل‌هل من‌شركائكم من يهدى الى الحق قل‌الله يهدى للحق افمن يهدى الى الحق احق ان يتبع امن لايهدى الاان‌يهدى‌فمالكم كيف تحكمون(٣۵) ومايتبع‌اكثرهم الاظنا ان الظن لايغنى من الحق شيئاً ان الله عليم بما يفعلون (٣۶) وماكان هذا**

القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين (٣٧)

ثم امر رسوله ﷺ بان يسئل عنهم ، انما تجعلونه شريكالله ، هل له القدرة ، بان يبدء الخلق ثم يعيده ، فاني تتوجهون ؟ فان ما كان شريكالله ،لابد ان يكون مثل الله وكما ان الله يخلق الخلق ابتداءا ، ثم يميتهم باخذ الحيوة الدنيوية منهم ، فبسببه يبقى البدن منفصلا عن الروح ، ويذهب الروح الى عالم الملكوت ، ومعه من البدن الخلقى على طبق الملكة الراسخة وهو البدن البرزخى ، والمثالى ، ويبقى البدن العنصرى فى عالم الملك والشهادة ،

فخلق الله البدن ، متحدا مع الروح اولا ، لكون الروح جسمانى الحدوث على الاقوى ، و روحانى البقاء ، ثم عند الموت ينفصل البدن عن الروح ، ويبقى ميتا ، ثم يعيد الامر على ما كان ، من الاتحاد بالحركة الجوهرية للبدن وصعوده الى عالم الاخرة واتحاده مع الروح كماسبق ،فالعود قد حصل بالالتيام والالفة والاتحاد الان الدار صارت اعلى واللوازم قد اختلفت وهذا فعل الله ، البدء والعود ، كما برهن فى محله ، وذكرنا سابقا

وهل غير الله يفعل ذلك ؟ وكيف يمكن لغير الله ذلك ؟ فـان فاعـل ذلك ، سلطان العوالم الملك والملكوت والجبروت والملك والمالك للجبروت ، ويوم القيامة هل يتصورون انه غير الله ، فان فى عالم الملك قد يتوهم ذلك ، لكنه لايتوهم فى غيره ، فباى جانب تصرفون وجوهكم عن الله .

وقل لهم هل مما جعلتم شركاءله من يهدى الى الحق ؟ بان يرسل واسطة ويعطيه خرق العادة والاثارة من العلم حتى يعلم الناس ويحصل للناس الاهتداء ولما ان الواسطة من قبلها (١) لا تكون والهداية و العلم من قبلها منتفية ، فالكل من قبل الله لان قوام الحيوان و الانسان بالعلم و حيث فرض انتفاء العلم من قبلها ، فباى نحو

(١) اى من قبل الشركاء وكذا الضمائر التى تكون بعدها .

يعبدونها ؟ اذالعبادة فرعالعلم ،فالهادی هوالله ،فلابد انيكون المعبود هوالله لاغيره

ثم استفهم تقرير يا للتوبيخ ، انالمتبع منيكون هادياً اليالحق ، اي الامر الواقعي الثابت ، اوغيره ، ممن لايهتدي ، الاان يهديه الغير و الحقيق للاتباع هل يمكن ان يحتاج فيالعلم اليالغير ، فيتبع ويترك مالايحتاج اليالغير ، فما بالكم وكيف تحكمون ، ايالصحيح العاقل ، لايمكن ان لايتوجه الى من لايحتاج في العلم و الهداية الى الغير ، ويتوجه الى المحتاج ، وهذه قاعدة عقلية ، جارية في الربوبية ، بل ساير المراتب .

فالنبيﷺ ايضالايمكن انيكون غيره (١) فيالعلم النافعاي العلومالحقيقية المطابقة للواقع ، والهداية اعلى منه ، والا فـالمتبع هو ذلك الغير بحكم العقل ، وكذلك الامام، والسلطان الحقيقي المحبوبلله ، انيكون متبعا ، لايعقل انيكون غيره اعلم منه .

فالامام لابد ان لايحتاجان يهديه الغير، فلوكان في زمان شخصان ، احدهما لايحتاج اليالغير في العلم والهداية ، والاخركان محتاجا ، فالرجوع اليالمحتاج كالرجوع اليالاصنام ، وقد قالالله : (فمالكم كيف تحكون) وقد جعل بطلان الرجوع اليالاصنام مندرجا تحت تلك القاعدة العقلية ، والامر في غاية الوضوح.

ثم بين الله ، ان اكثرهؤلاء ، غيرمعتقدين بما يظهرون ، بللهم ظن حاصل من التقليد ، وهولاء يغني، والله عالم بافعالهم.

و هذا القرآن لكونه على الدرجة التي لايمكن الاتيان بمثله ، ولو اجتمع الشقلان على الاتيان بمثله ، لايمكن ان يكون افتراء ، اوكان من غيرالله ، بل هو تفصيل ما في الكتاب المبين ، وهو اللوح المحفوظ ، و مصدق للكتب السابقة ، ولا ريب فيه ، ومن رب العالمين . اذ حقيقته حقيقة اللوح المحفوظ ، و الفرق بلحاظ المراتب ، و من مراتب القرآن تلك المرتبة ، و من و صل اليها لايبقىله

(١) اي غيرمن لايحتاج الي الغير

الريب ولا اعلى مخلوقا منه ، فهو من رب العالمين ، وكون تمام ما يستفاد ، من هذه الايات على طبق البراهين العقلية كما ذكرنا ، فتوافق العقل ، من الواضحات، والله الهادى .

قوله تعالى : **ام يقولون افتريه قل فاتو بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين (٣٨) بل كذبوا بمالم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين (٣٩) ومنهم من يؤمن به و منهم من لايؤمن به و ربك اعلم بالمفسدين (٤٠) وان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانابرىء مما تعملون (٤١) .**

وان قالوا : انك افتريث هذا القرآن (قل فأتوا بسورة من مثله) اى لو كنت مفتريـا لكان اللازم امكان اتيانكم بمثل سورة منه ، فـان السورة بعض القرآن خصوصاً وبعض السورفى غاية القصار ، ومع اجتماع ارباب الكمال من الفصحاء يمكن ان يؤتى بمثله ، بل الله يساعدكم على ذلك ، لاظهاربطلان من افترى عليه، وبعبارة اخرى ، فى صورة كونه من غير الله يكون المقتضى لقدرتكم موجودا ، من كونكم عربيا فصيحا ، والاخرون ايضاً يساعدونكم فى القاء المطالب والمعانى، لابطال امرى وللهيئة الاجتماعية ، من القدرة مالايكون لغيرهم فى مورد يمكن ان يجتمع ، والمانع ايضاً مفقود ، من اخذالله قدرتكم.

فمع عدم اتيانكم ، ولوبضميمة من تدعونهم من غيرالله مع وجود الداعى لكم فى ابطال امرى، فاما يكون من فقد المقتضى ، اووجود المانع ، فان كان الاول فيثبت كونه من عندالله ، اذ مالاقدرة للجماعة الكثيرة ، فى الامر الذى يكونون ماهرين فيه وعالمين به، ان يأتون بمثل شىء قليل منه ، وقداتى الواحد به ، فهوفوق حد اهل الملك ، ولابدان يصدرمن الفانى فى الله ، الذى كلامه كلام الله .

وكذا ان كان الثانى اى اذا كان لهم فى حد ذاتهم القدرة ، وغير الله لايمنعهم من الاتيان بالمثل ، لعدم الممانعة من قبل احد ، فلابد ان يكون المانع من قبل الله وهو ايضا يدل على المطلوب ، ثم قال الله : (بل كذبوا الخ) اى لايأتون ولايمكنهم الاتيان ، وتكذيبهم ايضاً غير ناش عن علم ومأخذ ، بل كذبوا بما لايحيط به علمهم ، من كونه صدقا ومن الله املا ؟ وكذلك تكذيبات ساير المكذبين للانبياء فانها ناشئة من غير العلم .

ثم ان التقييد بقوله تعالى : (من دون الله) ليس لاجل انهم اذا دعوا الله يقدرهم على الاتيان . بل لاجل انهم لما قالوا : ان هذا غير صادر من الله ، ويكون من البشر فيقول الله : لو كان كذلك ، فادعوا غير الله ، فهذا لا يكون الا من عند الله واما ان الله يستجيب الدعوة املا ، فالعقل قد دل على ان اجراء فوق الطبيعة ، بيد غير النبى المرهون بالطبيعة غير معقول ، وقبيح .

ثم انبأ الله بالانباء الغيبية ، ان بعض المكذبين من اهل مكة ، يؤمنون بك بعد ذلك وبعضهم لايؤمن والله يعلم المفسد وغيره (وان كذبوك) بعد هذا التحدى وعدم اقدارهم على الاتيان ، فاعرض ، وقل: (لى عملى ولكم عملكم) وكلنا برىء من الاخر ، فان الحجة قد تمت من قبلى .

وكونها على طبق العقل فى نهاية الوضوح كما بينّا آنفاً ، وبينّاه سابقاً مفصلا ، والله الهادى .

قوله تعالى: **ومنهم من يستمعون اليك افانت تسمع الصم ولو كانوا لايعقلون (٤٢) ومنهم من ينظر اليك افانت تهدى العمى ولوكانوا لايبصرون (٤٣) ان الله لايظلم الناس شيئاً ولكن الناس انفسهم يظلمون (٤٤) ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الاساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وماكانوا مهتدين (٤٥) واما نرينك بعض الذى نعدهم اونتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون (٤٦) ولكل امة رسول فاذا**

جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لايظلمون (٤٧)

ومن الكفار من يستمع ولايعقل ، لعدم ارادته للحق وتعقله ، والدليل على كون المراد ذلك بعد هذا الكلام ، فان عدم اسماع الصم مع فرض كونهم صاحب السمع ويستمع ليس الا لاجل فقدهم السمع التعقلى، فكانهم يستمعون الى الصوت ويسمعونه ولايستمعون الى المراد ولايريدونه .

والتعليل بان الله لايظلم يدل على عدم ارادتهم للتعقل ايضاً ، لانهم يريدون ولا يتعقلون ، وكذلك الامر من جهة النظر والرؤية ، اى فنظرهم اليك لايكون نظر من يرى افعالك وملكاتك حتى ينتقل منها الى حقيقتك ، بل يكون نظر من لايرى الاالجلد واللحم ولايكون النظر عن بصيرة ، فهذا عمى لايريدان يصير بصيراً كما ان الاول صم لايريد ان يصير سميعا ، فانت لاتمكن من هدايتهم .

و ذلك ليس لاجل ظلم من الله عليهم بل اختاروا بسوء اختيارهم فهم بالاختيار يظلمون انفسهم .

وفي الحشر اى القيامة يلتفتون بقلة الدنيا وانها ماكانت الامقدار ساعة من ساعات البرزخ ويعرفون اول الحشر كل للاخر.

ولما انهم كذبوا امر القيامة وظهور ملك الله ولقائه بسبب رفض انانياتهم ، قد حصل لهم الخسر ولم يهتدوا .

(واما نرينك) بعض عذابهم في الدنيا ، بان ماتوا وكنت باقيا فتشهدهم وتلاحظهم (وقد ادغم نون الشرط في ماء الزايدة والجواب محذوف من باب قرينة المقام) وان توفيناك قبلهم فيرجعون الينا بعدك والله شهيد عليهم بافعالهم ، وهكذا حال كل رسول مع امته فان قضاء الحق بالقسط وما يصل الى المكذبين من العذاب هو لسوء اختيارهم ، فهم لايظلمون .

ومطابقة الجميع مع العقل بحسب الكليات مما لاريب فيه وكونهم مصاديق ذلك بالانباء ، والعقل لايخالفه والله الهادى.

قوله تعالى : **ويقولون متى هـذا الوعدان كنتم صادقين (٤٨) قل لا املك لنفسي ضرا ولانفعا الا مـاشاء الله لكل امة اجل اذا جـاء اجلهم فلايستأخرون ساعة ولا يستقدمون (٤٩) قل ارأيتم ان اتيكم عذابه بياتـا اونهاراً ماذايستعجل منه المجرمون (٥٠) اثم اذا مـا وقع آمنتم به آلآن وقد كنتم به تستعجلون (٥١) ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا مـا كنتم تكسبون (٥٢) ويستنبؤنك احق هو قل اى وربى انه لحق وما انتم بمعجزين (٥٣) ولوان لكل نفس ظلمت مافى الارض لافتدت به واسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضى بينهم بالقسط وهم لايظلمون (٥٤) الا ان لله مـا فى السموات والارض الا ان وعد الله حـق ولكن اكثرهم لايعلمون (٥٥) .**

ويقولون بعداستماع الكلمات السابقة من الحشرولقاء الله ووصول العذاب: انه فى اى زمان يكون هذا ، اى الانتقال الى العالم الاخر وشهود العذاب ، فأت به ونجز وعدك ان كنتم ، اى انت واتباعك من الصادقين فى امر الاخرة ، وحذف جواب الشرط مع معلومية المقام كثير شائع .

ولما ان هذا الاستدعاء غيرعقلائى لان الاتيان بما وعد هوهلاكهم ولافائدة فـى اهلاكهم لهم ، لان اتمام الحجة يكون نافعا للاحياء لا الاموات ، واما الاحياء فغيرهم هم المؤمنون ، والحجة قد تمت عليهم وآمنوا ولم يفتقروا الى اتمام حجة جديدة ، ولكنهم لايقنعون بان يقال لهم هذا المطلب .

امر الله نبيه ﷺ ان يقول : ليس الامـر بيدى وانى لااملك لنفسى ضرا ولا نفعاً فضلا عن الغير و خصوصا مع كثرتهم الا ما شاء الله وبالاستثناء يعلم انه يصح صدور هذا القول منه اذاكـان مالكا لتمام الضر والنفـع الواصل الى ما سوى الله كما هوالحق ، الاانه ليس له من قبل نفسه بل باعطاء الله ومشيته، فان الممكن ليس

محض ، والكمال من قبل الله .

وبهذا الجواب ينقطع سؤالهم واصرارهم فـي ما استدعوه ، اذ يقول ليس بيدى ، فالعاقل يفهم ان كل شيء بيده من قبل الله والجاهل يفهم انه لايقدر فيقطع سؤاله ، ولايكون كلام بهذه المرتبة من الحسن .

(لكل امة) زمان ثابت فى‌اللوح المحفوظ ولاتقدم فيه ولا تأخر ، فاذا بلغوا اليه يموتون ويشاهدون الوعد شهودا على مقدارهم .

اى لاتكون فائدة الاهلاك الاالشهود وهويترتب على مطلق الهلكة لاتقدمها والهلكة حاصلة على‌اى حال والشهوديكون واقعاً وليست الفائدة فى‌التقدم، فالتقديم عبث لايصدر منه تعالـى لان اللغو يستحيل ان يصدر من الحكيم ، وهو الحكيم على الاطلاق .

واوضح الله تعالى ذلـك بامره للنبى ﷺ ان يقول لهم : اتدرون وتـرون وتفهمون انه اذااستجابت دعوتكم وجائكم العذاب ليلااونهارا اى امر عظيم فظيع استدعوتموه على ضرركم ايها المجرمون ؟ (من قيام الظاهر مقام الضمير) و ما الفائدة لكم فى هذاالاستدعاء ؟ اتتوهمون ان فائدته اتمام الحجة عليكم اذبمشاهدته تؤمنون ،كلا فان التوبة بعد مشاهدة العذاب غير مقبولة وهذا الايمان لايقبل .

و قـد ذكرنا سابقا انـه لاجل عدم تحققها فان الندامة الحقيقية لاتكون ، بل اصوات صادرة من الخوف، واذازال يرجعون الى ماكانوا عليه، ويقولون كان هذا المطلب لامر عادى (ولو ردوا لعادوا لمانهوا عنه) وهؤلاء مثلهم و على اى حـال فيقال لهم (آلآن وقدكنتم‌به تستعجلون) .

ثم يقال بعد الحلول (ذوقوا عذاب الخلد) اى الدائم اى هذا اول نزولكم الى الدار الباقية و عذابكم لكونه ناشئا مـن حقيقة ذاتكم وهو الكفر يكون دائميا لعدم تخلف ما بالذات هل تجزون الا بماكسبتم وهل يمكن ان لايعامل الله معكم ، بان يوصل بذوركم الى مـا اعدّت لها ولايبلـغ أو ان حصادها، فهذا الكفر الذاتى

قد حصل فيكم وصار راسخاً بفعلكم وكسبكم وصورة الكفر النارالمحيطة الخالدة فهو من فعلكم .

ولما سمعوا عظم الامرقال الله تعالى انهم يسئلون عنك ويريدون ان تخبرهم ويقولون أهذا الامرواقع وحق؟ اى يكون ثابتا مقررا، قل نعم بحق ربى انه الحق ولستم بمعجزين لله لانه تعالى القادر التام وانتم العاجز المحض .

ولو كان للظالم وهوالكافرتمام مافىالارض (لافتدت به) اى تفدى الكل لان يخلص و الرؤساء المتبوعون من خوف التعيير يخفون ندامتهم بعدرؤية العذاب و يقضىالله بينهم بالعدل ولايظلمهم بل الظلم منهمعليهم كماسبق .

ولله مافى السماوات والارض و المالك لافوق عنه بين مماليكه حتى يحب البعض دون البعض ، فالفرق مـن قبلهم عليهم اولهم ، وما يعدالله هـو الحق لقبح الكذب وعدم الفائدة له لقدرته التامة ، ولكن اكثر الناس لايلتفتون الى ذلك مـن عدم صدور القبيح او ما لافائدة فيه من القادر التام .

والمستفاد من هذه الايات من سؤالهم ، وعدم ملك الضر والنفع كماذكر، وكون الاجل المعلوم لكل عندالله ، وان العذاب اذا حل يكون عظيماً ، وعدمقبول التوبة حينئذ والاعلام بأنه من قبلكم اعلاماًحضورياً، وكونهم يستنبئون من النبى وان جوابه القسم على كونه الحق ، وان كل نفس يفتدى بتمام ماله لرفع العذاب وكونهم يستحيون من الاتباع ، وان الله مالك، ووعده الحق ، امور مطابقة للعقل، اومالايخالفه كمالايخفى ، والله الهادى .

قوله تعالى : **هويحيى ويميت واليه ترجعون(٥٦) يا ايها الناس قد جائتكم موعظةمن ربكم وشفاءلمافى الصدوروهدى ورحمة للمؤمنين(٥٧) قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون (٥٨) قل ارايتم ماانزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماوحلالا قل آلله اذن لكم**

ام‌على الله تفترون (٥٩) وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ان‌الله لذوفضل‌على‌الناس ولكن‌اكثرهم لايشكرون (٦٠) وماتكون فى شأن وماتتلو منه من قرآن ولاتعملون من عمل الاكنا عليكم شهودا اذتفيضون فيه ومايعزب عن ربك من مثقال ذرةفى الارض ولافى السماء ولااصغرمن ذلك ولااكبرالافى كتاب مبين (٦١)

هو الله يحيى بافاضة الروح على المستعد ، ويميت بقبضه الروح لينتقل الانسان من‌دارالملك الى الملكوت والبرزخ، ومنه الى الفوق ، والى الله‌ترجعون فان‌كل وجودسائرالى‌الكمال،وهوواجد الكمال كله، فالرجوع اليه كماذكرناسابقاً مفصلا .

ثم خاطبهم بمجيء الموعظة وهى القرآن المشتمل على بيـان مصالحهم ومفاسدهم حتى يأخذوا بالاول ، ويتركوا الثانى ، وهوالشافى لما فى‌الصدور من الشكوك والعقايد الفاسدة ، ودواء لهذه الامراض فى صورة التدبر اوالرجوع الى المدبرين ، ويكون هداية ونوراً ورحمة للمؤمنين ، فان الايمـان من اقسام العلم وله مراتب من‌حيث الشدة والضعف، وبسبب القرآن يشتد العلم والايمـان والنور والهداية ، ويكون رحمة لان به ينجون من الناروبدخلون الجنة .

فبسبب ذلك القرآن فليفرحوا ، وبالحاصل منه فليفرحوا فانه خيرمن المال ومايشبه المال من الامورالدنيوية .

ولما أن عبدة الاصنام قد جعلوا بعض الاقسام من الابل والغنم والبقر حلالا وبعضه حراما كما قد مضى سابقا، من البحيرة والسائبة والميتة فيخاطب النبى(ص) بالسؤال عنهم ، اتدرون انكم جعلتم رزق‌الله قسمين حلالا وحراما ، وهذا التقسيم من قبل الله ، بل تفترون على الله . وماظن المفترى بالله ان يعامل معه .

فهل يظنون أنه لايعاقبهم من فضله فهوغيرصحيح ، بل الفضل فى‌التأخيراى تأخيرالعقاب ، والناس لايشكرون بذلك الفضل ، وقرينة المقام من كونه فى مقام التهديد لاالتأمين تقتضى ذلك ، اى‌كون المراد ماذكر .

وماكنت من الشأن والصفات ، وماتتلومن القرآن فبشهود الله ، والحذف بقرينة البعد وخاطب الله المؤمنين بانكم لاتعملون الابشهود منه ومراقبته اذتفيضون في العمل وتدخلون فيه وتشرعون ولايغيب عن الله شيء سواءكان اصغرمن النملة والذرة اواكبر اومثله وسواء كان في الارض اوالسماء والكل ثابت فى الكتاب المبين وهواللوح المحفوظ لاجتماع المعاليل فى علتهم على النحوالاتم والاعلى

وعدم مخالفة شيء منها مع العقل ، من الامور التى كانت واقعة من الافتراء ، والتقسيم ، وعدم شكر الناس ، وتأخير العقاب فى الدنيا ، وموافقة البقية للعقـل ، من كون الاحياء والاماتـة من الله ، والرجوع اليه ، واحاطة علمه ، مما لايخفـى والله الهادى .

قوله تعالى: **الا ان اولياءالله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون(٦٢)الذين آمنوا وكانوا يتقون (٦٣) لهم البشرى فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة لاتبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم (٦٤) ولايحزنك قولهم ان العزة لله جميعاً هوالسميع العليم (٦٥) الا ان لله من فى السموات ومن فى الارض ومايتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون (٦٦) هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً ان فى ذلك لايات لقوم يسمعون(٦٧) قالوا اتخذالله ولدا سبحانه هو الغنى له مافى السموات وما فى الارض ان عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله مالاتعلمون(٦٨) قل ان الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون(٦٩) متاع فى الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بماكانوا يكفرون (٧٠) .**

اعلموا ان من يحب الله بحيث يشتد ، ويعدّ ولياً له ، لاحزن عليه ولاخوف لان محبوبه لايفنى ، ولاينفصل منه ، والحزن لاجل فقدالمحبوب ، والبعد عنه ، واما الخوف وان كان يعرض لاجل ورود الآلام ، الا انمرجعه عندالتحقيق الى الاتصالى

للاجزاء المحبوب اتصالها ، اوفقدها الحيوة ، ودرك تلك الامور بالادراك الخسيس المادى ، واذا كان اشتداد الحب مع الله ، ويضمحل الباقى فى جنبـه فلايحب الا وصله ، ولايخاف من انهدامه لعدم الفناء للنفس بارادة الله وتصير ادراكاته عالية ، وفى الحقيقـة قد غلب على هذا الشخص سلطان الاخرة ، او المراد انه لاخوف عليهم ولاهم يحزنون فى الاخرة .

والمؤمنون المتقون لهم البشرى فى الحيوة الدنيا من لذائذ العبادات والتوجه الى الحق الباقى ، اوالرؤيا الحسنة كما قيل ، وفى الاخرة من الوصول الى الجنة ولاتبديل لهذه الكلمات المعربة عن الحكيمية ، والعادلة الالهية ، ورحيميته ، وثبت فى اللوح المحفوظ ، ولانها داخلة فى الوعد ، والله لايخلف الميعاد ، وذلك هو الفوز العظيم ، اى اتصال البشرى الدنيوية بالبشرى الاخروية .

ولايحزنك قولهم بانك لست نبيا ومرسلا من عندالله ، اوساير الاقوال السيئة فانك من اولياء الله ، ورئيس الكل ، وسرورك بالتوجـه الى الله (ان العزة لله جميعاً) جملة مستأنفة ، اذ عدم المثل منحصر فيه ، وكذلك الغلبة المطلقة فلاعزّة للغير مستقلة .

وفى كل واحد رشحة من رشحاته ، فهو فى الحقيقة عزته ، ومع هذه الصفة الجلالية يكون سميعاً للدعوات ، وعليما بالافعال، اى له الصفات الجمالية ، فيتوجه بها الى الخلائق ، والكل ملكه كما مضى ، وساير المتبوعات ليس لهم حظ من الشركة مع الله ، وقد مضى البرهـان عليه ، بل ليس لهم وجود ذهنى قطعى فى اذهان تبعتهم ايضا، بل شركتهم له بالوجود الذهنى الظنى، فالمتبع لهم فى الحقيقة هو ظنهم ، وخرصهم ، وتخمينهم .

والله جعل الليل للنوع للراحة والنهار للابصار ، حتى يعملون ويكسبون ، وفى ذلك الاختلاف لآيات من تربية الحيوان والانسان والنبات ، فان النهار فقط موجب للهلاكة من الحرارة ، والليل المحض موجب لها من البرودة ، وكذلك تقدير الايام والاوقات بها ، وايضا هذا الاختلاف من الحركة ، وهى دليل على الانتهاء

الى محرك غير متحرك ، وهو الله لقوم لهم السمع اى يستمعون الى ارباب العقول فيأخذون البرهان منهم والى الانبياء عليهم السلام فيزداد علمهم ، ويصير كشفاً شهوديا .

(وقالوا اتخذ الله ولداً) والقائل من يقول بكون الملائكة بنات ، والنصارى واليهود في حق المسيح ، وعزير ، والله منزّه عن النقص ، وغنى عن الفقر ، ونسبته الى تمام الممكنات على حدّ سواء ، والولدية المعروفة ناشئة من النقص والفقر ، ولو كان المراد صدور المعلول عن العلة ، فالكل معاليل الله بلاواسطة او مع الواسطة فالكل اولاد بهذا المعنى ، أو اولاد اولاد وهكذا ، والمعلول الاول المشيّة ، او العقل الاول وهكذا ، ولو كان المراد من يفنى انانيته فكل عباد الله كذلك ، فالولد المتكون عن التزويج والوقاع وانفصال الماء غير لايق ، وبمعنى المعلولية او الفنائية غير مختصة ، والكل عباد له وملك له .

ويخاطبهم الله بانه لاحجة لكم في قولكم ، والسلطان بمعنى الحجة الغالبة (أتقولون على الله مالاتعلمون) يكون تقريريا للتوبيخ .

ولافلاح لمن يفترى على الله ، بل هو متاع اللسان في الدنيا ثم الرجوع الينا ونذيقهم العذاب الحريق .

والمستفاد من هذه الايات ، عدم الخوف والحزن على محب الله ، وكون البشارة لهم في الدنيا والاخرة كما ذكرنا ، وعدم تبديل كلمات الله على مامضى ، وتسلية النبى ، وكون المالك هو الله ، والعزة له ، وعدم شركة الغير ، وفائدة الليل والنهار ، وتنزيه الحق عن الولد ، وعدم الفلاح للمفترى ، من الامور العقلية المطابقة للعقل او غير المخالفة له كما مر ، والله الهادى .

قوله تعالى : **واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه ياقوم ان كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم وشركائكم ثم لايكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا الى ولاتنظرون (٧١) فان توليتم فماسألتكم من اجران اجرى الاعلى الله وامرت ان اكون من المسلمين (٧٢)**

فكذبوه فنجيناه ومن معه فى الفلك وجعلناهم خلائف واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين (٧٣) ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين (٧٤) ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملائه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين (٧٥) فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين (٧٦) قال موسى اتقولون للحق لما جائكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون (٧٧) قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آبائنا وتكون لكما الكبرياء فى الارض وما نحن لكما بمؤمنين (٧٨)

اقرء على مشركى مكة خبر نوح ، اذقال لقومه ـ هذا بدل من سابقه ـ اى اقرء اذ قال لقومه : ياقوم ان كان عظيما عليكم اقامتى على ذلك الامر ـ اى دعوتى الى الحق واعلامى ، وتنبيهى اياكم ـ فتوكلى على الله وحينئذ فاجمعوا امركم ـ اى اعزموا على امركم، وما اردتم من السوء على ـ (والاجماع هو عزم الارادة، فكأنه تتراكم الخيالات وتتفقون فيحصل العزم) (وشركائكم) اى معهم ، اى اتفقوا مع اصنامكم، اوما عبدتموه واثبتوا على دفعى ، ثم لايكون ذلك الامر عليكم فى الغمام والستر ، بل افعلوا علناً مااردتم من غير استحياء منى ومن معى ، ثم امضوا فيما تريدون ولاتمهلوننى ، (والجواب محذوف للقرنية المقادية) وهو فلا ابالى منكم، ولااخاف ولااعتنى ، فالامران والنهى للتهديد .

فان ادبرتم الى واعرضتم عنى ، فلا ابالى ايضا ، لانى ماسألتكم اجراً حتى اخاف من فوته (فالجواب قد حذف ، و قامت العلة مقامه ، وهو امر شايع) و ما أجرى الا من قبل الله وقد امرت بالتسليم لله والقاء الخصوصيات والانانيات، فاصبر على كل ماورد على لاجله .

فلم يؤثر كلامه فى قومه فكذبوه ، فاغرقنا المكذبين (ونجيناه ومن معه فى

الفلك) و تقديم النجـاة لسبق الرحمة على الغضب ، فانظر ايها النبى الى عاقبة من انذروا ولم يؤمنوا حيث هلكوا ولم يبق لهم النسل فيالدنيا ، وانضم عذابهم الدنيوى الى الاخروى ، بخلاف المؤمنين حيث بقوا وبقي منهم النسل ، مضافاً الى ثواب الاخرة .

وبعثنا بعد نوح من الرسل فلم يؤثر انذارهم للجميع ، وما كانوا يكذّبونه قيل مجيء الرسل ، كذبوه بعد مجيئهم أيضا ، مع كونهـم صاحب المعجزات ، واتوابها ، لان قلوبالمعتدين مختومة ، ومنطبعة بالختم الالهى، بعد اختيارهم وقد مضى، وتقييدنا بالجميعلدلالة (ماكانوا) فانه لنفيالعموم، لاعموم النفى كمالايخفى وخصوصاً قد فصّل فى القرآن ايمان البعض مع بعضهم .

ثمجاء موسىمع هارونبالايات التسع، فاستكبر فرعون واتباعه لكونهم من المجرمين ، وبعد مجيء الحق لهم ، وثبوت الامر بالاعجاز من امر العصا ، قالوا هذا سحر واضح .

ووبخهم موسى عليه السلام بان هذا هل يكون سحراً والسحر لايكون سببا للفلاح وهذا سبب الفلاح لظهوره بعد ذلك ، وابتلاعه ماسحروا بها السحرة ، وأبطـل سحرهم ، ومايكون مبطلا للسحر كيف يكون سحراً .

وقالوا فى جوابه : أجئتنا لتردنا عن دين آبائنا ، وان يحصل لكما السلطنة في ارض مصر ولانؤمن بكم .

ولما ان الكل انباء من الامور الحادثة وتكون مطابقة فلا خلاف للعقل فيها والله الهادى .

قوله تعالى: **وقال فرعون ائتونى بكلساحرعليم(٧٩) فلما جاءالسحرة قال لهم موسى القوا ماانتم ملقون(٨٠) فلما القوا قال موسى ماجئتم به السحر انالله سيبطله انالله لايصلح عملالمفسدين(٨١) ويحقالله الحق بكلماته ولوكره المجرمون (٨٢) فماآمن لموسى الا ذرية من قومه على**

خوف من فرعون وملائهم ان يفتنهم وان فرعون لعال في الارض وانه لمن المسرفين (٨٣) وقال موسى ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين (٨٤) فقالوا على الله توكلنا ربنا لاتجعلنا فتنة للقوم الظالمين (٨٥) ونجنا برحمتك من القوم الكافرين (٨٦) واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلوة وبشر المؤمنين (٨٧) وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملائه زينة واموالا في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلايؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم (٨٨) .

ومن عجائب القرآن ـ لكونه حقيقة واحدة ذات مراتب كثيرة ونازلا لاهتداء الانسان الذى له المراتب الكثيرة ـ ان بعض آياته فى نهاية الاجمال ، والاشتمال على المعانى العالية التى لايدركها العقول ، والمقدار الذى تدركها بمثابة لو شرح يبلغ شرح كل آية مقدار كتاب كبير الحجم .

كقوله تعالى : انا لله وانا اليه راجعون)(١) وشرح الملكية الغير المقولية التى لاتنفك عن المالك في الوجود الخارجي ، والذهنى ، ولاتقبل النقل والانتقال ولاتبقى معها انانيـة للمملوك ، وان الانانيات تكون عارضية ، وكل عرضى يزول والفناء الذاتى تبقى ، فالرجوع اليه يصل الى ماذكرنا .

وكقوله تعالى : (مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم الخ)(٢) .

وشرح ذلك ايضا ، بان الوجود المطلق الذى هو مع كل شيء هو ، فمع الملك ملك ، ومع السماء سماء ، ومع الارض ارض ، ومع كل انسان هو ذلك الفرد بعينه ، هو فعل الحق ، وهو الوجود المنبسط ، وكلمة (كن) النورانية والفيض المقدس

---

(١) البقرة ـ ١٥٦

(٢) المجادلة ـ ٧

والوجود الحق هو ذاته وهو صرف الوجود ، وبحته ومحضه ، ولا يطرء عليه الحد ، فمع كل شيء نحو القيوم للقائم به ، فخارج ، ولكن مع الكل، فليس عينا ، ولاخارجا زائلا ، بل هوالاصل ، والباقي شئونه ، وعكوسه ورشحاته، وذلك ايضا يفتقر الى بسط ، يبلغ حقيقة أمره الى ماذكرنا .

وكقوله تعالى : (الا انه بكل شيء محيط)(١) من الجسمانيات ، ظاهرها وباطنها، والقوى ظاهرها وباطنها، وكل العوالم ظاهرها وباطنها ، والخيال والعقل.

وشرح ذلك بان كل معلول في العلة على النحو البسيط العالي، بحيث تكون كلها كما لايحتاج بسطه، ونحوماذكر من الايات كثيرة ، وبلحاظ هذه المرتبة يقال: انما يعرف القرآن من خوطب به(٢) اووالله ماورثك منه شيئا(٣) وبعض الايات في نهاية التفصيل ، بل التكرار، في بعض المشتركات ، ولكنه مع ذكرها مكررة غاية التكرار ، لايكون من حيث اللفظ مكرراً ، بل في كل مقام بعبارة غير ساير المقامات ، بحيث يكشف من قوة البيان في اداء المطلب الواحد ، بهذا المقدار من البيان ، بحيث لايشبه كل واحد للاخر، ولايكون عين المطلب ايضا مكرراً، بل كل ناظر الى جهة من القضية .

فلو كان مراد هذا القائل كبارة حجم كتابه لشرح وفصّل ماجمل ، ويصير الحجم على مقدار ماشاء الله ، ولو كان مراده ان لايفهم من كتابه شيئا لما اوضح بهذا المقدار من التكرار ، فليس ذلك الا ان نظرد مع كل المراتب ، فان كتابه جامع بين تمام المراتب ، والغرض اخذ كل مرتبة من هذا الكتاب بمقدار انائه وظرف استعداده ، وكثيرمن الناس حظهم درك التفاصيل، وزيادة التوضيح ومشاهدة اقسام الفصاحة .

---

(١) فصلت ـ ٥٤

(٢) الوسائل باب١٣ حديث٢٥ من ابواب صفات القاضي من كتاب القضاء .

(٣) الوسائل باب ٦ حديث ٢٦ من ابواب صفات القاضي .

وعلى اى حال فمن مكررات ما فى القرآن يستفاد اعتنائه فى الهداية لكل احد ، وان فيضه عام ولا يكون المنزل عليه نبيا على بنى اسرائيل فقط ، او حافظ اغنام اسرائيل ، بل (و ما ارسلناك الا كافة للناس) (١) بل (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) (٢) اى اشخاص كل عالم من العوالم .

وعلى اى حال امر فرعون باتيان كل ساحر كثير العلم فى السحر ، فجائت السحرة ، وبعد بياناتهم مع فرعون ، ومع موسى عليه السلام كما مرّ سابقاً فى غير هذه الايات، قال لهم موسى: (القوا ما انتم ملقون) .

فبعدالقائهم (قال لهم موسى ما جئتم به) وهو (السحر) ويبطله الله (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) اى لو لم يوضح الله بطلان ما أتيتم به فى مقابل ما اتى به لما تمت الحجة على الناس ، والغرض من بعثى اتمام الحجة على الناس ، ونقض الغرض من الله محال ، فيلزم عليه ابطال صورة سحركم ، وتمويهكم حتى يلتفت الناس الى عدم واقعيته .

واثبات ما هو الحق، وهو الذى آتى به، لان كلمات الله المعربة عن الكمالات الالهية ، لابد من غلبتها فى ظرف العلم والادراك فى صورة عدم التقصير، لئلا يكون للناس على الله حجة ، وهذا الامر يتحقق ولو كره المجرمون .

وبعد غلبة حجة موسى عليه السلام كما ذكر فى الايات السابقة غير تلك الايات، ما آمن لموسى من قوم فرعون الا الصغار، اى الباقون على الفطرة الاصلية، اوالمراد اولاد اولاد الطبقة الاولى ، والمطلب واحد تقريباً ، و آمنوا على خوف من فرعون وملائه من آبائهم ، وان يفتنهم ولا يذرهم ان يعملوا على طبق ما يأمر به موسى عليه السلام وهو مسرف وعال .

وامر موسى قومه بالتوكل على فرض خلوصهم، وتسليمهم لامر الله، فقالوا

---

(١) سبأ - ٢٨
(٢) الانبياء - ١٠٧

توكلنا ولاتجعلنايا رب فتنة لانتفاع الظالمين، وخلصنا من ايديهم برحمتك .

واوحينا الى موسى وهارون، بجعل محل العبادة لبني اسرائيل حتى يصلون وان يجعلوا لبيوتهم محل الصلوة خوفاً من فرعون وقومه وحينئذ فالمراد بالقبلة محل يتوجه فيه الى الله ، وان يصلوا وان يبشّر موسى عليه السلام المؤمنين .

ولما رأى موسى عليه السلام بعد المطالب التى فى ساير السور من بقاء فرعون واتباعه على الكفر والظلم ، قال : يارب هذه النعماء موجبة لبقاءهم على الاضلال ، فاسلب نعمائك واشدد على قلوبهم ، ولعل ذلك انهم بمجرد ظهور آثار البلاء كانوا يتوبون فيرتفع منهم وينقضون توبتهم .

ولما كان موسى قد علم عدم بقائهم على التوبة استدعى ان يقسو قلبهم، ولا يتوبون توبة ظاهرية ايضاً ، حتى يشاهدوا العذاب ، فلا تقبل توبتهم ويرد امر الله، والا لما كان شأن موسى عليه السلام ان يستدعي ما استدعى .

وهذه الايات لكونها حكايات، لاتكون خلاف عقل فيها، والله الهادى .

قوله تعالى : **قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لايعلمون (٨٩) وجاوزنابني اسرائيل البحرفاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين (٩٠) آلان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين (٩١) فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون (٩٢) ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جائهم العلم ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوافيه يختلفون (٩٣) فان كنت فى شك مما انزلنااليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جائك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين (٩٤) ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون**

من الخاسرين (٩٥) ان الـذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون (٩٦) ولو جائتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم (٩٧) .

فاجاب الله دعوتهمااى موسى عليه السلام وهارون و مسخ اموالهم بالحجارة، وشد على قلوبهم ، وامرهما الله بالاستقامة فـي امرهما من الارشاد ، ونهيهما عن متابعة سبيل من لايعلم، ولعله فيه ايماء بعدم الحسن فى دعوة تعجيل القضاء .

وجاوزت بنو اسرائيل البحر (فاتبعهم فرعون وجنوده) للبغي عليهم واظهار العداوة ، فلما ادركه الغرق ، ووصل اليه حلول القضاء قال : (آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين) .

فاظهر الايمان ، ورفع اللبس بتعيين انـه معبود بنى اسرائيل ، وكرّر امر ايمانه بكونه من المسلمين ،كل ذلك للحرص على البقاء فى الدنيا ورفع البلاء ، فكرر حتى يقبل الله توبته وينجيه من هذا العذاب ، وهو الغرق .

فنودى (آلان وقـد عصيت قبل وكنتمـن المفسدين) فالاستفهام تقريرى توبيخى ، اى تظهرايمانكفى وقت لاينفع ، اذ مع مشاهدة العذاب يكون المحرك للاظهار هو الخوف ، لانورانية النفس ، بل قد يصير الامر فى الخفاء بحيث يشتبه على المظهر، ويعتقدانه رجع حقيقة ، ولكنه ليس كذلك حقيقة ، بل يكون بحيث اذا زال الخوف ، ورفع البلاء يرجع الى ماكان فيه .

وروى على مـا قيل : ان جبرئيل عليه السلام دسّ فى فمه مـن حمأة البحر حتى لايكرر ازيد فيناله الرحمة .

ولعله ليس فى محله (١) اذ هو معلم العلوم ، و يعلم عدم رجوعه الحقيقى ،

---

(١) نقول : حيث ان المفسر قدس‌الله نفسه قدكرر فى هذا السفرالقيم انه لم يكن عند تأليفه هذاكتاب ، لامن الخاصة ولا من العامة الا تفسيرالجلالين فى بعض الاحيان قد استشكل رحمه‌الله مضمون ما نقل عن جبرئيل عليه السلام بملاحظة عدم عثوره رحمه الله على ذيل الحديث ونحن ننقل متن الحديث بتمامه كي يـرتفع الاشكال

ولو كان علم بالرجوع الحقيقى ، لما يمنع من شمول رحمة الله ، كيف وهو من العباد الذين (لايسبقون الله بالقول وبامره يعملون) .

(فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية) اى نخلصك ونخرجك من البحر ، ولكن بدنك فقط لامع الروح ، فالباء داخل فيما هوبدل من المفعول بدل البعض من الكل ، اذالبدل بعض المراتب(١)، اوالبدل الخارجى، اى نخلص بدنك من ورطة الغرق ، فكما كان خوفك لاجل المرتبة الدنيوية لاالاخروية ، فالخلاص يشمل لها .

المذكور :

روى فى مجمع البيان فى ذيل هذه الاية ، عن على بن ابراهيم بن هاشم باسناده عن الصادق عليه السلام قال : ما اتى جبرئيل رسول الله صلى الله عليه وآله الا كئيباً حزيناً ولم يزل كذلك منذ اهلك الله فرعون ، فلماامر الله سبحانه بنزول هذه الاية نزل وهوضاحك مستبشر .

فقال له : حبيبى جبرئيل ما أتيتنى الا وبيّنت الحزن فى وجهك حتى الساعة قال : نعم يا محمد، لما غرق والله فرعون ، قال : آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل ، فأخذت حمأة فوضعتها فى فيه ، ثم قلت له : آلان وقد عصيت قبل و كنت من المفسدين ثم خفت ان تلحقه الرحمة من عندالله فيعذبنى على ما فعلت ، فلما كان الان ، و أمرنى أن أودّى اليك ما قلته انا لفرعون أمنت وعلمت ان ذلك كان لله رضا .

فان قول جبرئيل : ثم خفت الخ ظاهر فى ان خوفه كان لاجل ان يقبل الله توبة فرعون بنفس هذا الكلام ، ولما صار مأموراً بنقل هذا الكلام بعينه للنبى صلى الله عليه وآله اطمأن بان كلامه ذلك كان فى محله ، و هذا لااشكال فيه ولاينافى مقام معلّمية جبرئيل ، فان الانبياء عليهم السلام ايضاً قديخافون من صدور بعض الكلمات منهم فى الرب جل جلاله ، والمقام لايسعه التفصيل والله العالم .

(١) اى بدل البعض بعض مراتب المبدل

وهو البدن الخالى عن الروح الذى من عالم الاخرة ، وهذا التخليص ايضاً لامر عقلائي ، وهـو جعلك محل العبرة لمن يبقى ، حتى يعلموا حال مـن ادعى الربوبية ووصل الى تلك الدرجة من الذل، ولايـدّعون غيبتك ، وصعودك الى السماء وامثال ذلك .

وروى ان بعض بنى اسرائيل شكّوا فى موته ، فاخرجه البحر حتى يروه (١) فالمفسد الى حين حلول العذاب لاينفعه الندم لما سبق ، وهذا المطلب مـن آيات الله وكثير من الناس غافلون عنه .

ثم اظهر الله نعمته على بنى اسرائيل بتسلطهم على الشام والمصر من قبل الله تصديقاً لما وعده بابراهيم عليه السلام وان اختلافهم فى امر الدين بعد اتمام الحجة عليهم ويحكم بينهم يوم القيامة فيما اختلفوا حيث بدلوا الشكر بالكفران .

(فان كنت فى شك الخ) اعلم ان القضية الشرطية مسوقـة لبيان الملازمة لالثبوت المقدم ، فقولنا ان كانت الشمس طالعة فالنهارموجود، معناه تحقق التلازم بينهما، ولايدل على ان حين التكلم يكون الشمس طالعاً، ففى المقام،لادلالةفى هذه الاية على ثبوت الشك للنبى صلى الله عليه وآله بل انباء عن الملازمة بين زوال الشك، والسؤال عن اهل الكتاب ، حيث ان الامر بمثابة من الوضوح الذى لا يمكن لهم كتمانه ، وينبؤنه على طبق الواقع ، وهذا من الواضحات، وروى انه صلى الله عليه وآله قال لاشك لى ولا اسئل والنهى عن الشىء ايضاً ، لا يـدل على صدور المنهى عنه ، فاذا قيل لا تزن ليس معناه انك زنيت سابقاً، ولاتفعله فى البعد، فالنهى عن المرية ايضاً كذلك.

وكذا فى التكذيب ، ان الذين وجبت عليهم كلمة العذاب لايؤمنون ، ولو شاهدوا تمام الايات، للختم الالهى والغشاوة كما سبق.

---

(١) فى تفسير البرهان : وقال ايضاً (على بن ابراهيم) فى قوله تعالى: فاليوم ننجيك ببدنك ، فان موسى اخبر بنى اسرائيل ان الله قد اغرق فرعون فلم يصدقوه فامر الله البحر فلفظ به على ساحل البحر حتى رأوه ميتاً .

و لكون الايات المذكورة اما حكايات ، واما اموراً عقلية، فلا مخالفة للعقل فيها، والله الهادى.

قوله تعالى: **فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الاقوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين ٩٨ ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعاً افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين (٩٩) وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله و يجعل الرجس على الذين لايعقلون(١٠٠)**

قل انظروا ما ذا فى السموات والارض وما تغنى الايات والنذر عن قوم لايؤمنون(١٠١)فهل ينتظرون الامثل ايام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين (١٠٢) ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا كذلك حقاً علينا ننجى المؤمنين(١٠٣)

قل يا ايها الناس ان كنتم فى شك من دينى فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم وامرت ان اكون من المؤمنين(١٠٤) وان اقم وجهك للدين حنيفا ولاتكونن من المشركين (١٠٥) ولاتدع من دون الله ما لاينفعك ولايضرك فان فعلت فانك اذاً من الظالمين(١٠٦)وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلاراد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم (١٠٧)

قل ياايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل (١٠٨) واتبع ما مايوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين (١٠٩)

و(لولا) تكون للتحريص والترغيب على المدخول اذا دخل فى الاستقبال او ما بمعناه، وهنا كذلك يكون المراد تحريص اهل مكة و من شابههم بالايمان قبل حلول العذاب، اى هلا تكون اهل القرية يؤمنون فى موقع ينفعهم ايمانهم ، اى قبل

حلول العذاب، ولو ابقيناها على الظاهر من الدخول على الماضى فيكون للتوبيخ .

وان اهل القرى لم يؤمنوا فى مقام كان ايمانهم نافعالهم يكون لاجل تأثير ذلك التوبيخ في الموجودين حتى يتعظوا ، والا فلا فائدة فى لوم من مات بالعذاب ولايكون باقياً حتى يستمع اللوم، وعلى التقديرين فالغرض نصيحة الموجودين،وان من يؤمن فليؤمن، حيث ينفعه ايمانه(الاقوم يونس) اى لكن قوم يونس (لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى).

وبلحاظ لفظ الكشف،يترائى ان امرهم مخصوص لهم، وان ايمانهم قدنفعهم بعد حلول العذاب، ولكن لما يكون فيض الله عاما، والترجيح من غير مرجح باطلا فالمراد ان نفس العذاب، لم يشاهد، بل الشروع فى المقدمات شوهد(وبعبارةاخرى) كان داعيهم للايمان نورانية النفس ، وندامتها الحقيقية ، ولم يكن الداعى الخوف محضاً، حتى يرجعوا من ندامتهم بمجرد رفع البلاء، ولذلك بقوا على ايمانهم بعد زوال العذاب فقد دفع منهم العذاب، وبقوا الى اجلهم.

ولوعلم الله بصلاح ايمان كل من فى الارض على نحو الاطلاق، لآمن كل من فى الارض ، الا انه علم بصلاح الايمان الاختيارى المسبوق بالعلم و الارادة حتى يكون مع الحب ولى من يؤمن به وشائقا للوصول اليه، فلايؤمن الامن كان كذلك و محض العلم الذى يجتمع مع النقيض لا يكون ايمانا (افانت تكره النـاس حتى يؤمنوا كرها، مع انه لاصلاح، فيه اى لاتفعل ذلك ، فانه لااكراه فى الدين.

ولما ان تمام الممكنات تنتهى امرها الى الواجب، ومن جملتها الايمان،فايمان كل نفس يكون باذن الله فى تأثير العلة الوسيطة فى تحقق الايمان ، وهذا الاذن انما يكون فى مورد حصول الاستعداد، بان يرى شوق من يؤمن الى الايمان ، كما ان وصول الرجس و هو الكفر على غير المتعقلين للشوق الى الله المنكرين لحصـول الحب اليه ، وقد اثبتنا فى مسئلة الجبروالتفويض ما يغنينا من التكلم هنا.

وقل للكفار انظروا الى الايات الافاقية، وقدمضى الدليل على دلالة كل متحرك على الله المحرك الغير المتحرك ، ولكن الحجج العقلية والحسية والانذار لا تفيد

لمن غلبه الهوى، والغضب، والشيطنة، ولاحلها لايؤمنون.

وهل ينتظرون العذاب؟ قل فانتظروا وانا ايضامن المنتظرين، فعذبهم الله بالسيف والذل مضافاً الى عذاب الاخرة، وبعد الانتظار ، ومضي مقدار من الزمان ، ننجي الرسل والمؤمنين، اى شأننا ذلك، والزمان غير مأخوذ وغير ملحوظ في فعل الله، لاحاطته بالزمان وفوقه، والنجاة (اما) في الدنياوالاخرة مثل نجاة نبيناﷺ وموسى وابراهيم ونوح عليهم السلام مع المؤمنين ، بل وعيسى عليه السلام اوفي خصوص الاخرة .

وقل ان كنتم شاكين في طريقتي وديني، فاعلموا اني لاعبد اصنامكم ، وما تدعون من دون الله ، واعبدالله الواجد لكل كمال ، وهو الواحد المتوحد ، كما ان البراهين دالة عليه، واعبد من يقبضكم جميعاً، ويتوفاكم وينقلكم من الملك الى الملكوت الايسر وآمن به.

وامرني (ان اقم وجهك) فقال لي: استقم على الدين الحنيف المايل عن الاديان الباطلة، ولاتشرك، ولاتدع مالانفع فيه ولاضر كالاصنام، فان فعلت فانت من الظالمين وقد مضى التحقيق في الشرطية .

فالله هوالذي اذا ما ابتلاك بالضرر، فلا يكشفه الاهو ، لان الكل فقراء ، وما لايوجد شيئاً كيف يعطيه ، وان اراد الوصول الى الخير ، فلا راد لفضله ، لفقرهم وعدم قدرتهم ، حيث ان تمام القدرة من الله ، فليس لاحد ايجاد المانع ، ويصيب الخير الى من يشاء من عباده وهو في نهاية الغفران على العباد والرحيم بهم .

وقل لاهل مكة واشباههم (قد جائكم الحق) اى ما فيه الفائدة العقلائية، او الثابت ، ولابطلان فيه بنحو من الانحاء من قبل الله الذى هو ربّكم ، فمن يقبل الهداية يكون نافعاً لنفسه، ومن لايقبلها ويقبل الضلال فضرره عليه ، ومااناب وكيلكم وملازمكم بحيث اوصلكم ــ سواء اردتم ام لا ــ الى الخير، بل ليس مني الاالابلاغ واتمام الحجة ، وقد اتممت عليكم .

ثم امره باتباع الوحي والصبر على افعال اهل مكة الى وصول حكم الله

و هو خير الحاكمين ، فقد حكم بعد مـا وصل اليه الزمان بوضـع السيف فيهم ، واذاقتحم حرّ الحديد والذل .

والمستفاد من تلك الايات ، النصيحة بالايمان قبل العذاب ، وان كل مارأى
فيه الصلاح وشاء يقع ، وان الاكراه لايكون في الايمـان ، وان
الشواهد على الوحدانية فى تمام العالم ، ولكن قساوة قلب
غير المؤمن تمنعه من الايمان ، ونجاة الرسل والمؤمنين
وان دينه التوحيد ، ونفي الشرك والاستقامة لله ،
وقبح الظلم وان الكاشف هوالله ، وان ضرر
الاعمال ونفعهـا راجع الى الفاعل و
متابعته للوحي وصبره للفرج ،
والكل اما مطابق للعقد اوغير
مخالف كمالايخفى
كتب فى الحلب والفراغ يوم الاربعاء ، وهو
الثامن عشرمن شعبان المعظم ١٣٣٦

نورالدين الحسينى

سورة هود (١١)

وهى مكية

ماة و ثلاث وعشرون آية

كتبها فى اسلامبول

فى قاضى كوى

(١٦) او(١٧) شوال المكرم

مـن سنة ١٣٣٦ القمريـة

الهجرية على هاجرها آلاف

التحية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر (۱) كتاب احكمت آياته ثم فصلت مـن لدن حكيم خبير (۲) ان لاتعبدوا الا الله انني لكم منه نذيروبشير(۳)

اما الحروف المقطعة فقد مضى الكلام فيها ، وانه لابد من اخذها من اخبار آل الرسول ﷺ واني فاقد لتمام الاسباب ، وكيف باخبار آل الرسول .

هذا (كتاب) اى مايتلى بعد ذلك امر ثابت ومستقر ، ولم يكن كلاما محضاً ، ومعربا على المرآتية ، بل مضافا الى الاعراب واظهار الكمالات الغيبية قد وقع منظوراً فيه، فله الاستقلال ايضا ويكون ثابتا ، وذلك قد اتقنت تمام آياته ولايختص اتقانه واستحكامه لفظا من الطرز العجيب ومعنى من البدايع مخصوصا ببعض آياته بل كل آية كل آية يكون الاتقان في مرتبتها الاجمالية من النزول الى عالم القضاء .

ثم في المراتب التفصيلية من النزول الى القدر الكلى ثم على قلب النبى (ص) وهو من القدر ثم على سمعه ﷺ ثم ما يسرى الى سجـّل الكون .

فهذا الكتاب بتمام الايات فى تمام المراتب ، لها الاستحكام التام ، وتمام النزولات فيه من لدن حكيم فى الكليات ، خبير فى المصـاديق والجزئيات ، فالتفاصيل في ذلك الكتاب بلحاظ شهود كل واسطة لذى الواسطة ، لا بلحاظ شهودها لنفسها .

ولاجل ذلك يكون التفصيل هنا كالاجمال في ساير المواضع من الاحتواء على امور كثيرة فوق عقولنا بحيث يصح ان يسلب وراثة فهم ذلك الكتاب عن كل احد الا ما كان من قبل النبي ﷺ ، فانه انما يعرفه من خوطب (١) به فحق الفهم لال الرسول ﷺ ، وهم المعصومون ، وماعندنا يكون من رشحاتهم .

ومضمون ذلك الكتاب ، التوحيد ، ونفي الشرك في العبادة لله ، فهو توحيد فعليّ ، ولازمه التوحيد في الصفة والا يلزم التعطيل في الوصف كما أن لازمه التوحيد في الذات والا يلزم التعطيل في الذات .

وهو المبدء ذاتا وصفة وفعلا ، وان النبي ﷺ لانتفاع الناس من قبل الله يكون نذيرا من العذاب الاخروي وبشيراً الى المثوبات ولازم ذلك ، الامر باخذ ، قانون ، وان المتمسك لابد أن يكون مبشراً ، والمخالف لابد ان يكون معاقبا ، وهذا معنى الواسطة ولازمه وهو الثواب والعقاب ، هو المعاد ، والقرآن ليس الا مبيّنا لهذه المراتب، فتفسير القرآن وشرحه على نحو الاجمال، ماتضمنته الاية الشريفة وعدم مخالفة تلك الاية للعقل يكون واضحا ، والله الهادي .

قوله تعالى : **وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير (٣) الى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير (٥)**

ومن مضمون ذلك الكتاب ، لزوم طلب المغفرة بعد العقايد المذكورة من الله الذي هو ربكم ، ومفيض عليكم افاضة التربية لجميع مراتبكم ، وماتحتاجون اليه ، والغفران هو ستر النقائص ، واذهابها من البين بآثارها ، وهو اعطاء التوفيق لاتيان الاوامر، وترك النواهي .

ثم بعد الطلب من الله توجهوا اليه بالانابة، وذلك الاستغفار والانابة، يصيران سببين لتمتعكم في الدنيـا بالتمتعـات الدنيوية ، فان شكر المنعم موجب لازدياد

(١) الوسائل باب ١٣ حديث٢٥ من ابواب صفات القاضي من كتاب القضاء

النعمة ، وهذا ينتهى الى الاجل الذى قد وسم وعيّن فى الكتاب المحفوظ .

وبعد ذلك (اى بعد الموت) يؤت الله كل ذى فضل فضله، اذا الاعمال تتحرك لقيامها بالصفات ، وهى تصير ملكة والصفات قائمة بالذات ، فيصير الذات منبع الشرف والفضل ، فقد حصل لمن فعل ذلك الفوز بالنعماء الدنيوية والاخروية ،

وان اعرضتم وتوليتم فيخاف عليكم العذاب فى اليوم الكبير ، وهو يوم القيامة لاجتماع تمام الامور فيه فصورة الافعال والصفات تكون حاضرة و تكون نعمة اوعذابا والرجوع فى ذالك اليوم الى الله ، وقد مضى الكلام فيه مكرراً فلانعيد ، وجزاء كل احد وفعلية ماعمل به بيده، فانه القادر على كل شيء .

والمستفاد من الاية الشريفة، لزوم طلب المغفرة والانابة. لاجل الفوز بالنعمة الدنيوية والاخروية ، والاحتراز عن العذاب الاخروى ، وكون الرجوع الى الله ، فنعمة اللقاء ، ونقمة فوته ، فوق الكل تكونان حاصلتين ، وكل ذلك مما قد دل العقل على طبقها كمامر مرارا ، والله الهادى .

قوله تعالى : **الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم يعلم مايسرون ومايعلنون (٦) انه عليم بذات الصدور (٧) وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين (٨) وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا (٩) ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين (١٠)**

المراد من ثنى الصدور (اما) ما هو الظاهر بانحنائه حتى تصير آلة الرجل مستوراً به من السماء فكأن فاعل ذلك يستر آلته بسبب ذلك من السماء (قيل) ان شأن النزول كان فى حق جماعة من المؤمنين يستحيون حال التخلى من الله وكذا حال الجماع فيثنون صدورهم ، وينعطفونها لاجل تستر العورة .

و(اما) المراد التثنية بحسب الباطن ، بكون باطنهم غير ظاهرهم ، لاتباس

الامر (لماقيل) من كون شأن النزول في حق المنافقين .

وعلى اى حال فلقصورهم كان غرضهم الستر من الله والاستخفاء منه بالصدر ، اوالتغطية بالثياب ، اوالتمويه والله يعلم كل سر وخفى لكونه موجد الكل ، ونسبة الشيء الى العلة اولى كما تقدم ، فتمام الاشياء بوجوداتها حاضرة عند الله ، وهو العليم بحقائق ذوات الصدور ونفس الصدور .

وكيف لايكون كذلك والحال انه مامن دابة في الارض» اى مايدب ويتحرك على وجه الارض (الاعلى الله رزقها) لكونها يوجدها ويبقيها ويفيض عليها في كل آن اذ الممكن في تمام الحالات محتاج فيرزق كل الاعضاء والاجزاء والمراتب في كل آن ، والمخفى عليه كيف يكون مورداً لابقائه وحفظه ورزقه ، ويعلم محل القرار لها . و هو وجود ها على وجه الارض ، وحال كونها وديعة ، وهى وجودها في الاصلاب والارحام (او) المستودع هو الوجود الدنيوى باقسامه ومراتبه والمستقر هوالاخروى لكون الاخرة هي دارالقرار .

وكل تلك المراتب حاضرة عندالكتاب المبين وثابتة فيه ، فاللوح المحفوظ عالم بالكل وهو المخلوق فكيف من الخالق ، والكتاب المبين حاضر عندالله، فكل مافيه حاضر عندالله .

(وهوالذى خلق السموات والارض في ستة ايام) وقد مضى كلامنا فيه فلا نعيد (وكان)(١) اقرب المخلوقات اواقرب المخلوقات الجسمانية من حيث المرتبة والكمال قائماً بالعلم وهو الماء الحقيقي الذى به حيوة كل شيء ، سواء كان المراد العلم الوصفى ، اوالعلم الفعلى اى المخلوقات المجردة من قبيل العقول.

وعلة الخلق الابتلاء، واخراج كل نقص الى الكمال، وكل قوة الى الفعل حتى يخرج العمل الاحسن من الكمون، ويحصل الكمال التام وحيث كان كذلك، فلولا الموت، والانتقال الى الدار الاعلى، لمايترتب الغرض على الخلق اذالوصول

(١) وحاصله ان العرش كناية عن اقرب المخلوقات والماء كناية عن العلم .

الى الكمال من حيث العمل لاجل تلك الدار.

ولكن اذا قيل للكفار (انكم مبعوثون من بعد الموت) يقولون: ان هذا كلام سحرى ممّوه، لاواقع له، وذلك لجهلهم بحقائق الاشياء والخلق.

والمستفاد من تلك الايات جهل بعض الناس فيخفون بعض الامور بزعمهم من الله وانه يكون غلطا لعلمه تعالى بتمام الامور من السرّ و العلن وانه عالم بحقيقة ذوات الصدور ، و ان رزق الكل عليه ، و يعلم المستقر و المستودع والكل ثابت في الكتاب .

وانه خالق السموات والارض ، واستقرار سلطنته على العلم والقدرة ، وقد خلق الجميع في هذه الحالة لتحريك الكل نحو الكمال وامتحان الكون الجامع الذى هو اعلى من الكل ، بل هو المقصود باخراجه بسبب العمل الاحسن من النقص الى الكمال الى ان تصل الى عالم القيامة ، فالمقصد الاصلى البلوغ الى القيامة ،

ولكن من لا تعقّل له كالكفار اذا قلت انكم مبعوثون بعد الموت الدنيوى يقولون ان هذا سحر واضح اى ذلك الكلام مجرد التمويه ولاواقع له .

فالجميع تكون مطابقة للعقل ولايخالفها العقل ، والله الهادى

قوله تعالى : **ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة ليقولن مايحبسه الا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم و حاق بهم ما كانوا به يستهزؤن (١١) و لئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور (١٢) ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور (١٣) الاالذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة واجر كبير (١٤)**

ولئن اخر عذاب الكفار الى اجل معين ، وزمان مشخص ليقولون لاى جهة يحبس العذاب عنهم! (الا) اى نبّههم بان علة التأخير هو الرحمة الواسعة ، اذلاراد له بعد مانزل ونزل العذاب عليهم ولامفر لهم عما يستهزؤن به ويصل اليهم ، فالله يسامح في النزول به حتى يرجعون ولا يبتلون بالنازل الذى لامرد له ،

والانسان الكافر اذا وصل اليه النعمة بعد الضرر ، يظهر ان السيئات ذهبت عنى ، ولا ينسبها الى الله ، ولايقول انالله اذهب عنى وهو فىالفرح والفخر على الاخرين ، مع ان المناسب ازدياد اظهار الذل و العبودية ، و ملاحظة الناس بعين الرضا والتساوى معه

واذا كان الامربالعكس فينسبه الى الله ويكفر بنعمةالله ويظهر اليأس منه مع انالمؤثر لو كان هوالله ، ففى الخيرات تأثيره أشد ، فلابد من الشكر له فى صورة النعمة وعدم الشكر له فىهذهالحالةوالكفرانفىالحالة الاخرى، جمع بينالضدين، بل النقيضين ، بل قد برهن فى محله انالشرور من ناحيتنا لكونها من النقائص ، ففىالحالتين لابدلنا من ان نشكر ، ونستدعى رفع البلاء

و اما الصابرون على المكاره والعاملون للحسنات ، فلدركهم وعملهم على طبق دركهم لهم الغفران ، والرحمة الساترة الالهية ، و الاجر الكبير بازاء تحمله المشاق والاتيان بالصالحات .

و عدم محالفتها للعقل واضحة فلا نحتاج الى الايضاح والله الهادى ، لاجل مامرمنا مرارا من كونه فاعلا لكل خير ورجوع الشرور الى النقائص، والله الهادى

قوله تعالى : **فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنزاوجاء معه ملك انماانت نذيروالله على كل شىء وكيل (١٥) ام يقولون افتريه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين (١٦)**

اىلولا شمول رحمةالله وتكميلك بالعلوم، وعدم الاعتناء بغيرالله وانحصار الاعتناء به ، لكنت فى بعض الاوقات تاركا لما يوحى اليك ، وهو فيما اذا رايت اعراضهم وعـدم اخذهم بأوامرالله ونواهيه (او) الاعتقاد على طبق مايلقى من الله ، فانه ربمايتوهم انالغرض من التبليغ التأثير، ومع عدمالتأثير لافائدة، ولكن بعدالتكميل وعدم اعتنائه بغيرالله يرى ﷺ انللتبليغ على اىحال اثراً اذبه يتمالحجة ، ويقطع

العذر ، ويصل الى فعلية الشقاوة مايستعد للوصول اليها ،

وكذا يضيق صدرك من قولهم السخيف انه لم ينزل معه الكنز اوالملك؟

اما سخافة قولهما فلان الغرض من النبوة التكميل للامر الاخروى لاالتكميل الدنيوى حتى يقال : ان تكميله بالمال ، وكان الله قادراً على انزال الكنز ، فلاجل عدم انزاله يكشف عن عدم كونه من قبل الله ، اذهو لايفوّت الغرض

واما اذا كان المراد التكميل الاخروى ، فلابد من نزول الكنز الاخروى ، وهو العلم ، والمعرفة ، والاخلاق معه ، وهي قد انزلت معه ﷺ باعلى الدرجة ،

و اما الملك فقدمر انه بحقيقته العالية من دون كسوة البدن ، ليس للسافل ان يراه ، فلامعنى لنزوله واما مع الكسوة فهو عليه السلام فوق الملك ، والكاملون معه اعلى من الملك ، فقدانزل الملك معه ،

واما انه لاينبغي ان يضيق صدرك فلعلوّ درجتك من الاعتناء بهم بل منك الافاضة والرحمة حتى لايكـون منك قصور ، ومنك الانـذار لاتمام الحجة ، وتمام الامور موكول اليه تعالى ، وهو وكيل الكل ، اذا لكل قدوكل اليه بالحقيقة وعلى حسب الصلاح يعامل مع الكل

واماان انذارك يكون متم الحجة ، فلظهور كون قرانك من قبل الله ، فكلامك كلام الله ، وانذارك انذاره ومن ينكر ذلك فليمتحن ولينظر فان رأى قدرة الفصحاء على الاتيان بمقدار الكل اوالنصف اوالثلث ، فليحتمل كونه من قبل غيرالله ، وان رأى العجز عن اتيان عشر سور ولو من القصار بحيث بلغت الى ثلثين من الايات في منتهى القصارة ، فلايحتمل حينئذ كون القرآن من قبل غيرالله ، ويعلم انه من قبله فالحجة قدتمت عليه ، فالاثر قدحصل

والتقييد بلفظ (من دون الله) لعله لاجل انهم قالوا ان القرآن من قبل غيرالله ، و يقدر غيرالله ايضا على ان يأتي بمثله ، فيردّهم الله تعالى لوكان كذلك ، فادعوا كل من شئتم غيرالله حتى تعلموا اذغيرالله لايقدر ، فالاتي به ليس الاالله

والمستفاد من هذه الايات مماذكرنا قدظهر كونها على طبق العقل ، والله الهادى

قوله تعالى : **فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الاهو فهل انتم مسلمون (١٧) من كان يريدالحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها و هم فيها لايبخسون (١٨) اولئك الذين ليس لهم فى الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ماكانوا يعملون (١٩)**

الخطاب متوجه الى الكفار المعارضين للقرآن و هم المشركون ، والمعنى انكم اذا اجتمعتم للاتيان بعشر سور ، ودعوتم انصاركم فى ظنكم حتى الاصنام و الشياطين ، ولم تقدروا على الاتيان فاعلموا ان هذا القرآن من قبل الله ، وان الاتى به هي الواسطة بين الله ، وبينكم ، اذ مـن كان كما له بالانفراد فـائقا على كمالات جماعة كثيرة فى غاية الكثرة في الامور التى تكون الجماعة الكثيرة فيها من الماهرين ، وتقبل الاشتراك فى انيؤتى بها ، وكانت لقوة النفس وكمال السر فيها ، الدخل .

فالفائق هى الواسطة لاعلائيته واستعداده لان يأخذ من العالى ويعطى الـى السافل ، وبعد وجوب النبوة (اى تكميل الله للخلائق) ولزوم كون الواسطة هـى البشر كما ذكرناهما مفصلا بكون اللازم على الله ان يجعل ذلك الشخص نبيامفيضا على هذه الجماعـة ، ولا يصدر القبيح منه تعالى ، فلا يترك ، فيكون ذلك الشخص نبياً بحكم العقل ، فيلزم على المتأمل ان يحكم بنبوته ، وان ما اتاه يكون من قبل الله تعالى والعلم الذى اعطاه الله، ويستكشف ايضا توحيد الله ، اذعلى فرض التعدد يقع المثل من قبل اله آخر .

ثم استفهم تقريعا اى مع ذلك البرهان لاينبغى الريب من عاقل ، ولابد ان يطيع ويسلم ، فهل تشتركون مع القوة العاقلة فـى التسليم ، ام تبقون على الاخذ بذيل الشهوية والغضبية ؟

ثم بين الله (لطفا) حال من اعرض عن العاقلة وتمسك بذيل الشهوية والغضبية (بان) من اراد الحيوة الدنيوية و زينتها نعطيهم من الدنيا ، ونترتب الاثار الدنيوية

على اعمالهم الخيرية بحسب العقل كصدقاتهم وصلة ارحامهم الواقعة لغير وجه الله، ولايقع عليهم ضرر اعمالهم ، فلايبخسون ويصلون الى مراداتهم الدنيوية .

الا انهم محرومون من الاخرة لاغراضهم عنها بسبب اعراضهم عن العاقلة، وصورة ذلك الاعراض في الاخرة ، النار الآكلة للاعمال الخيرية الدنيوية، فتنقطع آثار تلك الاعمال ، وتبطل بسبب اكل النار المنبعثة عن اعراضهم ، بارادتهم واختيارهم ، و هذه النار دائمية لكون ذلك الاعراض ملكة راسخة لهم غير زائلة ، فهي كالذاتي لايتخلف .

ومما ذكرنا هنا، وفي السابق من معنى الواسطة، ولزوم النبوة ، وان بالافعال تحصل الملكات ، والراسخة منها صورة النفس ، وان العاقلة تضاد الشهوية والغضبية الممحضتين، يظهر كون الايتين على طبق العقل وعدم مخالفة العقل معهما، والله الهادى .

قوله تعالى : **افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه و من قبله كتاب موسى اماما ورحمة اولئك يؤمنون به و من يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك و لكن اكثر الناس لايؤمنون (٢٠) ومن اظلم ممن افترى على الله كذباً اولئك يعرضون على ربهم و يقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين (٢١)**

ثم استفهم استفهاماً انكارياً ، بان من كان على الوضوح والظهور والبيان ، من قبل الله ، ويؤكده ويتلوه الشاهد من ذلك الشيء بملاحظة وصفه مؤكداً لذاته، ويتلوه الشاهد من القبل وهو كتاب موسى عليه السلام حال كون كتاب موسى اماماً، ومتّبعاً لبنى اسرائيل من انبيائهم وغير انبيائهم، ورحمة من قبل الله، لكونه مكملا للنفوس من القانون الدنيوى والحكمة الاخروية (كمن) (١) ليس كذلك ؟ وقد حذف من

(١) قوله : كمن ليس كذلك ، خبر لقوله : من كان على الوضوح الخ

الكلام اختصاراً لشيوع ذلك ووضوحه وقد جعل الله الحاكم هو العقل .

اى هـل يحكم عقل عاقل بتساويهما او ترجيح الفاقد للكمال ؟ لابل العقل حاكم بترجيح الواجد للكمال .

امـا كون من مع القرآن كذلك ، فلاجل مـا سبق من كون القرآن واجداً لكمالات لايقدرون على الاتيان بمثـل عشر سور قصار منه مع دعـوة انصارهم ، فهو من حيث الذات بيان ، وظاهر ، وواضح كونه حقاً صادراً من الله .

واماتلاوة الشاهد منه فهي الحالة العارضة على النبي ﷺ حين نزول الوحي من الاغماء ، وتغير اللون ، ومجيىء العرق وثقالة بدنه ، فان ذلك العارض والتكلم في حاله بالقرآن او بعده بسببه لابد ان يكون لـه السبب مـن الاتصال بالملك كما نقول (او) الاتصال بالجن والشيطان على قول الخصماء ، وحيث ان نقض الغرض لايصدر من كل ذى ادراك ، والباعث لايبعث على خلاف ميله، والدعوة بالتوحيد، والتوجه الى الله ، والسجود ، والركوع له خلاف مراد الجن المطرود والشيطان، فليس السبب الاالاتصال بالله تعالى والملك النازل وهوالروح الامين ، فتلك الحالة كاشفة عن شهادة الملك بحقية النبى ﷺ وكون القرآن من الله وشهادة التوراة بذكر النبى ﷺ والبشارة به وقد بيـّن فى محله .

واما كون خصماء النبى ﷺ على الخلاف، فلاستحالة كون الحق فى طرفى المقابل ، نعم فى صورة القصور يكون القاصر معذوراً ، فلا يكون مساوياً ، واما مع وضوح الامر بسبب حكم العقل ، فلا قصور ، بل التخالف من التقصير ، ومعه فعدم التسوية يكون واضحاً .

ثم اشار الله الى المؤمنين وخاطب النبى ﷺ بانهم يؤمنون بالقرآن المذكور، ومن يكفر به فلا تحزن ، فان النار موعده، وحذف الجواب وقيام العلة مقامه شايع اى لا تتأسف عليهم من باب رحمتك عليهم ، فان ذواتهم ذوات نارية وقد خلقوا لها ، ولابد من بلوغهم اليها باختيارهم وارادتهم ، فلا تك فى المراء والشك ، ايها

العقل الباهر من عدم تأثيرذلك الامر الواضح في تلك النفوس لعماء تلك النفوس باختيارهم ، والاعمى لايرى النور وان كان نور الشمس .

فلا تتوهم انه كيف يكون بياناً وواضحاً والحال ان الامر خفي على هؤلاء، اذ البيان يكون بروزه لصاحب العين لالفاقدها، فان القرآن هـو الثابت الصادر من الله بالبرهان العقلي (ولكن اكثر الناس) لبطلان استعدادهم النورية وصيرورتهم اعمى باختيارهم (لايؤمنون) .

ولااحد اظلم من المفترى على الله اى ليس كل من اتى بشيء وقال انــه من الله كالقرآن صادقا وقوله حقا ، بل المفترى على الله ايضا موجود وحاله اسؤ من جميع الناس ، ولايكون مثله في الخباثة ، فيعرضون على الله و تشهد الملائكة بادعائهم النبوة كذبا واللعنة الدائمة تشملهم ، وكذا من قال ان الله اتخذ ولداً اوشريكاً ، بل الميزان العقلي مبين للصدق والكذب لامجرد الانتساب ، ومن قال بكفاية الانتساب فداخل في المفترى ، وعليه لعنة الله

وكون الايتين على ما ذكرنا مطابقا للعقل بمثابة من الوضوح ، والله الهادى .

قوله تعالى : **الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالاخرة هم كافرون (٢٢) اولئك لم يكونوا معجزين في الارض وماكان لهم من دون الله من اولياء يضاعف لهم العذاب ماكانوا يستطيعون السمع وماكانوا يبصرون (٢٣) اولئك الذين خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون (٢٤) لاجرم انهم في الاخرة هم الاخسرون (٢٥)**

ومن يمنع الناس عن الطريق الموصل الى الله ويطلبون السبيل على نحو الاعوجاج حتى لا يكون موصلا و كان منحرفا غير واصل ، ويسترون امر الاخرة على الناس ، ويخفونها ، ويلقون التشكيك في ثبوت عالم آخر ، بل ينفون الاخرة بالمغالطات لشدة بغضهم لله وعداوتهم .

لم يظفروا على الله ، ولن يغلبوه ، وليس لهم موجد ومبق ، والاولى بالتصرف

سوی‌الله ، فعداوتهم غیر مؤثرة الافی حقهم یضاعف لهم العذاب بروزاً لذواتهم ، اذصورة بغض الله هوالعذاب وما كانوا یقدرون لاستماع الحق ولا مشاهدة الحق لشدة بغضهم .

اولئك وقعوا فی‌الخسران ، لفوت‌تمام الكمالات عنهم ، وبروز تمام‌النقائص و الشرور فی صقع انفسهم ، وفقدانهم لمحبوبهم وهو سلطنة الاصنام والشیاطین فالمحبوب مفقودلهم‌والمبغوض فی‌نهایةالظهور والسلطنة، فلایكون اخسرحالامنهم

وبعدثبوت المبدء العلیم القادر المختار وتوحیده مطابقة الایات المذكورة للعقل فی‌نهایة الوضوح والظهور والله الهادی .

قوله تعالی : **ان‌الذین آمنواوعملوا الصالحات واخبتوا الی‌ربهم‌اولئك اصحاب الجنة هم‌فیها خالدون (٢٦) مثل الفریقین كالاعمی والاصم والبصیر والسمیع هل یستویان مثلا افلا تذكرون (٢٧) ولقد ارسلنا نوحاً الی قومه انی لكم نذیر مبین (٢٨) ان لاتعبدو الاالله انی‌اخاف علیكم عذاب یوم الیم (٢٩) فقال الملاء الذین كفروا من‌قومه مانریك الابشرا مثلنا ومانریك اتبعك الاالذین هم اراذلنا بادی الرأی ومانری لكم‌علینا من‌فضل بل‌نظنكم كاذبین (٣٠)**

وامامن آمن بتوجهه الی‌الله واشراق‌نورالایمان علی ذاته وحقیقته وصیرورة حقیقة ذاته العلم النورانی الساری نورانیة ذاته الی افعاله ، فیصدر منه الاعمال الصالحة لكون كل فاعل یفعل علی‌شاكلته ، وسكنوا واطمأنوا ، ورجعوا الی الله فان النور یطلب النور (١) وصاحب الكمال والجمال یطلبهما ولا كمال ، ولاجمال فوق كمال الله و جماله ، فلا شیء احب للمؤمن من التوجه الی‌الله (وجوه یومئذ

(١) والیه‌اشار المولوی المعنوی بقوله :

نوریـان مر نوریان را طـالبند ناریـان مـر ناریان را جاذبند
ذره ذره‌كاندرین ارض وسماست جنس خودراهمچو كاه و كهرباست

ناضرة الى ربها ناظرة) فالنظر الى الله موجب لنضرة وجوههم فهم من اصحاب الجنة و خالدون فيها لعـدم تخلف مابالذات وحقيقة هؤلاء حقيقة الجنة من العقايد والملكات والافعال كمامر مرارا ، و الاتيان بكلمة التحقيق هنادون الطائفة الاولى لسبق الرحمة على الغضب

و مثل الطائفتين بالنسبة الى الاخر كنسبة الاعمى الى البصير والاصم الى السميع ، فان الاعمى لا يدرك الالوان و الاضواء و الاوضاع والحركات الغريبة بالدرك الحضورى ، بل لاينتقل الى الاولين باخبار الاخرين ايضا ، فكذلك المشرك المنكر للالوهية ، حيث لايدرك نورانية محض الوجود وصرفه ، ولاينتقل الا الى الظلمات ولعدم مطابقة مدركاتها للواقع لامدرك وجودى لها ، فما اعتقده معدوم، وماهو موجود لايدركه ، وكذلك الامر فى جانب السمع .

و التمثيل بهما لاعلائيتها من ساير القوى ، لضيق مدركات سايرالقوى من الشم والذوق واللمس لكون مدركاتها الامور القريبة دون البعيدة بخلافهما ولكون السمع على الحق محقق الانسانية ، اذلولاه لم يكن فرق بين الانسان والحيوان ، اذلايتلقى من الغير الامور العقلية و المعارف ، فهو أعلى من البصر ايضا وان وقع الكلام في الترجيح بينهما مفصلا ، و ليس هنا مقام ذكره ، الا ان الاقوى بنظرى كما ذكرت ترجيح السمع ، واما البصر فله ايضاً دخل فى تكميل الانسانية بمشاهدة الآيات الخارجية ، وهى الافاقية .

وعلى اى حال ، فواجدهما لايقاس بالفاقد لهما عند العقل، فعلى سبيل الانكار ذكر الله تعالى (هل يستويان) ثم استفهم تقريعاً اولان يؤخذ به فيكون تقريريا بقوله تعالى (افلاتذكرون).

ثم بين الله تعالى ارسال النوح وانذاره ودعوته بالتوحيد وانحصار المعبود فى الله وبالمعادوهو يوم القيامة التى فيها العذاب الاليم ، وعدم قبول قومه ، وجوابهم بانه لم يتبعك الا الاراذل ، وعدم تفضيلهم ، بل مظنونية كذبهم .

وكون الايات السابقة على الحكاية بعد بياننا موافقا مع العقل من الواضحات

والحكاية لاتخالف العقل والله الهادى .

قوله تعالى : **قال ياقوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وانتم لها كارهون(٣١)ويا قوم لااسئلكم عليه مالاان اجرى الاعلى الله وما انا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم ولكنى اريكم قوما تجهلون (٣٢) وياقوم من ينصرنى من الله ان طردتهم افلاتذكرون (٣٣) ولا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم انى ملك ولا اقول للذين تزدرى اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله اعلم بما فى انفسهم انى اذا لمن الظالمين (٣٤)**

ولما قال قومه : ان من يتبعك يكون من اراذل الناس ، و قد تبعوك بحسب ابتداء رأيهم من غير ترددوتفكر ، فلوتفكروا لكانوا مثلنا ، ولافضل فيكم تستحقون به المتبوعية ، والمتبوع لابد ان يكون افضل قال (ع) فى جوابهم : (اترون) فى صورة كونى على البينة والظهور، وكونى نبيا من قبل الله بايتائه رحمة منه وحصول النعمية لكم بعدم متابعة عقولكم و غوركم فى الشهوات ، و الأمرى غير مخفى بنظر العاقل الذى لم يخف الامر عليه لتسويلاته ، وان نلزمكم بالاخذ بالبينة مع كراهتكم للبينة ؟

وهو غيرصحيح ، اذلااكراه فى الدين والعقائد ولايعقل، فالاستفهام انكارى والمراد ان الزامنا لكم برفع اليد عن العقائد الحاصلة من التسويلات ، ليس من الامور الصحيحه فليس علينا الا البيان واتمام الحجة و يلزم عليكم بحكم عقلكم التفكر حتى يتضح الامر لكم ، وحيث أن التوحيد ، ولزوم الواسطة من الامور العقلية ودعوته عليه السلام كان للتوحيد ، فادبار القوم ليس الاتقصيراً منهم، فالحجة قدتمت عليهم ، والاكراه ايضا غيرمعقول فتم الامر من قبله .

ثم بين ان الدعوة اذاكانت على طبق العقل ولم تقترن بالشهوات ، فالداعى لايكون الا على الحق ، وامرى كذلك اذ ادعوكم الى التوحيد الذى دلت البراهين

العقلية عليه، وليست مقترنة بالشهوات ، فانها (اما) لاجل ان الداعي يطلب المال ـ اجر الرسالة ـ ولااطلب منكم المال، ولاتعطوني أبداً ، وهذااعطاء العهد مني فان اجرى على الله ، اذ النعماء الدنيوية يعطيها لكل احد ، وانا من الاحاد ، والاخروية مترتبة على الاخلاص له وهويعلم باخلاصي (واما) للرياسة بان يدعو الانسان من يشاء ويطرد من يشاء .

واما اذا لم يكن على حسب المشيئة بل كان في البين قانون يلزم الاخذ به ، ومن اخذ به يثاب، ومن تخلف عنه يعاقب ، فلامعنى للرياسة، اذ يلقى من الرياسة ان عمل على خلاف القانون .

ولايكون طريقي غيرالمشي على طبق القانون فلارياسة ، ولذا لم اطارد من اظهرالتوحيد وآمن حتى ترضون وقانوني قبول قول كل من اظهر الايمان ، رذيلا كان من حيث الصناعة كالحياكة ونحوها ، اولا فباعثي لايكون حينئذ الرياسة والمؤمنون يلاقون الله ، فعدم متابعتكم لي ليس من جهة الامورالعقلائية ، بل لاجل جهالتكم ، اذ المقتضي للصدق موجود وهوالتطابق مع العقل والمانع منه مفقود، اذ ليس في الدعوة الكذائية طلب مال اورياسة ـ اي على طبق الشهوة اوالغضب ـ فالعلة التامة للاخذ موجود ، لمن لم يغلبه الهوى وغير الآخذ لايكون الا جاهلا عقلانيا .

ثم شدد الامربأن ماجئت به حاكم عليّ وعلى غيري بالسوية ، ولست خارجاً ومستثنى من ذلك القانون، ولذا لاناصرلي ان طردت اهل الايمان ، والله يؤاخذني فان ادعائي كون ذلك من قبل الله لامن قبلي ، فكيف اقول انه باختياري ؟ فحالي وحال غيري في الاندراج تحت ذلك القانون على السواء (افلاتتفكرون) حيث تستدعون مني طردهم .

بل لاافاخرعليكم بكمالاتي ومرجحاتي ، وهذا ايضا عهد مني عندكم بان لاافاخر عليكم حتى تشم داعية الرياسة النفسانية ، فلا اقول لكم عندي خزائن الله) ولو كانت ، (ولا) اني اعلم الغيب ولو كنت عالما به (ولا) اني ملك ولو كنت ملكا

واعلى منه (ولا) اقول لمن يكون حقيراً عندكم انهم لاشأن لهم عندالله ولاخير عندهم والله اعلم بانفسهم ، ولوقلت ذلك لكنت خارجاً من القانون ومتعدياً .

وقد سبق منا التحقيق فى مثل تلك الاية ، وقلنا انها غير نافية لعلم الغيب وساير الكمالات للنبى ﷺ وعلى بياننا قد ظهر فى اعلى درجة الظهور كون الايات المذكورة على طبق العقل كمالايخفى، والله الهادى .

قوله تعالى : **قالوا يانوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فأتنا بماتعدنا ان كنت من الصادقين (٣٥) قال انما يأتيكم بهالله ان شاء وماانتم بمعجزين (٣٦) ولاينفعكم نصحى ان اردت انانصحلكم ان كان الله يريدان يغويكم هوربكم واليه ترجعون(٣٧) ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلى اجرامى وانا برىء مما تجرمون (٣٨)**

المجادلة هى الاخذ بالمسلميات عند الخصم ،والزامه بها فكأنهم بعدوضوح الامرمن حيث الدليل عليهم سمّه من باب اللجاج بالمجادلة ـ اى مغلوبيتنا بالدليل لايلازم كون الحق معك كالمجادليات ـ

وعلى اى حال قالوا قد اتيت بالمجادلة واكثرت فيها ، وان كنت صادقاً فأت بماوعدتنا ، وهوالعذاب الاليم الذى اوعدتنا به ، فكأنهم قد اعترفوا بعدمفائدة لاقامة البراهين العقلية عليهم ، والمعجزات انما تدل على المطلب بضميمة كون اجرائها على يد الكاذب قبيحة ، وهولايصدرمن الله لكون الفعل على شاكلةالفاعل ومن ادبر عن البراهين لافائدة لاقامة المعجزات عليه .

فكانهمعارضوا مع نوح عليه السلام بالمجادلة فىمقابلمجادلاته بحسب ظنهم بانك قداوعدتنا بالعذاب على فرض صدقك ومخالفتنا وقدخالفناك فأت به ، والافلاتكون من الصادقين ، وتغلب حجتنا عليك .

فقال عليه السلام ان ايعادى كان من قبل الغير،وماقلتلكم انياعذبكم ، بل المعذب هوالله فعلى فرض صلاح تعذيبكم فى الدنيا يعجل عذابكم فيها ، والا فيؤخر الى

وقته ، ولستم بمعجزين له ، اذ هوالقادر المطلق ، ولايفوته عذابكم في اى وقت أراد ، و لستم بمعجزين لى ، لكونى منصوبا من قبله ، ولاتغلب حجتكم عليّ اذا وعدتكم بالعذاب ، وماعيّنت وقته، بل اظهرت الخوف وهويجتمع مع الاحتمال القوى ايضا .

وعلى اى حال فلو انسدّ ملكوت قلبكم باختياركم الناشئة من ارادة اغواء الله ، مناسبا لذواتكم فلاينفعكم نصحى والله اولى بكم منى، اذ هو ربكم ومبدءكم وهوالمعاد ، واليه رجوعكم ، وعلى أيّ حال قد اقمت الحجة عليكم ، وحجتكم غيرصحيحة كماذكر، ودفع الضرر المظنون ايضا لازم بحكم العقل ، مضافا الى أن أدلة التوحيد ووجوب النبى ونصب القانون ، من الادلة القطعية العقلية .

وبعد بيان قصة نوح ، لاجل التشابه مع حال النبى ، فى اقامة البراهين العقلية ومعارضة المشركين قال الله تعالى (ام يقولون افتريه) اى بل يقولون مع وضوح امر القرآن، بتلك المثابة التى قد سبقت أنه افتراء على الله ، فقل فى الجواب بعد ايضاح الامر وعدم التسليم : ان عليّ مايصدر منى من الجرم ان كنت كاذبا ولكن جرمكم فى قولكم : ان القرآن افتراء مع وضوح امره ، حيث لاتقدرون على الاتيان بعشر سور قصار مثله عليكم ، وليس جرمكم عليّ ، وحيث ان العقل هوالمميز بين كونه افتراء اوصدقا ، وتبيينه لكونه صدقا ، فالجرم عليكم لاعليّ والله الهادى.

وكون مافى الحكاية غيرمخالف للعقل ، وغيره موافقا للعقل ومن أدلته كما بينا مما لاريب فيه من له الدراية ، وهوالكافى الهادى .

قوله تعالى : **واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الامن قدآمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون(٣٩) واصنع الفلك باعيننا ووحينا ولاتخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون (٤٠)ويصنع الفلك وكلما مرعليه ملاءمن قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون (٤١) فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم(٣٢)**

واوحىالله الى نوح عليه السلام واظهرعليه حال غيرالمؤمنين منقومه ، بانحقيقتهم وذاتهم الكفر، ولايتخلف فلا تبتئس من افعالهم، ولا تتأسف على عدمحصول الكمال لهم ، لابطالهم استعدادهم للايمان باختيارهم ، فمشيهم بعد ذلك بالاثار الكفرية ، على طبق ذواتهم التحصيلية، وامر بصنعة الفلك لكونه مقدمة لغرق الباقى، فهو من امارات الجلال والقهر، فناسب التعبير بالعين اذ (لكون) الممكنات من قبيل السنة والنوم، ولا تأخذه سنة ولانوم (لااعتناء) بها فى عينه تعالى ويهلكهم من غير مبالات والوحى للتعليم .

ولاتستدع منى نجاتهم فانهم ظالمون، ويهب نسيم الكبرياء والقهر ، فسرى الكبرياء فى نوح عليه السلام ايضاً فسخر القوم اذا سخروه،واوعدهم بالعذاب الذىفيه الخزى والاقامة، اعاذناالله منه، ومن هبوب نسيم الكبرياء، وان كان المشاهد فىهذاالزمان هبوب صر صر القهر والكبرياء بوجود سلاطين ، وامراً فى العالم لايشبعون مـن اراقة الدماء ويتم الذرارى، وفساد العالم برا بجنودهم البرية، وبحراً بجنودهم فى ظاهر البحر، وتحتا فى قعور البحار بالسفن الغواصة تحت البحر، وفوقا بالطيارات والسفن الهوائية.

رب لاتذرعلى الارض من هؤلاء الشياطين ديّاراً ، واهلكهم باجمعهم،اوذللهم حتى يستريح الناس بل سائر المخلوقات من شرورهم ، والله الهادى.

قوله تعالى: **حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها كل زوجين اثنين واهلك الامن سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل(٤٣) وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها ان ربى لغفور رحيم(٤٤) وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يابنى اركب معنا ولاتكن مع الكافرين (٤٥) قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء قال لاعاصم اليوم من امر الله الامن رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين(٤٦)**

لفظ (حتى) يكون غاية للفظ (يصنع) اى يصنع الفلك الى مجيء امرنا والتنور هو ما يخبر فيه، او مطلق وجه الارض على ماحكى عن امير المؤمنين على عليه السلام(١) والفوران هو النبع بالقوة والمراد بالزوج هنا كل واحد، اذ هو زوج الاخر لانه بضميمة ذلك يكون زوجاً ، فالمراد بالزوج ماله الدخل فـي الزوجية ، و يمكن اطلاق الزوج على كل ممكن لكونه مركباً ، و لذا يقال : ان كل ممكن زوج تركيبّي .

و على اى حال ، فالمراد بالاثنين هو الفردان لا الاربع (و مـن سبق عليه القول) هو اهل بيته عليه السلام وهلاك ابنه وزوجته لعدم كونهما من الاهل حقيقة

وقال نوح اركبوا فيها، مستعينا باسم الله وقت جريانها، ووقت وقوفها، ومنتهى سيرها (او) اركبوا فيها، ويكون باسم الله جريانها ووقوفها، وعلى الأول هما اسم زمان اى المجرى والمرسى ، ويحكم بلزوم التسمية على الراكبين ، وعلى الثانى مصدران ميميّان، وانباء عن كون الجريان والوقوف بلحاظ اسم الله وعلامته، وهو الصادر الاول وهو محمد صلى الله عليه وآله و اهل بيته ، وضم الميمين بلحاظ الاول ، وفتحهما بلحاظ الثانى (٢).

وفتح الاول وضم الثانى ايضاً لامانع منه، نهاية الامر يصير المعنى باسم الجريان واستعينوا به وقت الوقوف، فان اسم الزمان والمكان على وزن المفعول، ومفعول الارساء هو المرسى بالضم (ان الله لغفور) للذنوب الصادرة منكم ، (ورحيم) بكم لايمانكم ، فباسمه يجرى الفلك ويقف، اوالاستعانة باسمه وقتهما كافية لكم، فجرى مع تلاطم الامواج وتخلف ابنه، ولم يطع نوحاً في الركوب على السفينة، متمسكاً بالصعود

---

(١) راجع تفسير البرهان ج ٢ ص ٢٢١ عند تفسير قوله تعالى:(قيل يانوح اهبط بسلام الخ من حديث ١٢ـ ٨)

(٢) يعنى على قرائة ـ ضم (مجريها) و (مرسيها) يكون المراد مستعيناً بالله وعلى تقدير قرائة الفتح فيهما يكون المعنى باسم الله جريانها ووقوفها .

علی الجبل، ونصحه ان الجبل لاینفع (ولا عاصم الیوم من امرالله) الامن تمسك بسفینتی التی تکون من قبل الله ، فلم یقبل النصح (و حال بینهما الموج فکـان من المغرقین) .

و لا تخالف الایات المذکورة لکونها حکایة ، مع العقل کما لا یخفی ، والله الهادی.

قوله‌تعالی: **وقیل یاارض ابلعی مائك ویاسماء اقلعی وغیض الماء وقضی الامر واستوت علی الجودی وقیل بعداً للقوم الظالمین (۴۷) ونادی نوح ربه فقال رب ان ابنی من اهلی وان وعدك الحق وانت احکم الحاکمین (۴۸) قال یانوح انه لیس من اهلك انه عمل غیرصالح فلا تسئلن مالیس لك به علم انی اعظك ان تکون من الجاهلین (۴۹)**

خوطبت الارض ببلع ما نبع منها،فابتعلت، وصارت فی باطنها، والمواضع المنحدرة کالبحار والانهار، وخوطبت السماء ، وهو المحیط العالی وهوالسحاب هنا ـ لاحاطته بتمام الارض ـ بقلعه ـ ای امساکه ـ من الامطار کما هو احد معنییه ، اوجذبه واخذه کسایرالحالات التی یجذبها ، حیث یصیرالماءبخاراً .

(وغیض الماء) ای انقص من قبل‌الله وامره (وقضی الامر) و تم هلاك الکفار (واستوت)السفینة(علی‌الجودی) وهوجبل من الجبال اوموضع من المواضع من الغری او مسجد الکوفة، اوجزیرة قرب موصل، کما قال بعض اهل السنة و المتبع اخبار اهل‌البیت علیهم‌السلام (١) وانا الفاقد لها وقت الکتابة لابتلائی بالغربة فی بلاد لاتکون فیها کتب الشیعة واخبار آل محمد صلی‌الله‌علیه‌وآله وابتلائات الزمان فی الحرب العام ، فی ثلاث سنوات قد انسانی ماکنت عالماً به سابقاً، وقیل بعداً للکافرین .

---

(١) فی تفسیر البرهان ج٢ ص٢٢٣ نقلا من تفسیر العیاشی، عن المفضل بن عمر، عن ابیعبدالله علیه‌السلام، استوت علی‌الجودی هو فرات الکوفة.

والمراد(اما) الغضب على الكافرين بعدذلك ايضاً (واما) بعد الماء فانه كان للكافرين، فبعد انقضائهم لابد من بعد الماء رحمة من الله

واستشفع نوح في حق ولده بظن حيوته بانه من اهله ، فقال‌الله هو ليس من اهلك، فان ولدك الذي في الشقاق معك ، وكفر بالله قد انقطع كونه اهلا ، وانت لاتعلم‌حقيقته الشقاوية ، وهو - اى الابن-بذاته‌عمل، وموجود، ومخلوق غيرصالح للاستقامة .

وبعيد ان يكون المراد ان سؤالك و شفاعتك عمل‌غيرصالح، كما ان قرائة كسر الميم و فتح اللام و الراء بان كان المراد ، ان ابنك قد عمل عملا ، غير صالح ، في غاية البعد لعدم صلاحية مجردصدورالعمل‌الغيرالصالح لانقطاع‌الرحمة

(انى اعظك ان تكون من الجاهلين) اى ارتفع ببيان حاله جهالتك و عدم مخالفتها للعقل ايضاً يكون واضحاً ، والله الهادى.

قوله تعالى: **قال رب‌انى اعوذبك ان اسئلك ما ليس لى به علم والا تغفرلى وترحمنى اكن من الخاسرين (٥٠) قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم سنمتعهم ثم يمسهم مناعذاب اليم (٥١) تلك من‌انباء الغيب نوحيها اليك ماكنت تعلمها انت ولاقومك من قبل هذا فأصبر ان العاقبة للمتقين(٥٢)**

ولما ان‌نوحاً عليه السلام كان استدعائه بلحاظ‌الامور الظاهرية، من كون الولدولده للفراش، والولد من الاهل وقد وعدالله نجاةاهله الاامرأته، ولم يكن قاطعا بهلاكة ابنه ، حتى يعلم شمول العذاب‌له، فيعلم من اجل‌ان‌الله لايفعل‌غيرالصلاح ولايخلف الوعد بوجود امر في البين يكون خفيامنه ، فاستصحب حيوة الولد ، واستدعى ، و نبهه الله التفت ، الى ان مرتبته مرتبة الامامة و النبوة فتكون اعلى من المراتب الظاهرية ، فلابد ان يكون رضاه رضى الله ، ومفوضا اموره الى الله ، وان يفعل مايشاء ، فلايستدعي شيئا، فتوجه الى الله واستعاذ من هذا النقص ، و طلب الغفران لاضمحلال الحدود والنقائص والرحمة، حتى‌يتحلى‌بحلية‌الكمال، في‌ايكال الامور

اليه تعالى ، واعترف بكون الكل ، من الله ولولا رحمته وغفرانه ، لكان الخسران و النقص حاصلا ، لان الممكن في ذاته فاقد محض ، وهذا المطلب لايلازم صدور ذنب مما يتوهم ، بل يلازم ان في مرتبة انتهاء الدرجة لم يحصل، وله عليه السلام مراتب اخرفوق تلك المرتبة ، و هو كذلك لكونهم صاحب الدرجات والحالات المختلفة بالكمال والاكملية .

(وقيل يانوح اهبط) من السفينة على الارض، و الجزيرة التي غاضت مائها مقارنا بالسلامة من قبلنا، والبركات عليك،وعلى من معك، وجماعة نمتعهم ثم نعاقبهم لمعاصيهم،(تلك من انباءالغيب) اى هذه الامور البعيدة من الاذهان ، من الانباءالغيبية ولعل ماسبق بينه اى النوح مع الله من استدعائه وردعه الله ببيان الوقع والتفات نوح عليه السلام الى درجته وتوجهه اليه بطلب الغفران والرحمة من الغائب على نوع الانسان بل على الخلائق العرضية، اومن كان دونا من نوح عليه السلام فيصح اطلاق الغيب على نحو الاطلاق عليه، ولو كان المراد تمام قصة نوح لابدان يحمل الغيب على الاضافى و لحاظ ظاهر النبي من حيث بشريته لانبوته وولايته، وقومه حيث كان ذلك الامر مخفيا عليهم، ولعل الاول اعلى واقوى واظهر ثم امر النبي صلى الله عليه وآله بالصبر كما صبر نوح (ع) وان العاقبة لاهل التقوى ، كما كان له وللمؤمنين من اتباعه .

و الحكاية غير مخالفة للعقل و عدم علم النبي بما غاب عنه لايكون خلاف العقل ايضا، وعلى ماذكرنالم يغب الاعن بعض مراتبه ولاضيرفيه، فالعقل غيرمخالف للايات المذكورة.

قوله تعالى : **والى عاداخاهم هوداً قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ان انتم الامفترون (٥٣) ياقوم لا اسئلكم عليه اجرا ان اجرى الا على الذى فطرنى افلا تعقلون (٥٤) ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوةالى قوتكم ولاتتولوامجرمين(٥٥)**

قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك ومانحن لك بمؤمنين (٥٦).

اى وارسلنا الى قوم عاد، وهم قبيلة من القبائل، اخاهم من حيث القبيلة، هودا فانه (ع) كان من تلك القبيلة، فنصحهم حيث كانوا مشركين، وعابدين للاصنام فقال (ياقوم اعبدوا الله) فقط اذلا اله غيره، وشرككم في قولكم و عملكم، باتخاذ الله الشريك لنفسه افتراء اى يكون كذبا عمديا فان اتخاذ الشريك في الوجوب الذاتي، وهو الالوهية لامعنى له، فان ما بالذات لايقبل الجعل، فلو كان شيىء واجبا وجوده مع قطع النظر عن كل شيىء، فبجعل الغير لايتغير، لكون تحصيل الحاصل محالا، واقتضاء الجعل الوجوب بالغير، وهو يناقض الوجوب الذاتي، فيلزم اجتماع النقيضين، وهو ايضا يكون محالا.

وحيث ان وجوب الوجود معناه الغنى عن الغير، فمع التعدد يلزم فاقدية كل منهما لما في الاخر، فاقدية غير قابلة للاكتساب فيصير محد ودابالحد الخاص و حيث ان ذلك الحد الخاص لو كان لازم الوجود من حيث الحقيقة فكان اللازم كون كل منهما محدوداً بحد واحد مع ما علمت ان كلا منهما فاقد للاخر وغير محدود بحده وهو التناقض، ولو كان لازم ذلك الوجود فالتعدد في الوجود، مع قطع النظر عن الحد لامعنى له، اذصرف اليشيء لايتكرر وحيث كان كذلك فاللازم عدم اشتراكهما ايضاً في ارادة واحدة، ومراد واحد، وهو المقتضي لفساد العالم، اذ كل مايريده احدهما، فهو على خلاف ما عند الآخر، فلا يريده، بل يريد خلافه، فيلزم تعدد كل واحد، وهو محال اوكون كل شيء موجوداً ومعدومـا، وهو ايضا محال، فالشرك في الذات لامعنى له، ومع عدمه لامعنى للشرك في الصفات الواجبة، فان المنشأ هو الواجب بالذات فقط، وكذا لامعنى للشرك في العبادة، فان غير الواجب ربط قائم بالواجب، فعبادته بالاستقلال لامعنى له، فالقول بالشرك افتراء محض، في تمام المراتب، فمن له العقل يدرى ذلك.

وقـال عليه السلام انا ادلكم على مقتضى عقولكم بالبراهين القطعية ، ولا اسئلكم على تعليمي اياكم المطالب العلمية المكملة لكم ، اجراً من المال او الريـاسة عليكم ، و غير ذلك ، وليس اجرى الاعلى الذى فطرنى ، فان كل الفيوضات منه حدوثا وبقاءاً ، وجعل كل شيء سببا لشيء آخر ، وتكميل الغير ايضاً سبب لازدياد نورانية النفس ، فيترتب عليه من قبله تعالى (افلاتعقلون) استفهام توبيخى ، اى لو تتفكرون تعلمون ، فلم لاتتفكرون ، فاستغفروا من زلاتكم السابقة ، وارجعوا اليه تعالى فى عباداتكم ، وامورکم فى اللاحقة (يرسل السماء) و هو السحاب (عليكم) الامطارالغريزة فيرتفع الجدب ، والقحط ، بسبب الامطار التى انعمکم الله بها ، للانابة اليه ويزدكم القوة ، فان كل القوة والقدرة منه ، لما سبق ، ولاتدبروا منه الله حال كونكم اهل الجرم والمعصية .

(قالوا ياهود ما جئتنا ببينة) فسلبوا البينة عن الامور العقلية الواضحة ، وهو من العجائب .

واما عدم اتيانه عليه السلام بالمعجزات المحسوسة ، فلان قبل ثبوت الحق وصفاته لامعنى لكون المعجزات بينة وقاطعة ، اذ لولا قبح اجراء المعجزة على يدالكاذب، لادلالة للاعجاز على الحقية عند العقل ، وهو داخل فى البحث عن الصفات ، ففى اثبات التوحيد ، وصفات الـرب ، لاينبغى اقامة المعجزة عند العقلاء ، الا اذا علم النبى بقصور عقولهم عـن درك العقليات ، وبـالامور المحسوسة يقطعون ، ويتم عليهم الحجة .

واما مثل تلك الشياطين المتكلمين بالدليل الشيطانى، بان لسبّك الالهة، اثّروا فيك الخبل و الخبط ، ومـا تتكلم به هو الهذيان ، لابد ان يـردّ بالبرهان العقلى ، حتى يظهر ان ما يتكلم به هود عليه السلام هو التكلم العقلانى ، لاالتكلم الهذيانى ، وعلى اى حال فقالوا : لسنا بتاركى آلهتنا ، والقائلين بالتوحيد ، ولانصدقك فـى قولك ، ولكون تلك الايات حكاية ، وعدم انتساب امر خلاف العقل الى هود عليه السلام وهو من الانبياء العظام ، لامخالفة للعقل معها ، والله الهادى .

قوله تعالى : **ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال انى اشهد الله واشهدوا انى بريىء مما تشركون (۵۷) من دونه فكيدونى جميعاً ثم لاتنظرون (۵۸) انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربـى على صراط مستقيم (۵۹) فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت بـه اليكم ويستخلف ربى قوماً غيركم ولاتضرونه شيئاً ان ربى على كل شيء حفيظ (۶۰) .**

اى مانقول فى حقك الاذلك ، وهو ان بعض آلهتنا اعتراك وابتلاك ، وعارض عليك بالسوء ، وهو الخبل فى العقل ، والخبط فى الدماغ لسوء اعمالك .

فقال هود عليه السلام (انى اشهدالله واشهدوا) ايضاً ببرائتى من اصنامكم فاجتمعوا مع اصنامكم و كيدونى ولاتمهلوا لـى اى بما ادعيتم ان بسبب اعمالى قـد عرض السوء على من قبل اصنامكم ، فاعمل الان عملا سوءاً بالنسبة اليها اعظم مما صدر منى سابقاً ، وهى البرائة منها فانها فوق السبب .

(فكيدونى) مع اصنامكم مجازاة لى ولا تمهلوننى فان من يقدر على اصابة الشر ويبتلى من يسبه بالخبل بدون مباشرة الجسم كادخال دواء فى الطعام ، بل بالارادة يقدر على الابتلاء بساير الشرور والا هلاك ، وفى المحضر العام ابرىء منها ، واقول لا تقدرون بانفسكم واصنامكم على اصابتى بالسوء ، ومـا نسبتم الى فوضوح بطلانه بتكلماتى و اقامتى للبراهين العقلية يظهر ، والسبب لقوة قلبى فى عدم تأثير ما من قبلكم .

(انى توكلت على الله) وفوضت امرى اليه ، وهو القادر المربى للكل ، وهو (ربى وربكم) وقدرتكم منه ، وبعد توكيلى اياه لا يعطيكم القدرة على اصابتى بالسوء ، اذ كل ما يدبّ ، ويتحرك ، ويخرج من القوة الى الفعل ، وهو تمام الاشياء اذ الفعل المحض ، هو الله ، يكون الله آخذاً بناصيتها ، اى بالقوة والشدة ، فان الناصية ان كانت هى الشعرات المنبتة فى مقدم الرأس فوق الجبهة والجبين ، يدل

صاحبها باخذها، وان كانت اسماللمحل فاخذها اذا تحققيكون كذلك، الاان الغالب كون اخذهاباخذ شعرها .

(ان ربی) ای رب الحقيقة الانسانية وهو الكون الجامع،وهو الله الجامع لتمام الكمالات (على صراط مستقيم) اى يصل الى كل شيىء بالا ستقامة، لكونه منتهى الكل، ومرجع الكل، لشدة الوجدان .

فكماان الصراط المستقيم المحسوس، اذا كان احدقائما فيه يصل الخط الخارج منه على نحو الاستقامة بمايكون المطلوب الوصول اليه فالله لاحاطته بالكل يخرج الخط منه على الكل ومن الكل اليه على نحو الاستقامة ای ربی هو الوجود الصرف، وكل موجود محدود ينتهی اليه ولا يشذ عنه شيىء لكونه صرفا محضا فالجميع مندرج فيه ولامعنى للشركة اذذات ما يسمى بالشريك مفاض منه ، وهذا برهان عقلی ليس فوقه برهان.

(فان تولوا) ای تتولوا وحذف احد التائين شايع ، وادبرتم فقد حصل غرضي لاتمام الحجة عليكم بتبليغي، ولكن يهلكهم الله سريعا وهذا مستفاد من قوله (ويستخلف ربی قوماً غيركم) وذلك ايعاد بلسان حسن ، لااحسن منه .

(ولاتضرونه شيئا) ای لاينقص بكفركم ولايفوته شيىء ، بان يتوهم قلة عباده بالذات اوبعنوان العبودية ، اذ له خلق الغير، بل بسبب كثرة الاسماء والصفات تحقق المظاهر، فكلما وقع في العوالم يظهر به سلطنته المطلقة ومرجعيته للكل فهو المضل وهو الهادی ، وهو المذل ، وهو المعز وكذلك ساير المتضادات الا ان كل الخيرات من الرشحات وغيرها من الاعدام حقيقة ومرجعها الى عدم الافاضة لعدم الاستعداد .

وعلل عدم الضرر عليه تعالى بانه (على كل شيىء حفيظ) اى اذا كان الضرر هو النقص والفوت، وحافظ كل شيء هو الله فيحفظ كل ما اراد حفظه فكيف يتصوران يقع من الغير عليه الضرر من غير ارادته .

وهذاالبرهان ايضا فوق البراهين ومن تكلمات هود ﷺ يظهر ان قومه كانوا من العقلاء الذين غلبت عليهم شهواتهم، والا كيف يتكلم عليه السلام بمثل هذه الكلمات

التى تحيرت العقول فى درك كنهها مع من لايفهم ، والله العالم وفوق كل ذى علم عليم .

وكون الايات امذكورة حكاية وكونها على طبق البراهين العقلية يكفى فى عدم مخالفتها للعقل ، وكونها موافقة مع العقل ، والله الهادى .

قوله تعالى : **ولما جاء امرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ (٦١) وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد (٦٢) واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة و يوم القيامة الا ان عاداً كفروا بربهم الا بعداً لعاد قوم هود (٦٣)**

اى (ولما جاء امرنا) بنزول العذاب واهلاكهم امراً تسخيرياً بالقرينة (نجينا) خلصنا هوداً، والمؤمنين (معه برحمة) مخصوصة (منا) فان العذاب الدنيوى، العام لطائفة وصقع انما يكون محيطاًبهذه الناحية ، بفساد مائها ، اوهوائها ، اوبالرجفة او الصحية ، وكذلك فمن يكون فى تلك الناحية على حسب الطبيعة، يشمله العذاب

فتخليص طائفة مخصوصة باجمعها من بينها، انما يكون بامرسماوى ورحمة خاصة ، والا لما اختص بطائفة دون طائفة ، ولا يختص بالظالمة فقط ، بل يصيب غير الظالم ايضاً ، منجبراً بالرحمة الاخروية ، ونجيناهم من العذاب الغليظ النازل على قومهم ، مناسبا لغلظة قلوبهم، وكونهم من المدركين ادراكاتاً شيطانية الباعثة لهم بتخطئة البينة العقلية ونفى البينية عنها ، وتسميتها هذياناً ، وسوءاً لاجل ارادة الاصنام عروض الخبل .

ثم اشار اليهم بالاشارة البعيدة (اما) لبعد زمانهم (او) لبعدهم عن الرحمة الالهية ، بأنهم انكرواآيات ربهم ، فيستفادنزول الايات التى جحدوها من البراهين العقلية الكثيرة التى نزولها بيان هود عليه السلام بالبيانات الوافية للجميع ، والمعجزات المحسوسة لخصوص غير الشياطين منهم .

ونفيهم البينة لايدل على عدم المعجزات المحسوسة، لان من يسمى البراهين

العقلية ، الواضحة خبلا في العقل ، وهذيانا في الكلام ، لايضائق عن نفي معجزية المحسوسات ، والقول بكونها سحراً .

وعصوا رسل الله (اما) بكون هذه الطائفة المتعاقبة بحسب التناسل مكذبين للرسل السابقة على هود عليه السلام ايضاً فعصوهم (او) لانالتوحيد ، ونفي الشرك وبطلان الاصنام،ولو بعنوان الشفاعة من الامور المشتركة بين تمام الرسل،وقدعلموا بهذا المطلب وان تمام الانبياء السابقة ايضاً قالوا : بمثل قول هود، فكذبوا الجميع ، وعصوهم .

واتبعوا امر رؤسائهم في الضلالة المتصفة بالجابرية ، اى القاتلة على الغضب ومن يقتل على الغضب يكون جباراً ، والعنيدية اى كثيرة العناد والعداوة والشقاوة مع ربه .

وهذا تقصير عظيم من التابعين، فان العقائد لايمكن الاكراه عليها ، وقدعرفوا رؤسائهم بالقتل الشديد ، والعناد مع الرب الذى يقولون بأنه احد الشركاء مع الاصنام واللازم من مشاهدة هذين الامرين ، الادبار عن معتقدات تلك الرؤساء لاالاقبال اليها ، فاستحقوا باجمعهم من الرؤساء في الدنيا ، اللعنة الالهية والبعد عن الرحمة في الدنيـا بنزول العذاب الغليظ واهلاكهم ، وفي الاخرة بالعذاب الاخروى .

ثم لعنهم الله بقوله تعالى (الا بعداً لعاد قوم هود) وهذه الكلمة التسخيرية موجبة لهويّهم الى الاسفل ، مما كانوا فيه قبل صدور تلك الكلمة .

ولعل الوجه ان من سن سنة سيئة يكون عليه وزر مثل من عمل بها ، من القواعد العقلية ، اذ الجاعل للبدعة السيئة ، اوالمظهر للعقائد السيئة ، يوجد ايجاداً تسبيبياً ، العمل على طبق المخترع السيىء اوالاعتقاد على الامر الباطل، فكلما جاء في الوجود يكون من تأثير ماوقع سابقاً ، فيورث اشتداد مايلزم ان يجازى به الباعث والسبب

وحينئذ فلما ان تكذيب اهل مكة للنبى صلى الله عليه وآله ايضا ، من احد اسبابه ، كلمات قوم هود ، فبافعال اهل مكة يشتد العذاب ، فيقول الله (الا بعداً) .

وكون صدور تلك الايات حكاية ، وكون البقية من الامور العقلية كما بينا ، يدلان على عدم مخالفة العقل مع تلك الايات ، وموافقتها من غير جهة الحكاية ، والله الهادى .

قوله تعالى : **والى ثمود اخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب مجيب (٦٤) قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اتنهينا ان نعبد ما يعبد اباؤنا واننا لفى شك مما تدعونا اليه مريب (٦٥) قال ياقوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربى واتانى منه رحمة فمن ينصرنى من الله ان عصيته فما تزيدوننى غير تخسير (٦٦) وياقوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تاكل فى ارض الله ولاتمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب (٦٧) فعقروها فقال تمتعوا فى داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب (٦٨)**

وارسلنا (الى ثمود) وهى قبيلة، ويطلق على الماء القليل الذى لامادة له، ولعل تلك القبيلة كانت مياههم قليلة فى الحفر المجتمعة من ماء المطر من دون ان تكون لهم العيون والابار (اخاهم) فى القبيلة وهو صالح عليه السلام فامرهم بالتوحيد و نفى الشرك ببرهان الحركة ــ وهى انشاءهم من الارض ــ .

وصورة البرهان انه لاشك فى عدم كونكم بهذه الهيئات والوجدانات ازلا بل كان كل منكم حاصلا من مياه آبائكم، ومافى بطن امهاتكم من البيضات الصغار، والماء الذى بين الترائب (١) الحاصلة تلك كلها من النباتات الارضية، ومايخرج ، منها الحاصلة بتبديل الصورة الارضية فيها، فالجميع راجعة الى الارض، وانتم منشؤن منها، وحيث كنتم فاقدين لتلك الصور، وصرتم واجدين لها، وتحركتم، وخرجتم

---

(١) جمع تريبة وهى اعلا صدر الانسان تحت الذقن ، وفى الصحاح هى عظام الصدر بين الثندوة الى الترقوة (مجمع البحرين) .

من القوة الی الفعل ، فموجدتلك الصوروالفعليات لستم بانفسكم لفقد انكم لها و المعطى يستحيل ان يكون فاقدا .

وتحققها من غيرعلة مستلزم للترجح من دون مرجح، وتحقق ماليس من دون محقق، وهوا يضاباطل، فلابدان يكون المعطى شيئا خارجاواجداً لجميع الكمالات وفعلا محضا، لبطلان الدور والتسلسل، وهو ليس الاالله ،

وح لانحتاج ان نقول:الانشاء من الارض بلحاظ انشاء ادم (ع) وحواء، وان كان هو ايضا صحيحا ، وحيث انتهيتم الى الله وحقيقة نفس كـّل منكم واحدة ، فلوكان المبدء متعدداً لما تحققتم ابداً ، اوكان كل واحد منكم الاثنان ، كما ذكر فی قصة هود عليه السلام وكلاهما باطلان .

(و) هـو الذی (استعمركم فيها) وجعلكم عماراً باعطاء العلم بمقدار التعمير والقدرة حتى عمـّرتم الارض بالبرهان السابق، فذواتكم وصفاتكم من العلم والقدرة من الله الواحد .

فاطلبوا منه الصفح من ذنوبكم وقولكم بالشرك ، وهو طلب الغفران ، ثمّ بعد ذلك ارجعوا اليه بالطاعات ، فان صحة العبادات مشروطة بالتوحيد ، ومتى لم يتحقق التوحيد ، لافائدة للعمل ، فمرتبة الاعمال متأخرة ، وعلل الاستغفاروالتوبة، بقرب الله واجابته الدعاء، اذ بسبب القرب يسمع، ويلتفت ويتوجه، وبسبب المجيبية يستجيب ، ويعطی المأمول ، وحيث ان القرب هو القرب القيومی لاالمكانی ، ففيه القرب الودادی ايضاً ، فهوالمحب والمجيب .

(قالوا ياصالح) قدكنا نرجو بسيادتك علينا ، وان نجعلك رئيساً ومتبعاً لعلمك وحسن اخلاقك ومماشاتك ، فهل تنهينا من متابعة آبائنا ، فانهم من اهل العقل ، وكانوا أعقل منا ، فلولم تكن عبادة الاصنام صحيحة لما عبدوالها ، ونحن فی شك غاية الشك و هو المراد بالمريب كانـّه مولـّد الشكوك ، فشك شديد يولـّد الشك مما تقول .

وهذه الكلمات تدل على ان شيطنتهم ، لم تكن مقدار شيطنة قوم هود فانهم

ذكروا بالجزم : انك لم تجيء بالبينة، وقولك هذيان، لغضب الاصنام عليك فكانهم ينبئون على نحو الجزم بتأثير الاصنام من دون تقليد للاباء ، وببطلان دعوى هود عليه السلام وكونه هذيانا ، بخلاف هؤلاء حيث ان مبنى عدمقبولهم تقليد الاباء ، وعدم كونهم جازمين بالصدق .

واما كونهم فى الشك والريب فلاجل ذلك يلزم الحكمة الالهية فى ذلك المقام ، اجراء المعجز المحسوس بيد صالح عليه السلام لاتمام الحجة على القوم من باب قصور عقولهم ، وان كان ما ارسل له هو التوحيد ، وهو من الامور العقلية ، ولا يفتقر الى الاتيان بالمحسوس ، اذ قصور عقولهم يقتضى تأكيد العقل بالحس هنا، فقدبين البرهان العقلى لهم، وهوبرهان الحركة كماذكر، وايده بالبرهان المحسوس.

(قال يا قوم) هل يزول شككم باتيان المعجزة المحسوسة ؟ و اذا اتيت بالمعجزة المحسوسة رحمة من الله، فالقدرة على الاتيان من قبله تعالى، وهو القادر فوق الكل، حيث يعطى القدرة، فان عصيته لاجل سيادتكم، فهل يصل الى سوى الخسران وازدياده لاجلكم ؟

وكأن ذلك النحو من التكلم، من باب الرفق واللين فى الكلام ، كما انهم تكلموا معه عليه السلام بالرفق واللين (وياقوم هذه ناقة الله لكم آية) اذاخرجها من الجبل من غير تولدها من حيوان آخر، بل باعطاء الله الصورة الفعلية الناقتية ، على الحجر الذى صار مستعدا بتوجه النبى، فكما ان الامور المعدة للاشياء تكون سببا لحصول الاستعداد ، فالتوجه النبوى ايضا كذلك

(فذروا) تلك الناقة (تأكل فى ارض الله) فان اكلها سبب لبطلان القول بكونها من السحر كالات السحرة ، اذهى لا تأ كل ، فأكلها لتثبيت المعجزية (ولاتمسوها بسوء)من عقر وغيره، حتى يأخذكم العذاب القريب لصيرورة الحجة تامة بسبب ذلك المحسوس ، وكون عقرها ظلما على الناقة الناشى من الشقاق مع الله مع وضوح الامر ، وهويدل على عدم دخول نور الايمان فى تلك القلوب ، ولاجل عدم السراية فى الاخرين يستحقون للهلاكة

فقال ﷺ بعد عقرها (تمتعوا) فى الدنيا ثلاثة ايام وهذا (وعد) صدق (غير مكذوب) .

وقد ظهر مما ذكرنا مضافا الى كونها حكاية ، كون تمام ما يشتملها تلك الآيات ، من الامور العقلية الثابتة بالبرهان ، المطابقة للدليل العقلى الغير المخالف له ، والله الهادى .

قوله تعالى : **فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ ان ربك هو القوى العزيز (٦٩) واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين (٧٠) (١) كان لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعداً لثمود (٧١) .**

اى لما جاء امرنا ، وهو الامر التسخيرى ، بالهلاكة الخاصة (نجينا صالحا) والمؤمنين معه بسبب الرحمة عليهم .

ولعل تلك النجاة النجاة المطلقة لنفوسهم المؤمنة من العقبات الردية من العثرة فى العقائد ، اوالاخلاق ، اوالافعال ، فالرحمة رحمة رحيمية خاصة (ومن خزى يومئذ) اى نجيناهم من العذاب للمرتبة النازلة لهم ، وهى البدنيه الدنيوية ، المورثة هلاكتهم للخزى عليهم لمن يأتى فى البعد ، وينظر الى حالهم ، فحيث اتى عليه السلام بالبرهان العقلى (اولا) والحسى بالاعجاز المحسوس (ثانياً) استحق من الله لنفسه ولاتباعه ان تشمله الرحمتان ، الرحمة العقلانية ، وللدرجات العالية كل بحسب درجتهم ومرتبتهم ، والرحمة الجسمانية الدانية وهو الموت فى ذلك اليوم الموجب للخزى ، ولتقدم الاولى من حيث المرتبة ، قدمها الله تعالى .

(ان ربك) خطاب الى النبى الخاتم ﷺ ، قوى غالب ، ومن قوته اصعاد النفوس الامكانية بتمام درجاتها من العالية ، والمتوسطة د والنازلة ، فيعطى الملك

---

(١) هو من قولهم : جثم يجثم) لزم مكانه فلم يبرح ، وفى المصباح جثم الطائر والارنب يجثم جثوما ، وهو كالبروك من البعير (مجمع البحرين) .

الحقيقى لهم ، ومن غالبيته تحطيط البعض من باب سوء اختيارهم ، بتمام مراتبهم من عقلهم العملي واخلاقهم ، وافعالهم، وابدانهم ، باهلاكهم اهلاكا موجبا للخزى

ثم يبين الله كيفية نزول العذاب بالصيحة السماوية التى اصبحوا بها هالكين باركين على ركبهم ، فماتوا باجمعهم، وزالت آثارهم مثل انلايقيموا فى ديارهم ، ولعل فيه اشارة الى عدم بقاء النسل من تلك الطائفة ، ومن باب بيان السرينبه النبى بانهم كفروا ، اى العلة هو الكفران ، فاعلم قومك ، ان الكفران موجب للهلكة بتمام المراتب فى تمام العوالم .

ثم ينبهه ثانيا ببعدهم الابدية لماذكرنا فى قصة هود عليه السلام فلانعيد .

وظهر مماذكرنا مضافا الى كون تلك الحكايات فى الايات غيرمخالفة للعقل اشتمالها على الامور العقلية ، فهى مطابقة للعقل ، غيرمخالفة له ، والله الهادى .

قوله تعالى : **ولقد جائت رسلنا ابرهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فمالبث ان جاء بعجل حنيذ (٧٢) فلما رأى ايديهم لاتصل اليه نكرهم واوجس منهم حنيفة قالوا لاتخف انا ارسلنا الى قوم لوط (٧٣) وامرأته قائمةفضحكت فبرناهاباسحاق ومنوراء اسحاق يعقوب(٧٤) قالتياويلتى ءالد وانا عجوزوهذا بعلىشيخا انهذا لشىء عجيب (٧٥) قالواأتعجبين من امرالله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد (٧٦) فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجائته البشرىيجادلنا فىقوم لوط (٧٧) ان ابراهيم لحليم اواه منيب (٧٨)**

لما ان الظاهر كالنص من هذه الايات الشريفة فى تلك القصة ومابعدها من فصة لوط عليه السلام اننزول الملائكة يمكنانتكون فىعالم الملك علىالنحو الخارجى ومتسجدا بحيث يراهم الصالح والطالح .

ولاينحصرشهودالملكباتصالالمتخيلة الصافية الىعالم الملكوت وشهودهم فى ذلك العالم ، والاخذ منهم ، اوفوقالمتخيلة الى الجبروت (او) بنزولالملائكة

لقوتها فى المتخيلة الصافية بحيث لايراها سوى ذلك الشخص النازل اليه .

وبعبارة اخرى لاينحصر بترقى المتخيلة الى الملكوت، اونزول الملكوت فى المتخيلة، اذلو كان الامرمنحصرا فى ذلك، لما يتعقل مشاهدة سارة عليها السلام مايشاهده ابراهيم عليه السلام .

ولو فرضت انه كان من باب تصرف الخليل فيها (لما) كان معنى لايتان العجل المشوى لهم (ولما) كان معنى لجهالة صفاتهم (ولما) كان معنى للخيفة منهم

وايضا لايتعقل ذهابهم من عند الخليل عليه السلام الى قرية قوم لوط، فان مافى المتخيلة اوفى الملكوت والمتخيلة، قداتصلت اليه، لامعنى لحركتها من قرية الى قرية ، ولامعنى لمشاهدة تمام اهل القرية لها، وارادتهم اللواط معها .

وعلى اى حال فيلزم علينا ان نتكلم فى هذا المطلب و نثبت عدم الاستحالة (فنقول): ان مايتصورمن الامتناع كون الملائكة من الروحانيات المحضة، ومن سنخ العقول فلاجهة جسمية فيها او كونها مضافة الى ذلك من الملكوت الايمن التى لها المقدار ، ولكنها فوق عالم الملك ، فلا جسمية ، جسمية ملكية لها ، فمجيئها فى عالم الملكوت الجزئية وهى الخيال المتصل لاضير فيه لعدم خروجها عن الجسمية الملكوتية، واما مجيئها على نحو التجسد الملكى الذى يشاهدها الابصار، لاالبصائر، والتخيلات ، فخروج عن حقيقتها، وافتقار الى مالايفتقر اليه من المكان والوضع والمحاذات، وهو موجب للتناقض .

ولكنه مدفوع، بان الحق كماهو رأى حكماء الفرس وهم الفهلويون ان الوجود حقيقة واحدة ذات مراتب، فالحقيقة واحدة، والمراتب مختلفة، ولولم يكن ذلك لما كان معنى للتوحيد الذاتى ، ولا اتحاد صفات الله ، ولا اتحاد كلمة الله ، ولا العلية والمعلولية بين تمام العوالم .

واذا قلنا بان كلمة (كن) النورية وهى مشية الله صادرة من الله، والجبروت صادرة من المشية، والملكوت صادرة بتوسط الجبروت، والملك صادر بتوسط الملكوت فلا محيص لنا الا القول باتحاد الحقيقة، واختلاف المراتب فى النزول، وان لكل

مرتبة عوارض يترتب عليها .

وحينئذنقول: ان كل ماهوفي سلسلة العلة مشتملة وواجدة لتمام مراتب المعاليل فله التطور باطوارها ، اذهوكا خفاء بعض الكمال واظهار البعض ، فللملائكة ان تتجسدوا بجسد ملكي وخلعه، فلهم القدرة (ولوجعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليه مايلبسون (١) ليس المراد التعليق على المحال، بل بيان الحقيقةاى الملكوت اذاتنزل في الملك يكون رجلا لابسا لمايلبسون فالنزول اذاكان في الملكوت الجزئي يختص شهودالملائكة لصاحب الملكوت الجزئي سواءكان بنفسه متصلا، اوبتصرف الولي، واذا كان في عالم الملك فله صفات عالم الملك، ويراه الكل .

هذا مضافا الى انالابصار كساير القوىفيها استعداد الوصول الى الملكوت وشهودها، ولذا نصحح المعاد الجسماني ، بل الحق كما بينت ذلك في غير واحد من الرسائل ان حامل تلك القوى ايضا ـ وهي العناصر الدنيوية ـ تتحرك بالحركة الذاتية والجوهرية بمدد الامطار العالية، فتصل الى الملكوت، بل تتجاوز وتعبر الى عالم القيامة، فتتحدمع الروح، وتصيربدناله، ومرتبةنازلة منه،وحيث ماكان كذلك فالوصول الى تلك المرتبة على نحوالتوقيت، لاامتناع فيه بمشاهدة الابصار للملائكة، وتصرفها في عالم الملك .

نعم تختص المشاهدة بمن له الربط في الواقعة من السعداء كانت كالخليل عليه السلام والتالية كلوط عليه السلام وتالية التالية كسارة عليها السلام ومن اهل الشقاء كقوم لوط ، والحاصل انه لاوجه للقول بالاستحالة

فلنرجع الى الايات (فنقول) : اخبرالله نبيه صلى الله عليه وآله بمجيىء الرسل للبشارة عند الخليل عليه السلام فسلّموا عليه تحته واجابهم الخليل عليه السلام بالسلام ، ولكون نزولهم في الملك لا في ملكوت الخليل (ع) عامل معهم معاملة ساير الضيوف ، وقدجاء (ع) من غير مهل بالعجل المشوى .

---

(١) الانعام ـ ٩

وهذا تكريم و كمال السماحة والجود ، حيث ان التأخير ، مضافا الى انه يوجب مرارة الانتظار ، يكشف عن الانباء بالتكلف ، بخلاف الاتيان بالعجل ، و حيث كانغرضهم التفات الخليل(ع) ولميفتقروا بحسب الحقيقة الىالاكلالملكی لميمدوا ايديهم الىالطعام للاكل .

ولما كان لاهل الملك ذلك سوء السلوك مع صاحب الضيف ، انكر فعلهم عندنفسه ، ولكون ذلك بحسب العادة صادرا معالعدو ، والمقاتلة مع من ورد فی البيت لايحسن لصاحب المروة ، خصوصا اذالميظهر على الناس الجهة (اوجس) ای اضمر فی نفسه الخيفة ، اذيری فی الدفاع وقتلهم العار والتحمل منهم القتل ، اودونه

ولما التفتوا الىذلك (قالوا لاتخف) فانتقل الخليل (ع) بانتقاله وسيره فی عوالم كونهم منالملكوت ، فقالوا قد(ارسلنا الى)تعذيب (قوملوط) وكانت سارة (ع) قائمة (فضحكت) امامن اجلحصول الفرح لهابعدم كونهم اعداء اللخليل(ع) واما من باب الفرح بعذاب قوملوط ، اذلاستغنائهم منالنساء كانفعلهم منكراعندها وسارة ايضا تتنفر منفعلهم .

وقدورد (١) انالمراد بالضحك هیالحالة العارضة على النسوان من سيلان دمالحيض فبتوجه الملائكة المرسلةبالبشارة منعندالله اعطيت الاستعداد، والحيض ضحك للرحم ، فبشرت الملائكة الفانية فی الله لها باسحاق ، وولداسحاق يعقوب وانهاتبقی ، وتدرك ولد ولدها ايضا ، فتعجبت

و(قالت ياويلتی) وهی كلمة تطلق عند الامر العظيم ، حسنا كان ام قبيحا ، ومنالسراء اوالضراء (ءالدوانا عجوز) ذكروا انسنّهاكانت بالغة الیتسعوتسعين

---

(١)فیتفسير البرهان نقلامنتفسير العياشی عنابيعبدالله(ع)قال : (فضحكت) قال : فحاضت من قولهم وقالت ياوليتی أءلدوانا عجوز الى قوله حميد مجيدج٢ ص ٢٢٩ ونحوها رواية ٦ منه ص ٢٢٨ نقلا عن الشيخ فی التبيان .

وهذا بعلي شيخا ، ذكروا ان سن الخليل (ع) كان بالغا الى المأة اومأة و عشرين

فقالوا ان التعجب يكون من درك الامور الغريبة ، والفاعل لذلك الامر ، لما يكون هو الله من دون توسط الطبيعة اوباحياء الطبيعة لايكون ، ففى قدرة الله وامره التكوينى لاتعجب في ازيد من ذلك (رحمة الله وبركاته عليكم) يا(اهل البيت) وهو جملة خبرية لا الانشاء والتحية لقرينة التعليل (انه حميد) اى يستحق لان يحمد من اجل الكمالات الاختيارية على مقدار كثير وصاحب المجد والعلو والكرامة فى نهاية الكثرة ولازم الصفتين ، الانعام الجزيل عليكم اهل البيت لعبودية الخليل عليه السلام منتهى العبودية ، فاراد الله تكثير نسله (ع) وجعل الانبياء الكثيرين فى اعقابه عليه السلام

فلما ذهب الروع المذكور عن الخليل (ع) و نظر الى مقام امامته وولايته (يجادل) رسلنا الفانية فينا (فى) امر (قوم لوط) والمجادلة فى العلميات هى الانتقال الى جهات الصلاح والفساد وذكرها فى مقام الكسر والانكسار

ولما ان الملائكة القدرية يمكن ان تلتفت الى بعض المصالح ، وبسبب تلك المصالح ، تتحرك للاجراء، ولم تعلم بالاصلح عليها كما ذكرنا ذلك تبعا للاساطين فى مسئلة البداء ، وانها علم جديد وارادة جديدة من الملائكة القدرية ، بالانتقال الى الاصلح ، بعد الانتقال الى الصلاح ، وعزم الاتيان عليه ، فترفع اليد عن طبق الارادة الاولية ، وتعزم على الاتيان بما انكشف لها ، ولفنائهم فى الله ينسب البداء الى الله ، فيجادل الخليل عليه السلام بذكر وجوه الرحمة ، ويصل المدد الى الملائكة ايضافى ذكر وجوه العذاب الى ان ينتهى الامر الى الله ويقال له: اعرض ، فيلتفت الى انه حكم القضاء لاالقدر ، فيكف

وعلل الله مجادلة الخليل عليه السلام بكونه صاحب الاناة والمداراة ، فلا عجلة لـه فى الامور ، فاستدعى امهال قوم لـوط عليه السلام لعلهم يرجعون وانه (اوّاه منيب) اى كثير الرجوع الى الله ، والتكلم بكلمة (اوّه) التى للتضجر، اى لكثرة التفاته الى الله وعظمته يرى النفوس .

بل نفسها الشريفة ناقصة ، حتى فـى الاعمال بالنسبة الى عظمة الله ، بحيث

ينطق بكلمة التضجر من نفسه ، ومن يكون كذلك ، يرى كل احد مستحقا للهلاك ، وان عدم الهلكة من اجل رحمة الله ، فيقول : ان قوم لوط ايضاً كذلك .

وقدعلم من بياناتنا انتلك القصة لامخالفة للعقل فيها ، بل يوافقها، والله الهادى

قوله تعالى : **يا ابراهيم أعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود (٧٩) ولما جائت رسلنا لوطا سيىء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذايوم عصيب (٨٠) وجائه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهرلكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي اليس منكم رجل رشيد (٨١) قالوا لقد علمت مالنافى بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد (٨٢) قال لوان لي بكم قوة اوآوى الى ركن شديد (٨٣)**

ثم خوطب الخليل عليه السلام بالاعراض عـن الشفاعة وذلك في اللطف الالهى ، انمايكون بعد شهود زوال الاستعداد للكمال ، وصيرورة اخلاقهم الفاسدة ملكات راسخة غير زايله من باب سوء اختيارهم ، وانه لايكون مؤمن في اصلابهم ايضاً ، لاشتغالهم بمـا يقطع الموجبات للتناسل ، وشهود اشتداد فساد اخلاقهم الموجب لازدياد النار .

وعلل الله لزوم الاعراض ، بمجيىء امر الله ، وانهم معذبون بما لايـردّ ، والتعليل الاول (١) بالتلازم يدل على عدم مورد للشفاعة ، اذبعد بطلان الجزافة في افعاله تعالى ، وكون افعاله ناشئة عن الصلاح ، وانه لايفعل غير ما فيه الصلاح ، لايأمر أمراً تكوينياً الا بعد صلاح العذاب ، وبعد صلاح العذاب يستحيل خلافه .

فلامورد للشفاعة ، اذ الانبياء فانون في الحق، وارادتهم من رشحات ارادة الحق ، وكون ارادتهم بالاستقلال موجب للاستقلال ، وهو خلف محال .

---

(١) يعنى قوله تعالى : انه قد جاء امر ربك .

والتعليل الثاني (١) لنفي الاصلح منه حتى يصح امر البداء ، اى لاعنوان اصلح ايضاً منطبقاً مع عدم العذاب، فلابداء، والعذاب حتمي غير مردود، بسبب انطباق بعض العناوين ، ولما جائت الملائكة المرسلة الـى لوط ، ونظر اليهم ، وكـانوا حسان الوجوه (سيئ) بسببهم ، اى بواسطة حسنهم وعرفان قومه حصل سوء حال له (ع) (وضاق) صدره بسببهم ، لعلمه بتعرض القوم لهم للسوء .

وقال في نفسه ان (هذا) اليوم (يوم عصيب) اى شديد على ضيوفي بالافتضاح وعلى ّ بانهتاكي (وجائه) القوم يسرعون بالمشي اليه لكون هذه الحسان من حيث الوجوه معه ، وكان الصادر منهم ، في السابق ، السيئات .

والجمع (اما) بلحاظ ان لكل واحد سيئة ، فالتعدد في الافراد (واما) بلحاظ اختلاف الانواع لكل واحد، فانهم يعملون اللواط، وهو نوع، ويتركون النسوان مع كون حق الدخول لها، حتى يبقى النسل وترك الجميع، لاشتغالهم بعمل الذكران عن مباشرة النسوان وتركهم الواجب المهم ، وتفويت الحق لهن، وابطال النسل، وهذا نوع آخر ، وكونهم عاملين بالاجبار - لقطعهم السبيل على الناس - كل من كان قابلا لان يفعل به ، وهو ظلم عظيم ، ونوع آخر من الانواع، وعلى اىّ حال فجاؤا عند لوط (ع) لاخذهم ، وعمل الشنيع معهم .

(قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم) ولعل تكلمه عليه السلام بذلك الكلام مع علمه بحال قومه ،كان من شدة حيائه ، من الضيوف ، وان يتوهموا انه عليه السلام ايضاً يرضى بافعالهم ، اولايمنعهم اشد المنع .

فان ذكره عليه السلام بتفويض بناته البكر لان يزوجها القوم ، نهاية الصفح ومنتهى الدفع عـن القوم ، اذ الاخذين للبنات يعارضون مع البقية ، او يستدعون الصفح (فاتقوا الله) وخافوا منه ، او تمسكوا به ، واجعلوه جنة من الشيطان الذى سخركم ولا تجعلوا الخزى ، علىّ (في ضيفي) الـم يكن احد منكم رشيداً وسالكاً طريق

---

(٢) يعني قوله تعالى : وانهم آتيهم عذاب غير مردود .

الرشد ، ومثل هذا الكلام يقال في مقام الاستغاثة والتظلم فقد انتهى عليه السلام جده .

فقالوا قد علمت سابقاً صرف ميولنا من النسوان ، بحيث لم يبق الميل بتمام مراتبه فينا بتمام رجالنا، فما لنا الحق ابداً، اذ على فرض تسليمك البنات لنا ، لايكون مع عدم الميل اقتضاء ، فلاحق يمكن به التمتع لنا ، وانك لتعلم محبتنا . ومرادنا فی اللواط مع الرجال لاالنساء قبلا ودبراً.

فقال عليه السلام (لو ان لـی بكم قوة) لدفعتكم عن ضيفی ، فلو كنت قادراً بذاتی من حيث البدن بان كنت قادراً على مقاومتكم وطردكم بنفسی، وكان لی قوة عليكم وعلى دفعكم ، لبطشتكم ودفعتكم دفعاً على الشدة، وكذلك لو كان لی ركن شديد، وحام خارجی من العشيرة، والاقارب بحيث (آوی اليه) والتجیء اليه، لآويت اليه والتجی اليه ، لدفعكم.

ويمكن ان يكون ذلك استدعاء القوة له ، او نزول الملائكة لنصرته مـن قبل الله ، بان لم يدر ان ارادة الله تعلقت بحفظ الضيوف باحد النحوين،فيستدعی احد النحوين ، وعدم الحصول الفعلی بنظر المتكلم ، يكفی فی صدق لفظه عليه السلام (لو) ولايلزم عدم حصوله فی البعد ايضا ، او عدم امكانه ، ولذا نقلوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله رحم الله اخی لوطا ، فانه آوی الی ركن شديد (١) فالاستدعاء هوالالتجاء الى الركن الشديد فآواه اليه بغلبته عليه السلام وهلاك قومه ، وكون الايات حكاية،وعدم خلاف فی الحكاية كلاهما واضحان ، والله الهادی .

قوله تعالى: **قالوا يالوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر بـاهلك بقطع من الليل ولايلتفت منكم احد الا امرأتك انه مصيبها ما اصابهم ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب (٨٤) فلما جاء امرنا جعلنا عاليهـا سافلها وامطرنا عليها حجارة مـن سجيل منضود (٨٥) مسومة عند ربك**

---

(١) فی مجمع البيان فی تفسير هذه الاية: روی عن النبی صلى الله عليه وآله انه قال: رحم الله اخی لوطاً كان يأوی الی ركن شديد وهو معونة الله انتهی .

وماهي من الظالمين ببعيد (٨٦) .

(فلما) تأثر لوط عليه السلام من ضعفه البدني ، ومن فقد الاقارب والاصدقاءوتكلم بكلمة الآيس المتظلم ، او توجه الى الله باستدعاء احد الامرين (اما) الهمة القوية التي بها يغلب على القوم وهو استدعاء القوة (واما) توجه الركن الشديد اليه وهو امام زمانه وهو الخليل حيث بعدت المسافة بينهما او الملائكة من قبل الله .

(تجلى) الامر ان له ، اذ ما لم ير العبد ضعفه لا يتجلى الله عليه بالقوة ، وكذا كل صفة مـن الصفات ، حيث ان العبد اذا رآى فاقديته ، واندكت انانيته يتجلى الرب عليه ، ويفيض ذلك الكمال ، فلوكان غرض بعض اهل الكشف مـن ضعف همة لوط عليه السلام ذلك فهو صحيح ، وعبادالله لاتكون الاكذلك فانها ترى الضعف من قبل النفس ، وان كان غيرذلك فلا يكون صحيحا .

اما تجلي قوة النفس فحيث رآى الملائكة مع الالتفات بكونها ملائكةمرسلة من الله على العذاب ، ومن باب حصول الاطمينان له ، ما حصل له الخوف ،وشمول العذاب الدنيوى لضيق الدنيا عليه ايضا ، وما تأثر من عذاب امرأته ، ولميشفع لها بعد علمه ببعدها عن الرحمة .

و اما توجه امام زمانه فلما مر من تقدم توجه الخليل عليه السلام والتفت لوط عليه السلام ايضا بذلك الامر بعد دعائه فقالت الملائكة لاتخف علينا ، فانا رسل الله فبذلك علم عليه السلام بان القوم لايقدرون عليها .

ثم اعلموه بانهم (لن يصلوا اليك) ايضا ابداً اى لاتتوهم ان حين كون الملائكة فيهم لايصلون اليه واما بعد مفارقتهم يصلون اليه ، ويعذبوه فـاتوا بكلمة (لن) التى للنفى التأبيدى ، وكان فيالواقع كذلك ، لمكان هلاكة القوم بعدذلك، فلن يصلوا اليه ابداً .

(فاسر باهلك بقطع من الليل) وكون الليل مأخوذاً فى مفهوم الاسراء يقتضى

ان يكون التقييد به من باب تجريد الاسراء عن ذلك كما هو المتعارف ، ثم التقييد

واما تعيين الليل المأخوذ، اى ليس بلازم ان تخرج من اول الليل ، بل يكفى البعض ، وهو الاخر ونهى الله نهى تسخير عن التفات الاهل (الاامرأته) فالتفتت فيقرء بالرفع (و اما) تكون مستثناة من الاهل اى اسراهلك الا امرأتك فتنصب ، (وعلى الاول) خرجت معهم والتفتت فاصابها العذاب (وعلى الثانى) لم تخرج فأصابها العذاب مع القوم ، وعللوا باشتراك الجهة (اما) من باب رضائها (واما) لاجل ماورد ان نساء القوم ايضاً قد اشتغلن بالمساحقة ، وموعدهم ، ومنتهى مكثهم فى الدنيا صبح هذه الليلة .

ولما استدعى لوط عليه السلام قبل الصبح لشدة تنفره فى الله منهم قالت الملائكة (اليس الصبح بقريب) اى الصبح فى كمال القرب .

(ولما جاء امرنا) اى الامر التكوينى التسخيرى وصورة الامر الملائكه او الامر الطلبى الى الملائكه (جعلنا عاليها) اى القرى (سافلها) وهى تصير بمثل بعض الزلازل العظيمة التى تنشق الارض بسببها ، فاذاانهدمت تقع العوالى ، وتصل الى المنشقات ، وتصير اسفل ، والاسفل يقع فى البعد ، ويصير اعلى والزلزلة ايضا من فعل جبرئيل عليه السلام والملائكة اوبمايشبه ذلك .

وحيث ان تمام الملك من رشحات الملكوت والجبروت، وبارادتهما تختلف حالات الملك ، بل تمام عناصر عالم الكون والفساد للولى اوالملائكة العالين ، او المأمورين من قبيل البدن المطيع للنفس ، فلااستحالة فيما يصير ، ولايخالف العقل ، بل العقل حينئذ لايخالف الكيفيات الواردة فى الاخبار ، من قلع جبرائيل عليه السلام لهذه المدائن واصعادها ، ثم انقلابها

فان الريح الشديدة فى الطبيعة اذافعلت ذلك نسلمه ، مع انه من فعل العاليات ، ولقصور ادراكاتنا على المحسوسات نناقش، اذانسب الاثر الى العاليات ، وعند العقلاء

الامر على خلاف ذلك (وامطرنا عليهم) و الانتسابـات الى الله للفناء اى امطرت الملائكة عليهم مضافا الى تخريب البناء الحجارة من السجيل اى التراب المطبوخ من الحرارة المنضود ، المجتمعة اجزائها للصلابة .

ومعلمة عندالله بالعلامة المعينة ، وان اى واحد منها ، لاى واحد من القوم ، لاحاطة علم الله ، حيث ان الحدوث والبقاء منه ، وليست هذه المدائن الخربة المعلومة انها على خلاف العادة ، اوالحجارات التى فيها من السجيل (من الظالمين) وهى اهل مكة (ببعيد) لوقوعها فى طرقهم التى تعبرون عليها فى الاسفار الى الشام .

وقدظهر سابقا عدم خلاف العقل فى رؤية الملائكة فى عالم الكون فى صدر القصة ، فمشاهدة لوط عليه السلام والقوم لها لامانع عقلى لها، ونزول العذاب ايضا على هذا القوم لايمنعه العقل ، لان تلك القصة قصة واحدة ، وذكرت فى القران بعبارات مختلفة ، وفى بعضها ذكرت بعض مساويها ، و بعضها بعضها الاخر ، وفى الكـل عنوان ايتان الرجال .

فيعلم ان المجموع كان حاصلا فى تلك القصة ، من اتيان الذكران وترك ماخلق الله لان يؤتى بها ، وهى النسوان ، وفيها قطع النسل ، والظلم على النساء، وكونهم يقطعون السبيل ، ويعملون مع من جاؤا به على نحو العلن ، والمنادات بالمنكر، وهو ايضا ظلم فاحش على هذا القسم من الرجال ، فان التصرف بغير الاذن ظلم، خصوصا مايوجب تلك الشناعة والانكسار والذلة بحيث يدر كون ذلها وموهونية من يفعل بها الاطفال الصغار ، وهذا ظلم عظيم، وقبح الظلم، من المستقلات العقلية .

وذكر اتيان الرجال مع الكل ، لكونه منشاءاً وأصلا وسبباً لهذه المظالم .

فالعقاب الدنيوى، والهلاكة الدنيوية لهذه الاشخاص الظالمين . بهذا المقدار من الظلم على النساء والرجال الاباعد لاينكره العقل فلاشيء يخالف العقل فى تلك الايات ، والله الهادى .

قوله تعالى : **والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولاتنقصوا المكيال والميزان انى اريكم بخير وانى اخاف**

عليكم عذاب يوم محيط (٨٧) وياقوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولاتبخسوا الناس اشيائهم ولاتعثوا فی الارض مفسدين (٨٨) بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين ومااانا عليكم بحفيظ (٨٩)

ای ارسلنا (الی اهل مدين اخاهم) من حيث القبيلة (شعيبا) وذكر بعضهم انه عليه السلام كان من العرب، ويحتمل حينئذ ان يكون التسمية، لانشعاب الشعب الكثيرة منه، من الاولاد والذراری لو كانت التسمية والاشتهار بعد صيرورته عليه السلام كذلك، اولكونه كالقلب المتشعب ، ارتباطاته مع تمام الاعضاء .

وهولكونه جامعا بين الباطن والظاهر ، وطليق اللسان ، فی اعلام الناس بالمطالب الحقة ، ولذا يقال في حقه : انه خطيب الانبياء (يكون) مرتبطا مع الناس، وباعثاً للانجذاب، ومتكلما معهم بلسانهم، وبالخطابيات ، لانس الناس بها، ووقعها فی قلوبهم فكانه عليه السلام القلب المتوسط بين الروح والاعضاء .

وعلى ای حال فدعا قومه بالتوحيد ، ونفی اله غيرالله ، ونهاهم عن نقص الكيل والوزن ، معللاً بمايقبله كل سليم عن المرض ، وهوان الداعی الی اتيان غيرماهومحبوب عند العقل ، وهوالظلم الصغير، ای والبخس فی الوزن والكيل ، وهوالذی يكون سرقة دنية، واخذ مال يسيرانمايكون للانسان بسبب شهوة راجحة وغالبة على العقل عند الفاعل اولدفع منافر.

ولما انكم فی النعمة والرفاه ، واری حالكم بخير من العيش ، وعدم ضيق فی المعاش ، فتضعف شهوة جلب مقدار قليل من المال الحاصل بسبب البخس ، اذلو كان كثيرا يتبين الحال ، فلايشتری منهم ، ولا يباع عليهم فتفوت الفائدة فی زمان السعة ، نعم فی زمان الغلاء وكثرة القيمة، للمكيل والموزون ، يكون القليل المسروق كثيرا فی القيمة، فالشهوة تتوجه اليه ، مضافا الی الافتقارفی هذاالزمان، واما فی الرخاء فلايناسب هذه السرقةالدنية، لاهل الثروة ولومن جهةسعةالزمان فكيف ترجح على محبوب العقل وهوالعدل (او) بسبب الغضبية ، ودفع المنافرة ، وذلك

في المقام على العكس ، اذ لاخوف من احد على العدل ، وانه لم لاتبخسون .

واماعلى هذاالقسم من الظلم ، فيحتمل احتمالا راجحا ، ان يؤاخذالله وينزّل العذاب (واني) لحبكم حيث انكم بمنزلة مـايلزم على الانسان ، حفظه من الاقارب والارحام (اخاف عليكم من عذاب يوم محيط) عذابه بحيث كان العذاب عاماشاملا للتمام ، فبهذا البيان أظهر محبته وهددهم بانقطاع آثارهم بهلاكة العيال والذرارى معهم في ظرف ذلك الاحتمال ، وذكر ذلك على نحو الاحتمال حتى لايحاجّون معه، ويقولون : لادليل لكِ .

وهذه البيانات في منتهى الدقة العقلية وتكون بحيث يفهمها النوع ويكون سببا لتنبّه النفوس المتعارفة

ثم اكد بصورة الامر وامر بالوفاء ، واعطاء التام على نحو القسط ، والعدل ، لاالزيادة ولاالنقيصة ، ثم تعدى عليه السلام من المكيل والموزون الى مطلق مايباع ويشترى مما يذرع ، كمايجعل لباسا اوفرشا ، اويعد كالبيض والجوز ، وساير المعدودات فقال : (ولاتبخسوا الناس اشيائهم) اى حسن ذلك الحكم، وقبح خلافه ، ليس من باب خصوصية في المكيل والموزون ، بل بلحاظ العدل وخلافه من الظلم ولو كان صغيرا

ثم تعدى من المال الى غير المال ، ونهى عن مطلق الفساد في الارض والعثو هو الفساد جرد ثم قيّد اى لاتنقصوا على احد ، نفسه اوعرضه ، ولا تسلبوا الراحة من احد

فان علة الحكم هو العدل ، وعدم التعدى ، ولا خصوصية للمال كما لم تكن خصوصية في المكيل والموزون

ثم نصحهم بـان كل شيء اذا لم يبق ، وينتفى فلا فائدة فيه ، فالتنعم والتلذذ بلحاظ البقاء ، واذا كان الباقي ، قدابقاه الله بلحاظ الوهيته المستجمعة لتمام الكمالات فهى تكون نافعة للانسان الجامـع للكمالات الذى هـو عبدالله ، و المرتبط الى الجهة الجامعة و اما اذا كان الباقى بلحاظ بعض الاخر من الاسماء ، كالاضلال

والاذلال، والمهلك والمنتقم ، وهكذا ، فلاتكون نافعة ، بل‌تكون ضارة ؤ (بقية‌الله خير لكم)

واذا كان المشي على‌نحو العدل ، فالمبقي‌لكم هوالله واذالم يكن كذلك ، فالمبقي بلحاظ الاسماء الاخر ، ولا خير فيها فـي مقابل ذلك ، بل‌مطلقا ، لكون ما لايكون على‌ميزانه غيرمحبوب له‌تعالى وحق‌عبدالله تصرف‌الله بلحاظ الالوهية فيما يتعلق بهم لاغيرها ، ولكن تمام‌ذلك يفيدان كنتم مؤمنين ومعتقدين (وما انا عليكم بحفيظ) اى‌لست مواظبا ورقيبا على اعمالكم ، ومجازيا لكم‌لوتخلفتم ، بل غرضى النصيحة وانذاركم لتحترزوا عن‌الهلكات

وهذاايضا لطافة اخرى فى‌البيان ، اى‌بياناتى ليست‌من‌باب السلطنةوالحكومة عليكم ، حتى اكون مراقبا مجازيا ، بل لكونى عالماً بمالاتعلمون ، من الخيرات والشرور ، ولحبى‌لكم ، ابين لكم المصالح والمفاسد ، حتى تقدموا على الاول ، وتحترزوا من‌الثانى

وكون المذكورات قصة وكون‌مكالمات شعيب عليه السلام فى‌نهاية السلاسة والاتقان ومطابقة مع العقل يمنع عن احتمال كون الايات المذكورة على خلاف العقل ، والله‌الهادى .

قوله تعالى : قالوا ياشعيب اصلوتك تأمرك ان‌نترك مايعبد آباؤنا اوان نفعل فى‌اموالنا مانشاء انك لانت الحليم الرشيد(٩٠) قال ياقوم ارايتم‌ان كنت على‌بينة من‌ربى ورزقنى منه‌رزقا حسنا وما اريدان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان‌اريدالا الاصلاح مااستطعت‌وما توفيقى الابالله عليه توكلت واليه انيب (٩١) وياقوم لايجرمنكم شقاقى ان‌يصيبكم مثل مااصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد (٩٢) و استغفروا ربكم ثم‌توبوا اليه‌ان ربى رحيم ودود (٩٣)

فذكروا في مقابل كلماته عليه السلام تلك الكلمات ، واستفهموا استفهاماً تقرير ياعلى تسويلاتهم ، وان واقع الامر كذلك ، وهو انك جعلت من قبل نفسك عبادة على كيفية مخصوصة من الكيفيات ، على خلاف كيفية عبادتنا للاصنام وتريد ان تشيع مجعولك، ويأخذبها الناس ، فتمنع عن عبادة الاصنام مع كون آبائنا الذين اعقل منا ، يعبدون لها في زمن حيوتهم .

وكأن ذلك الزام على الشعيب عليه السلام بكون غرضه اشاعة مجعولة ، و الا فهو لا يكون اعقل من الاباء فيخالفهم ، ولابدون العقل حتى كانت مخالفته لاجل فقد العقل ، وكذلك هذا الحب يبعثك ، على ان تسلب اختيارنا في التصرف في اموالنا مانشاء ، والانسان مختار على ماله ، فنريد البخس في اموالنا ، فقولك يكون على خلاف العقل ، لسلبك الاختيار ، مع انك عاقل ، فلابد من كون الباعث هوماذكرنا والا فانك صاحب الحلم والمداراة ، وانت صاحب الرشد في الرأى ، فاذا كنت (حليما) في ذاتك ، و مع ذلك تمنعنا وتطردنا من عبادة الاصنام و(رشيداً) في عقلك ، ومع ذلك تمنعنا من التصرف في اموالنا بمانشاء فلايكون ، الوجه الاحب اشاعة مخترعك ومجعولك ، وهي صلوتك

ولو حمل على الاستهزاء كما ذكره بعض ، فلابد ان يقال ان مرادهم ان اشتهارك بالحلم والرشد بيننا كان ، في غير المحل ، والالم تأمر بسبب حصول ان يشيع مخترعك على اخذنا ، بخلاف عقول آ بائنا من عبادة الا صنام ، وبخلاف عقولنا على سلطنة الانسان في ماله ، فاجا بهم عليه السلام بالاستفهام الانكارى

فقال : هل ترون ان كانت لى ا لبينة على خلاف عقولكم وعقول آبائكم ان باعثي هي الاشاعة كما تقولون والبراهين على بطلان قول آبائكم في نهاية الكثرة

(اما) توحيد الله ، فقد سبق ، وبين لهم قطعا (واما) ا مر الاصنام فهي واضحة عند كل ذى بصيرة ، اذ موادها مثل سايرالمعادن والاخشاب ، ولايقولون بالوهيتها او شفاعتها .

و اما اشكالها فهي مجعولة لكم والفعل دون الفاعل ، مضافاً الى انها لا علم

لها ، ولا ارادة ، فكيف تحب وتبغض بعض الافعال ، او كيف تشفع .

واما امر التصرف في المال ، فالموضوع قد تبدل لانكم اذا بعتم مقداراً معيناً من المال ، وعيّنتموه في المال الخاص يصيرهذا المال على المقدارالخاص ملكا للمشتري ، ولابد ان تدفع اليه ، فبخسك وعدم اعطائك امساك مال الغير من الدفع اليه ، فالمنع لاجل عدم دفع مال الغير اليه، لالاجل عدم تصرفكم فيمالكم، وهذه الامور الادراكية هي البينة من قبل الرب ، ولو كانوا قاصرين فالبينة لابدان تكون من المحسوسات وقد اتى بها البتة حينئذ .

(ورزقني منه رزقا حسنا) اي اترون لو كان المنعم علّي ، قدانعمني الرزق على النحو الحسن، وشكرالمنعم يكون لازما، ودلالة الناس على التوحيد، والعدل من شكره ، ان الداعي لي هواشاعة ما جعلت ، او الداعي حينئذشكرالمنعم، وهو من الواجب العقلي فما توهمتم يكون باطلا حينئذ .

(وايضاً) لااريد الامتيازمنكم، والمخالفة معكم فيماآمركم به بان اقول : ان امرى اعلى من ان اعبد ، فلا اعبد احدا ، ولزم على غيرى انيعبد ، حتى يصير كاملا مثلى (او) اني مالك الاموال فلي اعطاء الناقص واخذ الزايد، وذلك عهدي معكم.

وبعد سلب الامتياز لاتبقى الشهوة على حب اشاعة عبادة الله ، والصلوة لـه بالداعي النفساني ، خصوصاً بعد كون الجميع من المستقلات العقلية عند التأمل ، وما اريد الا الاصلاح الذي من المستقلات العقلية حسنه ، على مقدار استطاعتي ، وما التوفيق الا بالله ، (عليه توكلي واليه) رجوعي .

(ويـا قوم) وذلك ايضاح ليّن لهم لايبعثكم الجدال في الكلام والشقاق ، معي ان توقعوا الضرر على انفسكم ، فيصيبكم (مثل مااصاب) هؤلاء الطوايف من العذاب ، وخصوص امر قوم لوط غيربعيد (اما) عن اذهانكم لاشتهار قصته عندكم (واما) عن المحسوسات من مدائنهم (واما) من حيث الزمان .

ثم طلب الاستغفار منهم ورجوعهم الـى الله معللا برحمة الرب ، ووداده المخلائق وهذا ايضاً يوجب توجه من لامرض له .

وكون الجميع غير مخالف للعقل فى نهاية الوضوح، والله الهادى

قوله تعالى : **قـالوا ياشعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وانالنريك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز (۹۲) قال ياقوم ارهطى اعز عليكم من الله واتخذ تموه وراءكم ظهريا ان ربى بما تعملون محيط (۹۵) ويـا قوم اعملوا على مكـانتكم انى عامل سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا انى معكم رقيب (۹۶) ولما جاء امرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا فى ديـارهم جاثمين (۹۷) كان لم يغنوا فيها الابعداً لمدين كما بعدت ثمود (۹۸)**

ولما انه عليه السلام ساعد معهم فى الخطابة و تكلم باللين ، على نحو يقبله من كـان من اهل الدرك وغلب عليهم فى البيان ، تجـاهلوا و(قـالوا) : لانفهم الكثير من كلماتك ، ولعل غرضهم برهـان التوحيد ، بمايطابق العقل ، وكون بقـاء الاشياء بيدالله ، فما يبقيه الله برحمته يكون خيراً ، وكون المنعم هوالله ، و لزوم شكره ، وتبديل الموضوع بالمعاملة وكونه عليه السلام باقياًعلى الاشتراك معهم، دالاًعلى عدم حبّه لاشاعة مخترعه .

وقالوا انك ضعيف فينا ولست بعزيز علينا ، لعدم توافق رأيك معنا ، وعدم مال كثير لك ، او ماهو مثله ، والعزة باحدى تلك الامور ، ولولم يكن رهطك ، و اقاربك و عزتهم علينا (لرجمناك) بالحجارة بسبب منعك عن عبادة الاصنام ، و اختيارنا فى اموالنا فاجابهم عليه السلام على نحو الاستفهام التقريعى وقال هل يكون رهطى لوجدانهم المـال والثروة والمساعـدة معكم فى الامور (اعز) عندكم من الغنى المطلق ، والقوى الذى تمام القوى من رشحاته ، وموجدكم ومبقيكم ومعينكم فى تمام الحالات ؟ فبسبب عزة قومى، ترفعون اليد عن رجمى بالحجارة ؟ واما بسبب الله وعزته لاترفعون اليد ؟

وهل واريتم عن الله المقبل اليكم بتمام النعم ، وجعلتم الله في الخلف عقيب ظهوركم ، وهومحيط باعمالكم .

ولماأن القوم ماأجابوه ورأى اعراضهم قال عليه السلام تهديداً: اعملوا على طبق مكانتكم وشأنكم، اى مااستعددتم له وكان توجهكم اليه ، واني ايضا عامل على طبق مكانتي وشأني ، وتعلمون بعد ذلك بمهل ، انه من يشمله العذاب ؟ (ويخزيه) وانه من يكون كاذباً ؟ وانتظروا لأيعادى ، وانا ايضا انتظر ولعل في كلمة (سوف) دلالة على أن باب التوبة يكون مفتوحاً ، فتوبوا والا ، فانتظروا، حتى تعلموا اني كاذب ام لا ؟

ولما جاء امرالله ، قد انجى الله الشعيب ، ومن معه من اهل الايمان برحمته وهلك الباقي بالصيحة الشديدة الباعثة لموتهم باجمعهم ، لخوفهم الشديد المسبب من الصيحة ، اولكونها سماوية ، فد خرقت الهواء على نحو مهلك ، فماتوا على الركب ، اى من غيرمهل بعد النزول ، لاستعدادهم للموت من نيام ، وانقرضوا كأن لم يقيموا أبداً .

ثم نبه الله نبيه صلى الله عليه وآله وابعدهم بتلك الكلمة ، لماذكرنا من سر كثرة عقاب المخترع بالسوء بازدياد العامل على طبقه وهذه الايات حكايات غيرمخالفة للعقل والمحكي ايضا ليس خلاف العقل ، والموت بالصيحة ، لابرهان على عدم وقوعه عقلا فتمام هذه الايات غيرمخالفة للعقل، والله الهادى .

قوله تعالى : **ولقدارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين (٩٩) الى فرعون وملائه فاتبعوا امرفرعون ومامرفرعون برشيد (١٠٠) يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار وبئس الورد المورود (١٠١) واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود (١٠٢)**

ولعل تكرارقصة موسى عليه السلام كما ذكرنا سابقا ، ولكنه كما قلنا : بان في كل مورد يكون المقصود جزءاً منها بالاصالة ، ويختصر الباقي ، للاعلام على كون

ذكره بالتبع ، هوعظمة امرموسى عليه السلام وكونه تاليا فى العظمة لرسول الله صلى الله عليه وآله فى الاتيان بالمعجزات الظاهرات .

فكما ان له صلى الله عليه وآله اطعام الكثير، بحيث يشبعون بالقليل من الطعام ، وتسبيح الحصى ، وانين الجذع ، وشهادة الضب ، الذى قسم من الحية ، والظلال بالغمام فى السفر، والانباء بالغيب فى امرفارس والروم ، ولعاب العنكبوت ، وبيض الحمام على باب الغار، وتبريك يده لبن شاة ام معبد ، والشوكة التى عندها ، وعدم الظل لبدنه المبارك ، وارائة القليل كثيراً ، والكثير قليلا فى بعض الغزوات ، وانشقاق القمر باشارته ، واسرائه الى بيت المقدس فى الليلة الواحدة ، والاتيان بالسلطان المبين وهو القرآن .

فكذلك له عليه السلام من الايات ، الدم، والطوفان ، والجراد، والقمل ، والضفادع واليدالبيضاء من غيرسوء والعصاء، وانشقاق البحر ،وانشقاق الحجر ،وانفجاره للعيون وعمود الناروالسحاب وغيرذلك لهما عليهما السلام .

والحاصل انه عليه السلام قداتى بالبينات الكثيرة والحجة والسلطان الواضح وهو العصاء بانقلا به ثعبانا ، آكلا من غير رجوع ما يؤكل ، لفرعون واتباعه فلم يتبعوا امره (واتبعوا امرفرعون) مع انه مخالف للرشد والعقل .

اذ هو يدعى الربوبية (فان كان) غرضه الاستقلال ، فكل احد كان عالما بولادته ، وانقلاب حالاته ، وافتقاره الى الاكل والشرب والجماع ، وكل ذلك مناف لوجوب الوجود ، (وان كان) من باب المظهرية فلم لم يأمر الناس بالاخذ بتوحيد الله وانه الاصل، ولم يصير مغلوبا ؟ لموسى عليه السلام ويستعين بالسحرة ، ويصير مغلوبا ايضا فهوغيررشيد ، وقوله ، وفعله على خلاف الرشد .

واذا كان هذا حال المتبوع ، فما حال التابع ؟ من حيث الرشد وهويورد النار اتباعه بتسبيبه ، ويقدم عليهم فى الورود ولايكون موردهم مورداً حسنا ، بل يكون ضد الحسن ، والبعد الالهى فى الدنيا يتبعهم ، وفى القيامة ايضا عطائهم من

الله اللعنة ، وازدياد العذاب ، ولاحسن لذلك العطاء ، بل يوصف بضد الحسن لهم

وقدبينا سابقاكون المعجزات على طبق العقل، وعدم استحالتها ، فلامخالفة للعقل في هذه الايات من تلك الجهة ، واما من جهة الحكاية ، فعدم المخالفةيكون واضحا، والله الهادى .

قوله تعالى: **ذلك من انباء القرى نقصه عليك منهاقائم وحصيد (١٠٣) وماظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم فما اغنت عنهم الهتهم التى يدعون من دون الله من شيء لماجاء امرربك وما زادوهم غيرتتبيب (١٠٤) وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهى ظالمة ان اخذه اليم شديد (١٠٥) ان في ذلك لاية لمن خاف عذاب الاخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود (١٠٦) ومانؤخره الالاجل معدود (١٠٧) يوم يأت لاتكلم نفس الاباذنه فمنهم شقى وسعيد (١٠٨).**

اى ذلك المذكوروبلحاظ الجنس اتى بالمفرد، وباعتبارالبعد الزماني لاهل عالم الزمان ، جيء باللام ، من اخبار اهل القرى نبين لك ، وبعض هذه القرى (قائم) موجود واهله في ذلك الزمان قد هلكوا ، وبعض تلك القرى (حصيد) وغير قائم اى خربوا .

ولم نظلم على واحد منهم ، بل هم باختيارهم ظلموا (انفسهم) ولم تغنهم (آلهتهم) ، وقت مجيء امر الله ، ولا يزدادون غيرالهلكة والقطع ، اى صورتهم التى في نفوس عابديهم الباعثة للتمسك بهم ، لم يزدادوا غير ذلك (او) المراد الشيطان الكبير، وسايرالشياطين (او) من كان من المدعين للالوهية من افراد الانسان كفرعون واما الاصنام ، فلم يكن في وجودهم نفع ولاضر.

وذلك الامورالواقعة ـ لانطباقها على الامرالكلي ـ لافرق بنيهما وبين الزمان اللاحق عليهم ، اوالسابق عليهم ، لعدم كون افعال الله على سبيل الجزاف، وظهور الانفكاك ، بنظرنا في بعض الموارد ، لوجود خصوصيات محفوفة مع البعض دون

البعض ، المخفية علينا .

(ان في ذلك) الاتحاد في المشي لعلامة على الوحدانية والحكمة ، لمن كان من اهل العلم ، ومعتقدا بالاخرة وعذابها ، وهو يوم الجمع ، وهو يوم مشهود للجميع ، لحضور الكل في ذلك اليوم ، اذ كما ان نزول الكل من العالم العالي ، لاستحالة عدم السنخية واستحالة الطفرة ، فلاتتكثر الاشياء الا بالنزولات قعود الكل ايضا يكون اليه ، للزوم وصول تمام ما بالقوة الى الفعل ، حتى لايلزم خلاف الجود ، والافاضة للكل مايستدعيه .

ومانؤخر اتيان ذلك اليوم الا لاجل وزمان معدود، ولماان الاجل يكون عبارة عن مدة مضروبة مجعولة للشيء ، اوالاشياء في التشريعيات ، اوالتكوينيات ، فلابد من اشتمالها على المصلحة لبطلان الترجيح من غيرمرجح .

فاذا جعل الله حكماً في زمان معين ، دون ساير الازمنة ، ولميكن الصلاح الخاص في ذلك الزمان بعينه ، كان التقييد بذلك الزمان ترجيحا من غيررجحان ، وهومحال لرجوعه الى الترجح من دون مرجح ، فان ذات الفاعل لمتكن علة تامة والا لحصل المعلول من غير انتظار مجيء ذلك الزمان ، فلولميكن ذلك الزمان ـمن باب الصلاح لاتمام العلية في الارادةـله الدخل ، يكون التحققـبعد مجيء هذا الزمانـوجود الشيء من غيرعلته التامة ، وهوالباطل البديهي .

وكذلك الامرفي التكوينيات من غيرفرق ، فلولميكن للزمان الذي يوسع فيه الرزق،اويبقى فيه العمر، دخل، لكان اللازم الحصول في غيرذلك الزمان ايضا، لتمامية العلة ، واستحالة تخلف المعلول منها (او) تحقق الممكن من غيرعلته التامة،حيث ان ذات الفاعل لمتكن علة تامة ولميكن ذلك الزمان ايضا له الدخل .

وحينئذ ، فاذا كانت القيامة الكبرى كما ذكرنا سابقا بحركة تمـام اجزاء العالم نحو عالم القيامة ، وخروجها مـن استعداداتها الى الفعل ، فللمقدار المعين

من الزمان دخل فی ذلك الخروج ، والایلزم احد الامرین (۱) فالتأخیر انما یکون لاجل انقضاء هذا المقدار ، المعدود من الزمان ، الذی له الدخل فی خروج تمام الاشیاء من استعداداتها الی الفعل ، فتأخیرالله ، من باب ذلك الامر ، وما لمیجیء ذلك المقدار من الزمان ، ولم یذهب لایتحقق ذلك الیوم ولو استدعی تعجیله تمام الناس .

ولما ان ذلك الیوم یوم بروز سلطنة القهار ، ویشهد القهروا سبابه کل احد ، یمتلی تمام اجزاء العالم من الصدر الی الساقة من العقل الاول الی الهیولی، بقول بعض ، من الخرف (۲) فلا تتکلم نفس خوفا الابعد أذن الله تعالی اذ بالاذن یطمئن قلبه ، والناس فی ذلك الیوم صنفان (منهم) الشقی ، وهو البعید عن الله لغلبة الظلمة علیه (ومنهم) السعید وهو الغالب علیه النور (او) ما تساوی فیه الامران ، ترجیحا للرحمة علی الغضب .

ولکون الآیات المذکورة حکایة بعضها و انباءاً عن القیامة ، وقد برهنا علیها فی غیرموضع من المواضع ، فلامخالفة للعقل فیها ، والله الهادی .

قوله تعالی : فاما الذین شقوا ففی النار لهم فیها زفیر وشهیق (۱۰۸) خالدین فیها مادامت السموات والارض الاماشاء ربك ان ربك فعال لما یرید (۱۰۹) واما الذین سعدوا ففی الجنة خالدین فیها مادامت السموات والارض الاماشاء ربك عطاء غیر مجذوذ (۱۱۰) فلاتك فی مریة مما یعبد هؤلاء ما یعبدون الا کما یعبد آباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصیبهم غیر منقوص (۱۱۱)

الزفیر کاول صوت الحمار ، والشهیق کآخر صوته ، ولذا ذکروا ان الزفیر

---

(۱) ای الحصول فی غیرذلك الزمان ایضا، اوتحقق الممکن من غیر علته التامة.
(۲) متعلق بقوله رحمه الله (یمتلی)

هو الصوت العالي، والشهيق هو الخفيف (وقيل) الشهيق ردالنفس والزفيراخراجه

فالاشقياء في النار لهم الانين في بكائهم ، وباختلاف ما زرعوا ويحصدون، يختلف صوتهم ، ففي وقت حصاد ما يوجب الزفيريشتد الصوت في البكاء ، وفي آن حصاد ما يوجب الشهيق يخفف صوتهم، وبمثل ذلك يطرء العذاب، ففي مرتبة حصاد كل عمل (او) وقته (او) آنه ، بأي لسان اردت ان تعبر ، فعبر بكون الالم مطابقاً لذلك العمل ، فيشتد عذابهم ويخفف .

وتكون الاشقياء خالدين في النار (ما) بقيت (السموات والارض الا ما شاء ربك) والاستثناء (اما) للتقييد بدوام السموات والارض الذي لازمه الانتفاء عندعدم بقاء السموات والارض ، والمعنى حينئذ ان الانقطاع في غير ما شاء الله ، واما ما شاء الله دوامه على الاطلاق ، فلايقيد بماداميتهما .

(واما) لكون العذاب ثابتا فيمقدار دوامهما، اى الاماشاءالله انلايبقى بذلك المقدارويكون اقل، فالاستثناء فيالاول بلحاظ المفهوم، وفيالثاني بلحاظالمنطوق

وتحقيق المقام ان المراد من الشقي (اما) مطلق الشقاوة ولوبواسطة الاعمال والملكات دون العقائد(واما) الشقاوة المطلقة التي تسري فيالعقائد، فزالت العقائد الصحيحة ، والمراد من السموات و الارض (اما) حقيقتهما ، ولو زالت الصورة الدنيوية (واما) صورتهما الدنيوية .

فلوكان المراد من الشقي هو الاول وكان المراد من السموات والارض صورتهما الدنيوية ، فالمناسب كون الاستثناء بلحاظ المفهوم ، فان مطلق الشقاوة يشمل الشقي فيالعقائد ايضاً ، وهم صورة ذاتهم، النار ، ولاتبدل الذات ، فلاينتفي بذهاب الصورة الدنيوية للسموات والارض ، فلابد من تعلق الاستثناء ، واخراج هؤلاء، حتى يكون المراد ان التقييد المفهومي بلحاظ الشقيفي الاعمال والاخلاق، لابلحاظ الشقي في العقائد ايضاً .

وحينئذفالباقون من يكون مطهرهم من رجس المعاصي وسوء الاخلاق تمام نار البرزخ وعذابه (اعاذنا الله من ذلك) .

ويحتمل حينئذ قريباً ان يكون الاستثناء راجعاًالى المنطوق والمفهوم كليهما (اما) الى المفهوم ، فلا خراج الكفار واما الى المنطوق ، فلا خراج من يكون عذابه اللطفى اقل من ذلك .

(ولو) كان المراد من الشقي ، الاول وكان المراد من السموات والارض حقيقتهما حتى يكون المراد الدوام ، فالاستثناء بلحاظ المنطوق فقط لاخراج اهل الايمان ولامعنى للرجوع الى المفهوم فانه لااعلى من الدوام .

(ولو) كان المراد بالشقي ، الشقاوة المطلقة ، وهي شقاوة الكفر ، ومن السموات والارض صورتهما الدنيوية ، فالاستثناء بلحاظ المفهوم ، ولابد حينئذ -حذراً من الاستثناء المستوعب- ان نقول بان بعض اقسام الكفر،وهواذا لم يكن عن العناد بل من باب التقصير في الطلب، لاخلود في العذاب لهم، بل عذابهم مقدار البرزخ

(ولو) كان المراد الشقاوة المطلقة والمراد من السموات والارض حقيقتهما فالاستثناء بلحاظ المنطوق ومن باب صحة الاستثناء ، لابد ايضا من القول بقبول بعض اقسام الكفر لعدم الخلود .

وعلى اى حال فالعلة لتلك القضية ان الله كثير الفعل وشديده ، فرداً ومرتبة بمايعلم بصلاحه، والمصالح في الامتداد بالنسبة الى اقسام الشقي ، ومراتب افعالهم واخلاقهم، وكفرهم تختلف بلحاظ التعذيب بالنار، ففي كل مورد يفعل مايريدلرؤية الصلاح فيه، فان الارادة هي العلم بالصلاح، ومع عدم العلم بالصلاح لامعنى للارادة

واما استثناء المشية لاهل الجنة ، فلايكون المراد الرد الى انقص من الجنة، فيحتمل انقطاع الجنة لطائفة من اهلها ، بل لو كان المراد بالسموات والارض صورتهما الدنيوية، فالمراد بالجنة، الجنة البرزخية فتقيد بعدم خراب العالم الكبير، واما بعد انتقال الكل ، فيخرجون من البرزخ الى القيامة ، ولهم الجنة العالية ، الا ما شاء ربك من ضعفاء العقول ، فجنتهم مطلقاً البرزخية .

وكون ذلك من باب العطاء الغير المقطوع يرجع حينئذ الى المستثنى منه لاالمستثنى ، اى غير ضعفاء العقول من اهل السعادة .

(وان) كان المراد بهما حقيقتهما فلانّه لما امكن لبعض اهل الكمال الترقى من الجنة الاخروية ايضاً ، الـى مراتب اللقاء والشهود والرضاء ، فيصح الاستثناء بلحاظ المفهوم، اى لاتنقطع تلك المرتبة الالمن شاء الله من اصعادهم ، فيخرجون الى الاعلى، وذلك من باب العطاء الغير المقطوع وحينئذ فتمام ما احتملنا فى اهل النار يجيىء فى اهل الجنة .

وحيث ان مراتب النفوس مختلفة وبحسب كثرة اختلافها ، اختلاف مراتب الجنة والنار، فلايحصل الشك من عبادة جماعة كثيرة للاصنام فى كونها باطلة حيث يرى اختلاف حقايق الناس ، وان كـلا ميسر لما خلق ، ويميل الـى شكله ، فحال هؤلاء كحال آباؤهم .

ونوفى ونعطى كلا منهم نصيبهم من الجنة والنار ولاتنقص من نصيبهم، ولما ان للفضل أيضاً محلاً وبدون الاستعداد لايفضل ، فالتجاوز الفضلى ليس نقصاً فـى النصيب، بل ايفاء النصيب فى كونه عذاباً من قبل المتفضل.

ومن بياناتنا ظهر كون تمام هذه الايات على طبق العقل ، والله الهادى .

قوله تعالى : **ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وانهم لفى شك منه مريب (١١٢) وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم انه بما يعملون خبير (١١٣) فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولاتطغوا انه بما تعملون بصير (١١٤) ولاتركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من اولياء ثم لاتنصرون (١١٥)**

اى قد اختلف فى التورية ، فقال بعضهم بصحتها وكونها من عندالله ، وقال بعضهم بعدم الصحة ، فان العمالقة ونحوهم لو كانوا معترفين بالصحة (لما) حاربوا معه عليه السلام (ولما) خـاف بنوا اسرائيل منهم حتى يقولوا لموسى عليه السلام (اذهب انت وربك فقاتلا انا هيهنا قاعدون)

(ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم) قدقلنا سابقاان الكلمة هى المعربة

عما فى الضمير، وكل اسم من اسماء الله وتجه من تجلياته هى كلمة من الله، ولكل تجل آثار تترتب على ذلك التجلى .

وحينئذ نقول : ان من اسماء الله (الحليم) و(ذوالاناة) ويتجلى الله بذلك ، وكل اسم من اسماء الله يكون سابقاً بحسب المرتبة على مقتضياته ، فلولا تجليه تعالى بهذا الوصف ، ولولاذلك الاسم ، وهو كلمة الله ، لكان الله سريع العذاب، دائماً ، وسريع العقاب ، لانه ايضاً من اسمائه ، فقضى بينهم بمجرد التكذيب ، اذا كان المدعى مقترناً بما يدل على الصدق ، وهو المعجزت ، فالتأخير بسبب اسم (الحليم) والتعجيل بحسب اسم (سريع العقاب) وفى هذا تنبيه على ان لكل تجل محلا يعلمه الله صلاحه ، فالتأخير فى مدة من الزمان فى الدنيا اذا كان صلاحاً فيؤخر والا فيقدم .

ولكنهم (لفى شك منه) الضمير (يحتمل) رجوعه الى الكتاب من القرآن او التورية (ويحتمل) رجوعه الى السبق المستفاد من الاية اى كون التأخير بسبب سبق ذلك التجلى، وتوصيف الشك بالمريبية (اما) بلحاظ كون العقلاء شاكين من شكهم اى يقولون لانجزم مع تلك البينات الواضحة كون المنكرين شاكين فى نفوسهم، بل نحتمل كونهم جازمين بالصدق ، وجاحدين باللسان للشهوات .

(واما) بلحاظ ان شكهم واظهارهم الشك يصير منشئاً لتشكيك بعض آخر مثلهم فى الخبائة ، فيزدادوا اثماً ، لما سبق ، من انه على الجاعل مثل وزرمن عمل بمجعوله السيىء ، وحكم الامثال فى نظر العقل واحد ، فالاظهار مثل الجعل لوحدة المناط .

ثم بين الله تعالى ان تأخير العذاب لايصير سببا للتخفيف اذهوانما يكون فيما اذا كان العقاب للتشفى ومع التاخير قد يسكت الغضب ، فيصيرا خف ، ومع بطلان التشفى ، فى حق الله لايجيىء ذلك الاحتمال .

او كان التأخير سببا لنسيان بعض الامور ، فيصيرا خف للنسيان ، وهو ايضا محال فى حقه تعالى .

ففي مقام اخذالاعمال منهم يستوفى بالتمام،فلافرق حينئذ بين التقديم والتأخير لكونه خبيرا بالاعمال وفاعلها ، وعدم كون الموجب للعقاب سواهما ، اى الفعل السيىء حال صدوره من الفاعل عن علمه وارادته .

ثم يتفرع الله على كونه مستوفياتا ما في وقت الاخذ ، باستقامة النبى ﷺ كما امرالله ، و استقامة التائبين مع النبى كما امروا ، والتقدير : ومن تاب معك فليستقيموا ، وأكد ذلك الامربالنهى عن الطغيان والتجاوز ، وأكد فوقهما بالتعليل ، وهو كون الله بصيرا .

وقد روى عن النبى ﷺ انه قال : شيبتنى سورة هود لمكان فاستقم (١)

وبيان ذلك ان الاستقامة ضدا لاعوجاج ، واستقامة كل شيىء ضدا عوجاج ذلك الشيىء ، ولاريب ان المرادهنا لايكون الاستقامة في الجسم، بان كان الركوع اوالسجود ممنوعين اوالجلوس ايضا وامثالها ، بل المراد بالاستقامة ، الاستقامة في الكمالات النفسانية ـ والملكات الراسخة ، ومنشأ الاعمال والقوى العلامة والعمالة بان لاتصل الى حد الافراط والتفريط ، وكانت في حد الاعتدال والاستقامة ، في امهات الصفات في الحكمة العملية ، قبال الجربزة والدهاء ، والبلادة ، والشجاعة (في الغضبية) قبالا للتهوروالجبن ، والعفة (في الشهوية) قبالا للشره والخمود، من الامورالمعروفة .

وكذلك في فروعها ، من التوسط في الانفاق ، والتوسط في المعاشرة مع النسوان ، والتوسط في الاكل والشرب وهكذا

وكذلك الامر في توسط السلوك ، فلايسلك سلوكا كان بارداً ، لضعف العشق ، ولاحارا شديدا ، لشدة العشق بحيث يحرقه ، بل يسلك سلوكا متوسطا

---

(١) قال ابن عباس : مانزل على رسول الله ﷺ آية كانت اشد عليه ولا اشق من هذه الاية ، و لذلك قال لاصحابه حين قالوا له : اسرع اليك الشيب يارسول الله : شيبتنى سورة هود والواقعة (مجمع البيان ج ٣ ص ١٩٩ في تفسير هذه الاية)

بينهما بحيث لايحتاج الی الزنجبيل اوالكافور ، بل كان شرابه السلسبيل ، فانه ايضا معروف بين اهل السلوك .

وهناك توسط آخر لايدركه الاالمقربون وهوالتوسط فی شهود التجليات ، فلايطلب التجليات المتعاقبة (بالسرعة) من باب عدم تناهيها ، والشوق الی رؤية الاعلی فالاعلی من الاعلی ، بل بمقدار الانس مــع هذا التجلی ، وذوق حلاوته يتوجه الی التجلی الحاضر ، ثم بعده يتوجه الی تجل آخر فوقه (ولابالبطوء) كالقانع بهذا التجلی ، بل كان متوسطاً حتی يشاهد التجليات مع الانس بتمامها واخذ الحظ مــن كل منها .

ولماانه ﷺ اول الموجودات ولابدمن اخذه من التجليات فی الفيض الاقدس فيكون مأموراً بهذا النحو ايضا ، وغيره وماهو بحكمه ، وهوالولی المطلق علی امير المؤمنين عليه السلام اوالائمة عليهم السلام ايضا والصديقة عليها السلام لايكونــون مأمورين بذلك

فاستقامة التائبين بيده الشريفة ، ليست كاستقامته لاختلاف الامر من الله ، فان التكليف بحسب الطاقة لاازيدولكون ذلك فی نهاية الصعوبة فی باب التجليات ، اذ قديكون تجليا محبوبا غاية الحب ، فيقف عنده ازيد ، وقديشتد الحب الی ملاحظة الفوق .

ولوانضم الی ذلك ، التوسط فی الصحووالمحوايضا ، ای التوجه الی الناس للتكميل لهم ، والتوجه الی الله لشدة العشق كماان الامر كذلك ، يصير الامر علی النبی ﷺ اصعب اذاطمينان قلبه بالتوجه الی ربه ، ورفع اليدعن هذا المحبوب فی مقدار من الزمان لااصعب منه ، ولذلك صدرعنه ﷺ ماصدرونقلناه (١) ولايلزم نقص عليه ﷺ بل لنهاية العشق والشوق صارت مفارقته المحبوب سببالشيبه ، وامتثل امــرالمولی بالفراق منه ، مع كونه فــی نهاية الصعوبة ، وموجبا لان صارشيبا وحــال المؤمنين التائبين ليس بتلك المثابة .

---

(١) يعنی حديث (شيبتنی سورة هود)

نعم قال بعض من الاجلة : من اساتيد العرفان ان تلك الكلمة، ای الامر بالاستقامة كما امر فی بعض السور الاخر ايضا يكون موجوداً ، فما وجه الاختصاص بتلك السورة ، واختار ان الامر فی تلك السورة ليس لاستقامته ﷺ وتكليفه باستقامة نفسه فقط ، بل يكون عليه السلام مأمورا بان يجعل التائبين علی يده ايضا مستقيمين ، والصعوبة فی ذلك ، واما فی السورة الاخری ليست تلك الزيادة .

وهذا التحقيق لو كان يساعده اللفظ لكان فی منتهاه ، بان يكون باب الاستفعال فی المعنی كباب الافعال ، وكان المراد : اقم نفسك للاستواء ، ومن تاب معك .

ولما انه من المحتمل صدور تلك الاية فی سورة هود عليه السلام مقدم علی ساير السور فاستند ﷺ الی مافی سورة هود .

والطغيان هو التجاوز عن المقصد فيلزم عليهم ان يكونوا فی كل مرتبة ناظرين الی المقصود فيها ، ولايتجاوزوا منه الی شیء آخر أعلی ، بحيث يصير سببا للوهن فيما يكون وقلة الاعتناء ، ومع اختلاف المأمور به كما ذكر لا تعجب من الاشتراك مع النبی ﷺ

ثم علل الله تعالی ببصارته وكأن فی هذا اشارة الی ان من يفعل كذا يصير مورد التوجه الجلال ، وهو النظر والبصارة اليه ، مع ان النوم والسنة لايطرئان علی عينه تعالی فالسالكون فی هذه الدرجة ، قد تجاوزوا عن الوجود النومی ، فيقعون فی رؤيته .

ثم نهی الله عن الركون والاعتماد الی الظلمة ، لاستلزامه مس النار وعدم ولی سوی الله ، ای هو يقطع ولايته ، ولاولیّ لكم غيره ، فلايبقی لكم الناصر ، وهذا تهديد شديد .

ويحتمل ان يكون المراد من الركون ـ من باب حذف المتعلق ـ الركون فی كل شیء ، ومنه بيان الاحكام والعقايد وحينئذ فالركون التام هو الركون فی مقام الولاية، ونهی الله عن هذا الركون الی من ظلم ولو فی زمان ، ومن ركن فيمسه النار ويقطع ولايته ولاينصر ، وعلی هذا لا اشكال .

ويحتمل ان يكون للوصف العنوانى دخلا، اى لاتركنوا بلحاظ كونهم ظالمين وحب الظلم ، والمحب للظالم ، والمعتمد عليه، لظلمه اسوء حالا من نفس الظالم ، لانه بلحاظ وصول النفع يظلم ، وذاك من غير نفع يحب، بل يعتمد ، وقطع الولاية من هذا الشخص ، وعدم نصرة الله له لااشكال فيه .

ويحتمل ان يبقى على ظاهره ، ومن باب ان من يرتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه فيه (١) ، يهدده الله بانجراره الى الظلم ، اوعدم انتصار المظلوم، فيقطع منه ولاية الله لقطعه ولاية الاخوان ، ولاينصر لقطعه نصرة المظلوم .

وظهر من جميع ما ذكرنا عدم مخالفة الايات المذكورة مع العقل ، والله الهادى .

قوله تعالى : واقم الصلوة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين (١١٦) واصبر فان الله لايضيع اجر المحسنين (١١٧) فلولا كان من القرون من قبلكم اولوبقية ينهون عن الفساد فى الارض الاقليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا مااترفوافيه وكانوا مجرمين (١١٨)

ثم امره باقامة الصلوة فى طرفى النهار و قالوا : ان المراد، صلوة الصبح، والظهر، والعصر، فان الصبح عند العرف اول النهار ، ولامتداد وقت الظهرين الى الغروب ، بحيث اذا بقى مقدار خمس ركعات يصحّان ، و هو آخر النهار ، فيصدق الاية .

وحيث ان الصلوة من الواجبات الموسعة ـ اى نحو طلبها كذلك ـ فامتداد آخر الوقت فى الصبح الى اول اليوم النجومى ـ اى ما كان اوله طلوع الشمس،

---

(١) الوسائل باب ١٢ حديث ٢٥ من ابواب صفات القاضى من كتاب القضاء وفيه : فمن يرتع حولها يوشك ان يدخلها .

وامتداد آخر الوقت في الظهرين الى آخر اليوم كاف في صدق الاية ، ولايستلزم التأخير الى آخر الوقت، لكون الطلب على نحو التوسعة.

(وزلفا من الليل) اي في ساعات من الليل، وهي وقت المغرب والعشاء، حيث يمتدان اختيارا الى نصف الليل.

وعلل الله لاقامة الصلوة كذلك بـ(ان الحسنات يذهبن السيئات) وقد ورد ان ارجى آية في كتاب الله عند اهل البيت عليهم السلام تلك الاية وانها اعلى دلالة من آية (ولا تقنطوا من رحمة الله)

ولابد اولا من بيان حكم العقل. وان العقل يجوز اذهاب السيئات بالحسنات ثم بيان كونها ارجى فنقول (اما الاول) فقد ذكر علماء الكلام مسئلة الحبط والتكفير اى ذهاب الحسنات بسبب السيئات، والقائها من التأثير والثواب ، وذهاب السيئات بالحسنات ، والقائها من التأثير والعقاب .

وقد يقال : بان الكلام في غير الشرك والتوبة فان حبط الاعمال بالشرك وحط الذنوب ، وتكفيرها بالتوبة ، لايكونان من محل الكلام ، ولما ان مسئلة الامكان ، وعدمه ، مسئلة عقلية ، فلا وجه للتخصيص ، ولابد من بيان المصحح .

(اما) بيان وجه الامتناع ، فهو ان ارتفاع ما وجد عن متن الواقع بحيث كأنه قد ذهب واقعاً ، اجتماع النقيضين ، وان يكون الشيء الواحد في الان الواحد موجوداً ومعدوماً ، وهو محال .

(واما) ارتفاع اثره (فان) كان على الاطلاق فهو ايضاً (اما) يكون كذلك ، (واما) يكون اللازم منه ، عدم كون الطاعة طاعة وعدم كون المعصية معصية ، وهو ايضا خلف محال .

(وان) كان الرفع في البعد ـ اى لم يبق الاثر بعد مجيء الضد ـ (فان) كان بالكسر والانكسار والغلبة ، فهو التوازن ، وهو غير الحبط والتكفير ، وهو على طبق العقل (وان) لم يكن كذلك فهو مستلزم (اما) لاجتماع النقيضين (او) الخلف فان مورد الاثر ومحل الاثر في الطاعات والمعاصي هي دار الاخرة

فلو لم يترتب في الاخرة يلزم الخلف وعدم كون الطاعة طاعة و المعصية معصية (وان) ترتب ومع ذلك لم يكن ، فهو اجتماع النقيضين (وان) حصل الكسر والانكسار ، فهو التوازن .

واماالتصحيح (في الحبط) بالشرك بان يقال: ان الطاعات مشروطة بالموافات على الايمان ، وفي صورة الشرك يكشف عن عدم صحتها من الاول وهو في غاية البعد(وفي التوبة) بان قبولها من باب العفو ، ومعنى العفوانه يكون شيء ويتجاوز

وعلى اى حال فتكون المسئلة عقلية ، ولاحجية للاجماع في مثل ذلك لعدم الكشف فالحق ان يقال انهما ايضاً من باب الكسر والانكسار والتوازن .

وحينئذ نقول: ان الاية الشريفة قددلت على الاذهاب بالحسنات، وهويجتمع مع التوازن ، والكسر والانكسار ، وترجيح الحسنات .

واما كونها ارجى فلان آيـة (لاتقنطوا) عقيبها (وانيبوا) وايضا عدم القنوط وعدم اليأس لاينافي مع العقاب والتخلص وهذه الاية تدل على الاذهاب، فهي ارجى فما عن محمد بن الحنفية ابن اميرالمؤمنين عليه السلام من كونها ارجى في محله ، وذلك نصيحة لمن يتذكر .

ثم بأمر النبي صلى الله عليه وآله بالصبر على الأذى ، واما الصلوة فهوقرة عينه ، ولامعنى لصبره صلى الله عليه وآله فيها فان الله لايضيع اجر مـن احسن الـى الناس بارشادهم ، والصبر على أذاهم .

ثم اخبربقلة الناهين عن الفساد في السابق ، وذمهم بكلمة لولا، وان الظلمة اتبعوا ما انعموا فيه ، اى بصرفها في الملاذ والمناهي ، وكانوا مـن اهل المعصية والجرم ، وقد ظهر مما ذكرنا ، عدم مخالفة الايات المذكورة للعقل ، والله الهادى

قوله تعالى: **وماكان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون (١١٩) ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولايزالون مختلفين (١٢٠) الامن رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس**

اجمعين (١٢١) وكلانقص عليك من انباء الرسل مانثبت به فؤادك وجائك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين (١٢٢) وقل للذين لايؤمنون اعملوا على مكانتكم اناعاملون (١٢٣) وانتظروا انا منتظرون (١٢٤) ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه ومار بك بغافل عما تعملون (١٢٥) .

و لم يهلك اهلا كاعذابيا على خلاف الطبيعة ، من باب ارادة الظلم عليهم ، والحال انهم من اهل الصلاح ، فانه تعالى وجود محض ، وخير صرف ، فلايصدر منه ما يوجب نقصه ، للسنخية بين الفعل والفاعل .

ولو علم الله صلاح خلق الناس على طبيعة واحدة بحيث يفعلون على وتيرة واحدة ولايختلفون ، لخلقهم كذلك الا ان الصلاح في خلق اللطيفة السيارة ايضاً الجامعة لكل الفصول ، ولازمها الاختلاف وخلق ما على وتيرة واحدة في نهاية الكثرة من اقسام الحيوانات والملائكة والشياطين الا انها من رشحات اللطيفة السيارة ، فلايزالون في الاختلاف الا من رحمهم وعلاد رجته .

ولاجل التفاوت بالرحمة والاختلاف خلقهم لاشتمال تلك الحقيقة على ذلك الاختلاف ، والا لم تكن سيارة ، وهو خلف ، فكما ان ظهور ساير التجليات في تلك الحقيقة وهي المظهر الاتم لها ، فظهور القهارية ايضاً بتلك الحقيقة (فتمت كلمة ربك) بأن يملأ الجحيم ، من الجنة والناس اجمعين .

ثم بين الله ان ذكر قصص الانبياء والاعلامات بمراتبهم تثبيت ، واطمينان لمرتبة من مراتب قلبك المتوسطة بين الصدر والروح، والادنى من السر والخفى، والاخفى لان في الجميع ذكر الله ، والمعاملة مع الله، والصبر في سبيل الله، والانصاح لمتابعة الله ، وفيها امارات الاسماء الالهية من الرحمة، والغضب، والتمام ذكر الله، واطمينان القلب بذكره ، وتمام ما ذكر واقع ثابت ، فيكون حقاً ونصيحة وتذكاراً لاهل الايمان .

ثم يأمره بان يقول لمن لايؤمن من باب التهديد (اعملوا) اعمالكم ونعمل اعمالنا (وانتظروا) وننتظر الى يوم الظهوروالحصاد، فان باطن السموات والارض له ، ومرجع الامراليه ، فاعبدالله وتوكل عليه، فانه غيرغافل عن الاعمال، والشرح واضح .

كما ان عدم مخالفتها للعقل واضح ايضاً .

والحمد لله وقد فرغت من الكتابة عصر الجمعة السادس عشر
اوالسابع عشرمن شوال المكرم فی قاضی کوی من
اسلامبول في الالف وثلاثمائة وست
و ثـلاثين و انـا العاصی
الـراجـی

نورالدين الحسينی العراقی

السلطان آبادی من الايران

سورة يوسف (ع) (۱۲)

وهى مكية

ماة واحدى عشرة آية

كتبها حين شدة

الحرب بين المسلمين

وبين الكفاروالمنافقين

فى خارج ايران

بسم‌الله تعالى شانه

لما ان‌تفسير القرآن‌مع ملاحظة ما كتب في‌هذاالعلم جمع‌من اعاظم الامامية رضوان الله عليهم، وكثير من فضلاء اهل السنة مع كثرة بضاعتهم في‌العلم، وتيسر الاسباب، لاينبغي ان يصدر من‌مثلي .

(خصوصا) في‌حالة فقدالاسباب، والابتلاء ببلاد الغربة، والحيلولة بيني‌وبين الاهل والعيال لاجل‌المحاربة العمومية التي مصدرها، اعداء البشر، لعنهم الله .

(وخصوصا)في‌حالةالابتلاء بمجيء الطيارات، والقائهم‌بعض‌الناريات‌المضرة للفقراء والمساكين، والاطفال، والنسوان، المحققة‌لعدم الترحم في‌قلوبهم وحال‌من يجلس فيها ، ويفعل ذلك الامر المشار اليه ، اسوء بمراتب من ساير الجنود لانهم يقاتلون مع المقاتلين، وهؤلاء يقتلون من لايقا تلهم، فعليهم لعنةالله ابدالابدين .

الاانه لما ذكرلي بعض اخواني وهو جناب الفاضل والصديق الكامل **السيد عبدالرسول اليزدي سلمه‌الله في البلدة المقدسة الكاظمية**واستدعى‌مني‌ان‌اكتب الرد على بعض شياطين الغرب الرادعلى القرآن بكونه على خلاف‌العقل، وحيث وقعت‌المسافرة ولم‌يحصل الوصول‌لي الى‌الايران ووطني‌ولم‌اظفرعلى‌ذلك الكتاب اومثله، اردت ان انظر في القرآن، واكتب مضمون مايستفادمنه على‌حسب الظاهر، وذكرماللعقل فيه دخل ، وانه (اما) موافق (واما) غير مخالف ، (فكتبت) بحمدالله من اول سورة البقرة الى سورة يوسف .

(وكتبت) ايضا سورة الاحزاب، واقمت البرهان على عدم المخالفة، ومن كان له العقل و لم يكن مريضا بمرض الغضب ، والشهوة ، والشيطنة . يجدتمامه على طبق الانصاف: وموافقا لماعليه اساطين الحكمة .

واذا وصلت الى تلك السورة اىسورةيوسف عليه السلام اردت ان لااكتب عليها شيئا لكونها حكاية محضة ، وغير مشتملة علىمايوهم خلاف العقل

فكتابة مثلى لا تحسن ، اذ الجهة المنظورة لى

لاتكون فيها ، والجهات الاخرلست

مساويا مع الاعلام الكاتبين

لافى الرتبة ، ولافى

الاسباب ، ولاجل

الخوف من الاعراض ، والتوسل بها ، بنيت على

الكتابة اختصارا والبسط فىبعض مقاماته

فنقول: قال عزمن قائل :

بسم الله الرحمن الرحيم

الر(١) تلك آيات الكتاب المبين (٢) انـا انزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون (٣) نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين (٤)

اما الحروف المقطعة فقد مضى الكلام فيها ، ويحتمل اشارة (الالف) الى الله (واللام) الى الرسول (والراء) الى الرحمة ، لظهور الرحمة كما يجيىء على تمام من فى هذه السورة واضافه الايات الى الكتاب بتقدير (من) اى آيات من الكتاب ، وحيث ان اللام فى تلك للبعيد ، فهى اشارة الى الايات الثابتة فى عـالم القضاء ، وهو اللوح المحفوظ ، وهو الكتاب المبين ، المظهر لتمام الاشياء ، الثابتة على النحو الاعلى فيما هو اعلى منه من الفيض المقدس ، والاقدس ، والذات .

(انا انزلناه قرانا عربيا) اى الحقائق العالية الثابتة فى تلك الكتاب ، قد نزلناها وجئنابها الى عالم السجل والكون ، وهذا التنزيل منافهو باق على الشرافة ، ولذا لايمكن الاتيــان بمثله ، وهذا التنزيل والكسوة للصورة اللفظية يكون بعنوان الجمع ، لاشتماله على المعانى الكلية ، بحيث لايشذ منه شيىء من الاشياء ، وبعنوان التقييد بالعربية لان يعقلوها الطائفة المبعوثة اليها النبى ﷺ من اول امره ، وكان بحسب الظاهر منهم ، وهم العرب ، والا فنسبة الحقائق الى تمام اللغات ، والالسنة نسبة واحدة

وحيث انلترجيح ذلكاللسان على سايرالالسنة،يحتاج الى مرجح مّافيكفی المرجح المذكور (نحن نقص عليك) ونقرء هذه القصة الواقعة وهی (احسن القصص) لتجلیالرحمة على تمام المذكورين فیالقصة الاالنادر ، فان يعقوب عليه السلام وزوجته وصلابالاخرة الیيوسف عليه السلام وابنيامين ، وسايرأولاد يعقوب عليه السلام وصلوا الىالملك ، وارتفعوا على العرش ، ويوسف عليه السلام بلغالى درجة النبوة ، والملك، و وصل الى ابيه واحبته ، و ابن يامين وصل الى اخيه والعزة ، واخوة يوسف بالتوبة صاروا اعزاء ، وارتفع نزع الشيطان عن قلوبهم ، ووصلوا الى العزة .

واما امرأة العزيز فتابت ووصلت الى يوسف عليه السلام وهومقصدها .

واما العزيز فعلم بعدم خيانة يوسف عليه السلام معه فاستراح واما الشاهد فلوصوله الى الخيرفی خدمة يوسف .

واماالنسوة فشهدن على برائة يوسف ، وتبن من الصادرمنهن .

وامـا الملك فوقع فی الراحة من تعبير يوسف عليه السلام لمنامه ، ولوصوله الى خدمة يوسف عليه السلام ويعقوب عليه السلام و حسن مملكته بتدبير يوسف عليهالسلام ووصل من اخذه من البئرالى الخيرالكثير ، و وصل الساقی الى درجته ، ولم يبق الامن معالساقی ، ولعل خيرالتوحيد وصل اليه ، واثرايضا .

ويمكن (انتكون) القصة اشارة الیالفعل، والنفسالقوی ، وكيفية خروجها من الطاعة ورجوعها الى الطاعة ، فيكون احسن القصص ، (وان تكون) اشارة الى مراتب السلوك ، فتكون احسن القصص او غير ما نتعقله من الامور العالية (بما اوحينا اليك هذا القرآن) يحتمل انيكون المراد من لفظ (ما) هوماالمصدرية الموجبة لتأويل بعده الى المصدر ای بايحائنا اليك ذلك القرآن فالمعنى ان بيان احسن القصص بعنوان وحی القرآن اليك والقرآن مشتمل عليه .

(ويحتمل) انيكون الباء للسببية ولفظ (ما) موصولة وبمعنی الذی ، ایقصة احسن القصص عليك ، بسبب ما يكون القرآن به نازلا عليك ، من كونك مبعوثا مناللہ للتكميل ، وما للتكميل دخلتام ، يلزم علينا ان نبين لك وتبلّغه الیالناس .

(وان كنت من قبله) يحتمل كونه مخففة من مثقلة ، اى وانه كنت من قبل ما نقص عليك (لمن الغافلين) لهذه القصة ، والغفلة قديطلق ، ويراد بها عدم العلم ، وقديطلق ويراد بها الموجود فى الخزانة الغير المتذكر تفصيلا ، كالعلوم التى عندنا ونغفل منها (وعلى الاول) فالمراد انك من اجل ذاتك تكون ممكناً وفاقداً لتمام الاشياء ومنها العلم .

وكل كما لاتك من الله فقبل افاضة الله عليك العلم لم تكن عالماً كما ان قبل افاضة الوجود لم تكن موجوداً (وان) كان المراد الثانى ، فالمقصود ان قبل السفر الرابع ، وهو السفر بالحق فى الخلق كنت فى السفر الثالث ، وهو السفر بالحق فى الحق وكنت محواً فى الله وغافلا عما سواه والنفاتك الى ما سوى الله يكون لالزامنا اياك فى المسافرة والتوجه الى الكثرات والالتفات اليها لتكميل الناس ومن الكثرات قصة يوسف عليه السلام وبعثه الى النبوة والتبليغ ، وتذكاره الكثرات هو قصة الله عليه ، فالتاكيد فى الغفلة من لفظ (ان) ولفظ (اللام) الداخل على (الغافلين) تاكيد لشدة محوه صلى الله عليه وآله فى الله وعدم التفاته الى الكثرات وهذا التاكيد دال على ازدياد مقامه وشدة كماله ولايكون نقصا

ويحتمل انيكون وصلية اى بسبب البيان لم يكن لالتفاتك اليه من باب حصول الافاقة التامة والصحو التام لك ، بل بسبب البيان بعثك الى الكثرات .

وعدم مخالفة الايات المذكورة مع العقل وعدم استلزام نقص وشين على النبى صلى الله عليه وآله بعد بياننا فى كمال الوضوح، والله الهادى .

قوله تعالى : **اذ قال يوسف لابيه يـا ابت انى رأيت احدعشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لى ساجدين (٥) قال يا بنى لاتقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين (٦) و كذلك يجتبيك ربك و يعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحاق ان ربك عليم حكيم (٧)**

اى اذكر والتفت الى قول يوسف عليه السلام لابيه من رؤية الكواكب المعدودة بالعدد الخاص ، والشمس والقمر ، ساجدين له ، فان الرؤيا تكسو صورة الامثال ، فقد يشاهد الرائى المرئى ، بصورته الصعودية العالية ، وقد يشاهده بصورته النازلة السفلية ، لاتحاد الحقيقة، واختلاف المراتب والالتفات الى ذلك ، خصوصاً للنبى الملتفت بتمام المراتب بعد الامر التسخيرى من الله والتكوينى .

وحصول تمام المراتب عنده لكونه علة للكل حينئذ ، ممالايخفى عظيم امره وينتقل حينئذ كل احد الى معنى نزول القرآن ، ونزول تلك القصة ، وكونه عين الكتاب المبين ، وكون البيان بصورة الامثال .

فان المثل اذاتحركته وأصعدته يكون عين الممثل ومع حفظ مرتبته يكون ادنى ، وكماان بحسب الزمان فى الواقع كان سجود الاخوة له اولا ، ثم ابواه، رأى فى المنام ايضا كذلك وذكر على الترتيب الذى رآه

ويحتمل ان يكون تلك الرؤيا اول حركة يوسف عليه السلام وسلوكه ففى قوس الصعود يصل الى السافل اولا ثم العالى ، فوصل الى باطن الاخوة اولا فى صورة الكواكب ، ثم الى ابويه عليه السلام ورؤية الاخوة بصورة الكواكب بلحاظ نورانيتهم بنور الايمان والتوحيد ، ورسالة الخليل عليه السلام والضعف بالقياس الى الابوين ، لكون الايمان صاحب الدرجات ، واين درجة يعقوب عليه السلام من الاخوة ،

مضافا الى اخلاق يعقوب ، واعماله ، والشمس هو يعقوب عليه السلام والقمر زوجته المستفيدة من يعقوب عليه السلام .

وتوهم كون الشمس، هى الزوجة والقمر يعقوب، فى نهاية البرودة والضعف وعدم العلم بالمقام .

والجمع باليا والنون (اما) لاجل كون المراد ، الممثل، فانه مايرى فى مرآت المنام ، فالصورة النومية مرآت ، وبهايرى الواقع ، واذا كان الواقع كونهم من ذوى العقول يؤتى بالياء والنون كما اتى ، وكون المرآت مخالفاً من الاعوجاج والاستقامة فى بعض المقامات ، لاينا فى مرآتيته (واما) لكون الكواكب حية فعالة

علامة كما هورأى الحكماء غير الغربيين

فلما سمع يعقوب عليه السلام وانتقل الى التعبير ورأى أن تلك السجدة الصادرة من الشمس ، وهوالنير الاعظم لوكانت سجدة خضوعية نفسانية ، والشمس فى ذلك الزمان وجوده عليه السلام لكان اللازم كون يوسف عليه السلام صاحب الشريعة وناسخ الشريعة الخليل(ع) حتى يكون يعقوب عليه السلام يتبعه، وكان عالماً ببقاء شريعة الخليل(ع) الى زمان موسى (ع) ويوسف (ع) غيرموسى (ع) .

فعلم ان تلك السجدة سجدة ظاهرية للمملكة الظاهرية ورأى ان حصول المملكة الظاهرية ليوسف (ع) لا يكون الا بالعلم والحكمة والنبوة المؤثرة فى ملك من الملوك ورفعه اياه قال(ع) لاتقصص رؤياك على اخوتك فانهم ينتقلون الى التعبير، ويلتفتون الى حصول درجة عظيمة لك فيكيدون لك لوسوسة الشيطان من اجل عداوته .

ثم انبائه (ع) بان رؤياك تتحقق ، والامر كذلك اى مثل مارأيت ، فان الله (يجتبيك)، ويعطيك المملكة، (ويعلمك) بسبب المملكة لك وهو(تأويل الاحاديث) والانتقال الى بواطنها ومنها علم التعبيرفانه انتقال الى الحوادث الواقعة فى الرؤيا اوبسببها (ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب) لوصولك الى المملكة مع رفق لك باخوتك وتمام آل يعقوب فان خضوعهم كاشف عن حبهم والحب بدون الرفق عليهم لايكون .

ولكون الاسباب له الكمالات النفسانية لك يكون نعمة الله تامة ولرؤيتك الجميع بالصفة النورانية المضيئة للناس والمنتفعة منهم الناس تدل على اتمام النعمة على تمام آل يعقوب واعطاء الجميع العلم والايمان والرياسة فى الدنيا كاتمام النعمة (على ابويك) من حيث الدنيوى والاخروى وعلّل ذلك الامر بعلم الله وحكمته فمن اراك كذلك ويكون عالما بالمثال وواضعا للشيء فى موضعه ، يفعل ذلك تطبيقا للمثال مع الممثل، وعدم مخالفة الايات المذكورة مع العقل، من الواضحات والله الهادى .

قوله تعالى : **لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين (٨) اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين (٩) اقتلوا يوسف اواطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين (١٠) .**

ولعل من الايات حصول الاختلاف في الصفات النفسية ، والكمالية ، مع اتحاد الأب ، واختية الامّين ، واتحاد القرية ، بتلك المثابة بحيث لايتصور الصفح والرفق فوق مافي يوسف (ع) والغلظة وعدم الصفح فوق مافي الاخوة ، فلاعجب ان يصيرمع اتحاد القبيلة محمد ﷺ فوق الانبياء ، وساير القبيلة مشركين .

ومن الايات أن تأثير الحسد قد بلغ في اخوة يوسف عليه السلام بدرجة اصروا الاخفاء عن ابيهم مع رؤيتهم اياه ، مبتليا بالفراق ، بحيث ابيضت عيناه ، ولم يرحموا على شيخوخيته مع علمهم بنبوته .

ولواحتمل ان الاخفاء كان لاجل الاستحياء عن ابيهم، يكون باطلا، اذكانوا عالمين بان اباهم يكون قاطعا بكذبهم ، كما يظهر من الكلمات الصادرة منه عليه السلام فلاعجب في اخفاء اهل مكة المعجزات الصادرة من النبي ﷺ اى رؤسائهم قداخفوا من غير الرؤساء وشككوا في مارأوا حسداً .

ومن الايات ، الكذب البين البطلان، حيث أتوا بالقميص صحيحا، وقالوا : قد افترسه الذئب ، فاذا لم يستحيي اولاد يعقوب عليه السلام من ذلك الكذب الواضح فلاعجب من افتراء اهل مكة على رسول الله ﷺ بانه مسحور، اومجنون ، اوسحره مستمر، مع وضوح الامر، فاخفاء الرؤساء تمام ذلك لاعجب فيه .

(ومن) الايات انمن رجع وتاب ولومع الاصرار في سنين متعددة على ايذاء النبي الذي يكون والدهم اذا غفرالله ذنوبه ، فلاعجب من غفران الله ، لاهل مكة لو تابوا .

واذكر اذقالت الاخوة ان يوسف واخاه (احب الى ابينا منا) ونسبة الاخوة تدل على كونه معه من ام واحد دون ساير الاخوة (ونحن عصبة) اى والحال انا رجال شديد القوة كالاعصاب ، ومحيطون به ، ومخففون لاثقاله عنه ، فان ما ذكر مأخوذ فى مفهوم العصبة فكان مقتضى العقل العملى ترجيحنا عليهما لاترجيحهما علينا، فهو فى ذلك الترجيح يكون فى ضلال واضح، وضل طريقه، فلايصل الى المقصد العقلائى، فلاحظوا فى ذلك الترجيح ، الامور المعاشية الحالية ، وانهما لصغرهما لايقومان بها، فنسبوا نبى الله الى الضلال ، ولم يلحظوا ما كان منظوراله عليه السلام من الكمالات النفسية (وكذلك) اهل مكة نظروا الى تلك الامور، وقالوا من اى جهة لم ينزل الله القرآن على احد رجل من القريتين عظيم وهذا مما يضحك منه العقلاء الحقيقية .

(اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم) ولفظ يخل بحذف الواو للجزم من باب كونه جواب الامر اى اقتلوه او بعدوه الى ارض بعيد حتى يخلو وجه ابيكم لكم ، اى لايكون مزاحما لكم فى محبته ، فان الميت ، اوالبعيد الذى لايرونه يزول محبته سريعاً، ومع زوال المحبة منه واقتضاء محبتكم فيه، لكونكم اولاده ومحيطين به ، يبقى محبته لكم خاليا عن المزاحم (وتكونوا من بعد) ذلك العمل الشنيع (قوما صالحين) قائمين بخدمة ابيكم ، تائبين الى الله ، فقد جمعتم بهذين العملين خير الدنيا مع الاخرة ، وهو على طبق العقل .

و البرهان ، اذا صار مشوبا بالهواء النفسانى يصير كذلك ولم يتفكروا ان الداعى لذلك لو كان هومحبتهم الى يعقوب والمحب يميل الى ان يتوجه المحبوب اليه ويخلو له ، فالمحب لايوقع محبوبه فى البلاء والصدمة والزحمة ومقتولية الولد ، خصوصاً اذا كان فيه الحسن الصورى والمعنوى لاعذاب اعظم منه فكيف يكون الحب داعياً الى ذلك .

وان كان الداعى ان يعقوب عليه السلام يحبهم لاجل عظمته عندالله اوعند الناس وله اثر ، فالذى يظن ان فلانا قاتل لابنه او مبعد بحيث لايراه يبغض ذلك ولو كان ابنه الاخر ، ولو صبر على ذلك ، او لامحالة ينقص حبه غاية النقص ، بخلاف ما اذا

کان احداولاده احب ، فان ضعف حب الباقی لایصل الی ضعف المظنون قاتلیته، وان کان الداعی کفالة یعقوب لمعاشهم وقلة الشرکاء فینافیما ذکروه من کونهم عصبة وقائمین بامر المعاش فلم یبق فی البین الا مجرد الحسد ، فاعموا علی انفسهم بالبرهان الفاسد ، وکذلك حال کل من یقیم البرهان علی طبق هواء نفسه ، بل یرید الانسان لیفجر أمامه یسئل أیان یوم القیامة) (١)

وعدم مخالفة الایات المذکورة مع العقل من الواضحات ، والله الهادی .

قوله تعالی : **قال قائل منهم لاتقتلوا یوسف وألقوه فی غیابت الجب یلتقطه بعض السیارة ان کنتم فاعلین (١١) قالوا یا ابانا مالك لاتأمنا علی یوسف وانا له لناصحون (١٢) ارسله معناغدا یرتع ویلعب وانا له لحافظون (١٣) قال انی لیحزننی ان تذهبوا به واخاف ان یأکله الذئب وانتم عنه غافلون (١٤) قالوالئن اکله الذئب ونحن عصبة انااذاً لخاسرون (١٥)**

لما وقعت المشورة ، وبنوا جمیعاً علی القاء التفریق بینهما، ولهم التخییرفی الاتیان بای مصداق ، قال واحد من الاخوة ـ وذکروا انه یهودا : لاتختاروا القتل ، بل ألقوه فی ظلمة الجب (ای فی بئر مظلمة) و (یلتقطه) مجزوم بکونه جواب الامر ای الالقاء فی هذا البئرموجب لالتقاط بعض السیارة له بحسب المتعارف ای القوه فی بئر فی الطریق بحیث یتوهم لظلمته ان فیه الماء ولکن لم یکن فیه ماء موجب لهلاکته ، فهذا یصیر سببا لبعده من ابینا ، مع عدم ارتکابنا القتل ، فانه اذا اخرجه بعض السیارة یخاف اظهارنفسه لخوفه منا ، ومن اعمالنا ، لکثرتنا ان کنتم جازمین لحصول التفریق وبانین علیه، وفی هذا ایماء الی انکم مختارین فی ابقائه وعدم التفریق وقد یستعمل ایضاً فی مقام البعث .

وجاؤوا عند یعقوب علیه السلام وسئلوا عن وجه عدم معاملة الامناء (١) فی حفظ

---

(١) القیامة ـ ٥

(١) جمع الامین ـ بمعنی انهم سئلوه علیه السلام: لم تجعلنا امناء فی حفظ یوسف علیه السلام

يوسف عليه السلام معهم، ومن هذا يظهران المترائى من حال يعقوب خلاف ذلك ، وانه يحتاط منهم ، فذكروا له كونهم ناصحين له : اى باعثيه على الخير ومن ينصح ، فلامحالة يكون محبالمن ينصحه، فاظهروا المحبة ووعدوا حفظه ، وانه بسبب خروجه معنا يرتع ويلعب في البادية ، فيحصل له الفرح والانبساط ، وذلك محبوب لك ، لكونك محبا له غاية الحب فما بين لهم الوجه الحقيقى ، اذ في بيانه القاء منه عليه السلام للبغضاء بين اولاده ، وهو برىء منه ، واما الحسد اذا بعثهم على شيء فلايكون منه عليه السلام .

واظهر ما هو الواقع عنده ويوهم وجها فيحصل الجواب فقال : ان مفارقته صعب على ، واخاف ايضا (ان يأكله الذئب) في حال غفلتكم عنه .

وهذا الجواب يوهم ان احتياطى في امره ليس لاجل عدم ائتمانى بكم ، بل لاجل حبى اياه وخوفى من اكل الذئب له في البادية ، واماكون ماذكره عليه السلام واقعا ، فالاول وهوخوف الفراق يكون واضحا ، واما خوف اكل الذئب له فلعلم يعقوب عليه السلام بوقوع واقعة على يوسف عليه السلام تبعده عن يعقوب ، ويحصل له الملك كماوعد ليوسف (ع) اجتبائه ، واتيانه الملك .

وقد ذكرنا سابقا ان الالفاظ موضوعة للمعانى الكلية، وليس الاكل منحصر بازدراد شيء بالاسنان ، بل من يغصب مال احد ، ويتصرف فيه من يتيم وغيره يكون آكلا لماله ولوكان ذلك المال من قبيل الدراهم والدنانير مما لايزدرد .

فالاكل موضوع للاحاطة التامة للآكل على المأكول ، بحيث يضمحله ويخفى انانيته كمالايخفى، بالازدراد ، والذئب ايضا هوالحيوان الجسور الاكل على الصفات المأخوذة ، في الذئب ، فحقائق الاخوة في ذلك الوقت ذئاب وفعلهم مع يوسف عليه السلام مافعلوا هوالاكل .

واما تسليمه عليه السلام مع شدة احتياطه ، فلعلمه بان هذا المنع موجب للظلم الاشد ، فمن باب ترجيح اقل الظلمين رجحه وسلمه واما ذكر الاكل فليس كما يتوهم ، من انه تعليم لعذرلهم، بل لعلمه بذلك قد اتم الحجة عليهم ، فانه لولاذلك

لكان عذرهم اوجه بانا لم نلتفت الى امر الذئب ، ولذا لم نحافظه ، فكأنه ذكّرهم حتى يكونوا مكلفين بالحفظ ، خصوصا مع الجواب الصادرمنهم بكونهم عصبة وعشرا من الرجال الاقوياء اوازيد ، وان مع وجودهم لو اكله الذئب لكانوا من الخاسرين .

وعدم مخالفة الايات المذكورة مع العقل واضحة ، والله الهادى .

قوله تعالى : فلماذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لايشعرون (١٦) وجاؤا اباهم عشاء" يبكون(١٧) قالوايااباناانا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عندمتاعنا فاكله الذئب ومانت بمؤمن لنا ولوكنا صادقين (١٨) وجاؤا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون(١٩)

اى فلما ذهبوا به بالحمل على اكتافهم اومايتعلق بهم من الدواب ، لظهور ذلك اللفظ فيه ، والا لكان المناسب التعبير بانه سارمعهم فالغرض انهم بالعز فى الطريق حملوه وعزموا واتفقوا على القائه، فى البئروالجواب محذوف ، وهوفعلوا اى لما ذهبوا به وعزموا القائه فى البئرفعلوا ذلك به .

(واوحينا اليه) فى البئر ببقائه ، ومجيء اخوته عنده ، وانبائه لهم مافعلوه فى حال لايعرفون يوسف (ع) ورجعت الأخوة من غيرندامة لبقاء العلة للحدوث فيهم وجاؤوا الى ابيهم وقت العشاء .

ولعل التأخيرمن باب اظهارالخجلة اولعروض الحزن ويبكون بكاءاً لاواقع له، وقالوا:(ذهبنا) للرمى والاستباق (وتركنا يوسف عند متاعنا) واذا رجعنا وجدنا ان الذئب اكله ، وهذه امارته ، وهو تلطخ فوق القميص بدم غيردم يوسف ، وهو دم السخل .

ولنسيانهم من شق الثوب التفت يعقوب عليه السلام ولاتهامهم عند انفسهم قالوا انك لاتصدقنا ولوكنا صادقين ، وصدورذلك اللفظ ايضا من اسباب الريبة ،

اذا وقع ابتداءاً مضافا الى مسئلة الرؤيا ، والتعبير والى النبوة فقال عليه السلام (بل سولت لكم انفسكم امراً اى) ما اكله الذئب ولكن تسويل انفسكم لكم صار سببا لفراقي وتبعيدكم اياه مني (فصبر جميل) والمبتداء محذوف ، اى امرى صبر جميل، اى شغلي وفعلي بعد ذلك صبر على تلك المصيبة على نحو لااشكو من الله ، حتى يكون جميلا ، ولم يفحص بعد ذلك من امره ، لمايرى في نفوسهم من الشقاء ، وعدم الندامة ، وفعلهم اسوء ممافعلوا ، واستعين من الله بالصبر على ماتخبرون به .

وفي هذا تسكيت لهم حتى لايعودوا الى امر اشنع ، لدلالته على عدم القطع بخلاف قولهم ، بل من باب الظن ، كان تكلمه حتى لايفعلوا اسوء ممافعلوا .

وقد ظهر مما ذكرنا عدم خلاف للعقل ، مع الايات وكون تكلمات يعقوب عليه السلام وماصدر منه مبنيا على التدبير العقلي ، والله الهادى .

قوله تعالى : **وجائت سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلوه قال يابشرى هذا غلام واسروه بضاعة والله عليم بمايعملون (٢٠) وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين (٢١) وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تاويل الاحاديث والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لايعلمون (٢٢) ولما بلغ اشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين (٢٣) .**

وجائت جماعة كثيرة السير في الارض ، لجعلهم المسافرة للتجارة شغلا لهم فارسلوا من يكون شغله في القافلة الاستقاء لها لطلب الماء ، والاتيان به ، فجاء من باب المصادفة التى لم تكن بعلمه ، عند الجب الذى فيه يوسف عليه السلام (فادلى دلوه) وارسله الى البئر لاجل الماء ، فلما رأى يوسف عليه السلام ذلك اخذ الحبل ، فاذا خرج من البئر وورآه الوارد مع الحسن الذى فيه، (قال : يابشرى) اى احضرى ايتها البشارة ، فان الوقت ، وقت مجيئك فمن باب شدة السرور تكلم الوارد بتلك

وماذكرناه كان يظهرمماذكر ، فلاحاجة الى ذكرالكل .

(واسروه بضاعة، والله عليم بما يعملون) اى أخفوا امريوسف عليه السلام وجعلوه بضاعة (او) اخفوه بهذا العنوان اذ جعله بضاعة هوساتر امره ، فالمراد انهم جعلوه مما يباع ويشترى وينتفع منه في التجارة ، اذ البضاعة فى التجارة هذا ، فبعنوان العبودية عاملوا معه .

وحيث ان السيارة لمتكونوا عالمين بحاله ووجدانه في البئرايضا ، مع عدم كونه في القبل مع القافلة ، كان واضحاً عند تمام القافلة ، فلايكون من اسر امره من اهل القافلة ، ولميسبق ذكراً لغيرهم الا الاخوة .

فالمراد ان الاخوة اطلعوا وجاؤا واخفوا امره من كونه من ولد يعقوب عليه السلام وكونه اخاً لهم وسموه بالعبودية ، حتى يكون متاعاً للتجارة فقالوا : انهذا عبدنا قد ابق منا ، ودخل فى البئر ، او سقط فيه ، وقرينة الحال دالة على انهم وصفوه بالاباق ، حتى لا يخلوه وحده ، فيجيء الى كنعان ، و باعوه بثمن بخس ، اى القيمة النازلة (دراهم معدودة) قيل : البالغة الى العشرين او الاثنين والعشرين .

وبيع العبد الذى كان وجهه كيوسف عليه السلام بهذه القيمة النازلة ، لولاتوصيفهم له بالاباق كان معرضا لسوء ظن القافلة ، فلابد من هذا التوصيف ، حتى لايقعوا في سوء الظن ، وبسببه يفشى امرهم بين الناس (وكانوا فيه من الزاهدين) اى راغبين عنه ، وغير راغب اليه ، والمراد ظهور حالهم عند القافلة ، وانهم قالوا لهم بكوننا راغبين عنه لصفة الاباق (والله عليم بما يعملون) من هذه الاعمال السيئة والظلم عقيب الظلم ومظلوميته عليه السلام عقيب المظلومية .

(وقال الذى اشتراه من مصر) والمقام من حيث ان الاشتراء ، من ارض لايكون الافيه ، والمصر غير حدود الكنعان ، يدل على حركة القافلة ، ومجيئهم بيوسف عليه السلام وبيعه فى مصر ، وقالوا ان اسم ذلك المشترى فى المصر قطفير ، وعلى اى حال فهو عزيز مصر ، اى منصبه ذلك من وزارة ، او غيرها من الامور العظيمة .

(اكرمي مثواه) اى مقامه ودرجته ، ولعله لما رأى في وجهه من الجمال ، والتفت الى كماله المعنوى ايضا ، من الكياسة الدنيوية ، وغيرها قال (عسى ان ينفعنا) لاجل كياسته في الامورالتي بايدينا ، ويحمل اوزارنا اويرفع به درجتنا عند الملك ، اونتخذه ولداً ، اى لولم ينفعنا بماذكر ، فلامحالة يمكن ان نتخذه ولداً فنتخذه ولدا ، وهذا يدل على عدم الولد له ، بل اليأس من الولد ايضا ، ولذاذكروا انه لم يدخل على زوجته ، وكانت بكراً .

(وكذلك مكنا ليوسف في الارض) والخطاب الى النبى صلى الله عليه وآله اى بهذا النحو من المظلومية المتعاقبة وتفضلنا عليه بتخليصنا اياه ، من القتل اولا ، ومن الجب ثانيا ، ومن ايدى الاخوة ثالثا ، وهكذا ، اعطيناه المكنة في ارض مصر ، (ولنعلمه من تأويل الاحاديث) يكون عطفا على مقدرمتعلق بلفظ (مكنا) وهو (لنملكه) اى مكنا في ارض مصرله ، وهومن مقدمات المملكة لنملكه في ارض مصر ولنعلمه من تأويل الاحاديث اى بواطن الواقعات كما سبق ، واحتمال كون الواو زايدة ، فالمعنى مكناه انعلمه يكون مرجوحا ، لعدم كون المكنة الدنيوية من مقدمات تعليم الله (والله غالب على امره) ، ومايريد ان يفعل لعلمه وقدرته ، فيهيىء الاسباب للحصول .

(ولكن اكثرالناس لايعلمون) لكون الاكثراحد الصنفين (اما) غيرناظر الاالى الاشياء فلاينتسب الى الله ، واما غيرناظرالا الى الله في ذلك ، وينسب الكل اليه من غيردخل للاسباب ، والذى ينظربالله في الاشياء ، ويرى ان الكل منه ، بدخله الاسباب ، وجعلها سببا فلايكون الا غيرالاكثر ، وهم ارباب التحقيق والكشف والشهود فلاحول ولاقوة الابالله ، لا ، لله عوض بالله .

(ولمابلغ اشده) اى باول مااشتد استعداد قواه وهومختلف في الاشخاص ، وتعيين الثلاثين ، اوثلاث وثلاثين ، اوالثامن عشراوأوان الحكم وهومجيء مايجيء من الرجال من الماء ، يحتاج الى معين خارجي ، والمتبع مايكون وارداً ، من اهل العصمة ، وانا فاقد ماورد عنهم عليهم السلام لابتلائي فوق الابتلاء ، من الغربة ،

وفقدان الكتب ، واغتشاش الحواس كماذكرت ، فى اول شروعى فى تفسير تلك السورة (آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين) فحيث انه عليه السلام فعل فعلا ، حسنا من الصبر على الاذى، وعدم الشكوى ، من الله جزيناه بالملك والملكوت ، من العلم والحكم، وبمثله نجزى مطلق المحسنين، لان فعل الحكيم على وتيرة واحدة .

وعدم مخالفة ماذكر مع العقل يكون واضحاً، والله الهادى .

قوله تعالى : **وراودته التى هوفى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذالله انه ربى احسن مثواى انه لايفلح الظالمون (٢٣) ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين(٢٤) واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفياسيدها لدى الباب قالت ماجزاء من اراد باهلك سوءاً الا ان يسجن اوعذاب اليم (٢٥) .**

اى ارادت يوسف المرأة التى (هوفى بيتها) بالذهاب والمجيء اليه طالبة اياه (عن نفسه) اى اريد نفسك (و)كانت (قدغلقت الابواب وقالت هيت) لك وهى كلمة بمعنى هيأت لك اى حاضرة نفسى لقضاء حاجتك منى ، وقرء بكسر الهاء وضم التاء ايضا ، والمتداول فيهما الفتح (قال) يوسف عليه السلام (معاذ الله) اى اعوذ معاذاً بالله من ذلك ان صاحب الحق عليك ، وهو زوجك قد ربانى فهو ربى فى التربية و(احسن مثواى) فلااخونه ، والاكنت من الظالمين . والله لايفلحهم، فالعلة قرينة على حذف الجزاء الظاهر كونه ظلما ، وهوالخيانة .

(ولقد همت به) اى المرأة المسماة بزليخا بيوسف عليه السلام (وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) اعلم ان بعض اهل السنة يجوّزون صدور المعصية من الانبياء فضلا عن الهم اليها ، وبعضهم يجوزون صدور المعصية قبل وصولهم الى درجة النبوة ، ولذلك يقولون : لامانع عقلا من هم يوسف (ع) على الزنا ، فالمعنى ان يوسف عليه السلام فى الاول كزليخا ، وزليخا همت بمواقعة يوسف معها زناءاً ، ويوسف عليه السلام ايضا

هم بها ، وان يواقع معها ، ويزني بها ، واللام ، ولفظ قد ، لشدة القصد ، اى قربه الى الفعل ، ويقولون ان الجواب محذوف ، (اى جوابه لولا) والمعنى انه لولا رأى برهان ربه لفعل الزنا ولما رأى فمافعل.

وذكروا فى بيان رؤية البرهان اشياء (منها) ما يدل على حرمة الزناء ، اى راى منقوشا ، مايدل عليها (ومنها) مايدل على كونه من نسل خليل ، واسحاق ، ويعقوب (ومنها) مايدل على كون اسمه ثبتا فى الانبياء ويمحو بسبب الزناء (ومنها) انه مثل له يعقوب عليه السلام عاضا انامله من ذلك العمل (ومنها) انجبرئيل ضرب على صدره فخرج مائه (وبعضهم) قال : ان الجميع وقع ، ونقل عن ابن عباس ، انه مثل له يعقوب عليه السلام ، فضرب على صدره ، فخرج مائه من انامله (١)

واما الامامية ، فمذهبهم استقرعلى عدم صدور الذنب من الانبياء عليه السلام مطلقا ، قبل نبوتهم وبعد نبوتهم ، واما الهم ، فان بلغ الى ما ذكروا من البرهان ، فلميجوزوا، وعلى اىحال فذكروا ان (لولا) جوابه (وهم بها) قدم عليها، اىلولاان رآى برهان الرب قبل ذلك الذى هو سبب الوصول الى الكمالات من الايات الافاقية ، والانفسية ، التى بها قداعطاه الحكمة ، لكان قد هم ، فانكلمة لولامركبة من (لو) الشرطية ، و(لاء) النافية ، فالمعنى لولمير ، كان هذا الامر واقعاً ، ولكنه رأى فلم يقع من قبيل ، لولا على ، لهلك عمر ، فلو لم يكن العلى عليه السلام لهلك عمر ولكنه عليه السلام كان ، فلم يهلك عمر ، فما وقع الهم منه عليه السلام على الزناء .

وقال الخطيب الرازى فخرالدين صاحب التفسير الكبير : انهذا قولبعض

---

(١) قال فى مجمع البيان : فاما ما ذكر من البرهان من الاشياء البعيدة بان قيل : انه سمع قائلا يقول : يابن يعقوب لاتكونن كالطير له ريش ، فاذا زنا ذهب ريشه (الى انقال) : فكل هذا سوء ثناء علىالانبياء عليهم السلام مع ان ذلك ينافىالتكليف ويقتضى انلايستحق علىالامتناع منالقبيح مدحاً ولاثواباً ، وهنا من أقبح القول فيه عليه السلام انتهى كلامه رفع مقامه .

الخطباء ، ای داخل فی الخطابة ، من کونه بحسب الظاهر جیداً لاحقیقة له ، ثم رده، ولفقدی الاسباب ، لم یکن عندی تفسیره ، ونسیت جوابه (١) ولم اذکره

و علی ای حال ، فلم ارفی ذلك نقصا ، اذ لو کان غرضه ان اللازم حینئذ التصدیر باللام فی الجواب من قبیل (لهلك عمر) وحیث لم یصدر لایکون جوابا ، فیرد بان حذف الجواب اذا کان مع القرینة جائزا کماتذکرون فحذف اللام ایضا یکون جائزاً للقرینة ، حتی لایقع التکرار الصوری ، وان کان غرضه ان الجواب لایقدم ، فهو ایضاً لادلیل علیه

بل مضافاً الی حکم العقل الذی ذکر فی موضعه الذی هو قرینة فوق القرائن، یکوق السابق واللاحق منادیین بذلك ، اماالسابق ، فکلمة (معاذالله)، واما اللاحق فتعلیل الله بکونه (من المخلصین) وکیف یتصور لمن تذکرالله ، واعاذبه ، وتذکر حق التربیة والاحسان ، وکون الزناء بها خیانة لولی النعمة وظلما ، و تذکر عدم فلاح الظالم من قبل الله ، وعدم نجاته ، ثم یغمض عن تمام ذلك ، ویهتم بالزناء معها ، ثم یصفه الله ایضا بانه کان من المخلصین، ای یفعل مایفعل ، لله خالصا من دون شرك الغیر

فهذان الطرفان والبرهان العقلی القطعی اوالاستحسانی امارات علی حذف اللام لو کان محتاجا الیه .

ثم ان البرهان علی ماذکرنا قدعلم المراد منه ، واما علی ماذکروا ، فلو کان وارداً فی الاخبار فلیس المراد ، الرؤیة بالعین الملکی، بل المراد ان قوة نفسه تشکل

---

(١) نقل شیخنا البهائی قده فی ذیل حدیث ١٩ من اربعینه (بعد التشنیع الشدید علی امثال هذه الترهات) من تفسیر الفخر الرازی ما هذا لفظه :

وعند هذا نقول هؤلاء الجهال الذین نسبوا الی یوسف الفضیحة ان کانوا من اتباع دین الله فلیقبلوا شهادة الله بطهارته ، وان کانوا من اتباع ابلیس وجنوده فلیقبلوا اقرار ابلیس بطهارته ـ ثم قال شیخنا البهائی قده : وهو کلام ظریف جید جداً انتهی کلامه قدس سره .

له ، صورة النهى عن الزناء ، وصورة كونه من ذرية الخليل عليه السلام ، وصورة والده وهوشيخه عليه السلام وصورة جبرئيل عليه السلام

و المراد من خروج الماء من انامله ، سواء كان بضرب جبرئيل عليه السلام على صدره ، اويعقوب عليه السلام انالواسطة بينهوبينالله اصعده ، منوجهة الصدر الىالسافل وتوجه صدره الىالاعلى فسكن ماكان محبوبا للشيطان ، وهيغلبة الشهوة ، ومن حمل ذالك على رؤية البصرية يتعجب من كثرة شهوة يوسف عليه السلام

و على ما ذكرنا فهذه الاخبار غير منافية ايضا لانالمراد انه عليه السلام لقوة نفسه احضر الكل فيالترتيب السلوكى فلم يغلب عليه الشيطان ، فلم يهتم بذلك

(كذلك)خطاب الىالنبى صلى الله عليه وآله اىاريناه البرهان ، فانالفكر والتذكر بالقائه وتوفيقه ، وكذلك الكمالات السابقة ، لأن (نصرف عنه) مطلق السوء ، وليس الغرض خصوصذلك السوء ، لكونه خالصالنا ، (والفحشاء) اىالزناء كذلك ، اى لنصرف عنه الزناء ايضا ، اى مطلقه لكونه منالمخلصين منعبادنا ، وتوصيفه بالعبودية ، يدلعلى فنائه عليه السلام وذهاب انانيته ومنيكون كذلك لايهتموهو ايضامن القرائن التى ذكرنا

(واستبقا الباب) وفريوسف منيدها فتعاقبته ، وشقت (قميصه من دبر) لانها تعلقت بقميصه حينيفر لتجذبهاليها ، وهويذهب نحوالباب ، فحصل الشق منالدبر وعند وصولهما الى الباب الاول بهذه الحالة ، وجدا العزيز فاستحيت ، ونسبت الارادة الىيوسف عليه السلام ، واستدعت سجنه ، اوضربه ضربا شديدا

وقدظهرمنجميع ماذكرناعدممخالفة الايات المذكورة معالعقل،واللهالهادى

قوله تعالى : **قالهي راودتني عننفسيوشهد شاهد مناهلها انكان قميصه قدمن قبل فصدقتوهو منالكاذبين (٢٧) وانكان قميصه قدمن دبر فكذبتوهو من الصادقين (٢٨) فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم (٢٩) يوسف اعرض عن هذا و استغفرى**

لذنبك انك كنت من الخاطئين (٣٠) وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتيها عن نفسه قدشغفها حبا انالنريها فى ضلال مبين (٣١)

قـل يوسف عليه السلام مبرئاً نفسه ، انها طلبتني عن نفسي (وشهد) مـن كان من اقارب المرأة ومن اهلها ، قالوا : انه ابن عمها ، وقالوا : انـه كـان في المهد ومن كرامات يوسف عليه السلام نطق

وعلى اى حال قال : انظروا الى القميص المنشق من يوسف فان كان شقه من القدام ، فالمرأة صادقة ، لكونه امارة على طلب يوسف لها ، ودفعها عن نفسها بشق ثوبه، وان كان شقه من الخلف، فالمرأة كاذبة لكونه امارة على فراره، وتعاقب المرأة له لجذبه وشقها الثوب .

فلما رأى العزيز ان الثوب قد انشق عـن الخلف والامـارة ايضاً مطابقة مع الاعتبار ، علم بصدق يوسف عليه السلام ، وكذب المرأة، (فقال انه) اى سبقك فى النسبة الى يوسف ، واستدعـائك للحبس ، او الضرب (من كيدكن) فان الكيد ارائة ما لاواقع له ، بصورة الواقع بحيث يقع فى الغلط من ضعف عقله ، وامرأة العزيز فعلت كذلك ، اذ الحب يقتضى ان لاتستدعـى سجنه ، لحصول المفارقة ، وايلام المحبوب ، والعذاب الاليم ايضاً ووقوعه على المحبوب ، فى نهاية الصعوبة على المحب ، فذلك الاستدعاء ، امارة عدم الحب ، بل البغض لاجل ارادته السوء معهـا .

واما باطن الامر فرأت الامرأة انها لولم تتكلم ، بهذا الكلام لسقطت من عين العزيز ، وسقوطها موجب لعدم وصول يدها اليه ابداً، اذ هولايميل اليها ، ولاتبقى للمرأة السلطنة .

واما لوبقيت بحالهاوحصل ليوسف عليه السلام احدالامرين، فيرضى لدفع الضرر عن نفسه ، بما ارادت وتشفع المرأة لـه ، وهذا هو الكيد ، والتفت اليه العزيز ، فقال ان هذا الاستدعاء ، كان من الكيد فانك امرأة وكيد النساء عظيم .

ثم من باب تعلقه بزوجته، وخوفه من اشاعة ذلك الامر، استدعى من يوسف، الاعراض من ذلك الامر ، بان لايتظلم عند احد حتى يخفى الامر ، وامر امرأته بالاستغفار ، وعلله بأن الخطأ كانت منك ، وشاع ذلك الخبر مع ارادتهم الاخفاء ، وبلغ الى نساء البلد، فقلن فى مقام الذم انامرأة العزيز مع جلالتها وحسنها، تطلب من عبده المواقعة معها، وامتلاء قلبها من حب عبدها بحيث وصل الى الشغاف اى جلد القلب ، انا لنرى تلك المرأة فى ضلالة واعوجاج مبين .

ولكونها حكاية غير مخالفة للعقل، وعدم خلافها مع العقل يكون واضحاً ، والله الهادى .

قوله تعالى : **فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكأ و آتت كل واحدة منهن سكيناً و قالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن و قلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم (٣٢) قالت فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن و ليكونا من الصاغرين (٣٣) قال رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه والا تصرف عنى كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين (٣٤) فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم (٣٥)**

اى لما سمعت زليخا بمكر النسوان وغيبتهن لها ، واطلاق المكر (يحتمل) ان يكون بلحاظ ان غرضهن من الغيبة هو دعوتهن فيشاهدن يوسف عليه السلام فالغيبة كانت من باب المكر والخديعة (ارسلت) زليخا اليهن ، و دعت لهن للضيافة ، و تهيأت لهن (متكأ) اى طعاماً يؤكل فى حال الاتكاء ، ويقطع بالسكين ، وهو الاترنج ، واعطت (كل واحدة منهن سكينا) ثم امرت يوسف عليه السلام ان يخرج على النسوة لاجل الخدمة ، فلما رأين النسوة حسنه عظمن امره ، وصرن كالمدهوشات (وقطعن ايديهن) بالسكين ولم يلتفتن الى ما حصل لهن ، من قطع اليد وجرحها

لشدة تعلق قلبهن بيوسف عليه السلام (وقلن): ان الله منزه من النقص، اى اذا كان جمال العبد المخلوق بهذه الدرجة ، فجمال الله الخالق له ، لانقص فيه ابداً .

ثم من باب تعظيمه واعلائية الملائكة عندهن من البشر ، قلن لايكون هذا بشراً ، بل هو ملك كريم ، اى من اعلى الملائكة لامطلق الملائكة .

فلما رأت زليخا حالهن وقطعهن ايديهن (قالت هذا) اى ذلك الحسن هو الذى الجأتنى الى عشقه ، وصار سببا لملامتكن اياى ، ثم اظهرت انى طلبت نفسه منه، وهو ابى وبعد ذلك ايضاً آمره ، وان لم يفعل لالقيه الى السجن ، حتى يكون من الصاغرين ، اى ممن لايعتنى به للكثافة، والهزالة العارضة عليه فى السجن ، فدعته، النسوة الى زليخا ، وقلن اطع امر مولاتك ، اودعته كل الى نفسها ، فدعا يوسف عليه السلام اذ سمع كلام زليخا من التهديد بالسجن .

فقال الهى يكون السجن احب الىّ بحسب العاقبة من الامر الذى (يدعوننى اليه) وهو الزنا ولولم تصرف عنى كيدها اصب اليها وهى النسوة او الى مقول قولهن من الدعوة الى زليخا ، واصير من الجهلة ، اى من غلبت شهوته على عقله وصار عقله مغلوباً ، فالعقل المغلوب بمنزلة الفقدان ، وفاقد العقل يكون جاهلا .

فاستجاب الله دعائه لكونه سميعاً ، ويسمع الدعاء ، وعليما بالعواقب .

وعدم مخالفة تلك الايات مع العقل من الواضحات ، والله الهادى .

قوله تعالى : **ثم بدا لهم من بعد مارأوا الايات ليسجننه حتى حين (٣٦)**

ودخل معه السجن فتيان قال احدهما انى ارانى اعصر خمراً وقال الاخر انى ارانى احمل فوق رأسى خبزاً تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انانريك من المحسنين (٣٧) قال لايأتيكما طعام ترزقانه الانبأتكما بتاويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمنى ربى انى تركت ملة قوم لايؤمنون بالله وهم بالاخرة هم كافرون (٣٨) واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لايشكرون

(٣٩) يا صاحبي السجن ءأرباب متفرقون خيرام الله الواحد القهار (٤٠) ما تعبدون من دونه الااسماءً سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله امر الا تعبدوا الا ايـاه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لايعلمون (٤١) ياصاحبي السجن اما احد كما فيسقي ربه خمرا واما الاخر فيصلب فتاكل الطير من رأسه قضي الامر الذي فيه تستفتيان (٤٢)

ثم (ان العزيز) واتباعه، لتعلق قلب العزيز بامرأته، اوعدم كون الطلاق من مذهبهم، او عادتهم، مع امارات صدق يوسف عليه السلام وعدم احتمال السوء في حقه (رأى) ان الصلاح سجنه عليه السلام، حتى يحصل البعد بينه وبين زليخا، حتى يسكت الناس عن تكلماتهم في حقهما، فالحبس الموقت صارصاحب الصلاح عندهم، فادخلوه السجن (ودخل معه في السجن) اي مقارنا لحبسه، حبس من عند الملك شابان وبعد استقرار يوسف عليه السلام في السجن، ورؤية اهل السجن اخلاقه وكمالاته المعنوية مضافة الى الكمالات الصورية، يرفعون اليه مايرون في المنام، ويعبر لهم وتلك الامور تظهر من سؤال الفتيان، وتعليلهما برؤيتهما كونه من المحسنين، وعدم صلاحية صرف الاحسان للتعبير مالم يظهر لهما بعض الامارات، فرفعا امر رؤيا هما اليه و(قال احدهما) وهو الساقي اني رأيت نفسي مشغولا باعصار العنب، فالمراد بالخمر سببه وهو العنب بقرينة العصر (وقال الاخر) وهو صاحب طعام الملك اني رأيت حمل الخبز فوق رأسي، واكل الطير منه واستدعيا أنبائه عليه السلام بتاويلهما، اي الباطن الذي رأياه، وتمثل لهما بالصورة التي ذكراها، وعللا استدعائهما التاويل منه برؤيتهما كونه من المحسنين.

قال عليه السلام (لاياتيكما طعام ترزقانه الانبأ تكما بتأويله قبل ان يأتيكما) ويحتمل ذلك ان يكون مراده عليه السلام قبل اتيان الطعام لكما في هذا اليوم او الليلة انبئكما اي بعد ساعة مثلا وقال عليه السلام ذلك لاجل ان يدعوهما الى التوحيد وينصحهما مع افادته عليه السلام لهما مايكون مناسبا مع رتبتهما، فانهما قبل التأويل

من باب اراد تهماله، يستمعان جدا الى كلماته، ولعل بعد التاويل لايستمعان. فاراد عليه السلام استماعهما ، فقال ما قال .

ويحتمل ذلك ان كل طعام ترزقانه فى النوم وتأكلاه، انبئكما بتأويله وباطنه قبل انيجىء فى الخارج وجوده الى العلم على النحو الكلى، فاقدرعلى هذا التأويل وغيره من ساير المنامات .

ثم انسلخ من انانيته وقال هذا لايكون من قبل نفسى، بل من قبل الله وتعليمه، ثم من باب تحريصهما الى مايد عوهما اليه بعد ذلك، علل علمه وكماله من قبل الله بتركه الشرك وعدم الايمان بالله واليوم الاخر . وانه قد اتبع ملة ابائه و عقائدهم ، والملة هى العقائد .

ثم نفى الشرك وعلله بانه لاينبغى لنامعاشر الانبياء الشرك. لكونه شيئاً خسيسا عند العقلاء و(ذلك) المطلب وهو عدم كون شانناذلك (من فضل الله علينا) بل على جميع الناس اذحقيقتهم حقيقة عالية لاينا سبهاذلك الامر الباطل (ولكن اكثر الناس) من باب انهما كهم بالشهوات. رفعوا ايديهم عن مقتضى حقيقتهم، فلايعملون على طبقها (ولايشكرون) لخالقها

ثم بين لهما الدليل بقوله عليه السلام (ياصاحبى السجن ء ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار) اى اذا عرضتما ذلكما على عقولكما ، فترى الحسن فى التفرق ام الواحد المستجمع .

فانه اذا كان اله كل شيىء غير اله شيىء آخر مثلا، (اله) الحرث والزرع كان منفصلا، وكذلك (اله) الحرب (واله) الطرب كان غيرهما، (واله) حفظ الصحة من الامراض كان رابعا (واله) قلة الماء وكثرته خامسا كما هو راى أهل المصر فى ذلك الزمان، فيقتضى ان يكون كل مايحتاج اليه الانسان، له اله غير الاخر.

ومع تفرق الالهة لايحصل مركب ابدا، والحال ان تمام الحيوانات من الانسان وغيره مركبات فلابد من انتفاعها باجمعها ، اذ ما لم تكن الجهة الواحدة الجامعة لامعنى للتركيب الحقيقى ، بل من قبيل الاعداد يكون تركيبها اعتباريا ، فالمزاج

مالم يحصل الكسر والانكسار بين العناصر وبقيت على حالها لايحصل، فتوجد امور متفرقة.

فاين الانسان الذى فيه تمام القوى والاعضاء ؟ واين الحيوانات الاخر ؟

واما اذا كان الرب هو الواحد الجامع للتمام الغالب ، والقاهر على الكل ، فتتحقق المركبات وتحصل لهاجهة واحدة بها تصير المركبات حقيقة منفردة مركبة، فالمراد بالخير هو الوصفى لاالتفضيلى ، وهذا برهان صحيح عال فى منتهاه

ثم نفى عليه السلام تأثير ما سموه الها من الاصنام فى الشيء الواحد ايضا فضلا عن عدم تأثيرها فى المركبات و قال عليه السلام (ما تعبدون من دونه الااسماء) وعلامات ، وكما ان العلامة لاوجود لها بالاستقلال وصرف الربط ، فهذه الامور ايضا لا وجود لها بالاستقلال ، بل أسمـّيتها ، وكونها علامة لاتكون ذاتية ، من قبيل دلالة علم الممكن وقدرته على علم الله وقدرته ، لعدم الكمال فى الاصنام

فتشكل كل واحد منها بشكل مخصوص ، من كونه مع السيف ، فيناسب الحرب، (او) مع الة الحرث فيناسب آلة الحرث (او) مع آلة الطرب فيناسب آلة الطرب (او) مع آلة المجامعة، فهو آلة المجامعة ، كلها مختلقات ، مجعولة من قبل انفسكم من دون اعطاء الله لها السلطنة فيما تنسب اليها بوجه من الوجوه

(ان الحكم الا لله) ثم ترقى عليه السلام بعد ذلك بانه ليس الحكم الا ، والاصنام لاسلطنة لها، بل غيرها ممايرى لها القدرة والسلطنة ايضا من ذوات الارادة والشوكة لا سلطنة لها الامن الله ، وهو (امر ان لا تعبدوا) الا ذاته و الدين المستقيم الذى لااعوجاج له دوذلك ، لان المعبود ، لابد له من الانانية ، والاستقلال ، ولاانانية ولا استقلال لغيره فغيره الفقير ، و الفقير لا يكون معبوداً (ولكن اكثر الناس لايعلمون) البراهين ، فلايعلمون المطلب تقصيرا من البحث للتعلم .

ثم بعد اتمام الحجة وبيان الحق شرع عليه السلام فى التعبير ، فعبر منام الساقى برجوعه الى عمله، وسقيه الخمر للملك، ومنام صاحب الخان والطعام بالصلب واكل الطير رأسه

ثم انه لما يكون لكل علم مقدمات و قواعد لابد من الاطلاع عليها ، و بدونها يكون التكلم فيه تكلما صادراً من الجاهل، فلاينبغى لى لعدم كونى من علماء التعبير ان اذكر وجه الربط .

ولكن من باب الحدس و صرف الاحتمال أقول : يمكن ان يكون تعبيره عليه السلام للساقى بما عبره ، ارتباط العنب بالخمر ، ارتباط السبب بالمسبب ، والعصر لكونه شرطا غالبيا ، او لان العصر ترتيب ما وضع العنب فى مقصوده له فى محله، واسقاء الخمر ايضا ، هو اعماله فيما اعد له وهو الشرب .

وحيث انه لما كان همه فى غرضه راجعا الى الملك، يكون الاعمال فيما اعد له لاجل الملك ، وحيث انه لم يذكر فى نومه مالا يكون اختيارياً له ، وعلى خلاف مقصده ، فالارتباط بان يكون الموجود فى الخارج مراداً له ومقصوداً .

واما تعبيره عليه السلام للاخر فبلحاظ ان اخذ الطير من طعامه لايكون اختيارياً له فى النوم ، ولامراداً ، فالواقع فى الخارج ايضاً يكون ايضا مالا يريده ، ولايكون باختياره .

وحيث ان الخبز مطبوخ وكان فى الفوق يكون المخ ومافى ام الدماغ ايضاً مطبوخا، بفعل الطبيعة، ومحله بالذات فى الفوق، والاكل منه بحسب العادة لايكون الا بصلبه واكل الطير حال كونه مصلوباً من مخه .

وعلى اى حال فما كان عنده عليه السلام كان علما من قبل الله وهو علمه فحكم عليه السلام بانه (قضى الامر الذى) تستفتيان عنه وليس من الامور الحدسية او المقدمات الظنية التى يجيىء فيها احتمال الخلاف .

ومن جميع ما ذكرنا يظهر عدم خلاف الايات المذكورة مع العقل ، بل كونها على طبق البراهين العقلية من حيث المقصد ، وعدم الخلاف من حيث الحكاية ، والله الهادى .

قوله تعالى: وقال للذى ظن انه ناج منهما اذكرنى عند ربك فانساه الشيطان

ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين (٤٢) وقال الملك انـي ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا ايها الملاء افتوني في رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون (٤٣) قالوااضغاث احلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين (٤٤) وقال الذى نجامنهما وادكر بعدامة انا انبئكم بتأويله فارسلون (٤٥) يوسف ايها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان يـأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلى ارجع الى الناس لعلهم يعلمون (٤٦) قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فـي سنبله الا قليلا مما تأكلون (٤٧) ثـم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الاقليلامماتحصنون (٤٨) ثم يأتى من بعدذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون (٤٩)

و(قال) يوسف (للذى ظن) انهيكون ناجيا (اذكرنى عند ربك) اى من كان مربياً لك وهو الملك .

والتعبيرهنا بالظن (١) وبالسابق بلفظ (قضى) (٢) الدال على الحكم والجزم (اما) من باب كون المراد بالظن هنا اليقين كما ذكروا (و اما) من باب المرتبتين ، فان النبي ﷺ اوالولى قديتصل بالملائكة القدرية، وعالم القدر، العلة لعالم الكون ويرى كون الملائكة القدرية مريدين لابقاء احد باسبابه ، واعدام احد باسبابه ايضاً فيحكم على طبق الارادتين ببقاء احدالى الزمان المعلوم، وموت احدفى وقت معين.

ولما ان علم عالـم القدر محدود ، لبرهان امتناع التسلسل فـي المترتبات المجتمعة في الوجود، فيمكن طروعلم جديد بكون الاصلح في الخلاف، للانطباق

---

(١) حيث قال : وقال للذى ظن انه ناج منهما

(٢) حيث قال : قضى الامر الذى فيه تستفتيان

على عنوان وجودي آخر من تسلية الابوين ، او الدعاء لاحد ، او العكس كما ان البداء الذى من مذهب الأمامية بلحاظ ذلك العالم .

ولذا يلزم فـي صورة اخبار النبى او الولى بذلك ، وطرو الصلاح الجديد في مرتبة العلم القدرى ارائـة المقتضى للسابق ، حتى لايرتفع الوثوق ، فبلحاظ المرتبة الطارية من عالم القضاء لعالم القدر ، اطلق الظن حيث يحتمل البداء .

(فأنساه الشيطان ذكر ربه) يحتمل رجوع الضمير الى يوسف عليه السلام وكون المراد من الرب هو الله ، ولاجل ذلك لبث في السجن اى عقوبة دنيوية من الله .

(ولعله) في غير محله من باب عدم مناسبته ، لشأن النبى والولى .

والاظهر كما قالوا ، رجوع الضمير الى الساقى ، والمراد من (ربه) اى مربيه وهو الملك ، كما قال يوسف عليه السلام له وكون المراد من الذكر بمعنى المفعول ، اى جعل ربه مما يذكر عنده امر يوسف عليه السلام فالمقصود انساء الشيطان من خاطر الساقى ذكر يوسف عند الملك ، ولاجل ذلك الانساء (لبث فى السجن) اذ لولا ذلك لخلص بذكر الساقى ، فالمانع من الخروج ، هو الانساء

والبضع يطلق على الثلاث الى التسع فبحسب اللفظ يصح الجميع ، فيحتمل لبثه عليه السلام ثلاث سنين ، ويحتمل ازيد الى التسع والمتبع حينئذ لو رتب الاثر الشرعى عليه ولو بعنوان النذر ، الرجوع الـى اخبار اهل البيت عليهم السلام آحاداً مع اجتماع الشرائط او متواتراً .

واما مع عدم ترتب الاثر كما هـو الظاهر ، الا بعض الفروض النادرة فحيث لامعنى للحجية والاتباع ، فما يوجب العلم كالمتواتر المعنوى يصير المطلب بـه معلوماً ، وغيره يصير به مظنونا .

ورأى الملك فى نومه وذكر لجلسائه ما هو المذكور فى الاية من اكل (سبع بقرات عجاف) ـ اى ما فيها الهزالة ـ (سبع بقرات سمان) اى ما فيها كثرة اللحم (و) من (سبع سنبلات خضر) وسبع (يابسات) ولعل المراد اكل اليابسات للخضروات

فان التأثير بجعل الخضروات ايضاً يابسة يكون اكلها الاخضرية ، بسبب الاستواء، واذهاب الرطوبات وسئل منهم التعبير على القواعد العلمية ولذاقيده الملك بانه (ان كنتم للرؤيا تعبرون) اى كان شغلكم ذلك ولم يكن من باب الجزاف .

قالوا فى الجواب : (اضغاث احلام) الضغث قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس، والاضغاث جمعه، واضغاث احلام الرؤياء التى لايصح تأويلها لاختلاطها، والحلم بضم اللام وسكونها ما يراه النائم ، و الاضافة بيانية اى نحن من العلماء فى هذا الفن الا ان هـذا النوم من قسم الاضغاث مـن مـا يرى فـى النوم اى المختلط والممتزج من الواقع وغيره ، فلا تعبير له ، فانه بمنزلة ان ينتقل الى زيد ولاينتقل الى صفته ، بل انتقل الى صفة عمرو.

فما يكون لذات الموصوف دخل لاتكون صفته لهاالدخل ، وما يكون للصفة دخل لايكون للموصوف دخل ، فالنتيجة غير حاصلة .

ولمارأى الساقي ماجرى بين الملك وهؤلاء تذكر تعبير يوسف(ع)له ولصاحب الخان وهو رفيقه وان تعبيره عليه السلام صار واقعا وتذكره حينئذ كان(بعدامة) اى بعد حين فان المراد بالامة الحين، فقال فى حضور الملك والجماعة (انا انبئكم بتأويله فارسلون) الى السجن لاسئل من المعبر المحبوس فيه فارسله الملك ، فجاء عند يوسف عليه السلام (وقال يوسف) اى يايوسف (افتنا) واعلمنا تاويل مارآه الملك فى النوم وذكر الرؤياء فقال عليه السلام من شدة كرمه من دون استدعاء خلاصه : ان البقرات السمان ، السنوات المخصبة التى تكون الزرع فيها حسنا . والبقرات العجاف هى سنوات الجدب التى لاتجبى فيها الزراعة وكذلك السنابل .

فالاخضر تاويله العام الخضر ، واليابس تاويله العام الجدب وتأويل اكل العجاف للسمان اكل الناس فى سنوات الجدب ماادخروه فى سنوات الخضر ، وكذا تأويل يبس الخضر باليابس ثم يرتفع الجدب ، وقلة الماء وفقد المطر.

ثم بين عليه السلام كيفية ادخار ما فى السبع الاول للسبع الثانى بان تزرعوا اى

ازرعوا فى السبع الاول (دأبا) اى بالجد والتعب اى بقدر الطاقة تحملوا فى تكثير الزراعة وذروا الزرع فى السنبل حتى لايصير ضايعا الاماتاكلون وهو القليل فقدبين عليه السلام تمام مورد احتياجهم عنه، بحيث لم يكن لهم بعدذلك احتياج اليه عليه السلام مع كونه محبوسا، ولم يعطلهم للتعبير اوالعلاج حتى يخرجوه من السجن ، ويقاصون لبقائه ثلاث سنين ارازيد فى السجن بدون التقصير، وتمام ذلك من كرمه عليه السلام .

اما وجه تعبيره عليه السلام بذلك، مضافاً الى اتصاله عليه السلام بعالم القدر، يكون للقواعد العلمية فى علم التعبير، ولست من علماء هذا العلم.

ولكنى اقول : يحتمل ان يكون انتقاله عليه السلام من البقرة الى الارض، فان البقر كثير الاكل، وكثير الفائدة بلبنه المنشأ للاغذية الكثيرة، والارض ايضاً كذلك كثيرة الاكل بأكلها المياه و الابدان والعذرة و غيرها من التسميدات ، و كثيرة النفع لما يخرج منها من الزراعات ، و الاشجار ، والاثمار و غيرها، فالانتقال من باب المشابهة .

و اما الاكل فلكون الانسان مالك الارض اوالحاصل منها، فكونه آكلا هو اكل الارض، والانتقال (اما) من باب الانتقال من احدالمتضايفين الى الاخر.

واما من باب السبب و المسبب ، فان الارض سبب لحصول الانسان لكونه جسمانى الحدوث روحانى البقاء كما هو الحق.

ولما ان الارض التى نحن فيها لاتعدد لها، فتعددها بتعدد السنوات التى تنمو فيها اولا تنمو ،فالسمان بكثرة الفائدة، والعجاب بالعدم، فاكل الحاصل، لمافى السبع الاول فى السبع الثانى ، عبارة عن اكل العجاف للسمان واما امر السنابل فواضح

واما وقوع الذى يغاث الناس اى يعطى الغيث لهم، ويحصل ما يعصر ، فلاجل ان الحد لازمه ذلك، فلو كان العام البعد كالسابق، يصير السبع ثمانية، فلم تكن سبعاً وذلك واضح .

وعدم مخالفة ما ذكر من باب كونه حكاية متعارفة، غير مخالفة للعادة، مع العقل، يكون واضحاً، والله الهادى .

قوله‌تعالى: وقال الملك ائتونى به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسئله مابال النسوة اللاتى قطعن ايديهن ان ربى بكيدهن عليم (٥٠) قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه و انه لمن الصادقين (٥١) ذلك ليعلم انى لم اخيه بالغيب وان الله لايهدى كيد الخائنين (٥٢) وما ابرىء نفسى ان النفس لامارة بالسوء الا مارحم ربى ان ربى غفور رحيم (٥٣) .

وقال الملك ائتونى به استخلصه لنفسى فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين (٥٤) قال اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم (٥٥)

فلما رجع الساقي وانبأ بالتعبير وبالعلاج ، (قال الملك ايتونى) بهذا المعبر الحكيم (فلما جاء) عنده رسول الملك وطلبه للخروج عن المحبس والذهاب عند السلطان وعلم ان ذلك لاجل العزة عند السلطان ، لم يخرج حتى يظهر برائته ، ويعلم الناس ببرائته و كذلك من رباه ، وهو العزيز ، فقال ارجع الى السلطان ، واستدع منه من قبلى انه (مابال النسوة) وما حالها وهى المقطعة ايديهن، اى فليسئل السلطان عنها انى صبوت اليهن اوالى امرئة العزيز املا ؟ فان الله عالم بكيدهن و هو ربى .

فجمعهن الملك وسئل عن حالهن، وعن طلبهن ليوسف عليه السلام وانهن هل علمن الميل من يوسف املا (فقلن حاش لله) اى الله الخالق له برىء عن النقص، ولذا خلقه بريئا من النقص (ماعلمنا) منه الميل الينا (وقالت) زليخا (الان حصحص الحق) اى ظهر فاني (راودته عن نفسه) وطلبته منه (وانه لمن الصادقين) .

فلما سمع الرسول بما جرى ورجع فى طلب يوسف عليه السلام، وحكى الواقعة، قال يوسف : طلبى هذا ليعلم العزيز عدم خيانته فى غيابه لان الله لايهدى ولايوصل الى الواقع من كان خائنا.

ثم لمارأى ان فيذلك اظهار الانانية، انسلخ منها فقال عليه السلام (وما ابرىء نفسى) ولا اظهر برائتها، اذطبيعة النفس اقتضائها كثرة الامر بالشهويات ، و الغضبيات ، والتمويهات للقوى الموجودة فيها من الشهوة والغضب والشيطنة ، الاالنفس المرحومة من قبل الله فانها تصير اميراً على الشهوة والغضب والشيطان وتخرج من الاسر فتصير سلطانا عليها، بعد ما كانت ذليلا.

(ان ربى غفوررحيم) فيغفر لمن استغفره، ويرحم لمن استرحمه.

والظاهر من تكرار (قال) انه رجع الرسول ثانيا وبين غرض يوسف فامر الملك بعد ما سمع، باحضاره (عليه السلام) حتى يجعله من خواصه فلما حضر يوسف عليه السلام و كلم معه، ورأى كمالاته، قال: (انك) فى هذا (اليوم لدينا) صاحب القدرة والامانة اى تمام الامور فوضته اليك وانت امينى على تمامها فافعل ماشئت لانك لاتفعل الا الخير .

(قال اجعلنى على خزائن الارض) والظاهر من هذا انه لم يقبل الوزارة المطلقة التى استدعاها الملك، بل قيدها بخصوص خزائن الارض، اى ما يخرج من الارض من الزراعة و غيرها ، فانى كثير الحفظ لها ، وعالم بكيفية تحفظها ، الا ان ظاهر آية البعد ، الوزارة المطلقة، فلعله لم يقبل الملك الاختصاص بالقيد ، وجعله وزيراً على الاطلاق.

وعدم مخالفتها مع العقل ، يكون من الواضحات ، والله الهادى .

قوله تعالى: **وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يتبوء منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولانضيع اجر المحسنين (٥٦) ولاجر الاخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون (٥٧) وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون (٥٨) ولما جهزهم بجهازهم قال ائتونى باخ لكم من ابيكم الاترون انى اوف الكيل وانا خير المنزلين (٥٩) فان لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى ولاتقربون (٦٠)**

قالوا سنرواودعنهاباهوانالفاعلون(۶۱) وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونهااذا انقلبواالى اهلهم يرجعون(۶۲) فلما رجعوا الىابيهم قالوا ياابانا منع منالكيل فارسل معنا اخانانكتل وانالهلحافظون (۶۳).

الخطاب متوجه الى النبى ﷺ اى بهذا الترتيب من الرياضات ، و تحمل المصائب ، والشكرلله قداعطينا القدرةليوسف ؏ فى الارض المعينة ، وهىارض مصر (يتبوّ منها) اى يهيأ للنزول فيه اى مكان اراد.

وجاء التبوّء بمعنى النزول والتهيؤ للنزول فالمقصود ينزل فيه ، اويهيأ للنزول ، فيكون كناية عن القدرة المطلقة في تمام ارض مصر ، وذلك من رحمتنا نوصلها الى من نريد ، ونعلم صلاح الوصول اليه ، اذلا نضيع الاستعداد لفياضيتنا والمحسن مستعد لايصال الفيض اليه ، فنوصله اجره .

والتعبير بالاجر من كثرة الكرم والا ، فالتوفيق للاحسان منه ، وهو يوجب امتنانا له على العبد ، ولايستحق بعنوان الاجرشيئا لرجوع النفع اليه لاالىالله .

ثم اظهربان لاهل الايمان اجراً فوق ذلك الاجر ، والاحسن منه في الاخرة مع اتصافهم بالتقوى من الله خوفا او التقوى اليه بلحاظ اخذه جنة .

ثم ذكروا ان العزيزقدمات بعدتفويضمنصبه الى يوسف عليه السلاموتزوج يوسف عليهالسلام بامرأته ، ووجدها بكرا وصارت له من يوسف الى مجى اخوته ولدان ، ويوسف عليه السلام اقامالعدل في مصروحفظ للا دخار حتى مضىالسبع المخصبة.

وجاء السبع الشدادومن باب كثرة ما حفظه كان ماحفظه از يد من لازماهل المصر ، فيبيع ممن يجيء من الخارج ايضاً والقحط سرى فى الشامات ، و ارض كنعان ، واشتهروا مرمصروان العزيز يبيع الغلات .

فارتحل اولاد يعقوب سوى ابن يامين الى مصر ، لاشتراء الغلة ، و جاؤا

ببضاعتهم من الصوف ، وما يحصل من اللبن ، وجاؤا الى ارض مصرفدخلوا عليه ولم يعرفوه لطول الزمان ، وتغيير الشكل ولوبالصغروالكبر ، واختلاف اللباس و التزينات وقد ذكروا انه قد القى البرقع على وجهه وعلى اى حال فهو عليه السلام قدعرفهم لبقاءلباسهم ، وعدم تغيير كثيرفي اشكالهم ، اذكانوا في زمان كون يوسف معهم كبراء (او) لانباء عيونه بكونهم من ارض كنعان (او) بما نقل عن حالهم من زهدهم في الطريق (او) من باب الحدس الصائب (او) من باب النبوة .

فتكلم معهم يوسف عليه لسلام بانكم من اى ارض ؟ فقالوا : من ارض كنعان وقال : من اى جهة جئتم في بلادنا ، ومن اين نعلم عدم كونكم عيونا ، وجواسيس فذكروا نسبهم ، وانهم من نسل الخليل عليه السلام وبينوا حال ابيهم ، وانه مشغول قلبه بولده المفقود ، و تسكينه باخ له من امه ايضاً ، ولذا لم يخرج معنا ، و بقي عند ابيه.

فاحترمهم يوسف عليه السلام و اوفى لهم الكيل ، (ولمّا جهّزهم بجهازهم) اى هيأ لهم للخروج بما ارادوا . التهيؤلهم قال عليه السلام (ايتونى باخيكم (من) قبل (ابيكم) حتى يظهرصدقكم، اذ ترون (انى اوف الكيل) واعطى تاما ولاابخس وانا احسن من ينزل عليه (فان لم تأتونى به) فلا اعطيكم ما يكال ، ولا تقربوا حينئذ الى ّايضاً.

ومثل هذا الكلام ، يحمله من لايعرف حقيقة الامر انى اخاف من قربكم لاحتمالي كونكم من جواسيس اعداء المملكة ، والا فهو عليه السلام لم يتكلم بذلك حتى يكون كذبا ، وصحح بالصلاح ، اذلم يكن فساد في اظهار نفسه حتى لايحتاج الى الكذب .

وعلى اىّ حال فقالوا انا نسعى ونطلبه من ابيه عليه السلام .

(وقال) يوسف (لفتيانه) اى خدامه الكرماء بالسخاء والجود ، فان الفتى هو الكريم السخى : (اجعلوا) امتعتهم فى رحالهم واوانيهم حتى يعرفونها بعدالرجوع الى اهلهم فيرجعون ، (اما) من باب احتمالهم نسيان الخدام فيرجعون للرد ، و

مع الرجوع ، يخافون من باب قول العزيز الا ان يجيئوا بابن يامين (واما) من باب ان يلتفتوا الى كثرة محبة العزيز لهم ، فيرجعون لاجل اخذ الطعام اى البروهو الحنطة ثانيا .

فلما رجعت الاخوة الى يعقوب (قالوا يا ابانامنع منا الكيل) اى بعد ذلك فلا يعطينا ما يكال الا بارسال ابن يامين ، فارسله معنا حتى نعطى الكيل ، ونأخذ بالمكيل ، وانا لنحفظه .

وعدم مخالفة ما ذكرمن الايات مع العقل ، وعدم استبعاد فيه بعد ملاحظة ما ذكرنا فى غاية الوضوح ، والله الهادى .

قوله تعالى : **قال هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على اخيه من قبل والله خير حافظا وهو ارحم الراحمين (٦٤) ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا ياابانامانبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونميراهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير (٦٥) قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتننى به الا ان يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على مانقول وكيل (٦٦)**

قال يعقوب عليه السلام على نحو الاستفهام الانكارى : اى هل اجعلكم امينا عليه كما جعلتكم امينا على يوسف ؟ ففعلتم مافعلتم من الخيانة ، اى لااجعلكم امينا عليه .

ثم استدرك ان هذا لايكون ، لاجل انى اقدرعلى دفع الضرر ، وان احفظ (والله خيرحفظا) او (حافظا) اى الله حسن الحفظ (او) حسن من حيث الحافظية (وهو ارحم) من كل راحم فيرحم على ضعفى ، وشيخوخيتى ، وعدم تحملى على الفراق بعد ذلك ، ويرحم على ولدى ، الا انى بحسب الظاهرمأمورمن الله ان احفظ النفس المحترمة ، وجعلكم اميناً خلاف ما امر الله به .

(ولما فتحوا متاعهم ، وشاهد وارد بضاعتهم عليهم ، حصل لهم شاهد على

صدق قولهم ، ووصولهم الى مقصدهم (قالوا يا ابانا ما نبغى) اى اىّ شيء نطلبه احسن من ذلك ؟ (هذه) مشيرين الى البضاعة (ردت الينا) وهى تكشف عن زيادة محبة العزيز لنا لو اخذنا بقوله (ونمير اهلنا) اى نأخذ الميرة وهو الطعام اى الحنطة، وساير الحبوبات التى لها السنابل (ونحفظ اخانا) لاجل الايصال الى العزيز، وبعده اليك حتى نجير خاطرك، (ونزداد كيل بعير) ـ وهو البعير الذى يركب ـ فوق حمله ابن يامين ومن باب دفع احتمال عدم ازدياد العزيز على السابق (قالوا ذلك كيل يسير) ويكون سهلا على العزيز .

قال يعقوب عليه السلام بسبب تلك المطالب : لا افارق ولدى ولن ارسله معكم اى ابدا الا ان تحلفوا بالله وذلك هو الموثق لكون خلفه موجبا لحلول العذاب، وكان حلفكم على ردكم اياه الىّ، الامع عدم قدرتكم من الموت ، اوالمغلوبية للاعداء ، بحيث احيط بكم ، ووقعتم محاطين ، فحلفوا له

(وقال) يعقوب عليه السلام بعد حلفهم ان (الله على مانقول وكيل) ، وكأنّ ذلك طلب لنزول العذاب ، لوحصل الخلف الاختيارى

وعدم مخالفتها مع العقل يكون واضحا ، والله الهادى

قوله تعالى : **وقال يابنى لاتدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وماغنى عنكم من الله من شيء ان الحكم الالله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون (٦٧) ولمادخلوا من حيث امرهم ابوهم ماكان يغنى عنهم من الله من شيء الاحاجة فى نفس يعقوب قضاها وانه لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لايعلمون (٦٨) ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه قال انى أنا اخوك فلاتبتئس بماكانوايعملون (٦٩) فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل اخيه ثم أذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون (٧٠)**

وقال يعقوب (ع) يااولادى لاتدخلوا فى بلدة مصر (من باب واحد) من ابواب البلد ، بل (ادخلوا من ابواب متفرقة) وعلة ذلك قديقال بلحاظ عدم اصابة العين لهم

وحفظهم من العين السوء فان العين يدخل الرجل في القبر ، والبعير في القدر .

وحيث انهم كانـوا متقاربين في الجنة ، واولـي الجمال والقامات الحسنة العظيمة ، بحيث يعرف كونهم اخوة ، وكثرتها مع هذه الاوصاف موجب للعجب لمن كان له عين السوء

وتصرف الخيال في الجسد ، اما خيال الانسان نفسه فمحسوس ، واما خيال الانسان في الغير ، فلامانع منه عقلا ، اذ الملك مرتبط مع الملكوت ، فكما ان الهمة والتوجه من النفوس الخيرية يوجب التاثير الحسن ، فكذلك توجه النفوس الشريرة يوجب تأثيرا سيئا فـي البدن ، وذلك مبرهن في موضعه مضافا الـي المشاهدات والمحسوسات ، ولعل تعيينه عليه السلام هذا المطلب ، مع انه يمكن حصول دفع الاصابة بالدخول من باب واحد على نحو التدريج بحصول التعطيل ولزوم توقف البعض في بعض المواقف ، ولعله ايضاً يوجب فسادا اوهتكا لهم

وقد يحتمل اويقال : ان ذلك الامر ، لاجل ان يتوجه ابن يامين الي الله ، لرؤيه نفسه منفردا ، بخلاف السايرين ، حيث ان كل اخوين كانا داخلين من باب واحد ، فيحصل الفرج ، وصار ذلك حاصلا

وقال يعقوب (وما اغني عنكم من الله من شيء) اي ذلك الامر واطاعته لايغنيكم من الله شيئا ، فلو اراد الله وصول الضرر اليكم يصل ، ولو مع تلك الاطاعة (او) اراد عدم النفع ، لم يحصل ولو بعدم التوفيق لابن يامين ان يتوجه ، وفي الحقيقة قد انسلخ نبي الله نفسه عن الانانية (ان الحكم) اي ما الحكم الاستقلالي (الالله عليه توكلت) اي انا ايضا كساير الناس لابد ان اتمسك به ، فعليه تمسكت ، ولابد لكل متوكل - اي متمسك بشيء - ان يتوكل عليه ويمسك به ، اذ لامؤثر الا هو ، فذهبوا وساروا الى ان وصلوا الى المصر (ودخلوا من حيث امرهم ابوهم)

وفي بعض لاثار ان ابن يامين لانفراده توجه الي الله بعد التفرق من اخوته ، فاوحي الله الي يوسف عليه السلام فجاء متنكرا واستأنس به ودخل معه

وهذه الاطاعة لم يتاثر ولم يغن من الله (الاحاجة في نفس يعقوب قضاها) والمراد بلفظ الاهنا الاستدراك بمعنى لكن ولامعنى للاستثناء ابداً ولم يغن شيء من الله قط اى لكن قضى ذلك حاجة كانت في نفس يعقوب وقضاها الله وهو عدم تأثير العين او توجه ابن يامين ، وان يعقوب (لذوعلم) حيث قال : (ماغنى عنكم من الله من شيء) وعلمه ايضامنا اذ قد علمناه (ولكن اكثرالناس لايعلمون) ذلك المقام وهو التوحيد الفعلي ومفاد (لاحول ولا قوة الابالله) فانه اول درجة الفناء

(ولما دخلوا على يوسف) وتكلم معهم ، واظهروا له ابن يامين ، وان اخاه قد فقد ، ورأى شدة تأثر ابن يامين وقال اجعل نفسي بمنزلة اخيك (آوى اليه اخاه)

وعدم ذكر ما ذكر لكونه يستكشف من الايات، فان بمجرد الدخول لوكان آوى اليه اخاه ليعرفون يوسف، فاذا آوى اليه اخاه وانضمه اليه، قال له على نحو الخفاء (انا اخوك فلاتبتئس بما) يصدر من اتباعي في حقك ، اذهو حيلة لبقاء اجتماعنا (فلما جهزهم بجهازهم) واعطاهم ما يريدون (جعل) مايسقى به في رحل ابن يامين ثم نادى المنادى بعد حركتهم يا (ايتها العير) اى القافلة (انكم لسارقون) وكان غرضه كما في بعض الاخبار انكم سرقتم يوسف من ابيه، وبعتموه.

وعدم خلاف ما ذكر مع العقل من الواضحات بعد ما ذكرنا والله الهادى .

قوله تعالى: **قالوا و اقبلوا عليهم ماذا تفقدون (٧١) قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم (٧٢) قالوا تالله لقد علمتم ماجئنا لنفسد في الارض وماكنا سارقين (٧٣) قالوا فماجزاؤه ان كنتم كاذبين (٧٤)**

قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزى الظالمين (٧٥) فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه كذلك كدنا ليوسف ماكان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم عليم (٧٦)

اى قالوا ورجعوا عن الذهاب، وتوجهوا و اقبلوا الى اتباع العزيز (ما ذا تفقدون) اى الذى فقدتموه وكان سابقا عندكم ولا تجدوه اى شيء هو وقالت الاتباع ما فقدناه و(صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير) من الحنطة، او ما كانت من الحبوبات فى حملهم وقال رئيسهم وهو المنادى (انا) كفيل ذلك اى يكون على عهدتى، واضمن له، فقد جعل للجائى به حمل بعير.

ولعله كان معينا قدرا وجنسا، او كانت جهالة حق الجعل صحيحة عندهم، وكذلك الامر فى ضمان مالم يجب، فلعله كان صحيحاً عندهم.

والمراد بالصواع اما هو الصاع كما (قيل) انه لغة فيه، وهو مايكال به وكان على قدر معين (واما) آنية تشرب بها والاية السابقة المتضمنة لجعل السقاية فى رحل اخيه يعين ذلك الاحتمال، و على اى حال فقد ذكروا انه كان من الذهب، مرصعاً بالدر والياقوت، ولكون مخصوصات الملك عند يوسف عليه السلام، فصواعه ايضاً كان عنده (قالوا: تالله) والمراد بتلك الكلمة، القسم مع اشتماله على التعجب (لقد علمتم ماجئنا لنفسد فى الارض) اى من الامارات الدالة على اخلاقنا، قد حصل لكم العلم بانا لسنا مفسدين فى الارض ولم نجيء لذلك.

واطلاقهم على السرقة الفساد فى الارض (اما) من باب ان بعد ذلك لا يبيع العزيز شيئا بغير اهل مملكته، لما رأى من السوء من ذلك مع احتياج تمام الاطراف الى الطعام، يوجب التشاح بين ملك مصر وملوك الاطراف وذلك فساد فى الارض

(واما) من باب ان سرقة خصائص السلطان من مملكة لاهل مملكة اخرى توجب مطالبة ذلك السلطان من السلطان الاخر الرد، وهو لا يتحمل الالزام، فيقع بينهما النزاع، فيوجب فساداً فى الارض.

(وما كنا سارقين) اى مضافاً الى عدم سرقتنا لصواع الملك ما سرقنا فى عمرنا شيئاً ابداً، والسرقة خلاف العادة الطبيعية لنا، قالت الاتباع:(فما جزاء)السارق منكم (ان كنتم كاذبين)

ونسبة الكذب (اما) من باب ان القضية الشرطية لا دلالة فيها على وقوع المقدم او التالى (واما) من باب انه ولواطلقوا عليهم الكاذب بعد ذلك فبلحاظ كذبهم عند يعقوب عليه السلام فى امر يوسف كذبا كثيراً ، وكذلك عند السيارة (قالوا اجزائه من وجد) فى رحله) اى ذات السارق يملك ويصير عبداً ثم اكدوا وقالوا (فهو جزائه) اى ذات السارق لمن سرق منه اى يصير السارق عبدا لمن سرق منه (كذلك نجزى الظالمين) اى الظلم المخصوص وهو السرقة لكوننا من اتباع شريعة كان الحكم فيها ذلك فشرعت الاتباع فى الفحص ، وابتدؤا لفحص حمل ساير الاخوة .

ثم فحصوا رحل ابن يامين فرأوا ان الصواع فى رحله، وذلك كيد علّمناه ليوسف و كان بارادتنا فيكون كيدنا ، و المراد بالكيد هو ايجاد فعل يرى ظاهره للاخرين على خلاف ماكان مقصود الفاعل باطنا، فمن يظهر الحب ويريد السلطنة لان يضرب او يقتل يكون قدكاد معه .

وفى المقام لماكان مراد يوسف الاجتماع ، مع اخيه اجتماع الحبيب مع المحبوب، قد اوجد مقدمات موصلة الى اجتماع العبد الخائن لدى مالكه،وهو كيد محبوب بين الطرفين ، ولم يكن ذلك الاخذ فى دين سلطان المصر، بل كانت طريقتهم خلاف ذلك.

وذكروا ان الطريقة بينهم كان ضرب السارق واخذ قيمة المسروق متساويين فما كانت الطريقة بينهم ذلك -الا فى صورة مشية الله- باقرار السارق ، ورفقائه ويكون الطريقة عندنا، هى العبودية، ففى صورة الاقرار كانت طريقتهم الاخذ (نرفع درجات من نشاء) و هنا قد انطبق على يوسف حيث صار صاحبا للملك و العلم والنبوة (وفوق كل ذى علم عليم) اى الواجب وهو العليم المطلق لانتهاء الممكنات الى الواجب، والله الهادى.

وعدم خلافها مع العقل يكون واضحا.

قوله تعالى : قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شرمكانا والله اعلم بما تصفون (٧٧)

قالوا ياايها العزيز ان له اباشيخاً كبيراً فخذ احدنا مكانه انا نريك من المحسنين (٧٨) قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذاً لظالمون (٧٩) فلما استيئسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقاً من الله ومن قبل ما فرطتم فى يوسف فلن ابرح الارض حتى يأذن لى ابى اويحكم الله لى وهو خيرالحاكمين (٨٠) ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين (٨١)

قالوا (ان يسرق) فلاعجب منه، لانه (قدسرق اخ له) من قبل امه اى لاتحادامهما ايضاً يكون خلقهما متشابهين، فاذا كان احدهما سرق فى القبل فلاعجب من سرقة هذا المشابه له، فالجزاء قد حذف واقيمت العلة مقامها وهى شايعة .

(فاسرها يوسف) اى كلمة ذكرها في نفسه، ويفسرها البعد (ولم يبدها لهم) ايضا يكون كذلك ، فالضميران راجعان الى الكلمة المحذوفة يفسرها (قال) اى فى نفسه (انتم شر مكانا) فما هو المرادف لهذه الجملة يكون مرجع الضميرين ، و مرادنا بالكلمة (العرفية) و ان شئت فقل : المحذوف لفظ الجملة ، و شارحها ما ذكر .

و شريتهم بلحاظ ما فعلوا مع يوسف من سرقته ، والقائه في الجب، وبيعه، والكذب على الذئب (والله اعلم بما تصفون) .

واما انتسابهم السرقة الى يوسف (قيل) من اجل ان عمته كانت كثيرة الحب معه، واذا اراد فيزمان كونه صبيا ان يفارق عمته شدت منطقة لاسحاق عليه السلام تحت ثوب يوسف ، وادعت السرقة على يوسف ، حتى يحفظه من باب صيرورته

عبداً لها عند نفسها (وقيل) انه سرق صنما من جده لامه، وكسره حتى لا يعبدونه،

ولما ان سرقته غيرواقعة اما على الاول ، فلعدم صدور شيء منه ، واما على الثاني ، فلانه حسم مادة الفساد الذى كان على المكلف لازماً ، فهو مأذون فيه من قبل الله ، ولايكون سرقة ، كالاخذ مقاصة باذن الحاكم .

(قال: واللهاعلمبماتصفون)فالتمسوا منه اخذ احدهم مكان ابن يامين لملاحظة يعقوب عليه السلام واتصفوا العزيزبكونك (من المحسنين) وذلك ايضا احسان.

(قال معاذ الله) اى اعوذ بالله معاذا من اخذ غير من وجدنا المتاع عنده ، والتعبيربذلك دون من سرق تحرزا عن الكذب مهماامكن ، اذ لوفعلنا ذلك، لكنا من الظالمين ، ولاينبغى لنا ، ولعل في ذلك تنبيه وايقاظ حتى يلتفتوا الى ماصدر منهم من الظلم العظيم على ابيهم واخيهم فى المدة المتمادية .

وحيث انه عليه السلام تكلم على القانون الكلى، حصل لهم اليأس و(خلصوا نجيا) اى وصل بعضهم الى بعض اذ هو معنى (خلص) ، وبعض موارد اطلاقه ولعل من عبر بالاعتزال غرضه ذلك ، وعلى اى حال فاتصلوا وتكلموا معا على نحو النجوى (وقال كبيرهم) اما فى العقل (او) فى السن(وقيل) انه يهودا وقيل انه روبيل (الم تعلموا) اخذ ابيكم منكم الموثق من الله والم تعلموا ان من قبل ذلك اى تفريط صدرمنكم في حق يوسف ؟ فبهاتين الجهتين لن افارق ارض المصر، (حتى يأذن لى ابى اويحكم الله) لنفعى من الامور المزيلة للانفعال ، وهوخيرمن يحكم .

ولعل من هذا المجلس حصل الشروع فى ندامتهم ممافعلوا ، وتوجهوا الى الله و(ارجعوا الى ابيكم) وأعلموه بالقضية ، وانا لانشهد الا بماعلمنا ، وحصل لنا اليقين، ولم نك عالما بمايكون غيبا ، ولايمكن لنا الاحتراز من الشرور الغيبية -اى عهدنامعك كان بلحاظ مانعلم ونقدرلامالانعلمه - وبعد العلم لا نقدر عليه وعدم خلاف الايات المذكورة لكونها قصة مع العقل يكون واضحاً، والله الهادى.

قوله تعالى : واسئل القرية التى كنا فيها والعير التى اقبلنا فيها وانـا

لصادقون (۸۲) قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا انه هو العليم الحكيم (۸۳) وتولى عنهم وقال يا اسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم (۸۴) قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا اوتكون من الهالكين (۸۵) قال انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله مالاتعلمون (۸۶) يابني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولاتيأسوا من روح الله انه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون (۸۷) .

واسئل القرية ، هذا ومابعده تتمة لقول الكبير ، حيث يعلّمهم طريق التكلم مع ابيهم اى قولوا له اسئل من اهل المصر، ومن اصحاب القافلة التي كنا فيها حتى تعلم صدقنا في قولنا ، فرجعوا الى ابيهم ، وقالوا ماعلّمهم.

فقال عليه السلام (بل سولت لكم انفسكم امرا) قيل ان صدور هذا الكلام منه عليه السلام كان بلحاظ ماسبق من تفريطهم، ولكنه بعيد لتعدد القضية ، والابداء بصورة القطع بمجرد القياس ايضا بماسبق ، يكون ابعد .

ولعل الوجه كشف الواقع له ، وان بقاء ابن يامين لاجل بقاء اختفاء يوسف عليه السلام وقولهم له (ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل) صار سببا لعدم اظهار يوسف نفسه لمارأى من بقاء الكراهة منه عندهم، ولو لم يتكلموا بهذا الكلام، لاظهر نفسه، وذلك الكلام من قبيل تسويل النفس في اظهار سوء عمل من غاب عنهم مدة مديدة، وظلموا عليه ظلما فاحشا ، فمراده عليه السلام من الامر ذلك .

(فصبر جميل) اى صبري جميل عندالله ، فيحتمل قريبا بسبب صبري (ان ياتيني بهم جميعا) اى يوسف وابن يامين وكبير الاخوة لانه عليم بحالي ، وواضع الشيء في محله ، فيناسب ان يرحم عليّ .

(وتولى عنهم) اى ادبر منهم واعرض عنهم وتذكر يوسف وقال:(يا أسفى) بالالف عوض الياء .كانه حضر التأسف عنده عليه السلام فناداه اويطلب احضار الاشد ـ لان الشيء

اذا جاوز حده ابدى ضده ـ عن بعيد (١) على يوسف ، وغلبت مفارقته من حيث الانصدام على الاخرين ، وزالت سواد عينيه (ع) بحسب الظاهر ، وحصل البياض من شدة الحزن (فهو كظيم) اى يبتلع غيظه ، فقلبه مملومن الغيظ الا انه كتمه حتى لايظهر.

(وقالوا) تعجبا (تالله) وهوقسم مع التعجب (تفتؤ تذكر يوسف) اى لايزال تذكره (حتى تكون حرضا) اى مشرفا على الموت من المرض (اوتكون من الهالكين) اى تموت اذكان غرضهم زوال ذكر يوسف عن خاطر ابيهم .

(قال انما اشكوبثي وحزني) الشديد الذى لايتحمله حامل ، فيسرى الالتفات اليه في الناس وينبسط ظهوره الى الله (واعلم من الله مالاتعلمون) من بقاء يوسف واجتماعهم معه وخضوعهم له لاجل دلالة الرؤياء عليه (او) من باب المكاشفة .

(يا بني اذهبوا) اى قال (ع) لهم اذهبوا، واطلبوا يوسف واخاه (ولاتيأسوا من) رحمة الله اذ لاييأس منها الا الكافرون ، ولافرق في ذلك بين الدنيا والاخرة اذ الامر بيده .

واليأس (اما) من باب عدم قدرته (او) عدم فياضيته (او) غفرانه بنظر المأيوس وكلاهما باطلان عند اهل الايمان ، اذ القدرة ، تامة والفياضية ، والغفران عامة ، وعدم ذكر الثالث ، لان الداعي لطلبه كان فيهم ، فلايحتاج الى بعث ابيهم .

وقدظهرعدم مخالفة الايات المذكورة مع العقل ، والله الهادى .

قوله تعالى : **فلما دخلوا عليه قالوايايها العزيزمسنا واهلنا الضروجئنا ببضاعة مزجاة فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزى المتصدقين (٨٨) قال هل علمتم مافعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون (٨٩) قالوا ائنك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخى قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لايضيع اجر المحسنين (٩٠) قالواتالله لقدآثرك الله علينا**

(١) قوله قده عن بعيد متعلق بقوله : اويطلب احضارالاشد .

وان كنا لخاطئين (٩١) قال لاتثريب عليكم اليوم يغفرالله لكم وهوارحم الراحمين (٩٢) اذهبوا بقميصى هذا فالقوه على وجه ابى يأت بصيرا وائتونى باهلكم اجمعين (٩٣) .

فرجعوا الى مصر طلبا ليوسف واخيه ، وبعد وصولهم دخلوا على العزيز (فلما دخلوا قالوا) مايأتى ، وعدم فحصهم من امر يوسف (ع) وعدم التكلم من قبل ابيهم فى حق ابن يامين وطلبهم الكيل (اما) ليأسهم من يوسف ، ويأسهم من التكلم مع العزيز، لما رأوا سابقا من اتقانه فى كلامه فلايرجع (واما) انه لم يذكر فى القرآن ، وفى الواقع قد صدرمنهم ذلك (واما) لاجل ان امرالجوع فوق لكل والانسان ينسى سواه اذا ابتلى به .

واعداء البشر فى زماننا (وهووقوع المحاربة العمومية من الامپراطورات ، ورؤساء الجمهوريات، ووزراء هذه الممالك، ومن بيدهم الامور) قد اتلفو بتسبيبهم من الجوع نفوسا من الضعفاء والمساكين فى الممالك بحيث يبلغون الى الملائين ولم تحصل الرقة فى قلوبهم ، اللهم العنهم جميعا ، وعذبهم عذابا اليما ، واهلكهم اجمعين ، ولاتبق على الارض منهم ديارا .

(وقالوا ياايها العزيزمسنا واهلنا الضر) وهوالجوع من فقدان الطعام (وجئنا ببضاعة مزجاة) اى ردية بحيث يردها كل من رآها (فاوف لنا الكيل) اى لفقرنا وابتلائنا وعدم امكان اتياننا بغيرماتينا به ، اتمم لنا الكيل(وتصدق علينا) اى تفضل بقبولك المزجاة فقبولك تفضل علينا (ان الله يجزى المتصدقين) و الفاعلين للاحسان .

فلما رأى يوسف خضوعهم فى الكلام الكاشف عن وصول شدة الضرعليهم وابيهم واهاليهم ، رق عليهم (اما) من باب الرقة على غيرالمقصرين من الاهالى من الصغاروغيرها (واما) على الجميع اغماضا (قال هل علمتم مافعلتم بيوسف واخيه) وهوتعييروملامة مع نحومن الاشفاق (وانتم جاهلون) بالعاقبة وان الامربيد الله .

فالتفتوا الى يوسف وعرفوه (اما) من باب رفع الحجاب عرفوه من شكله فان حسنه لم يتناقص، و كان على خلاف المتعارف فيعرف عليه السلام بحسنه (واما) من باب بعض العلامات والامارات ، و على اى حال، فلاجل مزيد التحقيق (قالوا) على سبيل الاستفهام (ائنك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخى) .

وتعريفه (اما) لاجل انه كان عنده و كان متلبسا بلباس الملوك ، وقد حجبه ايضاً عن الاخوة حتى لايلتفتون الى الامر (واما) لاجل تشريف اخيه وانتسابه الى نفسه (واما) لاجل ان من وقع ظلمكم عليه وهو يوسف واخوه، بعد فراقه اذا صار منفردا بين الاخوة وذليلا عندهم، قدرفع الله منهما الذل، فانظروا وانيبوا اليه ، فان الله قدمنّ علينا لانقائنا وصبرنا ، وكل من يتقي ويصبر، فالله لايضيع اجره ، اذهو محسن و الله يحسن اليه اى انتم ايضا لصبركم على مصيبة الجوع لو اتقيتم الله بعد ذلك يمن عليكم.

(قالوا تالله) لقد اختارك الله علينا (وان كنا لخاطئين) ـ و(ان) يكون اصله ان بالتشديد ـ فلما اعترفوا بذنوبهم وخطائهم واستدعوا بذلك او بكلام آخر ان يغمض عنهم ، و يستغفر لهم (قال لا تثريب عليكم اليوم) اى لا ملامة عليكم فى هذا اليوم .

والتقييد باليوم (اما) من باب الاولوية يدل على رفع الملامة فى ساير الايام، اذ بحسب المتعارف تقع الملامة بعد الظهور، والقدرة فوراً وتنقضى بعد ذلك، اوان (اليوم) مفعول له لامفعول فيه اى لاجل ذلك اليوم لوقوع الندامة فيه .

ورفع الملامة انما يكون لاجل التوبة، ولو كان الاول لكان المناسب ان يقول (لاتثريب عليكم اليوم عندى) لانفى مطلق التثريب من كل لائم ، واما التوبة فرافع الكل عند الالتفات اليها.

(يغفر الله لكم) اذ هو (ارحم الراحمين) والتائب من الذنب كمن لاذنب له ، نعم فى الظلم على الغير يشترط تجاوز المظلوم فقد جاز عليه السلام و كان عالما ولو لشفقة

الابوة ان يعقوب عليه السلام ايضا جاز عن اولاده ، فعلى سبيل الاخبار ، قد اخبر بغفران الله.

ثم سئل من حال يعقوب فاخبروه بذهاب عينيه (فقال اذهبوا بقميصي هذا) القميص المعين (فالقوه على وجه ابى يأت بصيراً)والقائه سبب لرجوع بصره اذكان قميص الخليل عليه السلام الذى معه في النار التى قد خمدت فى جنب عشق الخليل، وصارت بردا و سلاما وما لمس فى تلك الحالة للبدن ، الذى جرى فى خلله و فرجه (۱) حب الله يسرى اليه الخواص ، فيؤثر فى رفع حجاب البياض ، و ايتونى بتمـام اهـاليكم .

وقدظهر مما ذكرنا انه لامخالف للعقل فى الايات المذكورة والله الهادى.

قوله تعالى: **ولما فصلت العير قال ابوهم انى لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون (۹۴) قالوا تالله انك لفى ضلالك القديم(۹۵) فلما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا قال الم اقل لكم انى اعلم من الله مالا تعلمون (۹۶) قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا اناكنا خاطئين (۹۷) قال سوف استغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم (۹۸) فلما دخلوا على يوسف آوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاءالله آمنين(۹۹) .**

و رفع ابويه على العرش و خروا له سجدا وقال يا ابت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا وقد احسن بى اذاخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى ان ربى لطيف لما يشاء انه هوالعليم الحكيم (۱۰۰)

(ولمافصلت العير) من حدود مصر، اومن عريش مصر وصل الى يعقوب عليه السلام

---

(۱) وفرج القوم للرجل فرجا ايضا وسعوا له فى الموقف والمجلس وذلك الموضع فرجه والجمع فرج مثل غرفة وغرف(مجمع البحرين)

باعانةالهوا ای ریح الشمال(او) الصبا(او) ای‌ریح کان،طیب یوسف علیه السلام اذالقمیص کان فی بدنه فی الجب وغیره فشم علیه السلام رائحة ولده یوسف علیه السلام وقال‌لمن حضر عنده من أولاده ـ لان فی‌هذا السفر لم یذهبوا باجمعهم بل بقوا بعضهم عند ابیهم وکذا اولاد اولاده وسایر اهله ـ(انی لاجد ریح یوسف لولا)ان تنسبونی الی السفه فی الرأی ای لوسفّهتم فی رأیی فلااجد اذ وجدان السفیه غیر وجدان، حقیقة عند من‌یراه سفیها (او) الجواب محذوف وهو رتبوا الاثار(قالوا) تعجبا وقسماانضلالك القدیم معك ای‌لاسفاهةطاریة علیك ، بل‌حب یوسف ضلك عن‌نفسك ، فلاتری‌غیر یوسف فتظن ان‌کل رائحة طیبة من‌یوسف.

(واما) مایتوهم‌ان ذلك القمیص کان مع یوسف علیه السلام فی جب کنعان، ووقت خروجه منه ، وکان قریبا منه ، فلم‌لم یستشم یعقوب رائحة ولده ، واستشم‌الرائحة من مصر وهو ابعد، ففی غیر محله‌کما اجابوا عن ذلك.

فان‌کل احد یری نفسه مختلفة الحالات ، من الاقبال الی الدنیا ، والادبار منها والتوجه الی الله ، وعدم التوجه الیه ، والاستغراق فی الشهویة اوالغضبیة ، وخلاف الاستغراق، والالتفات الی معلوماته والذهول عنها، واذاکان ذلك‌مشاهداً لتمام الاحاد فلا استغراب فی اختلاف حال السالکین ، وانهم قد یتوجهون الی الله فلا التفات لهم الی ما سوی الله .

(وقد) یتوجهون الی الجبروت وعالم العقول ، ویشاهدون‌کل ما فی عالم الملك فیه (وقد) یتوجهون الی القدر ، فیشاهدون وبعض ما یقع فی عالم الکون فیه (وقد) یتجاوز الکمال ، فیسری فی تمام قواهم من الشامة واللامسة والذائقة والباصرة والسامعة ، لکونها من مراتب النفس .

والحاصل انه لابرهان عقلی علی خلاف ذلك بل بعد ارتباط العوالم بالاخر یکون البرهان مطابقاله ، فان من یصیر عینه عین الله، وقدرته قدرة الله ، وعلمه علم الله بالفناء ، یجب بحکم العقل درکه فوق ذلك ، ولکن ذلك فی بعض الحالات ،

اذ المحو في الحق لـو دام لاضمحل البدن ويجيىء الموت ، فلابد في البقاء من اختلاف الحالات .

(فلما ان جاء البشير) اى المبشرمن قبل يوسف ليعقوب عليهما السلام سواءكان هو يهودا حتى ينجبر تقصيره السابق ، وهو اتيانه بالقميص المتلطخ بالدم الكذب (او) العبد الذى كان يعقوب عليه السلام قدباعه، وحصلت المفارقة بينه وبين امه فصارمن زلات يعقوب عليه السلام .

وعلى اى حال ، فالقى المبشرالقميص على وجه يعقوب عليه السلام (فارتدبصيراً) وبعد اخبار المبشر بماجاء به من الخبروالوقايع الحاصلة، وارتداد بصريعقوب عليه السلام توجه الى اولاده واهاليه (وقال الم اقـل لكم انى اعلم (من) قبل‌الله ما لاتعلمون قالوا يا ابانا) اطلب لنا من الله المغفرة مـن ذنوبنا فاناكنا خاطئين فى امر يوسف عليه السلام وابتلاء نبى الله بالفراق ، بـل صدور كلمات غير لائقة من قولهم : (انك لفى ضلالك القديم) .

(قال) يعقوب عليه السلام (سوف استغفر لكم ربى انه هوالغفور الرحيم) والتأخير (اما) من بـاب ان يتوجهوا ويطلبوا منتهى التوجه والطلب ، فانه عليه السلام هو الطبيب الروحاني ، والتكميل لابد ان يكون منوطاً بنظره عليه السلام (واما) من باب ان صاحب الحق۔ وهو يوسف عليه السلام۔ لابد ان يتجاوز ، فالتأخيرلاجله (او) من باب التأخيرالى وقت السحر . (١)

فجهزوا وارتحلوا من كنعان الى طرف مصر ، وبلغ الخبرالى يوسف عليه السلام فاستقبل مع تمام الوجوه ، والاعيان ، والاعاظم احتراماً لشيخ الانبياء يعقوب عليه السلام وضربوا الخيام ، ولما وصل يعقوب عليه السلام ومن معه اليه (دخلوا) فى‌الخيام (وآوى)

---

(١) ابن بابويه فى الفقيه باسناده ، عن محمد بن مسلم ، عن ابى‌عبدالله عليه السلام فى قول يعقوب لبنيه : سوف أستغفرلكم ربى قال : اخرهم الى السحر مـن ليلة الجمعة (تفسيرالبرهان) ج ٢ ص ٢٧٠ حديث ٩

يوسف عليه السلام اباه وخالته ـ لاطلاق الام عليها ـ (اليه) وضمهما الى نفسه اى المسند العالى (وقال ادخلوا مصر) فى حال الامن .

ثم ارتحلواالىان دخلوا مصر(ورفع ابويه) على عرشه، وهوعرش الوزارة او على عرش الملك، لشدة محبوبيته عند الملكبحيث يفعل ما يشاء (وخرو) (٢) اى ابواه وتمام اخوته (لهسجداً) والمراد بالسجدة هنا الخضوع ، لاوضع الجبهة على الارض فسجدوا على نحو الانحناءكالركوع على ما قيل .

(فقال) يوسف عليه السلام متوجهاً الى ابيه عليه السلام (هذا تأويل رؤياى من قبل) فانك الشمس ، وامى القمر واخوتى الكواكب ، قد جعل الله ذلك الرؤيا (حقا) اى له الواقع ، وهو ان اوجد فى عالم الكيان مطابقاً لما فى القدر ، ولايكون المراد هنا هوالثابت ، حتى يقال : ان ذلك الاطلاق من قصور درجة يوسف عليه السلام حيث اطلق الحق على الامرالدنيوى ، بخلاف خاتم الانبياء صلى الله عليه وآله حيثقال الناس نيام اذا ماتوا انتبهوا .

بل لاتعارض بينهذين الكلامين فان النوم ايضاً من الموجودات، وله واقع، وعلى اى حال فقال عليه السلام فى مقام شكر المنعم الحقيقى مضافاً الى ما ذكره (وقد احسن بى) اذا أخرجنى من السجن وعدم ذكرالجب لئلا تنفعل اخوته (وجاء بكم) منالبادية بعدان الشيطان (نزغ بينى) اىافسد(وبين اخوتى ان ربى) صاحب اللطف الكثير اذا شاء ورأى الصلاح وهو العليم الحكيم

وعدم مخالفة تمام ماذكرمع العقل فىكمال الوضوح ، بعدما ذكرنا ، والله الهادى .

وفى الحكاية انيعقوب عليه السلام قداقام فىمصر عنديوسف اربعاو عشرين

---

(٢) الخر : هو السقوط

سنة وقيل سبع عشر سنة (۱) .

واختلفوا في مقدار المفارقة ايضا بين ثماني عشرةسنة، اواربعين، اوثمانين وكلاهما(۲) بعيدان، ثم حضر يعقوب عليه‌السلام الموت فوصي يوسف، ان يحمله ويدفنه عندابيه. وبعد موته عمل يوسف عليه‌السلام بالوصية على نحو المباشرة، ثم بعددفن ابيه ، رجع الى مصر واقام بعده ثلاثا و عشرين سنة وتكلم عند قرب موته بتلك الكلمات(۳).

قوله تعالى **رب قداتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت وليي في الدنيا والاخرة توفني مسلما و الحقني بالصالحين (۱۰۱) .**

فيشكر الله باعطائه حقيقة لسلطنة على ارض مصر، وتعليمه من بواطن الوقايع الحادثة ومن جملتها تأويل الرؤيا يافاطر السموات والارض، انت ولي اموري واولى بي في الدنيا والاخرة(توفني) واقبضني بتمامي اليك في حال سلمي لك بحيث لااري لخصوصية شيىء من مقتضيات الهوى دخلا (والحقني) بالصلحاء ومن كان اعمالهم صاحب الصلاح والخير، وكون هذا الدعاءغير مخالف للعقل من الواضحات، والله الهادي .

ثم انه قد ذكرنا مراراً ان معاني القرآن معان كلية بحيث من التفت اليها لرأى علم تمام الاشياء في القرآن ، وحقيقة الامر عندآل الرسول صلى الله عليه وآله أولهم امير المؤمنين

---

(۱) عن محمدبن مسلم،قال: قلت لابي جعفر عليه‌السلام: كم عاش يعقوب مع يوسف بمصر بعد ماجمع الله يعقوب شمله واراه تأويل رؤيا يوسف الصادقة قال عاش حولين الحديث تفسير البرهان ج۲ص ۲۷۲ حديث ۲۳

(۲) يعني الاربعين اوالثمانين

(۳) يعني الاية اللاحقه من قوله : رب قدآتيتي الخ

علی‌بن ابیطالب ، وآخرهم حجة بن الحسن‌العسکری صلوات الله علیهم اجمعین والصدیقة الکبری فاطمة علیها السلام .

ولکن‌رشحات علومهم قدوصلت الی رجال الهیین واشاروا فی‌تفاسیرهم أو بیاناتهم الی‌بعض مایستفاد من الایات القرآنیة مستکشفین بعض مطالبهم عن اخبار آل الرسول ﷺ ، وبعضها الاخرعلی‌ارتباطات کشفیة بینها وبینهم .

ومن‌جملة مقامات بینوا فیها بعض‌الاسرار ، هذه السورة الشریفة ، وقدطبقوا من اول السورة الی‌آخرهامع‌الروح والعقل‌والنفس ، وسایر قوی النفس ، وکیفیة السلوك ، ومایحصل من‌العوائق‌للسلوك، مایبتهج منه‌الانسان ، ویلتذ التذاذاروحانیا ، ویحصل له شوق الحرکة الی‌الکمال . ومع ذلك لایدّعون سوی‌الولایات‌الجزئیة المرتبطة مع الولایة‌الکلیة المهدویة .

ولکن بعض اتباع الشیطان اراد تطبیق تلك السورة الشریفة ، مع‌الحسین‌بن علی‌سید الشهداء ، وجده ، وابیه وامه ، واخوته (سلام الله علیهم) ولم‌یفهم انه‌لابد من بیان المناسبة ، وان اخوة الحسین علیه السلام ای شباهة لهم باخوة یوسف علیه السلام فضلا عن سایرمطالب سورة الشریفة ؟

وقدقصرهذا نظره‌علی‌وقف‌الاواخرمن -قبیل کان بالحق‌علی‌الحق مشهودا- ثم یدعی مثل هذا الشخص وصوله‌الی‌منتهی‌الکمال ، بل لعدم شعوره فی‌درك المطالب العلمیة یصیرنفسه جاعلا لله ، ویقول-فی‌حق من یظهربعده: انی‌جعلتك کل شیء و نزهتك عن کل شیء .

ولوکان من اهل العلم ، لدری التناقض ، الا فی‌صورة‌کون صرف الحقیقة مجعولا ، فمن اجل‌کون بسیط‌الحقیقة‌کل الاشیاء یکون کل‌شیء ، ومن اجل‌کونه علی‌نحو البساطة و الکمال یکون منزها عن الخصوصیات ، و لم‌یفتهم ان صرف الوجود ، غیرقابل للجعل ، والمجعول محدود ، و لوکان‌کلا فلجاعل داخل فیه ، ولا یصیرالجاعل ، مجعولا لنفسه ، ولولم‌یکن فلایکون‌کلا ، وهذا واضح ، الا انه لایفهم شیئا مما ذکر، ومایتکلم به مجرد لقلقة اللسان .

قوله تعالى : **ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون (١٠٢) وما اكثر الناس ولوحرصت بمؤمنين (١٠٣) وما تسئلهم عليه من اجر ان هو الا ذكر للعالمين (١٠٤)**

(يحتمل) ان يكون المراد من الغيب ، هى الاية الأخيرة (١) اذ هو الامر الواقع بين يوسف عليه السلام وربه ، ولم يكن بمرئى من الناس ، فالغائب عن عالم الشهادة كان ذلك ، ويصح اطلاق الغيب بقول مطلق عليه ، فان ما في الملكوت ، ومنه التوجهات الباطنية الى الله هو الغائب عن عالم الملك والشهادة على الاطلاق.

(و يحتمل) ان يكون تمام القصة (٢) و لكنه بلحاظ المجموع لا كل مطلب مطلب منه، والمجموع مشتمل على بعض الامور المغيبة عن عالم الشهادة كالوحي اليه في الجب بانه (لتنبئنهم بامرهم) وكارائة البرهان وانه لولاها لكان قدهم وتكلم يوسف مع نفسه بقوله (انتم شر مكاناً) حيث لم يبدها لهم ، وكقضاء ما في نفس يعقوب من رفع اصابة العين ، او توجه ابن يامين الى الله فانها امور غائبة عن الحواس .

(ويحتمل) ان يكون المراد من الغيب ، الغيب عند الاميين المبعوث اليهم فان السورة مكية ولم تكن اهل مكة لكونهم اميين عالمين بتلك القصة ، والغائب عند جماعة كثيرة من صقع واحد يصح اطلاق الغيب عليه .

واما قوله تعالى: (وما كنت لديهم) فالمراد بالمرتبة البدنية ، ولاضيرفيها ولا يؤمن بك اكثر الناس لغلبة الشهوة والغضب والشيطنة عليهم بسوء اختيارهم مع حرصك على ايمانهم ، فان النور نافع للبصير لا الاعمى ، فالاعمى لايرى ، ولو كان اشراق الشمس فى منتهى الدرجة .

---

(١) يعنى قوله : رب قد آتيتني من الملك الخ

(٢) يعنى تمام قصة يوسف من اولها الى آخرها

ولايكون غرضك من دعوتهم ثبوت اجر لك من قبلهم حتى يقل اجرك ، بل يكون غرضك الاشفاق عليهم ، والارفاق بهم ، فاذا فوتوا على انفسهم الخير ، فالبخل منهم عليهم .

(وان هو) اى تبليغك (الا ذكر للعالمين) اى تمام اهل العوالم لكون القرآن صاحب الدرجات، ودرجته العالية التجلى الاقدس ، وهوذكر للجبروت ودرجته، الثانية القلم الاعلى ، وبعده اللوح المحفوظ وكل عال ذكر للسافل ، ويحتمل كون اللام (١) مكسور اى لمن يلتفت

وقد ظهر مما ذكرنا عدم مخالفة الايات المذكورة مع العقل، والله الهادى .

قوله تعالى : **وكاين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون (١٠٥) وما يؤمن اكثرهم بالله الا و هم مشركون (١٠٦) أفأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله أوتأتيهم الساعة بغتة وهم لايشعرون (١٠٧) قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين (١٠٨) و ما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من اهل القرى افلم يسيروافي الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الاخرة خير للذين اتقوا افلا تعقلون (١٠٩) حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قدكذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولايرد بأسنا عن القوم المجرمين (١١٠) لقدكان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ماكان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (١١١)**

(وكم من آية فى السموات والارض) يمر عليها المشركون ويعرضون عنها، فان الايات الحاصلة فى السموات الجسمانية ، والارض كثيرة ، واما مطلق العاليات

(١) يعنى (اللام) فى للعالمين

والسفل ، فالامر فيها اوضح ، اذ تشمل الايات حينئذ للمحسوسة ، و المتخيلة ، والمعقولة ـ فالدائرة اوسع والمراد بالمرور في غير المحسوسات اى تجيىء في النظر خيالها او تعقلها ، ولعدم حصول التوفيق لايتعمقون فيها ـ فتمر وتمضى .

(اماالايات)المحسوسةفيالسموات الجسمية كالخسوف والكسوف، والتربيع والتسديس والاقتران ، واختلاف حالات القمر ، واختلاف مطالع الشمس ومغاربها بحسب الفصول ، بل في كل يوم ، و حصول الاوج والحضيض (فان) تمام تلك الامور داخل في الخروج من القوة الى الفعل، وهي الجهة الجامعة بين تمام اقسام الحركة من الكم والوضع والاين والكيف والجوهر والوجود

و قد سبق ان من باب بطلان الترجح من غير مرجّح، اى حصول الوجود من غير موجد ، وبطلان كون المعطى فاقداً يلزم الانتهاء الى الفعل المحض ـ اى مالا جهة نقص فيه ـ وهو لايكون الا الله الواحد، اذ ماله شريك يكون فاقداً لذات الشريك ، فلايكون كاملا ، بل لـه جهة النقص ، والناقص لو خرج من العدم الى الوجود في الكمال يلزم احد الامرين ، واولم يخرج ، فهو ادنى مـن الممكن ، ولايمكن ان يكون الادنى مؤثراً في الاعلى لبطلان كون الفاقد معطياً فالانتهاء الـى الكامل يكون لازماً .

وكالحكمة (۱) الحاصلة فـي اختلاف الليل والنهار ، والفصول الاربعة ، والتأثيرات المترتبة على طالع المولد و قد سبق في اقامة برهان يوسف عليه السلام على صاحبي السجن ، ان الله لولم يكن واحداًلما حصل وجود ، اذ لكل موجودجهات التكثر ، ومع تعدد الالهة لامجمّع (۲) للكثرات في الموجود الواحد ، ومع عدم المجمّع تنتفي.

واما الارض ، فكخروج المعادن ، والنباتات والحيوانات المتولدة منها من

---

(۱) عطف على قوله ره : كالخسوف

(۲) مبنياً للفاعل من باب التفعيل

الحشرات والامطار والبرد والثلج والرعد والبرق و غيرها (اما) داخلة فى الايات السماوية لتسببها عن النظرات كما ينبىء بها اهل التنجيم، ويتصادف غالباً، وسر التخلف عدم الاحاطة ، وما ورد من تكذيبهم ، او تكفيرهم ، فالمراد ان جعلها مؤثرات مستقلة او مشتركة مع الله يكون كفراً و كذباً كما افاد ذلك شيخنا الانصارى قده فى مكاسبه وساير اهل التحقيق .

(واما) داخلة في الارضية بملاحظة انحطاط محلها (او) انبعاثها من الابخرة الارضية، وعلى اى حال، فالبرهان ان تلك الامور تخرج من القوة الى الفعل، فلابد من الانتهاء الى الله كما مر .

واما اذا كان مطلق العاليات والسافلات مراداً فينضم الى ما ذكر آيات الله الموجدة فى نفسك من رؤيتك فى الان الواحد، الكواكب الكثيرة التى تكون البعد بينك وبينها ماشاء الله .

واستماعك للاصوات المختلفة، واستشمامك، وكذلك ساير القوى المحسوسة وخيالاتك وعقلانيتك، وترى ان حقيقتك شيء واحد ، والقوى ليست بخارجة عنك، وكل واحد غير الاخر ، ولكنك تمامها .

وترى ان تمام ذلك كنت فاقداً لها، فصرت واجده ، وليست بيدك ابقائها والا لم يحصل لك الموت أبداً ، ولايحصل ضعف فيها ، فالتمام من الغير ، وبعد بطلان كون المعطى فاقداً ، تعلم الانتهاء الى الواحد البسيط الواجد للكل ، كما انت بسيط واجد لقواك ، ولولا جهة الوحدة لم يحصل الواحد المذكور .

فتمام تلك الامور تمر عليها ، وتشاهدها وتتخيلها وتعقلها ، ولكن المشركين معرضون عنها .

(وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون) والظاهر ان ما ذكر طعن عليهم غير جهة شركهم، ولو كان عينه فهم معترفون بشركهم، وذكره كان مستدركا ، واما كونه طعنا غير ذلك الطعن ، فلان الله هو الجامع لتمام الكمالات ، والشرك كما

ذكر معناه عدم تمامية كل واحد ، فلا يكون واحداً منها الها فما معنى قولهم : انـا نؤمن بالله فليقولوا : انا نؤمن بوجود له في الجملة تأثير .

(أفامنوا) اتيانهم ما يغشيهم ويحيط بهم (من عذاب الله أوتأتيهم) القيامة فجأة والحال انهم (لايشعرون) حتى يهيئون لها وهذا استفهام تقريعي اى اعمالكم اعمال المأمون ، ولادليل على الامن لكم ، لعدم اطلاعكم على اسباب عذابكم الدنيوية، حتى تشاهدون انتفائها، فتطمئنون ، وعلى اسباب قيامتكم الصغرى، لاحتمال اتيانها فجأة، وكذلك الكبرى لم يكن للمشركين دليل على عدم اتيانه ، وان لم تأمنوافلم يعرضون ولايتدبرون في الايات كما ذكر ؟

(قل هذه) طريقتي و هي الدعوة الى الله المستجمع لتمام الكمالات ، وانـا و اتباعي على بصيرة ، اذ نشاهد الايات الالهية من الخارجية والداخلية ونتأمل فيها ونقطع قطعاً برهانياً ، بـل عيانياً وفوقه ، فادعو الخلائق اليه ، وهـو منزه عـن تمام النقائص والعدميات ، ولا اشرك به للتنافي ، والبرهان العقلي قد ذكر .

واما العيان وفوقه فيحتاج الى الرياضة والسلوك ، والقلم يشيراليه بالاجمال، ولدفع ما يورد من (۱) انى ادعو الى الله، بان الواسطة لابد ان تكون من الملائكة ولست بملك ، قـال الله (ومآارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم) وقد مرسابقاً برهان ذلك .

(من اهل القرى) المجتمعة فيها النفوس ، ولعل ذلك يكون اوقع ، لان من كان منهم ومعهم قد حصل له الامتياز ، فيتوجهون الـى الله لحصول المرتبة لهم ، واما اهل البوادى ، فلم يتفق منهم ، لغلظة قلوبهم غالباً .

وبالجملة فلا مفهوم لهذا القيد ، ولوكان فبلحاظ عدم الوقوع سابقا لالعدم الامكان (افلم يسيروا) اىاهل مكة (فى الارض) فيمسافراتهم (فينظروا) البلاد التى

---

(۱) قوله : (من انى) بيان لما يورد وقوله : بان الواسطة الخ متعلق بقوله : لدفع ما يورد

خربت دفعة للامارات الدالة عليها اوللنقل المتواتر من السابق و انه كيف كان عاقبتهم ، من‌قبيل مدين شعيب ، ومايتعلق بقوم عاد وغيرهماالذين كانوا فى‌القبل ، ولدلالة ذلك‌على عدم‌نزول العذاب الدنيوى على‌المؤمنين قال تعالى (ولدارالاخرة خير) لاهل التقوى لبقائها ، وعدم فنائها افلا تتعقلون ان الباقـى خير مـن الفانى ، والبرهان على الاخرة فى‌النفس موجود من‌الخيال والعقل ، لقاعدة امكان‌الاشرف وبطلان‌الطفرة ، فالمثال موجود اى‌البرزخ ، وكذلك فوقه ، وقدبينا فى‌غيرموضع من‌المواضع ، البراهين العقلية على‌اثبات الاخرة والمعاد

(حتى اذا استيأس الرسل) اى اخرنا النصرالظاهرى ، ونزول العذاب على المكذب الى‌زمان يأس الرسل من ايمانهم واعتقادهم بانهم الى‌الاخر (قد كذبوا) اى‌القوم يبقون على‌تكذيبهم (جائهم نصرنا) وذلك قرينة على‌حذف ماذكرنا (فنجى من‌نشاء) لصيرورته فى‌العاقبة من‌اهل الايمان ، اومن نسله ، لشهادة بعض الايات من قبيل (ولوتزيلوا العذبنا) (۱) على‌ذلك المطلب ، ولاراد لعذابنا عنهم ، وقدكان فى بيان حالهم اعتبار و تذكر لصاحبى البصيرة (ما كان هذا القرآن) من الاحاديث المجعولة المفترية ، و الالامكن الاتيان بمثله اوعشر سور او سورة من مثله ، مضافا الى كونها على‌طبق العقل ، فيما ندركه ، واشتماله على علوم الاولين والاخرين ، كمااستفادوا منه.

وهومصدق للكتب السابقة المنزلة ، لاالمحرفة الموجودة التى فيها خلاف العقل كثيرا ، وتفصيل لكل شيء ومبين لاهله على نحو البسط ، وقول الفصل، من الاتقان ، وهداية ، ونوراً ، ورحمة من‌الله ، لبيان مطالب عقلية على نحو لولم‌يكن القرآن لماقرع على‌سمع احد

انالله و انا اليه راجعون (۲) يحول بين المرء وقلبه (۳) نحن اقرب اليه من

---

(۱) الفتح ۲۵ (۲) البقره - ۱۵۶

(۳) الانفال - ۲۴

حبل الوريد (١) مايكون امن نجوى ثلاثة الاهو رابعهم ولاخمسة الاهو سادسهم (٢) وهو معكم اينما كنتم (٣) اينما تولوا فثم وجه الله (٤) وكل من عليها فان و يبقى وجه ربك (٥) ومايدل على فناء كل شيء الاوجهالله (٦) ونفخ فى الصور فصعق من في السموات والارض الا ماشاء الله و اذا نفخ فيه اخرى فاذاهم قيام) (٧) باتيان الاستثناء في الاول دون الثاني وبتعبير الصعق لاالمعدوم (وهو بكل شيء محيط)(٨) ومايلفظ من قول الالديه رقيب عتيد)(٩)

ودرك كل منها فوق درك البشر ، لولاالقرآن

وظهر من جميع ماذكرنا عدم مخالفة الايات المذكورة مع العقل بل موافقتها فيما ندرك ، والله الهادى .

كتبه العاصى نورالدين ابن الشفيع ابن احمد الحسينى

العراقى الايرانى من بلدة سلطان آباد ،

وقد فرغت عصر الخميس المطابق

لاول ذى قعدة الحرام

من عام ١٣٣٦ ،

فى قاضى كوى من اسلامبول ، مع تشتت

البال ، وفقد الاسباب ، والله ولى التوفيق

---

(١) ق - ١٦ (٢) المجادلة - ٧ (٣) الحديد - ٤

(٤) البقرة - ١١٥ (٥) الرحمان - ٢٦

(٦) اشارة الى قوله تعالى : كل شيء هالك الاوجهه القصص ٨٨

(٧) الزمر - ٦٨

(٨) لم نجد في القرآن المجيد بهذه اللفظة ، نعم قوله تعالى الانه بكل شيء محيط ، موجود فى (فصلت) ٥٤

(٩) ق - ١٨

بسمه تعالى

فهرس ما فى هذا المجلد

سورة الاعراف (٧)

العنوان	الصفحة

العنوان	الصفحة

العنوان	الصفحة

العنوان	الصفحة

العنوان	الصفحة

العنوان	الصفحة

﴿تلك القرى نقص عليك من انبائها (الى قوله) تأمرون﴾

﴿قالوا ارجه واخاه (الى قوله) أجمعين)﴾

﴿قالوا انا الى ربنا لمنقلبون (الى قوله) لايعلمون﴾

العنوان	الصفحة

العنوان	الصفحة

سورة الانفال (٨)

(من مجمع البيان)

﴿ يسألونك عن الانفال (الى قوله) مؤمنين ﴾

﴿انما المؤمنون الذين (الىقوله) ورزق كريم﴾

﴿كمااخرجك ربك(الىقوله)المجرمون﴾

﴿اذ تستغيثون (الى قوله) عذاب النار﴾

العنوان	الصفحة

العنوان	الصفحة

العنوان	الصفحة

العنوان	الصفحة

سورة البرائة (٩)

العنوان	الصفحة

العنوان	الصفحة

العنوان	الصفحة

العنوان	الصفحة

العنوان	الصفحة

سورة يونس (۱۰)

العنوان	الصفحة

العنوان	الصفحة

العنوان	الصفحة

العنوان	الصفحة

العنوان | الصفحة

العنوان	الصفحة

العنوان | الصفحة

العنوان | الصفحة

العنوان	الصفحة

العنوان	الصفحة

العنوان	الصفحة

تم الفهرس بحمدالله

بسمه تعالی

فهرس الاغلاط

الصفحه	السطر	الخطأ	الصواب
۱۰	۱	الخالفين	الخالقين
۱۳	۱۱	الالذاذات	الالتذاذات
۱۴	۲	لاملاءن	لاملأن
۱۴	۲۱	حيت	حيث
۲۴	۴	النتزل	التنزل
۲۴	۱۶	بالنصرف	بالتصرف
۲۵	۱۳	فدعصى	قدعصى
۲۷	۲۲	قكل	فكل
۳۰	۹	قلا	فلا
۳۰	۲۱	يفرى	يفترى
۳۱	۹	اختما	اختها
۳۷	۲	منكم	عنكم
۳۸	۱۵	لكانوا	لكونهم
۴۰	۱	حثيثيا	حثيثا
۴۱	۱۴	النكميل	التكميل
۴۶	۱۹	المشفة	المشقة
۵۰	۴	واعجبتم	او عجبتم
۵۱	۱۲	وذهب	والذهب
۵۱	۱۸	برحمتنا	برحمة منا
۵۳	۱۲	صورة	الصورة
۶۰	۴	من الدخول	زائد
۷۱	۷	العالين	العالمين
۸۰	۱۷	استبقنا	اسبقنا
۸۷	۸	والهادى	والله الهادى
۹۲	۱	فيتسدعى	فيستدعى
۹۲	۱۳	فسألبتها	فساكتبها
۹۴	۴	مقتضيه	مقتضية
۹۸	۲۳	التناسخية	والتناسخية
		ويقولون	يقولون
۹۹	۱۸	ليختصص	ليخصص
۱۰۹	۳	سوعاً	سوءاً
۱۱۰	۲	ملتقتين	ملتفتين
۱۱۱	۷	ندعوهم	تدعوهم
۱۱۶	سطر آخر	وضاغ	وضاع
۱۴۶	۶	انيتختطفكم	انيتخطفكم
۱۷۶	ط۵	وانيزد	وانيرد
۱۹۶	ط۱۸-۱۹	(۱)(۲)	(۲)(۳)
۲۱۸	۱۷	لرجوعكم	لرجوعهم
۲۲۲	۲۱	بمعقدهم	بمقعدهم
۲۲۵	۱۴	وفيه	وفيها
۲۲۵	۱۴	الو	اولو
۲۶۶	۱۱	الاغراض	الاعراض
۲۲۷	سطر آخر	الخمسة	الخمسةاوالستة
۲۳۳	۳	المجمعين	المجتمعين

الصفحه	السطر	الخطأ	الصواب
٢٣٣	٣	الفرق	التفرق
٢٤٠	١٢	من(انفسكم)	(من انفسكم)
٢٥٧	٣	تنفيضه	تنقيصه
٢٥٧	١٣	استدعا	استدعاء
٢٥٨	١٥	انجتنيا	انجيتنا
٢٦٣	١٤	العابدون	العابدين
٢٦٦	١٧	وهولاء	وهؤلاء
٢٢٦	١٩	الشقلان	الثقلان
٢٦٧	١٠	افتريث	افتريت
٢٦٧	١٥	عرياً	عرباً
٢٦٨	١٢	يؤمنون	يؤمن
٣٠٠	٣	لاغراضهم	لاعراضهم
٣٠٧	١٢	سمه	سموه
٣١٠	١٧	(ورحيم)	و(رحيم)
٣١١	١١	فابتعلت	فابتلعت
٣١٤	١٦	اليشيء	الشيء
٣٢٣	١	عليهما السلام	عليه السلام
٣٢٤	١٤	فبرناها	فبشرناها
٣٢٤	٢١	ومتسجداً	ومتجسداً
٣٣٣	٢١	نسلمه	تسلمه
٣٤٢	١٩	؟ مغلوباً	مغلوباً ؟
٣٤٨	٨	ميسر	يسير
٣٤٩	١	وتجه	وتجل
٣٥٢	٨	مقدم	مقدماً
٣٥٣	١	دخلا	دخل
٣٥٣	٦	فيه فيه	فيه
٣٥٥	١٥	فهو	فهى
٣٥٧	٦	قرغت	فرغت
٣٦٢	٧	واضاقه	واضافة
٣٦٢	١٥	لان يعقلوها	لان يعقلها
٣٦٣	٧	نز ع	نزغ
٣٦٣	سطر آخر	وتبلغه	ونبلغه
٣٦٩	١١	ادا	اذا
٣٧٠	١٥	منحصر	منحصراً
٣٧٢	٢	(امرآاى)	امرآ)اى
٣٧٥	٧	معاد	معاذ
٣٧٦	٢	جوابه	جواب
٣٨١	٦	الجأننى	الجأنى
٣٨١	١٧	بدأ	بدا
٣٨٨	١٥	المبحوس	المحبوس
٣٨٩	١٨	والعجاب	والعجاف
٣٩٠	٥	لم اخيه	لم اخنه
٣٩٦	١٢	لرؤينه	لرؤيته
٣٩٧	١٦	تفندون	تفقدون
٣٩٩	٤	اجزائه	جزائه
٤٠١	٥	(قال : والله	قال:(والله

تم بحمد الله